

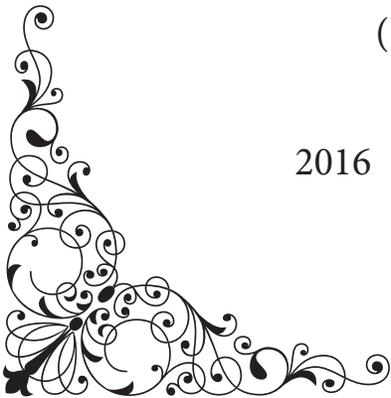
رَحْمَةُ اللَّهِ





رَحْمَةُ اللَّهِ

۳



( )

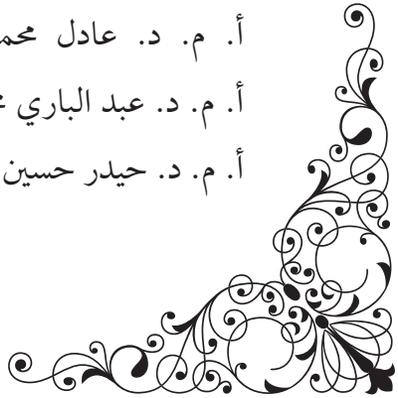
2016

1437



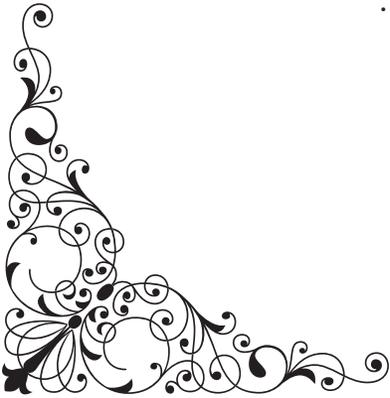


- أ.د. صديق خليل صالح..... رئيس التحرير  
أ.م. د. حسن سهيل عبود..... مدير التحرير  
د. مكّي وليد عبد الكريم..... سكرتير التحرير  
أ. د. مظفر شاكر الحياني ..... عضواً  
أ. د. أسعد عبد العليم عبد الرحمن ..... عضواً  
أ. د. فهمي أحمد عبد الرحمن ..... عضواً  
أ.د. صالح حيدر علي..... عضواً  
أ. د. داود صالح عبد الله ..... عضواً  
أ. د. احمد كريم محمد ..... عضواً  
أ. م. د. مشعان محيي علوان ..... عضواً  
أ. م. د. عادل محمد محمود ..... عضواً  
أ. م. د. عبد الباري مجيد المدرس ..... عضواً  
أ. م. د. حيدر حسين عبيد ..... عضواً





١. أ. د. فاضل صالح السامرائي .
٢. أ. د. عبد الستار حامد الدباغ.
٣. أ. د. خليل ابراهيم حمودي.
٤. أ. د. لطف الله جنين عبد اللطيف.
٥. أ. د. محمد جواد الطريحي.
٦. أ. د. جواد فقي علي.
٧. أ. د. جمال محمد فقي رسول باجلان.



رَحْمَةُ اللَّهِ

\* يخضع للتحكيم كل ما ينشر في المجلة من بحوث ومقالات وتُعتمد تعليمات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم ب.ت ٢٧٩٣ في ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠٤ .

\* تم اعتماد المجلة لاغراض الترقية العلمية حسب موافقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بموجب كتابها المرقم ٨٦٤ والمؤرخ ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٥ م.  
\* رقم الإيداع في المكتبة الوطنية لدى دار الكتب والوثائق هو:  
٨١٨ في ١٧ / ٣ / ٢٠٠٥ م.

\* كل ما ينشر في المجلة يعبر عن اجتهاد كاتبه ولا يعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة، رتبت المحتويات على وفق اعتبارات فنية.

\* الرقم الدولي للمجلة / issn ١٨١٧ - ٦٦٧٤

متابعة: مروان محمد أمين.

للمراسلة: مدير هيئة تحرير المجلة

أ. م. د. حسن سهيل عبود

موبايل: ٠٧٧٠٦١٣٧٨٦٣

Email: elezary2006@yahoo.com

www.alsohel.com



إن قواعد النشر المعتمدة تشكل المنهجية والتخصص والطريقة العلمية في كتابة البحوث والحقوق على وفق الشروط الآتية :

١. يلتزم الباحث مراعاة سلامة اللغة العربية وحسن صياغتها و ألا يكون البحث منشوراً من قبل و ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية ويعد إرساله الى المجلة تعهداً بذلك .

٢. تخرّيج النصوص القرآنية والحديث النبوي في ضوء المنهج العلمي الدقيق الكامل.

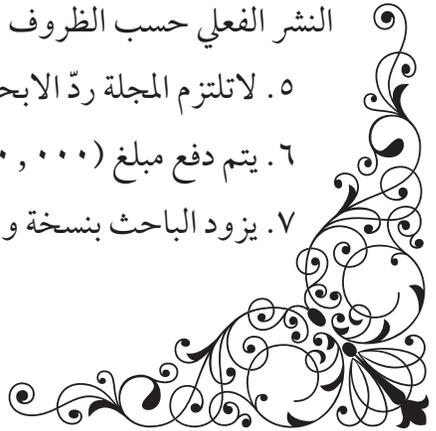
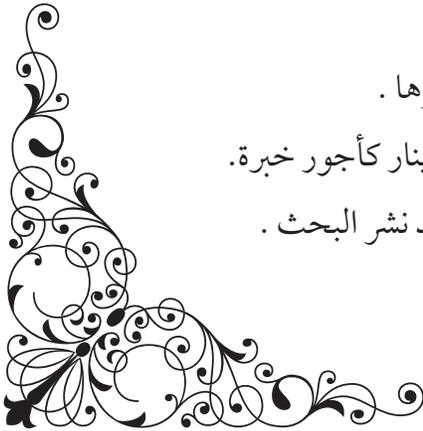
٣. يذيل البحث بخلاصة تتناول أهم النتائج التي توّصل إليها الباحث أو الكاتب.

٤. تحدّد المدة ما بين تقديم البحث وقبوله للنشر بمدة شهر واحد وعملية النشر الفعلي حسب الظروف الممكنة .

٥. لا تلتزم المجلة ردّ الابحاث التي لا يتم نشرها .

٦. يتم دفع مبلغ (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف دينار كأجور خبرة.

٧. يزود الباحث بنسخة واحدة من المجلة بعد نشر البحث .





٨. تلتزم المجلة بالقواعد المنهجية العلمية المتبعة والحقوق القانونية والعلمية للنشر والناشرين فيها. وكذلك طريقة اعتماد البحث للنشر من خلال المقيمين العلميين.

٩. يقدم البحث بثلاث نسخ يراعى فيها النمط الفني في طباعة البحوث.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رافع العلماء والمتعلمين قدراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه ومن سار على دربهم سيراً.

وبعد.. فإن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وأنزله الى الأرض لهدف سام وهو عبادته سبحانه وتعالى وكذلك عمارة الأرض، وقد شرط لهذه العبادة أن تكون على علم ومعرفة، وأوكل عمارة الأرض الى البشر بما يقدمونه من نتاجات، وأفضل ما أنتجه البشر هو النتاج العقلي والمعرفي فهو زينة لأهله ورفعة لهم، ومع إطلالة شهر ربيع الأول، ربيع الخير، تزف كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة عددها الثاني والعشرين من مجلتها العلمية والخاصة بالمؤتمر العلمي الدولي العاشر تحت شعار «التجديد والاستجابة لروح العصر» والذي يتزامن مع الذكرى العطرة لولادة فخر الكائنات محمد ﷺ، إذ يهدف الى تجديد الخطاب الإسلامي وبيان جذوره التاريخية والتأصيل العلمي للتجديد في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والمقاصد الشرعية.

والله ولي التوفيق...

مدير التحرير





-1-

«

»

بحث تقدّم به الأستاذ الدكتور

عدنان علي الفرجاني

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية

عميد كلية التربية «سابقاً»





« »

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد: فهذا البحث الموسوم (الجذور التاريخية للتجديد في الإسلام، دراسة منهجية - وصفية) مقدّم ضمن بحوث مؤتمر كلية الإمام الأعظم الجامعة العلمي الدولي العاشر الموسوم (التجديد والاستجابة لروح العصر).

هدف البحث: يهدف البحث إلى إبراز المعطيات التي رافقت ظاهرة التجديد في الإسلام ممثلة بالنتائج المهمة التي تطلبتها الحاجة الماسة لهذه الظاهرة من جهة، وبرجالها الذين قيّض الله تعالى على أيديهم التجديد من جهة أخرى .

أهمية البحث: لقد واجهت الأمة الإسلامية تحديات كبيرة جاءت بسبب إمتداد رقعة الإسلام وشموله لبلدان وشعوب مختلفة، تسبب ذلك في حصول تغيرات أساسية في مجالات الحياة المختلفة (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية - وهي أهمها-..) وتطلب ذلك مواجهة هذه التحديات بما يحصن هذه الأمة من تداعيات خطيرة قد تعصف بها، فكان التجديد هو الاستجابة المناسبة لتلك التحديات، وهذا الأمر ليس بالسهل - كما سنرى - في طيات هذا البحث إن شاء الله .

منهج البحث: يعتمد البحث الدراسة المنهجية-الوصفية، إذ نشخص الظواهر المهمة التي تتعلق بمادة البحث، ومن ثم نوثقها بالنصوص القرآنية، والأحاديث

الجدور التاريخية للتجديد في الإسلام  
النبوية، وأقوال العلماء والباحثين، واستقراء ما لها من أثر في التوصل إلى نتائج  
عملية.

خطة البحث ونطاقه: اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في هذه المقدمة، وثلاثة مباحث،  
وخاتمة، فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: تم فيه التعريف وتحديد المفاهيم الدلالية لعنوان البحث ليتطابق مع  
مضمونه، والتي أثبتنا من خلالها إثبات حقيقة التجديد تاريخياً وواقعياً.

والمبحث الثاني: تناول تشخيص الأسباب والعوامل التي أدت إلى حتمية التجديد،  
والحاجة التي دعت له في مجالات الحياة المختلفة .

وأما المبحث الثالث: فخصص للحديث عن أبرز أعلام التجديد الذين قيض الله  
على أيديهم تجديد هذا الدين منذ صدر التاريخ الإسلامي، ووفق مجالات ومظاهر وأوجه  
التجديد التي أسهم فيها هؤلاء الأعلام .

والخاتمة: كُرس لبيان أهم استنتاجات البحث وتوصياته .

ندعو الله تعالى للقائمين على هذا المؤتمر بالتوفيق والسداد، وأن يتحقق به الهدف  
الذي عُقد من أجله ... والحمد لله أولاً وآخراً.

الباحث: أ.د. عدنان علي الفرجاني

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية

عميد كلية التربية / الجامعة العراقية - سابقاً



أولاً: الجذر لغةً: الأصل، وأصل الشيء جذره، والجمع جذور، والجذر التمام، .. وعشرة في حساب الضرب جذر مائة<sup>(١)</sup>، ويقال للرجل: جذر الكلام وهو أن يكون مُحْكَمًا لا يستعين بأحد ولا يَرُدُّ عليه أحد، ولا يُعَاب<sup>(٢)</sup>، وفي حديث الزبير: احبس الماء حتى يبلغ الجَذْر: يريد مبلغ تمام الشُّرب<sup>(٣)</sup>.

الجذر اصطلاحاً: ركّز أصحاب التعريف الاصطلاحي، على مسألة الجذر الحسابي: وهو العدد الذي يُضرب في نفسه، ولما كان المضروب في نفسه أصلاً لجميع الأعداد الحاصلة في المنازل سمي به<sup>(٤)</sup>. فالجذر هو: أصل كل شيء<sup>(٥)</sup>.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٤٠٧، ٤٤هـ - ١٩٨٧م، ٢/٦٠٩ - ٦١٠. (٢) المصدر نفسه، ٢/٦١٠، وأيضاً: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٤/١٢٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٤/١٢٣.

(٤) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي القاهري، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١هـ)، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٢٣، وأيضاً: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي (ت حوالي ١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، ط ١، لبنان ناشرون، ١٩٩٦م، ١/٥٥٥.

(٥) التوقيف، المناوي، ص ١٢٣. كشاف اصطلاحات، التهانوي، ١/٥٥٥.

ثانياً: التاريخ لغةً: ارتبط التاريخ بالوقت (الزمن)، قال صاحب الصحاح: التأريخُ: تعريف الوقت. والتأريخُ مثله. وأرَّختُ الكتابَ بيوم كذا، وورَّختُهُ، بمعنى<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن منظور<sup>(٢)</sup>: أرَّخَ الكتابَ لِيَوْمِ كَذَا: وَقَّته، وَالوَأُو فِيهِ لُغَةً، وَزَعَمَ يَعْقُوبُ أَنَّ الوَأُو بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ، وَأَرَّخْتُ الْكِتَابَ فَهُوَ مُؤَارِخٌ وَفَعَلْتُ مِنْهُ أَرَّخْتُ أَرَّخًا وَأَنَا أَرِّخُ.  
يتبين من أقوال أصحاب المعاجم اللغوية أن التاريخ هو ارتباط فعل شيء ما بوقت معين .

التاريخ اصطلاحاً: لا يبعد التعريف الاصطلاحي للتاريخ عن معناه اللغوي، وهو لم يكن شائعاً عند المتقدمين، إلا أن الاهتمام به كان عند المتأخرين (القرن التاسع الهجري فما بعد) فالكافيجي<sup>(٣)</sup> عرّفه بقوله: «هو تعيين وقت يُنسب إليه زمان مُطلقاً، سواء كان قد مضى أو كان حاضراً أو سيأتي».

أمّا السخاوي<sup>(٤)</sup> فقال عنه: «هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وعقل وبدن ورحلة، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور مُلمّة... وغازوة وملحمة، وحرب وفتح بلد... أو بناء جامع أو مدرسة... أو حريق وسيل وطفان... والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم».

(١) الصحاح، الجوهري، ٤١٨/١ .

(٢) لسان العرب، ٤/٣ .

(٣) المختصر في علم التاريخ، محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي (ت ٨٧٩هـ) تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، طبعة عالم الكتب، ١٩٩٠م، ص ٥٣.

(٤) الإعلان بالتبويب لمن ذم أهل التاريخ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، نشر وتحقيق فرانز روزنثال، ترجمة وتقديم أ.د. صالح أحمد العلي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٤٠٧/٥١٤٠٧م. ص ١٨-١٩.

ومن التعريفات الجامعة ما قاله ابن خلدون<sup>(١)</sup> وجاء فيه ما نصّه: «التَّاريخُ» في ظاهره لا يزيد على إخبارٍ عن الأيَّامِ والدول، والسَّوابق من القرون الأولى، تنمق لها الأقوال، وتصرف فيها الأمثال،... وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول النطاق فيها والمجال،... وفي باطنه نظرٌ وتَحقيقٌ، وتعليلٌ للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق...».

وبعد ايراد التعريفات المتعلقة بالمصطلحين أعلاه يمكننا القول إن تركيبها بلفظي «الجدور التاريخية» يعطينا فكرة واضحة أن المصطلح المركب يعني أصول الأخبار للأزمة المتعاقبة، والتي تتعلق بأحوال الدول والشعوب، ومنها أحوال العلماء والعلوم.



(١) المقدمة وتاريخ العبر...، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٥٨٠٨هـ)، تقديم د. جمعة شيخة - تونس، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ص ٣٠.

## أولاً: التجديد:

١- التجديد لغة: جَدَّ الشَّيْءُ يَجْدُّ... وتَجَدَّدَ الشَّيْءُ: صارَ جَدِيداً، وهو نقيض الخلق...، وَأَجَدَّهُ، وَاسْتَجَدَّهُ، وَجَدَّدَهُ، أَي صَيَّرَهُ جَدِيداً<sup>(١)</sup>. وكسَاءٌ مُجَدَّدٌ: فِيهِ خُطُوطٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَيُقَالُ: كَبَرَ فُلَانٌ ثُمَّ أَصَابَ فَرْحَةً وَسُرُوراً فَجَدَّ جَدُّهُ كَأَنَّهُ صَارَ جَدِيداً، لسان العرب... والجِدَّةُ: نَقِيضُ الْبَلِي؛ يُقَالُ: شَيْءٌ جَدِيدٌ... والجَدِيدُ: مَا لَا عَهْدَ لَكَ بِهِ<sup>(٢)</sup>.

٢- التجديد اصطلاحاً: وردت تعريفات عدة في مصطلح تجديد الدين يمكن أن نذكر أهمها وما نراه ينطبق مع مقاصدية المصطلح، ومنها:

أ- «تجديد الدين هو إحياءه وبيان معالمة العملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف المتمثل في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين»<sup>(٣)</sup>.

ب - «التصدي للمستجدات التي تستمد في كل عصر لتبيان حكم القرآن والسنة في هذه المستجدات والتي قد لا يبدو منها لأول وهلة أن فيها مخالفة للشريعة، أو على العكس من ذلك، قد تبدو لأول وهلة فيها مخالفة، ثم يتضح أنها متفقة مع الشرع»<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح، الجوهري، ٤٥٤/٢، ولسان العرب، ابن منظور، ١١١/٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١١١/٣-١١٢.

(٣) الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، د. راشد شهوان، الرياض، ١٤٠٧هـ، ص ٢٥٠- وما بعدها. و: ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد حسن أبو يحيى وآخرون، ط ١، دار المناهج، عمان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. ص ٣٢٤.

(٤) الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، د. عباس حسني محمد، مجلة دعوة الحق، السنة ٢، ١٤٠٢هـ، محرم، العدد ١٠، ص ٨٦.

## ثانياً: الإسلام

١- الإسلام لغة: وردت تفاصيل كثيرة على الدلالة اللغوية للإسلام، نختار منها ما ذكره الأزهري أن "الإسلام: إظهارُ الخُضوعِ والقَبولِ لما أتى به الرسولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهِ يُحَقَّنُ الدَّمُ، ... فَمَنْ أَظْهَرَ قَبولَ الشَّرِيعَةِ.. واستسلمَ فَهُوَ مُسَلِّمٌ.. والمُسَلِّمُ التَّامُّ الإِسْلَامَ مُظْهِرُ الطَّاعَةِ مُؤْمِنٌ بِهَا (١). وَأَسْلَمَ أمره إلى الله، أي سَلَّمَ. وَأَسْلَمَ، أي دخل في السَّلْمِ، وهو الاستسلام. وَأَسْلَمَ من الإسلام... والتَّسَلَّمَ: التصالح. والمُسَالَمَةُ: المصالحة... وأستسلم، أي انقاد (٢).

٢- الإسلام اصطلاحاً: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للإسلام عن المعنى اللغوي كثيراً، فالجرجاني عرفه بقوله: الخُضوعُ والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ (٣). وعند التهانوي: «الإسلام هو الخُضوعُ والانقياد للأحكام بمعنى قبولها والإذعان بها» (٤).

لذا عندما نجمع المصطلحين (التجديد في الإسلام)، ما يقوم به المجدد - أيّاً كان - من الجِدَّةِ والجديد الذي لم يُعهد به من قبل، لما يخدم الدين الإسلامي الحنيف .



(١) تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، تهذيب ١٢/ ٣١٣.

(٢) الصحاح، الجوهري، ١٩٥٢/٥.

(٣) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ، ص ٢٣.

(٤) كشف اصطلاحات، التهانوي، ١٧٨/١.

-

### أولاً: المنهج

١- المنهج لغة: طريقٌ نَهَجَ وطُرُقَ نَهَجَةً، وَقَدْ نَهَجَ الأَمْرُ وَأَنهَجَ، لُغَتَانِ: إِذَا وَضَحَ، وَمِنهَجَ الطَّرِيقَ: وَضَحَهُ، وَالْمِنهَاجُ: الطَّرِيقُ الوَاضِحُ<sup>(١)</sup>.  
وفي الصحاح، النَّهَجُ: الطريق الواضح، وكذلك الْمَنهَجُ وَالْمِنهَاجُ. وَأَنهَجَ الطريقُ، أَي استبانَ وصارَ نَهَجاً واضحاً بَيِّناً، وَنَهَجْتُ الطريقَ، إِذَا أَبنته وَأوضحته. يقال: اعْمَلْ على ما نَهَجْتُهُ لك. وَنَهَجْتُ الطريقَ أيضاً، إِذَا سلكته. وَفُلانٌ يَسْتَنهَجُ سَبِيلَ فلانٍ، أَي يسلك مسلكَهُ<sup>(٢)</sup>.

### ٢- المنهج اصطلاحاً:

الدلالة الإصطلاحية للمنهج متقاربة مع اللغوية، وحيث إنَّ بعض كتب المصطلح تجاهلت المفردة، نجد المعجم المعاصر يحل الإشكالية، فيقول: المنهَج، وسيلة محدَّدة توصل إلى غاية معيَّنة، ويضيف: المنهج العلمي: خُطَّةٌ منظَّمةٌ لعدَّةِ عمليَّاتٍ ذهنيَّةٍ أو حسيَّةٍ بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الوصف

١- الوصف لغة: وَصَفَ الشَّيْءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصِفاً وَصِفةً: حَلَّاهُ، وَالهُاءُ عِوَضٌ مِنْ

(١) الأزهرى، تهذيب، ٤١/٦.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ١/٣٤٦.

(٣) مختار، د. أحمد (ت: ١٤٢٤هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٣/٢٢٩١.

الْوَاوِ، وَقِيلَ: الْوَصْفُ الْمَصْدَرُ وَالصَّفَةُ الْحَلِيَّةُ، اللَّيْثُ: الْوَصْفُ وَصُفُّكَ الشَّيْءَ بِحَلِيَّتِهِ وَنَعْتِهِ. وَتَوَاصَفُوا الشَّيْءَ مِنَ الْوَصْفِ. وَاسْتَوَصَفَهُ الشَّيْءُ: سَأَلَهُ أَنْ يَصِفَهُ لَهُ. وَاتَّصَفَ الشَّيْءُ: أَمَكَّنَ وَصَفُهُ<sup>(١)</sup>.

الوصف اصطلاحاً: جاء في تعريف الصفة: «هي الامارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها»<sup>(٢)</sup>. وذكر أبو البقاء: الصفة التوضيح والتخصيص، ولا يعدل عنه ما أمكن، والأصل في الوصف التمييز، لكن ربماً يقصد به معنى آخر مع كون التمييز حاصلاً أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وعند تركيب مصطلحي: (المنهج الوصفي) فإن له أكثر من تعريف عند ذوي التخصص، منها: أنه «اسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة»<sup>(٤)</sup>. وهناك من يعرفه بأنه «طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها»<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣٥٦/٩.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ١٣٣.

(٣) الكلبيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، الكفوي، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ)، عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص ١٢٤.

(٤) عبيدات، ذوقان وآخرون، ١٩٨٢م، البحث العلمي = مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٧٦.

(٥) عريفيج، سامي وآخرون، منهج البحث العلمي وأساليبه، عمان، الأردن، ١٩٨٧م، ص ١٣١ - ص ١٣٢.

سنتناول في هذا المبحث أهم الأسباب والعوامل التي جعلت التجديد ضرورة لا يمكن تجاهلها، ويسر الله تعالى بها ظهور المجددين عبر العصور لإعزاز وديمومة هذا الدين الحنيف وكالاتي :

المطلب الأول:- النصوص ثابتة والواقع مُتغيّر: أو كما يُطلق عليها النصوص محدودة والحوادث ممدودة، وهذا يُعدّ من أهم الأسباب التي حتمت التجديد في الإسلام، ولتبيان ذلك نقول: الثابت هو مجموعة الأُسُس والحقائق التي تتعلق بأصول العقيدة (أركان الإيمان الستة)، وما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من توحيده وإثبات أسمائه وصفاته وأفعاله. وأركان الإسلام الخمسة، وما يتعلق بأصول العبادات والمعاملات ومكارم الأخلاق... والأحكام والأُسُس العامة في مجالات الحياة إذا ثبت بدليل قطعي الثبوت والدلالة أو بإجماع الأمة إجماعاً صحيحاً قائماً على الدليل. وأما المتغيّر فهو الأحكام التي ثبتت بدليل ظني سواء أكانت الظنية في دلالة النص وثبوته، أم في أحدهما، أو باجتهد قائم على القياس أو المصالح المرسلة، أو العُرف أو مقاصد الشريعة أو غيرها<sup>(١)</sup>.

والواقع أن سنّة ربانية، إذ دوام الحال من المحال . فالتغيّر يحصل في جوانب الحياة المختلفة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية..) وهذه الحالة تتطلب

(١) الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية، د.محمد الزحيلي، أبحاث مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، (المجتمع المسلم.. الثوابت والمتغيرات)، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢م، ص ١١-ص ١٢.

الاجتهاد في المسائل المستجدة بالإعتماد على أصول التشريع المعتمدة، إذ الاجتهاد «بذل الجهد للتوصل إلى الحكم المراد من النص الظني الثبوت أو الدلالة»<sup>(١)</sup>. من القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وغيرها .

وفي هذا الصدد يقول الإمام الشاطبي: «..لأنَّ الْوَقَائِعَ فِي الْوُجُودِ لَا تَنْحَصِرُ، فَلَا يَصِحُّ دُخُولُهَا تَحْتَ الْأَدَلَّةِ الْمُنْحَصِرَةِ، وَلِذَلِكَ احْتِجَّ إِلَى فَتْحِ بَابِ الْاجْتِهَادِ مِنَ الْقِيَاسِ وَغَيْرِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ حُدُوثِ وَقَائِعٍ لَا تَكُونُ مَنْصُوصًا عَلَى حُكْمِهَا، وَلَا يُوجَدُ لِلأَوَّلِينَ فِيهَا اجْتِهَادٌ، وَعِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا أَنْ يُتْرَكَ النَّاسُ فِيهَا مَعَ أَهْوَائِهِمْ، أَوْ يُنْظَرَ فِيهَا بِغَيْرِ اجْتِهَادٍ شَرْعِيٍّ، وَهُوَ أَيْضًا اتِّبَاعٌ لِلْهَوَى، وَذَلِكَ كُلُّهُ فَسَادٌ؛ فَلَا يَكُونُ بُدٌّ مِنَ التَّوَقُّفِ لَا إِلَى غَايَةٍ، وَهُوَ مَعْنَى تَعْطِيلِ التَّكْلِيفِ لِرُؤْمًا، وَهُوَ مُؤَدٌّ إِلَى تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ، فَإِذَا لَا بُدَّ مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، لِأَنَّ الْوَقَائِعَ الْمَفْرُوضَةَ لَا تَخْتَصُّ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا بيان واضح للاجتهاد في المسائل المستجدة، وهي كثيرة ولا تتوقف عند حد معين أو عدد معين . وعبر التاريخ حدث اجتهاد وإعمال للرأي فيما يستجد من المسائل منذ عصر الخلافة الراشدة، «المصادر (أصول التشريع) نفسها لم تكن على شكل صياغات قاطعة، ولا استهدفت ابتداءً أن تتضمن أحكام الجزئيات غير المنتهية على سبيل التنصيص والتعيين»<sup>(٣)</sup>.

وقد نصَّ الإمام الغزالي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «إجماع الصحابة على الحكم بالرأي والاجتهاد

(١) الحفناوي، محمد إبراهيم، تبصير النجباء بالاجتهاد والتقليد والتلفيق والإفتاء، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٦٧.

(٢) الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ٣٩/٥.

(٣) الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة، د. عبدالرحمن السنوسي، (كتاب مستقل) الاصدار: ٢١، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ١٠٠.

في كل واقعة وقعت ولم يجدوا فيها نصًّا، وهذا مما تواتر إلينا عنهم تواتراً لا شك فيه»<sup>(١)</sup>.  
 وذكر أمثلة منها: «مِنَ ذَلِكَ رُجُوعُهُمْ إِلَى اجْتِهَادِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَأْيِهِ فِي قِتَالِ  
 مَانِعِي الزَّكَاةِ حَتَّى قَالَ عُمَرُ: فَكَيْفَ تَقَاتِلُهُمْ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى  
 يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» ؟ فَقَالَ أَبُو  
 بَكْرٍ: «أَلَمْ يَقُلْ إِلَّا بِحَقِّهَا؟ فَمِنْ حَقِّهَا إِبْتَاءُ الزَّكَاةِ كَمَا أَنَّ مِنْ حَقِّهَا إِقَامُ الصَّلَاةِ، فَلَا أُفَرِّقُ  
 بَيْنَ مَا جَمَعَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنَ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الاجْتِهَادِ بَعْدَ طَوْلِ التَّوَقُّفِ فِيهِ، كَكِتَابِ الْمُصْحَفِ،  
 وَجَمْعِ الْقُرْآنِ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ، فَاقْتَرَحَ عُمَرُ ذَلِكَ أَوَّلًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَفْعَلُ مَا لَمْ  
 يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ - حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ، وَكَذَلِكَ جَمَعَهُ عُمَرُ عَلَى تَرْتِيبٍ وَاحِدٍ  
 بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ الْمَصَاحِفُ مُخْتَلِفَةً التَّرْتِيبِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي مَسْأَلَةِ  
 الْجِدِّ، وَالْإِخْوَةِ عَلَى وُجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ مَعَ قَطْعِهِمْ بِأَنَّهُ لَا نَصَّ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى  
 الاجْتِهَادِ فِيهَا»<sup>(٣)</sup>.

وَمِنَ ذَلِكَ أَيْضًا، قَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِّ الشُّرْبِ مَنْ شَرِبَ هَذَى، وَمَنْ  
 هَذَى افْتَرَى، فَارَى عَلَيْهِ حَدَّ الْمُفْتَرِي، وَهُوَ قِيَاسٌ لِلشُّرْبِ عَلَى الْقَذْفِ... وَمِنْ  
 ذَلِكَ قَوْلُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَجْتَهَدُ رَأْيِي عِنْدَ فَقْدِ الْكِتَابِ، وَالسَّنَّةِ فَرَكَاهُ  
 النَّبِيُّ ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

(١) المستصفي، الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام  
 عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٨٦.

(٢) المستصفي، الغزالي، ص ٢٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

وهذا السبب مرتبط بتغير الواقع وظهور المستجدات، فمن خصائص الشريعة الإسلامية الغراء (المرونة) التي واكبت التطورات والمستجدات الحياتية في واقع المسلمين عبر العصور التاريخية .

يقول أحد الباحثين: «أودع الله في هذه الشريعة من عوامل الخصوبة والحيوية والثناء، ما يجعلها صالحة للنماء والتجدد الذاتي، وقادرة على مواجهة مختلف التقلبات الزمانية والمكانية والبيئية»<sup>(١)</sup>.

\* ومن أوجه المرونة التي كانت سبباً في التجديد:

- أن النصوص جاءت مجملة غير مفصلة، مثال ذلك: أن النصوص الشرعية المتعلقة بالشورى في الحكم الإسلام جاءت عامة مجملة، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨). فالواضح أن النص عام، ولكن التطبيق التفصيلي للشورى متروك للجهة المعنية التي تعمل به .

- جاءت الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠) عامة في إعداد القوة لمواجهة العدو، ولكن التفاصيل تركت لكل جيل من الأمة لاختيار نوع القوة التي تناسبه ليدافع عن نفسه .

(١) أمانة، د. عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، ط ١، دار ابن الجوزي، الرياض-بيروت، ٢٠١٤م، ص ٢٩.

- في البيوع والمعاملات جاءت نصوص مُجملة تنهى عن أكل المال بالباطل، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة: ١٨٨). وفي الحديث توجيهه للبيع بالتراضي (عموماً)، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ»<sup>(١)</sup>.

وتركت تفاصيل التراضي لتقدير طرفي البيع والشراء وحسب الظروف، بشرط مراعاة احكام الشريعة الإسلامية .

- أن الشريعة راعت الضروريات والظروف الاستثنائية والأعذار: ذلك أن الله تعالى شرّع التكاليف وشرّع إلى جانبها سبل التيسير، فالصلاة شرعت لأوقات وهيئات معينة، ولكنها للمريض والمسافر لها أحكام وهيئات تختلف عما هي عليه في الظروف الاعتيادية . وهكذا نقول عن الصيام والحج وغيرها .



---

(١) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل البابي الحلبي، ٧٣٧/٢، رقم الحديث: ٢١٥٨. وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ١١/٣٤٠، رقم الحديث: ٤٩٦٧.

وهذا من حتميات التجديد، لأنه لم يقتصر على جزئية معينة في الحياة، بل شمل كل شيء (الزمان والمكان والإنسان)، وهذه هي عالمية الرسالة الإسلامية، فهي ليست لشعب من الشعوب أو بلد من البلدان، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ (سبأ: ٢٨).

ومن فضائله ﷺ أنه قال: «أُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وشمول الشريعة «لكل شأن من شؤون الحياة الإنسانية الخاصة والعامة الدنيوية والآخروية يعني أن ما من حادثة تقع في جميع الأمصار والأحوال إلا والله فيها حكم»<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، فالإسلام يشمل الأمور العقديّة والعباديّة والأخلاقيّة، ولهذا «ترى أن التشريع في الإسلام تشريع شامل، ينظم العلاقة بين الإنسان وربه،

(١) الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١/ ٣٧١، رقم الحديث: ٥٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٣٤، رقم الحديث: ١٥٣.

(٣) التجديد في الفكر الإسلامي، أمانة، ص ٢٣ - ٢٤.

## الجدور التاريخية للتجديد في الإسلام

ويضع المبادئ الأساسية لتنظيم العلاقة بين الإنسان وأسرته، وبين الإنسان ومجتمعه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الأغنياء والفقراء، والملاك والمستأجرين، وبين الدولة الإسلامية وغيرها في حالة السلم وحالة الحرب. فهو قانون مدني وإداري ودستوري ودولي... إلخ، إلى جانب أنه قانون ديني. والفقهاء الإسلامي (على سبيل المثال) اشتمل على العبادات والمعاملات، والأنكحة، والموارث، والأقضية، والدعاوي، والحدود والقصاص والتعازير، والجهاد والمعاهدات، والحلال والحرام، والآداب، فهو يضع القواعد ويرسي المبادئ الصالحة لتنظيم حياة الإنسان، من المستوى الفردي، إلى إقامة الدولة والحكومة، والإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء بهذا الشمول والكمال»<sup>(١)</sup>. فهذا الشمول - بلا شك - يتطلب معالجة ظروف كل هذه الجزئيات بما يناسبها .



(١) الشمولية في الإسلام، الشيخ محمد كامل، مقالة منشورة على الألوكة [www.alukah.net](http://www.alukah.net)، تاريخ الإضافة ١١/٤/٢٠١٤.

٥

سنتبع في هذا المبحث منهجية واحدة تقوم على ضوابط محددة نذكرها في كل علم من  
أعلام التجديد وكالاتي:

- ١- المحور الذي برز فيه المجدد .
- ٢- ترجمة مركزة لاسم العلم المجدد .
- ٣- بعض أوجه التجديد التي برز فيها .

يُعدُّ الجانب السياسي على رأس الأولويات الجديرة بالتجديد، لما يترتب عليها من  
عموم نفع ذلك التجديد على مستوى الأمة .

والشخص المجدد الأنموذج الذي نتناوله في هذا المحور هو:

الخليفة عمر بن عبد العزيز: نعم هو بحق على رأس المجددين في تاريخ الإسلام  
السياسي، لم يغفل أغلب من كتب عن التجديد والمجددين عن الكتابة عن ريادته في  
التجديد. فمن هو هذا الرجل؟ وما الوقت والظرف الذي عاش فيه؟ وما حجم ونوع  
التجديد الذي أحدثه؟

للإجابة على هذه التساؤلات نقول:

١- هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس

... وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ... وُلد عمر سنة ثلاث وستين، ووليَّ المدينة المنورة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وهو ابن خمس وعشرين سنة. ولاها إياه الوليد بن عبد الملك...، بويع له بالخلافة سنة تسع وتسعين، وتوفي سنة إحدى ومائة للهجرة<sup>(١)</sup>.

## ٢- أوجه التجديد في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز :

أ- أنه بدأ بنفسه فعهد إلى برنامج تقشفي للصلاح العام إذ لما «قربت إليه المراكب فقالَ ما هذه؟ فقالوا: مراكب لم تركب قطَّ يركبها الخليفة أول ما يلي، فتركها وخرج يلتمس بغلته، وقال: يا مزاحم ضم هذا إلى بيت مال المسلمين . ونُصبت له سُرادات وحجر لم يجلس فيها أحد قطَّ كانت تُضرب للخلفاء أول ما يلون، فقال: ما هذه؟ فقالوا: سُرادات وحجر لم يجلس فيها أحد قطَّ يجلس فيها الخليفة أول ما يلي، قال: يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين...»<sup>(٢)</sup>.

ب- في الشورى: ردَّ أمر توليه الخلافة إلى المسلمين حيث خطب أول توليه الخلافة قائلاً: «يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبه له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختروا لأنفسكم

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٥/٢٥٣. ومن مصادر ترجمته: الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد التميمي، (ت: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند / دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م، ٦/١٢٢، رقم الترجمة ٦٦٣. و: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، ٧/٤٧٥، رقم الترجمة: ٧٩٠. وغيرها . (٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، عبد الله بن عبد الحكم (ت: ٢١٤هـ)، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٣٨.

فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك: فل أمرنا باليمن والبركة»<sup>(١)</sup>.

ت- نفذ خطة إصلاحية على نفسه وإسرته، حتى أثر عنه أنه قال: «إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي...»<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن عبدالحكم أنه لما أستخلف «عمر بن عبد العزيز نظر إلى ما كان له.. من لباسه وعطره وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان به عنه غنى فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، فجعله في سبيل الله، وفي رواية «وضعها في بيت مال المسلمين»<sup>(٣)</sup>، ثم أمر زوجته أن تضع جوهرها عندها في بيت المال<sup>(٤)</sup>.

ث- وشمل اصلاح الخليفة عمر بن عبد العزيز وتجديده ردّ المظالم وإشاعة العدل بين الرعية، وقد ردّ مظالم خاصة تتعلق بإمرء البيت الأموي من ذلك: أنه ردّ ضيعة من هشام بن عبد الملك إلى رجل نصراني بعد أن قدّم الدليل بأنها أخذت منه، وكذلك ردّ ضيعة أخرى من العباس بن الوليد إلى رجل من عامة الناس، وقد وجه ولاته برّد الحقوق لإصحابها بأيسر الأدلة<sup>(٥)</sup>.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٥٩٧)، طبعة مصر، ١٣٣١هـ، ص ٦٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٥/٢٥٢.

(٣) سيرة عمر، ابن عبد الحكم، ١٤٥-١٤٦.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، (٥٢٧٩) أنساب الأشراف، طبعة القدس، ١٩٣٨م، ص ١٤٥.

(٥) ينظر للمزيد: سيرة عمر، ابن الجوزي، ص ١٤٦-١٤٧. صفة الصفوة، ابن الجوزي، طبعة دائرة المعارف العثمانية - الدكن - الهند، ١٣٥٥هـ، ٢/٦٥. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل ابن عمر (٥٧٧٤هـ) مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٨هـ، ٩/٢١٣.

\* ويمكن تعداد بقية معالم التجديد كالآتي لضيق مجال البحث :

ج- إلغاء الضرائب الاستثنائية والمكوس، وانصاف المزارعين في جباية الخراج<sup>(١)</sup>.

ح- ألغى الجزية عن الداخلين في الإسلام وقال كلمته المشهورة ” إن الله بعث محمداً هادياً ولم يعثه جايياً“<sup>(٢)</sup>.

خ- أعاد النظر في العطاء والمرتبات، فأعطى الناس الذين حُرِّموا من حقوقهم من بيت المال، وتمكن في الوقت ذاته من المحافظة والتدبير والحرص على المال العام<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: الطبقات، ابن سعد، ٥/٢٧٩-٢٩٠.

(٢) ينظر: سيرة عمر، بن عبدالحكم، ٩٤-٩٥.

(٣) ينظر: الخلافة الأموية -دراسة في التاريخ السياسي والإداري ٩٦-١٠٥هـ، الفراجي، عدنان علي كرموش، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ / كلية الآداب -جامعة بغداد (١٩٨٧م)، ص ٣٠٢ وما بعدها.

يُعدُّ هذا المحور من المحاور الأساسية في الإسلام لأنه عماد الشريعة، وقد برز فيه الكثر من العلماء والفقهاء على مرِّ العصور الإسلامية، لاسيما الأئمة الأربعة الذين هم مرجع الفقه والفتوى والتأصيل الفقهي. ولكن شخصيتنا التجديدية في هذا المجال تتمثل في الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١- ترجمة الإمام الشافعي: هو مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعٍ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ...<sup>(١)</sup>.  
وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوُفِيَ فِيهَا أَبُو حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وُلِدَ بِغَزَةَ، وَقِيلَ: بِعَسْقَلَانَ... وَمَاتَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، فَعَاشَ أَرْبَعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً<sup>(٢)</sup>.

كان الشافعي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ، وَقَدْ اكْتَمَلَتْ لَدَيْهِ أَدْوَاتُ الْاجْتِهَادِ، فَصَدَقَ فِيهِ وَصْفُ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ: «حَازَ الْكَمَالَ بِمَا جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْخُلَالِ.. مِنْهَا: مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ وَحَسَنِ الطَّرِيقَةِ عِنْدَ الْمَوَافِقِينَ وَالْمُخَالَفِينَ، وَحَفِظَهُ لِكِتَابِ رَبِّهِ، وَمَعْرِفَتَهُ بِوَجْهِهِ وَنَدْبِهِ، وَتَصَرَّفَهُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ عِلْمِهِ، مِمَّا يَعْجِزُ غَيْرَهُ عَنِ بُلُوغِ فَهْمِهِ، وَفَقْهَهُ بِاللِّسَنِ الْمُنْقُولَةِ، وَبَصَرَهُ بِالصَّحَاحِ مِنْهَا وَالْمَعْلُولَةِ،

(١) آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٩.  
(٢) آداب الشافعي، ابن أبي حاتم، ص ٢١. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت. ١/ ٤٥-٤٦.

الجدور التاريخية للتجديد في الإسلام —————  
وَكَلَامِهِ فِي الْأُصُولِ، وَحَكْمِ الْمُرْسَلِ وَالْمَوْصُولِ، وَتَمْيِيزِ وُجُوهِ النُّصُوصِ، وَذَكَرِ الْعُمُومِ  
وَالْخُصُوصِ...»<sup>(١)</sup>. ولما سُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل عن الشافعي قال: ” قد سألتنا  
واختلفنا إِلَيْهِ فَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا ”<sup>(٢)</sup>.

## ٢- التجديد الذي برز فيها الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

تُجْمَعُ المصادر على أن أبرز جوانب التجديد عند الشافعي كان في الفقه وأصوله،  
لا سيما في الأصول فهو «أول مَنْ صَنَّفَ أصول الفقه بلا اختلاف ولا ارتياب»<sup>(٣)</sup>. وقد  
جَدَّدَ مذهبه الفقهي في مصر عما كان عليه في العراق، ويشير النووي إلى ذلك بقوله: «كُلُّ  
مَسْأَلَةٍ فِيهَا قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ فَالْجَدِيدُ هُوَ الصَّحِيحُ وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ  
لِأَنَّ الْقَدِيمَ مَرْجُوعٌ عَنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

وحول إقدام الشافعي على التجديد في فقهه يقول البيهقي: «صنّف الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في  
القديم أكثر هذه الكتب.. منها: كتاب السنن، وكتاب الطهارة، والصلاة، والصيام والحج  
... وغير ذلك، ثم أعاد تصنيف هذه الكتب في الجديد غير كتب معدودة،... فكان يأمر  
بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد، ثم يأمر بتخريق ما تغير اجتهاده فيه، وربما يدهه  
إكتفاء بما ذكر في موضع آخر»<sup>(٥)</sup>.

وينقل البيهقي كلاماً للإمام أحمد وقد سأله أحد العلماء عن تجديد الشافعي لكتبه:

- 
- (١) مسألة الاحتجاج بالشافعي، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣ هـ)  
تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية - باكستان، بلا.ت. ص ٢٩.  
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦.  
(٣) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ...، ٤٩/١.  
(٤) المجموع شرح المذهب، النووي، دار الفكر، بيروت، بلا.ت. ٦٦/١.  
(٥) مناقب الشافعي، البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: ٢٥٨)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ١، دار  
التراث، مصر، ١٩٧٠م، ١/٢٥٥-٢٥٦.

«قلت لأحمد بن حنبل: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين؟ أحب إليك؟ أم التي عندهم بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يُحْكَمْهَا. ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك...»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الإمام الشافعي قد جدّد وأحكم وعدّل في آرائه الفقهية وهو رجل عاش في مدة زمنية معينة، فما بالك بهذه القرون التي تلت؟ كم فيها من مستجدات؟ .



---

(١) المصدر نفسه، ١/٢٦٣.

في الواقع برز الكثير من الأئمة الأعلام في محور العقيدة وأصول الدين، لكن مجدّدنا هو الإمام أبو الحسن الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١- ترجمته: هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فينتهي نسبه الى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)<sup>(١)</sup>.

وُلد أبو الحسن الأشعري سنة ٢٦٠هـ بالبصرة، وكان والده إسماعيل بن إسحاق الملقب - بأبي بشر - من أئمة الحديث، وعند وفاة الوالد اوصى به زكريا بن يحيى الساجي الذي عرف عنه الفقه والحديث، فأخذ عنه ابو الحسن بعض الأحاديث. ثم انتقل أبو الحسن الأشعري الى بغداد فدرس الفقه على أحد أئمة الفقه الشافعي وهو أبو إسحاق المروزي (ت ٣٤٠هـ)، كما أخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ)<sup>(٢)</sup>.

٢- تجديد الأشعري في الدين: أ- بلغ الأشعري مكانة عالية في الدين والعلم، فأحبه الجميع لما قدّم من خدمة للدفاع عن العقيدة الإسلامية فقد «تكلّم في أصول الديانات

---

(١) من مصادر ترجمته: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ... ط دار الكتب العلمية، بيروت (بلا. ت)، ٣٤٦/١١. تبين كذب المفتري، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٢. وفيات الاعيان، ابن خلكان، أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، ط دار الكتب الثقافية، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨، ٤/ ٢٦٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ١١/ ١٨٧، وغيرها.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب، ٣٤٩/١١.

على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة»<sup>(١)</sup>.

ب- ترك الأشعري ثروة كبيرة من الكتب والمؤلفات، قال ابن عساكر: «فلما كثرت توأيفه ونصر مذهب السنة وبسطه تعلق بها أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض الحنافية فأهل السنة بالمغرب والمشرق بلسانه يتكلمون وبحجته يحتجون..»<sup>(٢)</sup>.

ت- الطريقة التجديدية لأبي الحسن الأشعري في العقيدة الإسلامية كانت في الجمع بين النقل والعقل، فقد خالف المعتزلة في تمجيد العقل واعتمادهم عليه في تأويل النصوص المخالفة لأرائهم، وتوغلهم في قضايا الفلسفة والمنطق، ولكنه لم يهمل دور العقل في خدمة الشرع. وأخذ عن السلف طريقة استخدام النقل في التوحيد ونصرة العقيدة من غير جمود على بعض المواقف، وكان في كل ذلك يسعى لنصرة الحق والركون إليه، ولذلك فالأشعري ومذهبه العقدي هو الجامع للفكر العقدي الوسطي الاعتدالي في الإسلام<sup>(٣)</sup>، يشير البغدادي إلى أن الأشعري ما هو إلا مجدد لعلم الكلام، وأنه كان امتداداً لما عليه هذا العلم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى عصره؛ فيقول في ذلك: «أول متكلمي أهل السنة من الصحابة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لمناظرته الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، ومناظرته القدرية في القدر والقضاء، والمشية والاستطاعة، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنه في كلامه عن القدرية وبراءته منهم ومن زعيمهم معبد الجهني،... وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة في الرد على القدرية، ثم زيد بن علي بن الحسين وله كتاب في الرد على القدرية من القرآن»

(١) تبين كذب المفتري، ابن عساكر، ص ١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) التوافق بين الأشاعرة والسلف في العقيدة، الفراجي، د.عدنان علي، مطبعة السطور، بغداد، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ٣٥-٣٦.

الجدور التاريخية للتجديد في الإسلام

(١)... وبعد أن ذكرَ عدداً كبيراً من الأعلام في هذا العلم.. قال: ((ثم بعدهم شيخ النظر، وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الذي صار شجاً في حلوق القدرية والنجارية والجهمية و.... والخوارج، وقد ملأت الدنيا كتبه، وما رُزق احد من المتكلمين من التبغ ما قد رُزق لأن جميع أهل الحديث وكل من لم يتمعزل من أهل الرأي على مذهبه» (٢).



(١) أصول الدين، البغدادي، أبو منصور عبدالقادر بن طاهر (ت: ٤٢٩هـ) ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (عن طبعة اسطنبول ١٩٢٨م)، ص ٣٠٧-٣٠٨.  
(٢) أصول الدين، البغدادي، ص ٣٠٨.

وهذا المحور يُعدّ عصب النهوض الحضاري، ورفع مستوى العلم والتعليم، فبعد حقبة تاريخية زمنية من التراخي الفكري، وانتشار التقليد في التعليم، فضلاً عن التدهور السياسي، في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة وصفها العلامة المودودي بأنها « زعزعت العقائد بشيوع الفلسفة اليونانية... ونضب فيها معين الاجتهاد.. ففشا التقليد الجامد، ونما الخلاف المذهبي نمواً أحدث فيهم فرقاً جديدة... واعتادت الرعية عيشة الترف واللهو.. وراجت الفنون والآداب في المجالس الملكية وإن كانت مُضرة بالأخلاق ومُفسدة للمدنية..»<sup>(١)</sup>.

في هذه الأوضاع وُلد الإمام الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فكان مجدد القرن الخامس الهجري .

١- ترجمة الإمام الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي<sup>(٢)</sup>.

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه... أبو الأعلى المودودي، ط ٢، دار الفكر الحديث - لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م، ص ٧٤ - ص ٧٥ بتصرف.

(٢) تبين كذب المفتري، ابن عساكر، ص ٢٩١. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود الطناحي د. عبد الفتاح الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، ٦/ ١٩١. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، العينى، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ٣/ ٤٣٦. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٧/ ٢٣.

إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت... ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه... ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج... فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وانتقل منها إلى بيت المقدس... ثم عاد إلى طوس ودرّس بها مدة، ثم ترك التدريس وانقطع للعبادة... إلى أن توفي ببلدته طوس ودُفن بها سنة ٥٠٥ هـ «<sup>(١)</sup>».

٢- أوجه التجديد عند الغزالي<sup>(٢)</sup>:

أ- تميز الغزالي بحسن المناظرة، وغزارة العلم، وطرح الأفكار الجديدة، يقول ابن عساكر: وَقَعَت للغزالي اتفاقات حَسَنَةٌ من الاحتكاك بالأئمة وملاقة الخُصوم اللد ومناظرة الفحول ومناظرة الكِبَارِ وَظَهَرَ اسْمُهُ فِي الْأَفَاقِ وَارْتَفَقَ بِذَلِكَ أَكْمَلَ الْارْتِفَاقَ .

ب- درس الفلسفة اليونانية بتبصّر وانتقدها انتقاداً لا ذعماً، فاستجلى الناس وجه الحقيقة في النظريات التي كانوا قد سلموا بها، وانتقل تأثيره النقدي للفلسفة إلى أوروبا .

ت- قام بتقويم النظرة السوداوية عند بعض المتصدرين للمشهد الديني للحجج العقلية، وأثبت أن العقائد الدينية يمكن أن يؤيدها المنطق والبرهان، ويستسيغها العقل .

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: ٦٨١ هـ)،

تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر - بيروت، ٤/٢١٧-٢١٨.

(٢) ينظر: تبين كذب المفتري، ابن عساكر، ص ٢٩٢ وما بعدها (بتصرف). موجز تاريخ تجديد الدين، المودودي، ص ٧٨-٨١ (بتصرف).

ث- استعرض حال الفرق الدينية في زمانه، وتصفح وجوه اختلافها، وبين الحدود التي تفصل بين الكفر والإسلام، وما الحدود المسموح بها شرعاً للرأي والتأويل، ونبه إلى الأمور الدخيلة على العقائد الإسلامية .

ج- عالج القضايا الأخلاقية للمجتمعات الإسلامية من خلال تجاربه ومشاهداته لواقعها، وذلك من خلال كتابه المشهور (إحياء علوم الدين) .

ح- انتقد نظام التعليم القائم آنذاك الذي كان يفرّق بين علوم الدين والدنيا، وأدخل باسم الدين أموراً لم تكن لها أهمية في الشرع، فوضع نظاماً متماسكاً جامعاً يلبي الحاجات التعليمية للمجتمع المسلم وإلى يومنا هذا .



لا يخفى على المطلعين على تاريخ حضارتنا أن العلماء الأعلام كانوا موسوعيين في علومهم ومعارفهم، إلا أن الإمام السيوطي كان أبرز من جدد العلوم والمعارف الإسلامية في القرن التاسع الهجري .

### ١- ترجمة الإمام السيوطي:

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ همام الدين، شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل ابن العلامة كمال الدين الأسيوطي، الخضيرى<sup>(١)</sup> .

ولد بالقاهرة ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة . . . أخذ العلم عن العلم البلقيني والشرف المناوي والشمس بن الفالاتي والجلال المحلي والزين العقبي والبرهان البقاعي والشمس السخاوي الشافعيين، وعن محقق الديار المصرية سيف الدين البكتمري والعلامة محيي الدين الكافيحي البرغمي والحافظ قاسم بن قطلوبغا السودوني والإمام تقي الدين الشمني الحنفيين وغيرهم من المالكية والحنابلة

(١) ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: ١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١/٢٢٧. و: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، =أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ) تحقيق وتخرّيج: محمود وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ١٠/٦٤ وغيرها .

وغيرهم<sup>(١)</sup>. وتوفي في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وأشهرًا<sup>(٢)</sup>.

## ٢- أوجه التجديد عند السيوطي :

أ- السيوطي حرص على طلب العلم على مشاهير العلماء، وأقبل على أخذ العلم بهمة عالية، حتى ذكر أن عدد شيوخه زاد على مائة وخمسين عالمًا. وشرع بالتأليف في حداثة سنّه، وأشار الذهبي إلى أن تلميذه الداودي « استقصى مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحرّرة المعتمدة المعتمدة، فنافت عدتها على خمسمائة مؤلّف »<sup>(٣)</sup>.

وفي مقدمة تحقيقه لكتاب حسن المحاضرة للسيوطي أشار محمد أبو الفضل أن بعض « هذه الكتب يقع في مجلد أو مجلدات؛ كالزهر والإتقان والأشباه والنظائر وبغية الوعاة والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والجامع الصغير والجامع الكبير وأمثالها، أو في أوراق أو صفحات؛ كهذه الرسائل التي طبعت باسم الحاوي في الفتاوي؛ في مجلد يحوي ثمانية وسبعين كتابًا في معظم الفنون »<sup>(٤)</sup>. فنحن أمام عملاق من عمالقة العلم والتأليف الجامع النافع .

ب- وقد وصفه الغزي بأوصاف تدل على ريادته وانفراده في علم الحديث والأحكام فقال: « كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، ورجاله، وغريبه، واستنباط الأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مئتي ألف حديث. قال: ولو وجدت أكثر لحفظته. قال:

(١) الكواكب السائرة، الغزي، ١/٢٢٧-٢٢٨. شذرات الذهب، ابن العماد، ١٠/٤٧-٧٦.

(٢) الكواكب السائرة، الغزي، ١/٢٣١.

(٣) الكواكب السائرة، الغزي، ١/٢٢٨. شذرات الذهب، ابن العماد، ١٠/٧٦.

(٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، مقدمة المحقق: ص٧.

ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك»<sup>(١)</sup>. كان يكتب في كل العلوم في التفسير والقراءات والحديث والفقه وأصوله والتاريخ والنحو والبلاغة والأدب والأحوال الاجتماعية والاقتصادية وفي كل شيء له أثر، والواقع نحن نعجز عن وصف جهده العلمي والفكري، فهو يدرّس ويؤلف وله علاقاته الاجتماعية الحسنة، فضلاً عن تفرّغ للعبادة والزهد. لذا فهو مجدد بحق لما عمّ من علمه النافع للأمة جمعاء.

ت-أشار السيوطي ضمن أرجوزة المجددين إلى المجددين الأساسيين في كل قرن، مع ذكر حقه أن يكون من بينهم، وإتماماً للفائدة نورد هذه الأرجوزة المختصرة هنا نختم بها هذا المطلب<sup>(٢)</sup>:

الحمد لله العظيم المنة	المانح الفضل لأهل السنة
ثم الصلاة والسلام نلتمس	على نبي دينه لا يندرس
لقد أتى في خبر مشتهر	رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مائة	يبعث ربنا هدى الأمة
منا عليها عالما يجدد	دين الهدى لأنه مجتهد
فكان عند المائة الأولى عمر	خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانية	لما له من العلوم السامية
وبن سريج ثالث الأئمة	والأشعري عدة من أمه
والباقلاني رابع أو سهل	أو الاسفراني خلف قد حكوا

(١) الكواكب السائرة، الغزي، ١/٢٢٩.

(٢) سلسلة إتحاف الأماجد بنفائس المنظومات والأراجيز والقصائد (أرجوزة تحفة المهتدين بأخبار المجددين للعلامة جلال الدين السيوطي ت ٥٩١١هـ)، محمد بن أحمد بن محمود آل رحاب، www.alukah.net، تاريخ الإضافة ٢٤/١١/٢٠١٤م - ١/٢/١٤٣٦هـ.

وعده ما فيه من جدال  
والرافعي مثله يوازي  
أو حافظ الأنام زين الدين  
وهو على حياته بين الفئة  
وينصر السنة في كلامه  
وأن يعم علمه أهل الزمن  
من أهل بيت المصطفى وقد قوى  
قد نطق الحديث والجمهور  
ولا يخلف ما الهادي وعد  
فيها فضل الله ليس يجحد  
ففي هذه الأرجوزة ذكرٌ لأبرز المجددين، ومنهم (إن شاء الله) الإمام العلامة

والخامس الخبر هو الغزالي  
والسادس الفخر الإمام الرازي  
والثامن الخبر هو البلقيني  
والشرط في ذلك أن تمضي المائة  
يشار بالعلم إلى مقامه  
وأن يكون جامعاً لكل فن  
وأن يكون في حديث قد روى  
وكونه فرداً هو المشهور  
وهذه تاسعة المئين قد أتت  
وقد رجوت أنني المجدد  
السيوطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما أشار إلى ذلك في السطر الأخير.





- بعد أن يسّر الله تعالى إنجاز هذا البحث المتواضع عن الجذور التاريخية للتجديد في الإسلام، نقف على بعض الاستنتاجات والتوصيات الآتية :
- ١- إنّ لكل شي جذر وهو الأصل، وما التجديد إلا ظاهرة متجذرة في عمق تاريخنا الإسلامي من لدن الخلافة الراشدة وإلى يومنا هذا .
  - ٢- تجديد الدين هو إحيائه وإبانتته على المنهج الصحيح على ما كان عليه في عهد رسول الله وأصحابه، مع التصدي للمستجدات التي تحدث في كل عصر، والمجدد هو من يقوم بهذه المهمة الشريفة لخدمة الدين الحنيف .
  - ٣- إن دراستنا قامت على المنهج الوصفي، فقمنا بجمع النصوص والمعلومات المتعلقة بالتجديد من مظانها، وعلّقنا عليها مع التحليل، للتّضح الصورة بشكل جليّ للقاريء، وبما ينسجم مع المعطيات الفعلة لتلك الظاهرة .
  - ٤- من بين عوامل التجديد أن النصوص ثابتة والواقع متغير، فمن الثوابت: مجموعة الأسس والحقائق التي تتعلق بأصول العقيدة، وأركان الإسلام الخمسة، ومكارم الأخلاق. وثمة متغيّرات ثبتت بدليل ظني تتعلق بجوانب الحياة المختلفة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية..). وهذه الحالة تتطلب الاجتهاد في المسائل المستجدة بالإعتماد على أصول التشريع المعتمدة .
  - ٥- إنّ الاجتهاد والتجديد حدث في تاريخ هذه الأمة منذ عصر الخلافة الراشدة في مسائل متعددة - وهو وقت مبكر في تاريخنا الإسلامي - ومن هذه المسائل: قتال مانعي الزكاة، وجمع المصحف بين دفتين، وميراث الجدّ، وحدّ القذف، وغيرها .

٦- إنَّ الشريعة الإسلامية تميزت بالمرونة وواكبت التطورات والمستجدات الحياتية في واقع المسلمين عبر العصور التاريخية، فكانت المرونة أحد العوامل التي ساعدت التجديد في الدين . ومن أوجه المرونة في ديننا الإسلامي أن النصوص جاءت مجملة غير مفصلة، كالشورى، وإعداد القوة لمواجهة العدو، والنهي عن أكل المال بغير حق،.. ومنها أن الشريعة راعت الضروريات والظروف الاستثنائية والأعدار .

٧- الدين الإسلامي اتسم بالشمولية، فكانت واحدة من أهم عوامل التجديد، وأسبابه في الإسلام، وهذه الشمولية تعلقت بالزمان والمكان والإنسان، فضلاً عن كونه يتمحور حول ركائز الدين الأساسية (العقيدة، والعبادة، والأخلاق)، فهذا الشمول يتطلب معالجة ظروف هذه الجزئيات بما يناسبها .

٨- وتأكيداً للجذور التاريخية للتجديد فقد برز فيه أعلام كبار في جوانب مختلفة (سياسية، وفقهية، وعقدية، وفكرية، ومعرفية عامة... الخ)، وقد اخترنا خمسة من هؤلاء الأعلام في هذا البحث، تماشياً مع حجم البحث، والوقت المخصص له .

٩- كان أول المجددين في الجانب السياسي الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي أعطى صورة مثالية في الحكم، بدأ بها بنفسه بإصلاحات ذاتية، فكان مثلاً للبعد عن الأبهة والاسراف في استغلال المنصب . وشمل الإصلاح تفعيل الشورى والضرب على أيدي المفسدين، وردّ المظالم، وألغى الضرائب الاستثنائية، وانصف الفقراء، وحرص على المال العام .

١٠- وفي مجال الفقه وأصوله برز الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والذي أجمعت المصادر على أنه أول من صنّف أصول الفقه، وأنه قام بتجديد ذاتي لمذهبه ليعطي العبرة للآخرين بإمكانية التجديد الذاتي بحسب البيئات والظروف .

١١- وفي العقيدة وأصول الدين برز المجدد أبو الحسن الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والذي

بلغ مكانة عالية في الدين والعلم، فاطلع على أصول الديانات والعقائد، وترك المؤلفات العديدة، وجمع بين النقل والعقل، ليؤدي كل منهما دوره في خدمة الدين، فكان الأشعري هو الجامع للفكر العقدي الوسطي الاعتدالي .

١٢- وفي محور الفكر والفلسفة برز المجدد الإمام الغزالي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وسط التراخي الفكري، والتدهور السياسي، وانتشار التقليد المذهبي، فكان تجديده لهذه المجالات المتعددة فكرياً وفقهياً وسياسياً، فقد اطلع على كتب الفلسفة ونقدها، وأعاد الثقة إلى الإسلامية، وانتقد الفرق التي شوهدت معالم الدين، ودعا إلى تطبيق الأخلاق الإسلامية لإصلاح المجتمع .

١٣- وأما العلوم والمعارف الإسلامية فبرز فيها الإمام المجدد العلامة السيوطي (رحمه الله)، والذي كان درّة زمانه في العلوم والمعارف الإسلامية العامة، فهو المفسر، وهو المحدث، وهو الفقيه، وهو الأصولي، وهو المؤرخ، وهو الأديب وهو النحوي، وهو الزاهد العابد.... وحدث ولا حرج فيما كان عليه من علوم ومعارف . وقد نشر علمه تدريجاً ووعظاً وكتابةً . وقد أسهم في ارجوزته بذكر المجددين الذين سبقوه في القرون الهجرية، وتمنى أن يكون بينهم تواضعاً منه، وهو المستحق لذلك بجدارته كما نرى .

:

١- أثبت هذا البحث فرضية ظاهرة التجديد في عمق تاريخنا الإسلامي، لذا نوصي بالدعوة للتجديد بشتى الوسائل الممكنة، كونه ضرورة ملحة ومشروعة في الوقت الراهن لكثرة التحديات التي تواجه الأمة .

٢- اقترح إنشاء مركز علمي يحمل اسم (التجديد) في كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) يتم فيه تعميق الدراسات التجديدية في داخل العراق بالإفادة من الخبرات والمهارات العلمية العراقية، مع الإفادة من الخبرات الأخرى العربية والإسلامية والعالمية .

- بعد القرآن الكريم.

١. الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة، د. عبدالرحمن السنوسي، (كتاب مستقل) الاصدار: ٢١، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠٠١م.

٢. آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣. تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٤. الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، د. راشد شهوان، الرياض، ١٤٠٧هـ.

٥. أصول الدين، البغدادي، أبو منصور عبدالقادر بن طاهر (ت: ٤٢٩هـ) ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (عن طبعة اسطنبول ١٩٢٨م).

٦. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٧. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، نشر وتحقيق فرانس روزنثال، ترجمة وتقديم أ.د. صالح أحمد العلي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٨. أمانة، د. عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، ط ١، دار ابن الجوزي،

الرياض - بيروت، ١٤٢٤هـ.

٩. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٨هـ.
١٠. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١١. البلاذري، أحمد بن يحيى، (٢٧٩هـ) أنساب الأشراف، طبعة القدس، ١٩٣٨ م.
١٢. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي...، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
١٣. تبين كذب المفتري، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٤. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
١٥. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.
١٦. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ.
١٧. التوافق بين الأشاعرة والسلف في العقيدة، الفراجي، د.عدنان علي، مطبعة السطور، بغداد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
١٨. التوقيف على مهمات التعريف، المناوي القاهري، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١هـ)، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.
١٩. ثقافة المسلم وتحديات العصر، د.محمد حسن ابو يحيى واخرون، ط ١، دار المناهج، عمان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م.

٢٠. الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية، د. محمد الزحيلي، أبحاث مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، (المجتمع المسلم.. الثوابت والمتغيرات)، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م.
٢١. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بلا.ت.
٢٢. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد التميمي، (ت: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند / دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
٢٣. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٤. الحفناوي، محمد إبراهيم، تبصير النجباء بالاجتهاد والتقليد والتلفيق والإفتاء، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.
٢٥. الخلافة الأموية - دراسة في التاريخ السياسي والإداري -، ٩٦-١٠٥هـ، الفراجي، عدنان علي، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ / كلية الآداب - جامعة بغداد (١٩٨٧م).
٢٦. سلسلة إتحاف الأماجد بنفائس المنظومات والأراجيز والقصائد (ارجوزة تحفة المهتمين بأخبار المجددين للعلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، محمد ابن أحمد بن محمود آل رحاب، موقع الألوكة، تاريخ الاضافة ٢٤ / ١١ / ٢٠١٤م - ١ / ٢ / ١٤٣٦هـ.
٢٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل البابي الحلبي، بلا.ت.
٢٨. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، عبد الله

بن عبد الحكم (ت: ٢١٤هـ)، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٩. سيرة عمر بن عبد العزيز، بن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، طبعة مصر، ١٣٣١هـ.

٣٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣١. الشمولية في الإسلام، الشيخ محمد كامل، مقالة منشورة على الألوكة. WWW.alukah.net، تاريخ الإضافة ١١/٤/٢٠١٤.

٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، ٤١٩٨٧م.

٣٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٤. صفة الصفوة، ابن الجوزي ...، طبعة دائرة المعارف العثمانية - الدكن الهند، ١٣٥٥هـ.

٣٥. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود الطناحي د. عبد الفتاح الحلو، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ.

٣٦. الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت: ٢٣٠هـ)،

- تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .  
٣٧. عبيدات، ذوقان وآخرون، ١٩٨٢م، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه،  
دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠١٢م .  
٣٨. عريفج، سامي وآخرون، مناهج البحث العلمي وأساليبه، عمان، الأردن،  
١٩٨٧م .  
٣٩. الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، د.عباس حسني محمد، مجلة دعوة الحق، العدد  
١٠، السنة ٢، محرم، ١٤٠٢هـ .  
٤٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي (ت حوالي  
١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دحروج، ط ١، لبنان ناشرون، ١٩٩٦م .  
٤١. الكلبيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، الكفوي، أبو البقاء  
الحنفي، أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ)، عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة  
الرسالة - بيروت، بلا.ت .  
٤٢. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت:  
١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ -  
١٩٩٧م .  
٤٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، (ت: ٧١١هـ)،  
دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ .  
٤٤. مختار، د.أحمد (ت: ١٤٢٤هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم  
الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .  
٤٥. المختصر في علم التاريخ، محيي الدين محمد بن سليمان الكافيحي الحنفي

- (ت ٨٧٩هـ) تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، طبعة عالم الكتب، ١٩٩٠ م.
٤٦. مسألة الاحتجاج بالشافعي، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية - باكستان، (د.ت).
٤٧. المستصفي، الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.
٤٨. مغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، العيني، بدر الدين محمود ابن أحمد (ت: ٨٥٥هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٤٩. المقدمة وتاريخ العبر...، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تقديم د. جمعة شيخة - تونس، مكتبة المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
٥٠. مناقب الشافعي، البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: ٢٥٨)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ١، دار التراث، مصر، ١٩٧٠ م.
٥١. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.
٥٢. موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، أبو الأعلى المودودي، ط ٢، دار الفكر الحديث - لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧ م.
٥٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار صادر - بيروت، (د.ت).





-2-

ۛ

«

»

إعداد

أ.د. يوسف طارق السامرائي

كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ الْجَامِعَةُ

قسم أصول الدين / سامراء





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه واهتدى بخطاه إلى يوم العرض عليه.

وأما بعد: يُعدُّ عمود الشعر؛ هو الأساس المنهجي للنقد العربي القديم، فقد اعتنى بقضايا نقدية منذ وقت مبكر؛ من مثل صراع اللفظ والمعنى، وإن كان للجاحظ في كتبه المختلفة مثل البيان والتبيين، ورسائل الجاحظ، والحيوان؛ الريادة فيه. ومثل البديع؛ وإن عاد فضل تأسيسه لابن المعتز في كتابه البديع.

وكان لكل من النقاد القدماء (الأمدي، والقاضي الجرجاني، والمرزوقي) رؤية واضحة تتجلى بوساطتها عناصر عمود الشعر؛ وإن اختلفت في تنوعها وأبعادها، وأوصلها الجرجاني إلى ستة عناصر؛ هي:

- ١- شرف المعنى وصحته .
- ٢- وجزالة اللفظ واستقامته .
- ٣- والإصابة في الوصف .
- ٤- والمقاربة في التشبيه .
- ٥- والغزارة في البديهة .
- ٦- وكثرة الأبيات السائرة والأمثال الشاردة .

نستطيع أن نعد هذه العناصر؛ هي المنطلق المبكر للنقد العربي الحديث، وإن كان صراع اللفظ والمعنى مازال محتدماً؛ لاسيما أنَّ بعض الدارسين قد انحرفوا عن الفهم الحقيقي لمقولة الجاحظ ((والمعاني مطروحة في الطريق))، فاختروا اللفظ على حساب المعنى.

إنَّ النقد الحديث اليوم سواء أُسْمِيَ البناء الشعري، أم الفني، أم الأسلوبية، أم النقد الحدائوي، أم مابعدالحدائثة، وكذا الدراسات التحليلية؛ فإنَّ هذه كلها تمتح من معين عمود الشعر؛ فالدراسة الحديثة على وفق مستويات النص الإبداعي؛ تتشكل على وفق معطيات البنية، وعمودها: هو اللفظ في تركيبه البنيوي على صعيد الجملة، أو الكلمة المنفردة؛ ونزولا إلى الصوت الملفوظ في انسجامه داخل اللفظة المنفردة في النص الإبداعي

ويرتبط مع الجانب التركيبي جانب الموسيقى؛ الذي ينبثق من أصغر وحدة منطوقة في انسجام أصواتها وصولا إلى اللفظ بما يمثله في انسجامه؛ من جناس أو طباق، أو توازن، أو تقسيم مطرب؛ انطلاقا إلى الإطار الموسيقي الذي يشتمل على القافية، وحرف الروي، والوزن الشعري؛ ومدى مناسبه للغرض الشعري .

ولو أننا استقصينا عناصر عمود الشعر؛ من شرف المعنى وصحته، والغزارة في البديهة؛ فهو يدخل في المستوى الدلالي، وجزالة اللفظ في المستوى الصوتي، والإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه، وماتضمنه من استعارة؛ فهو داخل في الصورة الشعرية، ومنهم من أضاف (على تخير من لذيذ الوزن)؛ وهذا هو المستوى الموسيقي؛ وإذا ما أخذنا في الاعتبار صراع اللفظ، والمعنى؛ الذي يدخل في مستوي اللفظ المفرد، والتركيب؛ وبهذا فإن عمود الشعر يجمع مستويات عظيمة من مستويات التحليل الشعري الحديث للنص في أبعاده المختلفة، وليس للبيت الشعري المنفرد في يتمه وفرادته؛ من هنا انطلق البحث في معالجته.

إذن البحث قصد إلى دراسة الانسجام بين الأصل النقدي العربي في منطلقاته، وبين النقد الحديث في توهجه، وإسهامه في تشكيل الذائقة الشعرية؛ وفي ترابطه الوثيق والتطور.

((تتداخل عناصر الابداع الشعري، وتتمازج بوشائج قوية، تجعل الباحث يقف عاجزاً عن الفصل بينها، وتحديد العناصر الأكثر حيوية في النص الإبداعي، ولولا ضرورة الاحساس ببواعث الجمال وأسرار جاذبيته، لما شرع الباحث في الفصل بين العناصر مضطراً إلى تمزيق وشائجها القوية، وهو لا يملك في البداية إلا أن يقر بذلك الحضور القوي للغة الشعر خاصة، فقد ذهب بعض الباحثين والنقاد إلى أن الشعر ليس في القصة والموضوع أو الغاية الأخلاقية أو العواطف المستثارة، أو أي تجريد يمكن التعبير عنه بالثر، على الرغم من أهمية هذه الأشياء، وعدم القدرة على الحديث عن الشعر دون الحديث عنها، لكن الشعر يعيش في لغته، ولا يمكن فصله بأي حال عن ألفاظه الأصلية التي كتب بها.

والشاعر المجيد هو الذي يستطيع أن يشحن لغته بالموسيقى والصورة ومصهور تجربته؛ المنبثق من تفاعل الفكرة والحدث مع العاطفة والشعور؛ لتأتي لغته متميزة تميز تجربته، لا سيما (كذا) خصوصية ذات الشاعر، ذلك أن لكل إنسان احساسه الخاص برموز اللغة والفاظها التي تربط لحظة بلحظة مع ظلال عديدة ترسخ في النفس تبعاً للأحداث الخاصة التي يمر بها، والتأملات اللاشعورية التي تتفاعل معها في أعماقه))<sup>(١)</sup>.

إنَّ التداخل بين مستويات النص المختلفة، هو أساس عمود الشعر، وما جاء مرتبطاً به من رؤى نقدية عميقة؛ تُداخل بين عناصر النص الشعري، وعياً حصيفاً بترابطة

العلاقة بينهما؛ فالنص كل يتشكل على وفق أجزاء، هي عناصر النص الابداعي . يقول المرزوقي: ((إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما؛ فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر))<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى ما في هذا النص من تداخل بين المستويات المختلفة، ما بين دلالة وموسيقى، وصورة، وتركيب، ومشاكله اللفظ للمعنى؛ لتشكل مجتمعة خصيصة تميز النص الإبداعي .

و(( قد جمع أهمها قدامة بن جعفر في قوله: (( وأحسن البلاغة الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم باتفاق المنظوم، وتلخيص الأوصاف بنفي الخلاف، والمبالغة في الوصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعاني في المقابلة والتوازي، وارداف اللواحق، وتمثيل المعاني.. فهذه المعاني مما نحتاج إليه في بلاغة المنطق، ولا يستغني عن معرفتها شاعر ولا خطيب.

ثم يذكر قدامة ائتلاف اللفظ مع المعنى من: مساواة، وارداف، وإشارة، وتمثيل، ومطابق ومجانس .

ويعدد نعوت ائتلاف اللفظ والوزن، وائتلاف المعنى والوزن، وائتلاف المعنى مع القافية (من ترشيح وايعال) .

ويذكر عيوب الشعر في اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية، وعيوب ائتلاف اللفظ

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وهي كلها بعكس ما سبق أن قرره في صفات الجودة)) (٣).

((كانت صياغة الشعر العربي منذ القديم في كلام ذي توقيع موسيقي ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وتوحي بما لا يستطيع القول أن يشرحه. وطرب الإنسان للنغم قديم كعهده بالفنون في عصره الفطري ... وينبغي أن نفرق هنا بين أمرين يكثر الخلط بينهما: أولهما الإيقاع: ويقصد به وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على النحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة .

وثاني الأمرين اللذين نريد التفريق بينهما هو: الوزن: وهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت . وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية .

وكان الذي يراعى في القصيدة هو المساواة بين أبياتها في الإيقاع والوزن بعامة؛ بحيث تتساوى الأبيات في حظها من عدد الحركات والسكنات المتوالية، وفي نظام هذه الحركات والسكنات في تواليها . وتتضمن هذه المساواة وحدة عامة للنغم، وتشابها بين الأبيات وأجزائها تشابها ينتج عنه تناسب تام، وتكرار للنغم، تألفه الأذن لتسر به النفس .

وهذه طبيعة النفس في إدراكها عن طريق حواسها المختلفة . وقد حافظ العرب على وحدة الإيقاع والوزن أشد محافظة، فالتزموها في أبيات القصيدة كلها، وزادوا ان التزموا قافية واحدة في جميع القصيدة)) (٤).

( ) :

(( كان القدماء قد أفردوا الإيقاع في حد العروض بعامة، فقد قصرُوا جهودهم على

الإطار الخارجي المحدود بالتفاعيل وما يلحقها من جزء وعلل وزحافات، وعفوا من الحركة الداخلية، في الأداء الفعلي للخطاب الشعري . وتلك الحركة التي تتجسد وفقاً لنسيج صوتي متميز على مستوى اللفظة أو التركيب، فتتحول بفعل خصائصها ونظمها وعلاقتها الوظيفية إلى وحدات إيقاعية مثيرة<sup>(٥)</sup>، (( مادته هي الأصوات اللغوية التي إذا اتحدت في صورة ما، وفي انتظام معين، نتج من ذلك جرس خفي يعضد الدلالة، ويقوي الأثر؛ لذا كان الشعر موسيقياً ومضموناً ذا طبيعة خاصة ))<sup>(٦)</sup> .

إن مفهوم التوازن الموسيقي الذي نحاول أن نرسخه في رؤيتنا هو: (( الدلالة على الوحدات الصوتية المتناظرة في الاتجاه الأفقي ضمن مسار البيت العربي، وبعبارة أخرى داخل البيت الواحد؛ لأنها بمواضعها تلك تبرز التناظرات الصوتية المتوازنة والمتناسبة بأشكال أخرى غير الشكل العروضي المعهود لأوزان الشعر العربي ))<sup>(٧)</sup> .

هذا الانسجام الحيّ يتواطأ مع وعي المبدع بواقعه؛ بينما تشده أهداب إبداعه نحو انسجام عاطفي؛ ينتظم مع ما حوله من مؤثرات؛ تتسابق إلى لا وعيه؛ قبل أن تؤثر في حسه الظاهر.

(( ولا غرابة في ذلك، فالموسيقى تنسجم مع فطرة الإنسان، وطريقة تكوينه، فالإيقاع على فترات (كذا) متساوية ظاهرة مألوفة في طبيعة الإنسان نفسه، في ضربات القلب انتظام، وبين النوم واليقظة انتظام . وهذا الإيقاع الفطري فينا هو ما يجعلنا نتوقعه في مدركاتنا، نستريح إذا وجدناه ويصيبنا القلق إذا فقدناه، فإذا ما أضفنا صلة الإيقاع الوثيقة بالموسيقى وأنه أساسها الاستوائي، ييسر لنا الاستماع اليها والاستيعاب السريع لها بما يقدمه من أنغام وأوزان تيسر الفهم، وعرفنا أن كياننا الجسماني ذو طابع إيقاعي، وطرق معيشتنا الرئيسية (كذا) تجري بصورة إيقاعية، وأنا نتأثر بصورة خفية بتلك الإيقاعات الخارجة التي تستقبلها الأذن من الخارج ))<sup>(٨)</sup> .

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

لذا نرى أنّ الشعر العربي في إيقاعه، وفي توالي الساكن، والمتحرك في إيقاعات الأوزان العربية انسجام مع الذائقة والحواس؛ ليتأثر المتلقي، ويتناوس مع تلك الإيقاعات من دون وعي ظاهر، بل أنّ لاوعي الإنسان في انسجامه؛ يؤثر على ردود أفعاله الظاهرة المستمتعة بوقع تلك الإيقاعات المنسجم مع أفعالنا الحيوية.

(( وكان افلاطون يرى -من قبل- أن الانسجام، والإيقاع عنصران أساسيان في الشعر، وأن مردهما إلى نزعة طبيعية في الإنسان، وأن الوزن عنصر عرضي، بينما الانسجام والاتزان والإيقاع عنصر جوهرى، فالارتباط جوهرى بين الشعر والموسيقى ))<sup>(٩)</sup>.

أثر الصوت المفرد في الإيقاع :

العنصر الحيوي المشكل لذلك التأثير الموقع، هو الصوت المفرد سواء أكان، صوتمد قصيرا لأم طويلاً، أم كان صوتاً صامتاً؛ لأنه تنتظم ((الإيقاع -الوزن - من الناحية المادية - أصواتاً أو حروفاً في الخطاب الشعري وفقاً لتتابع الحركات والسكنات، فتتعاقب في تناسب وتمائل تتساوى فيها الوحدات الصوتية (المسموعة) أو تتعاقب بتعاقب الزمن . وعلى هذا يؤدي الزمن دوراً في السلسلة الكلامية للخطاب الشعري، فيميز بين أنواع من الخطاب، مما يسفر عن نموذج إيقاعي متميز (البحر في الشعر العربي)، وذلك ما جعل حازماً القرطاجني يقول))<sup>(١٠)</sup>.

((والوزن هو أن تكون المقادير المقفاة تتساوي في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب))<sup>(١١)</sup>.

((وهذا يقتضي أن يضع الفنان نصب عينيه أنّ الجانب الصوتي عامل هام (كذا) في البنية العامة للقصيدة، وبإستطاعة الفنان ان يلفت الانتباه اليه بوسائل عديدة كالوزن وأنماط الحروف الصوتية المتعاقبة أو الصامته وعن طريق الجناس والسجع والقافية والإيقاع وغيرها، فالأصوات غنية بالقيم الترابطية والتعبيرية التي يستطيع الفنان

استغلالها، والألفاظ تتداعى مع القوافي بأفكار جديدة))<sup>(١٢)</sup>.

:

يُعدُّ الصوت هو اللبنة الأساسية في بناء البيت الشعري؛ ومن بعده القصيدة، يقول د. محمد غنيمي هلال فيما يخص علاقة الأصوات بالتفعيلة، ومن بعدها الدلالة: ((إنَّ اختلاف حروف الكلمات؛ التي تقابل حروف التفعيلات بعضها من بعض، ما بين حروف ساكنة، وحروف مد طويلة، وحروف لين ... لا يضر بالوزن والإيقاع؛ وهذا الاختلاف الصوتي ينوع الموسيقى، وينوع معاني الإيحاء الموسيقي في الوزن الواحد؛ وقد أفاد من ذلك كبار الشعراء في العربية إفادة إيجابية؛ أتت من وعيهم لخصائص أصوات الكلمات؛ وعيا يكاد يكون لا شعوريا؛ لأنَّ خصائص الكلمات - من هذه الناحية الجمالية - لم تدرس في العربية دراسة منهجية يعتد بها. على حين يُعنى بهذه الدراسة النقاد في الغرب، ولها في نتاج كتابهم وشعرائهم أثر عظيم))<sup>(١٣)</sup>.

((ولمَّا كان الإيقاع وثيق الصلة بالصوت، فإنَّ الصوت يصبح مفتاح التأثيرات الأخرى في الشعر ويكتسب شخصيته عن طريق التوفيق بينه وبين ما يسبقه ويصبح الإيقاع هو النسيج الذي يتألف من التوقعات والإشباع أو خيبة الظن أو المفاجآت التي يولدها سياق المقاطع. ولا يبلغ تأثير صوت الكلمات قوته إلا من خلال الإيقاع، فلا توجد مفاجأة أو خيبة ظن لو لم يوجد التوقع))<sup>(١٤)</sup>.

وفي النص الشعري نكون أكثر اعتناءً بجرس الأصوات، بوصفه المظهر الجلي المؤثر للصوت في النص الابداعي.

والجرس أي ((أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطَّردة؛ كالنقرة على الخشب أو الطبله))<sup>(١٥)</sup>.

وقال القاضي الجرجاني: ((وإنَّما الكلام أصوات محلها من الاسماع محل النواظر من

الأبصار))<sup>(١٦)</sup>.

وقد اشتد الجدل قديماً وحديثاً عن دور الصوت المفرد في تشكيل اللفظة ((فكان للبعض رأي في أنّ الأصوات اللغوية تشابه مع الأصوات غير اللغوية، فالهاء والحاء يشبهان - إلى حد ما - أصوات التنهد والتأوه وتنفس الارتياح بعد التعب، والصوائت الطويلة تشبه صيحات الانفعال، والفاء تشبه الزفرة التي تعبر عن الضجر أو الغضب أو الحزن))<sup>(١٧)</sup>.

((وقد تصدر هذا الفريق من المحدثين إبراهيم أنيس، الذي نحا نحو ابن جني، وبعض اللغويين القدماء، فرأى أنّ هناك علاقة بين الحروف والمعاني، وقسم الحروف قسمين، أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف، والآخر يناسب المعنى الرقيق والهادئ، ومرجع تقسيمه للحروف صفاتها ووقعها في الأذان، فالشاعر - في رأيه - يحاول أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة، ومن ثم تكون المخالفة بين نسبة شيوع الحروف في اللغة شعرها ونثرها، ونسبة شيوعها في لغة الشعر وحدها))<sup>(١٨)</sup>.

وفي استعمال الشعراء لأصوات المد، ((يمكن القول إنّ الفتحة هي أخف الحركات جرساً، وانها فضّلت غيرها من الحركات))<sup>(١٩)</sup>.

((إنّ علو طبقة الصوت أو انخفاضها يشكل جزءاً من المعنى، فإن هذا يترتب عليه بالتالي ان نؤكد أنّ الهمس في الشعر لا يعني ضعفاً أو انحداراً في قوة الشاعرية، فقد يكون الهمس لدى الشاعر المبدع صوتاً خارجاً من أعماق نفسه في نغمات حارة صادقة تصل إلى القلوب بلا جهد أو تصنع .

وقد يكون احساساً بتأثير عناصر اللغة واستخدام (كذا) تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجد . فالهمس لا يعني قصر الأدب أو الشعر على المشاعر

الشخصية، فالأديب الانسان يحدثنا عن أي شيء يهمس به فيثير افئدتنا ولو كان موضوع حديثه ملابسات لا تمت الينا بسبب . وإذا كان للهمس وللسكون ولحروف المد وللحركات، ووظيفة عضوية في الاداء الموسيقي والفني وكان لهذه جميعاً صلة ما بالطبيعة البشرية))<sup>(٢٠)</sup> .

((وأدخل الدكتور ابراهيم أنيس، كل (كذا) هذه الأمور التي يتميز (كذا) بها الصوت ضمن ما يسمى بالنغمة الموسيقية، وذهب إلى القول إن ميلنا الغريزي لتوالي درجات الصوت والإيقاع المنظمة ... هو الذي يكون من تلك الأصوات نغماً منسجماً ذا فواصل كفواصل الموسيقى؛ قال: وللشعر نواح عدة أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس وانسجام في توالي المقاطع وإن هذا ما نسميه بموسيقى الشعر))<sup>(٢١)</sup> .

:

((إن الألفاظ داخله في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف، وما يستمتع فيه المتلقي، يكون حسناً وما ينبو ويكره في السمع يكون قبيحاً، ونظراً لهذه الموسيقية التي تنبعث من الألفاظ والتأليف الشعرية لم يفث العرب أن يربطوا بين الشعر والغناء في شتى العصور، فطبيعة الشعر تعتمد على موسيقى الألفاظ، وفن الغناء يعتمد على الألحان، فتجد موسيقى الغناء من العون في الكلام الموزون المقفى ما لا تجده في الكلام المثور، بل إن التغني أو الترجم بالمعاني قبل صياغتها يساعدان إلى حد كبير في صنع الشعر الجيد))<sup>(٢٢)</sup> .

(( والمرزوقي علل قوله على تخير من لذيذ الوزن، بأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه، ويأزجه بصفائه، ولذلك قال حسان<sup>(٢٣)</sup> :

تغن في كل شعر انت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضماره  
هذه الغنائية لم تكن هي الوحيدة التي خلفتها الألفاظ في انسجامها، وإنما كان

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

((لجرس الأصوات صورة سمعية كما اصطلاح عليها، نشاردز فقال: يندر ان تحدث الاحساسات المرئية للكلمات بمفردها، إذ تصحبها أشياء ذات علاقة وثيقة بها، بحيث لا يمكن فصلها عنها بسهولة، وأهم هذه الأشياء (الصورة السمعية) أي وقع جرس الكلمة على الاذن الباطنية، أو اذن العقل))<sup>(٢٤)</sup>.

((والشاعر الكبير عندما يتغنى شعره انما يهدف أولاً وقبل كل شيء أن يمنح قراءه لذة فنية، وطرباً فنياً، أما كيف يتحقق هذا الطرب فلا أحد يعرف، ذلك أن ما يقدمه الشاعر من غناء وعاطفة وخيال واحساس وتعبير انما تمتزج جميعاً وتتآزر لتكون هذه السمفونية الخالدة الكامنة في لغة القصيدة؛ التي تبعث اللذة الفنية أو المتعة الفنية، فالشاعر ليس أكثر من عندليب يتغنى ليسلي وحدته بالأنغام العذبة في حين شردت ألباب مستمعيه كما تشرد ألباب من يستمعون إلى موسيقى خفية، إنهم يطربون ولكنهم لا يعرفون مصدر أو سبب طربهم))<sup>(٢٥)</sup>.

هل من كلمة من الممكن أن تنسجم مع هذه الأهمية؛ التي أوليت للجرس اللفظي، والانسجام الصوتي، والإيقاعات المنغمة؛ أكثر من كلمة (لذيذ الوزن) عند القدماء من النقاد؛ وهل من شيء أعمق دقة من هذه اللفظة المعبرة.

:

ومما عابه القدماء، تكرر صيغ لفظية متقاربة من دون عمق دلالي يناسب ذلك التكرار، غير انه إذا كان التكرار وظيفياً، يناسب دلالة النص، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۚ﴾

فالتكرار في الآية كان وظيفياً؛ مما صعد من الجو الایحائي لدلالاتها، ففي دلالة تكرر (الدك) مظهر على التحطيم، بل التهشيم المتكرر إلى أجزاء متناثرة، وهذا توكيد لقوله

تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(٢٦)</sup>، ومصدقا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ السَّجِلَّ لَكُتُبٍ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾<sup>(٢٧)</sup>.

وأول الخلق أشار إليه تعالى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾<sup>(٢٨)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾<sup>(٢٩)</sup>.

وتؤكد كتب الإعجاز الحقائق التي وردت في القرآن الكريم؛ فيما يخص بدء الخلق ونهايته؛ ودل تكرار لفظه (صفاً) بها في أصواتها من صفاء وانسجام يتلاءم مع تكرار الكلمة، ثم يورد الخالق كلمتين مكررتين هما (يومئذ يومئذ) وبينهما جهنم، ويلحظ التناسب بين أصوات لفظه جهنم، مع أصوات لفظه يومئذ فيما يخص الميم، والنون خاصة، وما في الميم والنون من تنغيم وغنة؛ يوحيان بالتأثير المضاعف المنسجم مع الاضطراب المتصاعد من الكفار؛ وهم يرون المشهد العظيم غير أن ابن رشيق القيرواني أورد رأياً، نزع أنه أغفل فيه، مثل الآية الكريمة السابقة، فهو يقول: (( وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها: فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون اللفظ واقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ))<sup>(٣٠)</sup>.

إن التكرار الذي انكره ابن رشيق القيرواني، لربما جاء في الشعر، مؤثراً في بنية النص الشعري، ومحبباً إلى المتلقي ولا نظن ان مبدعاً -- ما -- يأتي بتكرار لفظي ومعنوي متطابقاً من دون دلالة مجازية، تفرق بين الجملتين المكررتين، وإلا لكان لغوا لا غناء فيه على أن الجرجاني يقول في التكرار الممل غير الوظيفي؛ الذي ينأى عن المتلقي لانقطاعه عن دلالته؛ (( ما زلنا نتعجب من قول مسلم ابن الوليد:

سُلت وسَلت ثم سَل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا  
حتى جاء المتنبي، فملاً ديوانه من هذا الجنس، فأنسانا بيت مسلم؛ و من ذلك قوله:

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

مبتي من دمشق على فراشي حشاه لي بحر حشاي حاش  
وقوله (٣١):

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش  
إن تكرار كلمة نهب لثلاث مرات في البيت؛ هو الذي أضعف التأثير في المتلقي،  
وهو الذي تعجب منه القاضي الجرجاني، فإن اجتماع أصوات النون الخيشومي، مع  
الباء الشفوي، مع الهاء الحنجري يولد ثقلاً مراً على المتلقي؛ وذلك لأن نطق الكلمة  
فيه ثقل واضح، ولو حاولنا تجربة ذلك؛ لأحسنا بذلك الثقل، وكذا فإن لفظة نهب في  
معناها المعجمي؛ هي لفظة بغیضة تذكر بالحرب والاغارات والعدوان . ((ولما انشدوا  
للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد قول أبي الطيب :

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم  
قال: ما أكثر عظام هذا البيت مع إنه من قول الطائي:

تعظمت عن ذاك التعظم فيهم فأوصاك عظم القدر أن تتنبلا)) (٣٢)  
(( والمعاطلة اللفظية مما يجب أن يتجنبها الشاعر لما فيها من انحرافه عن الذوق  
والتأثير، وهي عند ابن الأثير تتعلق بما يعتري سياق الكلام من الاختلال في سبكه لتتابع  
ألفاظه تتابعا يثقل جرسه على السامع؛ وأهمها التعاضل اللفظي بسبب الحروف، وهو  
تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من الفاظ الكلام المنشور أو المنظوم، فيثقل  
حينئذ النطق به، من ذلك قول الحريري في مقاماته:

أزور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه  
فقوله: «وعاف عافي...» من التكرير المتعاضل .

ومن هذا ما رواه ابن الأثير عن رجل سمع أحد الوعاظ يقول في جملة كلامه: جنى  
جنات وجنات الحبيب؛ فصاح وماد وتغاشى. وعندما سئل عما جرى له قال: ((سمعت

جيما في جيم في جيم فصحت)) وهذا من أقبح عيوب الألفاظ. ومما جاء منه قول أبي الطيب المتنبي:

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقبي  
قال ابن الأثير: وهذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب وعلته كما ترى في تتابع الرءات بجرس متواصل ثقيل. ومنه قول الشاعر:

والزهرة والعطر في رباها ما بين نظم وبين نثر  
حدائق كف كل ريح حل بها خيط كل قطر

قال: «وهذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره له». ومن المعاظلة أيضاً تتابع الألفاظ التي هي من جنس واحد، ومنها تكرار أدوات الكلام، نحو، من والى، وعن وعلى واشباههما، فإنَّ منها ما يسهل النطق به مكرراً، ومنها ما لا يسهل، بل يرد ثقيلًا على اللسان، ومرَّ ذلك إلى طبيعة السبك في الكلام، فمما جاء منه قول أبي تمام:

إلى خالد راحت بنا ارحبية مرافقها من عن كراكرها نكب  
فتقوله: (من عن كراكرها) من الكلام المتعاضل الذي يثقل النطق به ... والسبب في ذلك أنَّها وردتا مضافتين إلى لفظة (الكراكر) فثقلت منها وجعلتها مكروهتين كما ترى، فكأنَّ تتابع من وعن قد تعثر في تكرار كاف كراكرها فتعاضل الكلام وثقل جرسه، والا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة فكانتا خفيفتين في قوله:

ولقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وامامي  
قال: والأصل في ذلك راجع إلى السبك، فإذا سبكت هاتان اللفظتان، أو ما يجري مجراهما من ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري، وإذا سبكت مع ألفاظ تثقل منهما جاءتا كما في بيت أبي تمام ((٣٣)).

:

ثاني العناصر التي يدخل في تشكيلها اللفظ في علاقته بالمعنى، ((والطباق لغة من الطباق محرّكة، غطاء كل شيء، والطبق من كل شيء ماساواه، وقد طباقه مطابقة وطباقاً))<sup>(٣٤)</sup>.

((وهذا النوع يسمى البديع أيضاً، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ، لأنّ التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدّين . وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده، كالبياض والسواد، والليل والنهار. وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة ايراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو (التجنيس) بعينه، غير أن الاسماء لا مشاحة فيها الا اذا كانت مشتقة .

ولننظر نحن في ذلك، وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللغة، وقد وجدنا الطباق في اللغة من طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة، لأنّ اليد غير الرجل لا ضدها، والموضع الذي يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد، فقدامة سمي هذا النوع من الكلام مطابقاً حيث كان الاسم مشتقاً مما سُمي به، وذلك مناسب وواقع في موقعه، إلا أنّه جعل للتجنيس اسماً آخر وهو المطابقة، ولا بأس به إلا اذا كان مثله بالضدين كالسواد والبياض، فإنه يكون قد خالف الاصل الذي اصله بالمثال الذي مثله))<sup>(٣٥)</sup>.

وابن رشيق أيضاً ممن عرف المطابقة؛ غير أنّه لم يفرق بين الطباق والمطابقة؛ التي أوردها ابن الأثير على لسان قدامة، بل عاب ابن رشيق على قدامة؛ قائلاً: ((المطابقة - عند جميع الناس - جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر، إلا قدامة ومن اتبعه؛

فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً، وسمى قدامة هذا النوع -الذي هو المطابقة عندنا- التكافؤ؛ وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره، ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته))<sup>(٣٦)</sup>.

غير ان القاضي الجرجاني لا يدعي تداخل الجناس في الطباق، بل هو سماه المطابقة بالنفي، ولم يذهب إلى ما ذهب اليه ابن الاثير من قول قدامة بالتفريق بين الطباق والمطابقة، إذ يقول: (( لا تتميز الا بالنظر الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو املك به . ولم نفتح هذا الكلام وقصدنا ما جرى بنا القول إليه؛ لكن الحديث شجون، وربما احتاج الشيء إلى غيره فذكر لاجله، وربما اتصل بما هو أجنبي منه فاستصعبه .

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي  
وقول مسلم بن الوليد: مُستعبر يبكي على دمنة، ورأسه يضحك فيه المشيب  
( (ومن ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبي، والطباق قليل في شعره؛ قال :

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدو قليل إذا عدوا  
فهذا ما يتعلق بهذا الضرب))<sup>(٣٧)</sup>.

و((يلحظ أن التوازي الطباقى القائم على عنصر اللون، ولاسيما الأبيض والأسود يرد بكثرة في الشعر ومنه قول أبي تمام<sup>(٣٨)</sup> :

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود اسف-ع  
كم جئت في الهيجاء بيوم أبيض والحرب قد جاءت بيوم أسودا  
ألست فوق بياض مجدك نعمة بياض حلت في سواد الحاسد  
ما إن ترى الاحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا

:

((المقابلة بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخر ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق. بما يوافقه وفي المخالف. بما يخالفه .

وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد إن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة))<sup>(٣٩)</sup> .

النص يوضح فرقا جوهرياً بين المقابلة والطباق، في أنّ الطباق بين ضدين، والمقابلة بين أكثر من ضدين، سوى أنّ الباقلائي لم يتفق معه في ذلك، فقال: ((ويعدون من البديع المقابلة، وهي أن يوفق بين معان ونظائرها، والمضاد بضده))<sup>(٤٠)</sup> .

فجعل من المقابلة (المضاد بضده) وهذا يفترق عما أورده ابن رشيق، إذ فرق بين الطباق والمقابلة، في أن المقابلة ما كانت بين أكثر من ضدين؛ ولو قلنا برأي الباقلائي لتداخلا.

ولربما اختلط مفهوم الطباق والمقابلة، بابتعاد بعض الباحثين عن حدود التعريف - الذي اعتمدهنا - ليخلطوا بين مفهومي الطباق والمقابلة فيما ورد من أمثلة، فالباحث الدكتور محمد عبد الله القاسمي، وإن كان اعتمد على جانب التوازي في الشعر؛ إلاّ أنّه اغفل الفرق بين الطباق والمقابلة، يقول:

(( ويمكن القول إنّ كثيراً من أساليب الطباق الجيدة عند أبي تمام تعود إلى خاصية التوازي؛ فقد ذكر أبو بكر الصولي أنّ دعبل زعم أنّ قول أبي تمام :

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مُرسؤاله

مأخوذ منه، فقال له أحد الرجال: والله لان أخذ هذا المعنى وتبعته فما احسنت،

وإن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك ))<sup>(٤١)</sup> .

(( والمقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فما جاء منه قول المقنع الكندي من

شعراء الحماسة:

لهم جُل مالي إن تتابع لي غنيَّ وإن قلَّ مالي لم أكلفهم رفدا

فقوله: «تتابع لي غني» بمعنى قوله كثر مالي، فهو إذاً مقابلة من جهة المعنى لا من

جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ)) (٤٢).

ومنه قول أبي الطيب:

فالسلم يكسر من جناحي ماله بنواله ما تجبرُّ الهيجاء

أن المراد بالهيجاء الحرب، وهي اسم من اسمائها، فكأنه قال: «الحرب»؛ فأتى بضد

السلم حقيقة)) (٤٣).

المبدأ الذي تشكل على وفقه المقابلة، هو اعتماد أكثر من ضدين لتعد مقابلة، فتتنوع

على وفقها المقابلة؛ فمن أنواعها:

#### ١- التماثل الموقعي الدلالي الشطري:

وهي أن يتماثل شطرا بيت شعري تماثلاً عروضياً، متوافقاً دلالياً ولفظياً، مع تماثل في

مواقع الكلمات المتقابلة؛ (( من ذلك، ما قاله أبو تمام:

فانطلق فيها حامد وهو مفحم وأفحم فيها حاسد وهو مصقع

يشكل هذا البيت النموذج المثالي للتوازي بالتبديل في شعر أبي تمام، إذ انه يقوم على

التقابل الدلالي بين الشطرين؛ مع وجود تماثل موقعي واضح بينهما، حيث إن (انطق

تقابل افحم) و(حامد تقابل حاسد) و(مفحم تقابل مصقع)، وبطبيعة الحال؛ فإن هذا

التماثل الموقعي بين عناصر الشطرين نجم عنه تقابل دلالي واضح بينهما؛ فقد سهل

الكلام على الحامد لوجود ما يقوله في ثناء الفقيد ولذلك جعله ناطقاً، وفي المقابل أفحم

الحاسد لأنه لم يجد ما يقوله فيه لفقد عيوبه .

ومما زاد في إبراز هذا التقابل الدلالي؛ التناسب الوزني التام بين عناصر الشطرين؛ فكل شطر يستثمر تفعيلة الطويل؛ على وفق نسق إيقاعي موحد هو فعول مفاعلن فعولن مفاعلن. إنَّ البنية التي تحتل فيها الأزواج المتماثلة تماثلاً طبيعياً مواقع متوازنة أقوى من تلك التي تحتل فيها الأزواج مواقع متقابلة وحسب...، بالإضافة إلى (كذا) هذا؛ فإنَّ الغاية في الحالات الكثيرة حيث يكون طرفا الزوج اللذان يحتلان موقعين متماثلين ضمن تركيب متواز متماثلين تماثلاً طبيعياً هي إبراز التشابه الصوتي أو الدلالي الذي يمكن أن يوجد بين طرفي الزواج))<sup>(٤٤)</sup>.

## ٢- توازن نصف شطري تبادلي :

وهو ((نوع آخر من التقابل الدلالي يعرف عند النقاد باسم العكس أو التبديل، ويحدده حازم بقوله: ويجري مجرى المطابق تخالف وضع الألفاظ، لتخالف في وضع المعاني، ولنسبة بعضها من بعض، فيقع بذلك بين جزءين من أجزاء الكلام؛ نسبتان مختلفتان، فيجري ذلك مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة... ويسمى هذا النوع من الكلام التبديل.

ومن صورته قول أبي تمام :

بقاعية تجري علينا كؤوسها فتبدي الذي نخفي وتخفي الذي تبدي  
إنَّ التوازن الطباقى القائم على أسلوب التبديل قد تحقق في الشطر الثاني من البيت، بين «فتبدي الذي تخفي» وبين «وتخفي الذي تبدي». وإذا كان موضوع الجملتين واحداً، وهو الحديث عن الخمر وتأثيرها على العقول، فإنَّ المتوالية الكلامية الأولى تختلف عن الثانية من حيث الدلالة، ذلك ان الأولى تدل على أنَّ الخمر تبدي وتظهر الذي نخفيه ونكتمه، اما الحالة الثانية فهي نقيض الأولى حيث إنَّ الخمر تخفي الذي نبديه ونظهره في حالة الصحو من العقل والوقار والرزانة .

ورغم (كذا) جودة هذه الصورة القائمة على التعارض الدلالي، فإنَّ الأمدي لم

ترقه هذه الصورة، ونص على ان قول أبي تمام: فتبدي الذي نخفي قول صحيح، وقوله: «وتخفي الذي نبدي» اللفظ فاسد لأنَّ «تخفي» معناه تكتم وتستتر، والذي قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعتبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته»<sup>(٤٥)</sup>، ((ومن ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبي والطباق قليل في شعره، قال<sup>(٤٦)</sup>:

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا  
يلحظ أن العلوي عدَّ البيت من الطباق، إلا أننا نرى، وعلى وفق التعريف الذي اعتمدها في المقابلة، أنه مقابلة فيها توازن نصف شطري تبادلي، لتعدد الاضداد فيه.

:

((من ألوان البديع الخمسة التي ذكرها ابن المقفر ... بل تكاد تجمع المصادر على أن المراد بالتجنيس اتفاق الألفاظ في الحروف، أو في بعضها وإن اختلفوا في قيمته. على أن جوهر التجنيس اساساً يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار، ونسلكه فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الألفاظ، فالمجانسة التي يشير إليها ابن المعتز هي: «ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها»<sup>(٤٧)</sup>.

يلحظ فيما اورده من رأي؛ إصرار الباحث على أن الجناس هو تجانس في الحروف والمعاني، وهذا مما يرده ابن الاثير؛ إذ يقول: ((وربما جهل بعض الناس، فأدخل في التجنيس ما ليس منه، نظراً إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى، فمن ذلك قول أبي تمام:

أظن الدمع في خدي سيبقى رسوماً من بكائي في الرسوم  
وهذا ليس من التجنيس في شيء، إذ حدَّ التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معاً. وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليُعرف<sup>(٤٨)</sup>، ((وإنما سُمي هذا النوع من الكلام مجانساً لأنَّ حروف الفاظه

يكون تركيبها من جنس واحد))<sup>(٤٩)</sup>.

والتجنيس لا يتعلق بالجانب الصوتي، أو الدلالي وإنما هو تشكيل يعتمد على تداخل متساوق بين هذه المستويات المختلفة .

((وإن كان التجنيس قد بدأ ظاهرة صوتية، وإن كانت لا تخلو من أبعاد دلالية، ولكن الالفت للنظر وهو أن هذه الأبعاد الدلالية تزداد أهمية بحسب طبيعتها الصوتية الموجودة، ونحسب الأمر عادياً (كذا) لو تعلق بمجرد اختلاف لفظتين بنية ودلالة، غير أن للانسجام الصوتي والبعد التكراري أثره الكبير في إثارة السامع وتعميق الدلالة، لذلك وجدنا في التحليل ذي الطابع الصوتي تارة، والنحوي تارة أخرى، وباعتبار الموقع من جهة ثالثة، نوعاً من الاستجابة لدينامية الخطاب الشعري عند أبي تمام لاعتقادنا في النظرة الشاملة من ناحية، وتجاوباً مع سياق الخطاب من ناحية ثانية .

نخلص من هذا إلى أن التجنيس ظاهرة ايقاعية ونحوية ودلالية، بل تتجاوز ذلك. ومن التمحل تسييق مقوم على آخر إلا ما يتطلبه المنهج وظروف التحليل . إننا خصائص التجنيس مشتركة تتضافر وظائفها لتؤدي اغراض الخطاب ومقاصده بما يضمن التواصل على مستويين: مستوى التلقي الدلالي، ومستوى التلقي الجمالي.

والتجنيس يكشف عن كثافة الرصيد اللغوي وتجانسه من الناحية الصوتية؛ فإذا كانت المعاني تتجانس فتتوزع بالدلالة الواحدة مرادفات على الفاظ مختلفة بنية وأصواتاً، فإنّ التجنيس يمثل عكس ذلك، وهي مرونة اللغة وسريانها على أوجه متعددة من التجنيس والانسجام والتقابل وغير ذلك))<sup>(٥٠)</sup>.

ونلاحظ أنّ النقاد القدماء؛ قد ألحوا وأكثروا من الحديث على الجناس، أو التجنيس عند الشعراء، المحدثين منهم خاصة، وكأننا لسهولة اكتشافه أو، لوقعه الصوتي، وتأثيره الدلالي الطافح على الأبيات هو الداعي إلى هذا اللاحاح؛ فأكثرنا من مباحثه ونوعوا فيه .

فتعدد أنواع التجنيس يعود إلى أسباب متعددة صوتية ودلالية، فقد تطرّق أسامة بن منقذ إلى أنّ الاختلاف الدلالي بين الكلمات المتجانسة من زوايا مختلفة، يمكن اختزالها في الاختلاف في المعنى النحوي (كالجناس المغاير والجناس المماثل)، والصيغة الصّرفية (كجناس التصحيف، وجناس التحريف وجناس التصريف)، وكذلك الاختلاف في المعنى الاشتقاقي كجناس الترجيع وجناس العكس))<sup>(٥١)</sup>.

((وقد اوصل الدكتور أحمد مطلوب أنواع التجنيس إلى اثنين وستين نوعاً))<sup>(٥٢)</sup>؛ سنورد بعض أنواعها التجنيس المستوفى: قال عبد القاهر الجرجاني: ((واعلم أنّ النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلة في استجابة الفضيلة وهي حسن الافادة، مع أنّ الصورة صورة التكرير والاعادة وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه، إلا في المستوفى المتفق الصورة منه . كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله  
فجانس بيحيا ويحيى، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر؛ وإنما عدّ في هذا  
الباب لاختلاف المعنيين؛ لأنّ احدهما فعل والآخر اسم؛ ولو اتفق المعنيان يُعدّ تجنيساً،  
وإنما كان لفظة مكررة، كقول امرئ القيس:

فلما دنوت تسديتها فثوباً لبست وثوباً أجر  
فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام، إلا أنّ هذين اتفق  
معناهما، واختلف ذاك المعنيان؛ فعُدّ الأول من البديع .

ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعض أهل الأدب؛ قول الأعشى :  
إنّ تسد الحُوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر  
فأقول: إنّ قد جانس بعامر وعامر؛ لأنّ الأول اسم رجل، والآخر اسم  
قبيلة))<sup>(٥٣)</sup>.

والتجنيس المحقق هو ما اتفقت في الحروف دون الوزن رجوع إلى الاشتقاق، أو لم يرجع نحو قول أحد بني عبس :

وذلكم ان ذل الجار حالفكم وان انفكم لا يعرف الانفا  
فاتفقت الانف في الانف في جميع حروفهما دون البناء، ورجعا إلى أصل واحد هذا  
عند قدامة أفضل تجنيس.

وقع مثله في الاشتقاق قول جرير. والجرجاني يسميه التجنيس المطلق ...

أما التجنيس الناقص ((فهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب  
بحرف واحد لاغير، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس .

فهما جاء منه قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فَإِنَّ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ عَلَى  
وزن واحد، إِلَّا أَنَّ تَرْكِيبَهُمَا مُخْتَلِفٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ .

وعلى نحو من هذا ورد قول النبي ﷺ: ((الخليل معقود بنواصيها الخير))<sup>(٥٤)</sup>.

وقد يعاون الصوت المفرد، في تكراره، أو عمق مخرجه، أو صفاته الجناس في تعميق  
تأثيره، إذ إن ((تكرار حرف واحد أو حرفين من غير تعمد إلى تشابه الأصول، وصنفه  
إلى ما يراد به إبراز معنى عن طريق التكرار مثل قول أبي الطيب:

وامـواه تصـل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني  
فالصادات، مع ألفات المد، -واللامات- هنا تنقل صوت صلصلة الماء إلى  
السامع))<sup>(٥٥)</sup>.

وهو ماسمي عند أحد الباحثين (تكرار النواة الصوتي الدلالي)، ومثل بيتي أبي تمام:  
واني لأرجو أن تقلد جيده قلادة مصقول الذباب المهند

منظمة بالموت يحظى بحليها مقلدها في الناس دون المقلد  
فالنواة الأصلية (قلد) قد تم تكرارها بصيغ مختلفة من خلال المزوجة بين الاسم  
والفعل في البيت الأول، وبين اسم الفاعل، واسم المفعول في البيت الثاني .  
وفي دلالات جناس الاشتقاق تأكيد المعنى وتثبيته؛ لأن هذا النوع من الجناس يقوم  
على تكرار المادة نفسها والجذر بالمزوجة بين اسم الفاعل واسم المفعول))<sup>(٥٦)</sup>.  
(ب) التجنيس المعكوس: قد ((عدوا من التجنيس ما يسمى (بالمعكوس)<sup>(٥٧)</sup> و((هو  
أن يقدم المتكلم المؤخر من الكلام ويؤخر المقدم منه))<sup>(٥٨)</sup> .

(( وله في التجنيس حلاوة ويفيد الكلام رونقا وطلاوة، وقد سماه قدامة الكاتب  
بالتبديل، وكل واحد من اللقبين يصدق عليه، لأنَّ صاحبه يقدم المؤخر من الكلام  
ويؤخر المقدم منه، فلهذا لقبه بالعكس، وهكذا فإنه يبدل الألفاظ فيقدم ما كان منها  
مؤخرا ويؤخر ما كان مقديما، ويقع في الألفاظ والحروف جميعا فهذان وجهان، الوجه  
الأول منها أن يكون واقعا في الألفاظ، مثاله قول بعضهم: عادات السادات، سادات  
العادات، وكقول الآخر شيم الأحرار أحرار الشيم))<sup>(٥٩)</sup> .

ومنهم من سماه جناس القلب، قال:

(( ومن أنواع جناس الحشو جناس القلب على نحو من اللعب بالأصوات، مثل قوله

في مدح المعتصم :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب  
الجناس يتناسب موضعا مع بنية البحر البسيط على الرغم من وقوع اللفظتين  
المتجانسين في صدر البيت، فهو متماثل عروضيا، لتماثل ركنيه، وذلك ما يتضح عند  
تقسيم الصدر قسمين متساويين :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في === مستفعلن فعلمن))<sup>(٦٠)</sup> .

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

(ج) التجنيس بالتكرير: نستطيع هنا أن نسميه جناساً بالتكرير، فهو وإن كان في بعض معناه جناس مطابق كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ . قال ابن الأثير ليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها .

وفي الآية الكريمة اتفاق في الاسمية ولكن اذا أخذنا بما فسر ابن أبي الأصبغ قوله تعالى: ﴿ وَحَزَنًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ بأن السيئة الثانية ليست بسيئة، وإنما هي مجازة عن السيئة سميت باسمها لقصد المزوجة فإن الآية تصح شاهداً لما مثل به ابن الأثير ... ومما جاء منها قول أبي تمام :

فأصبحت غرر الأيام مشرقة بالنصر تضحك عن أيامك الغرر  
فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه، فاللفظ إذاً واحد والمعنى مختلف .

وكذلك ورد قوله :

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور عن سلسالها الخصب  
فالثغور جمع ثغر، وهو أيضاً البلد الذي على تخوم العدو ((٦١)).  
سحاب متى يسحب على النبت ذيله فلا رجل ينبو عليه ولا جعد  
واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم ((٦٢)).

وحق لابن رشيق - أيضاً - أن يستثقل البيت، متابعة للآخرين؛ فالشعر الذي يخاطب العقل من دون القلب؛ والذي هو بحاجة إلى تدقيق، ومراجعة، وتأن مع وعي كامل؛ هو شعر يبعد عن قلب المتلقي وعن وعيه معاً؛ فيصبح مجموعة من طلاس من يعجز المتلقي أو يكاد عن فكها، وبذلك يتعد عن مشاعر التأثر؛ التي هي من أولى أهداف الشعر.

وسماه ابن رشيق الترديد، وعدّ اللفظ تجنيساً مردداً، غير أنه كان دقيقاً في الحكم على

ذلك الترديد، فهو يقول :

(( وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع؛ فجعله نصب عينه حتى مقتته وزهد فيه، ولو لم يكن إلا بقوله :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل  
فهذه الألفاظ - كما قال - : « كلهن قلاقل »، ونحو ذلك قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها اسد تكون له الاسود ثعالباً !  
فما ادري كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة اسوداً؟! ولا اقول: انه بيت شعر<sup>(٦٣)</sup>.  
(د) ((تجنيس التصحيف: كقول أبي تمام :

السيف أصدق انباءً من الكتب في حده الحدّ بين الجدد واللعب  
واتفق معظم البلاغيين على هذه التسمية، غير أنّ منهم من ساء تجنيس الخط،  
والعلوي، والسيوطي، وآخرون سموه التجنيس المصحف<sup>(٦٤)</sup> .

(( وهو عبارة عن الاتيان بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً، ويقال له تجنيس  
الخط ايضاً، ومثاله من كتاب الله تعالى: قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾  
[الكهف: ١٠٤]، ومن السنة النبوية قوله ﷺ: «عليكم بالأبكار فإنهن أشد حباً وأقل  
خبأً»، والخب الخداع، وقول أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه-: (قصر من ثيابك فإنه  
أبقى وأتقى وأنقى)، ومنه قول البحثري يمدح المعتز بالله :

ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ليُعجز والمعتز بالله طالبه  
وإنما لُقب ما هذا حاله بالمصحف؛ لأنّ من لا يفهم المعنى فإنه يصحف أحدهما إلى  
الآخر لأجل تشابههما في وضع الخط كما ترى ويقال له المرسوم ايضاً، ومن هذا قول  
بعضهم غرك عزك فصار قصارى ذلك ذلك، فاحش فاحش فعلك، فعلك بهذا تهدي،  
وقوله في الحريريات فملت لمجاورته إلى محاورته، ولا يزكو بالخيف من يرغب في  
الخيف<sup>(٦٥)</sup> .

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

(ه) تجنيس الإحصاء: هذا التجنيس يرتبط بجانبين معاً، فهو إن وقع في الإيقاع الداخلي للبيت الشعري، غير أنه يرتبط بجانب موسيقى الإطار لدوره في القافية، يقول العلوي: (( واعلم ان الشعراء المفلقين يفتخرون بما كان اول البيت دالاً على آخره، وفي هذا يقول بعضهم :

خذها اذا أنشدت في القوم من طرب      صدورها عُرِفَتْ منها قوافيها  
ينسى لها الراكب العجلان حاجته      ويصبح الحاسد الغضبان يُطْرِبُها  
وهذا هو الارصاد كما قلناه، ومن جيد الارصاد ما قاله البحري :

أحلت دمي من غير جُرم وحرمت      بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
فليس الذي حللته بمحلل      وليس الذي حرمته بحرام  
فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول، وصدر البيت الثاني؛ أن عجزه ما قاله البحري، وقد جرت العادة عند انشاد الشعر بانتهاج عجز البيت من لسان منشده قبل ذكره ويسبق اليه فينشده قبل انشاده له؛ لما كان المعنى مفهوماً قبل ذكره، وهذا هو الذي نريده بالإحصاء ... ومن ذلك ما قاله زهير :

واعلم ما في اليوم والأمس قبله      ولكنني عن علم ما في غد عم  
فالأزمنة ثلاثة، الماضي، والحاضر، والمستقبل، فلما ذكر حكم الماضي، والحاضر، عُرِفَ من حاله أن لا بد من ذكر المستقبل بحكمه، وهو الجهل بما يكون غداً، فلاجل هذا كان الارصاد فيه سابقاً معلوماً فما هذا حاله من احسن ما يأتي في الارصاد فإنه لما ذكر الخطأ حَسُنَ وقع العمد ولما وجد فيه معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه (والولوع به) ((<sup>(٦٦)</sup> .

:

(( لسنا نريد بذلك هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون، فإنَّ

ذلك يقتضي أشياء مستحيلة، كقولهم الجوهر لا تخلو إما تكون مجتمعة أو مفترقة، أو لا مجتمعة ولا مفترقة، أو مجتمعة ومفترقة، أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة. ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل، لاستيفاء الأقسام جميعها، وإن كان من جملتها ما يستحيل وجوده. وإنما نريد بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده، من غير أن يُترك منها قسم واحد، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه، ولم يشارك غيره، فتارة يكون التقسيم بلفظة (إمّا) وتارة بلفظة (بين) كقولنا ((بين كذا وكذا)) وتارة بلفظة (منهم) كقولنا ((منهم كذا ومنهم كذا))، وتارة بأن يذكر العدد المراد أولاً بالذكر، ثم يقسم، كقولنا: فانشعب القوم شعباً أربعاً: فشعبة ذهبت يميناً، وشعبة ذهبت شمالاً وشعبة وقفت بمكانها، وشعبة رجعت إلى ورائها))<sup>(٦٧)</sup>.

:

التقسيم يقترب ويتعد من مسميات، تتلاءم مع دلالات، ومع أوضاع إيقاعية، ميزت أنواع التقسيم، فوسمت كل نوع بميسمها؛ فمن أنواعها:

التقسيم المسجع (الترصيع):

((على ما في لفظة السجع من معان يقترب فيها اللغويون من القصد كقولهم: إنه مشتق من الساجع، الوجه المعتدل، الحسن الخلقة، أو المستقيم الذي لا يميل عن القصد، لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه، فقد قرر بعض الباحثين أن سبب التسمية مرده إلى ما في الكلام المسجوع من حلاوة التنعيم، وجمال الموسيقى، فأشبهه سجع الحمام، وترجيع النياق في ارتياح النفس اليه وانعطافها نحوه وتأثرها به، فالجامع بين السجعتين حسن الإيقاع؛ وهذا الإيقاع هو سمة السجع الغالبة، وجوهره الفني الذي يجعل اليه بالنفوس أميل والأذان لسماعه انشط))<sup>(٦٨)</sup>.

((إن المقصود بالتسجيع في الكلام إنما هو اعتدال مقاطعه وجريه على أسلوب متفق،

لأنّ الاعتدال مقصد من مقاصد العقلاء يميل اليه الطبع وتتشوق إليه النفس، لكنه لا يحسن كل الحسن، ولا يصفو مشربه إلا باجتماع شرائط منها :  
ترجع إلى المفردات، وهي ان تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق رطبة طنانه، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الانفس، ويلذ سماعها على الآذان، مجنبة من الغثاثة والرداءة، ونعني بالغثاثة والرداءة أن الساجع يصرف نظره إلى مؤاخذة الاسجاع وتطابق الألفاظ، ويهمل رعاية حلاوة اللفظ وجودة التركيب وحسنه، فعند هذا تمسه الرداءة، وتفارقه الحلاوة ويصير فيما جاء به بمنزلة من ينظم عقدا من خزف ملون، أو ينقش بألوان الصباغ ثوبا من عهن، فهذه الشريطة لا بد من مراعاتها، والا وقع مهملها فيما ذكرناه .

ومنها راجعة إلى التركيب، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه، وباطنة التشويه، ويصير مثاله كمثل عمد من ذهب على نصب من خشب، أو كرة محلاة أو بعرة مذهبة مطلية))<sup>(٦٩)</sup>.  
وإذا ما حددنا كلامنا في التسجيع فيما يخص الشعر، فإنّ بعض النقاد يذهب إلى أنّه ((إذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة، وقد فضله وأطنب في وصفه اطناباً عظيماً))<sup>(٧٠)</sup> .

((ومن نعوت الوزن الترصيع، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، او من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم))<sup>(٧١)</sup>، ((وهو من البديع والوانه))<sup>(٧٢)</sup> .

((وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد اللآلى مثل ما في الجانب الآخر))<sup>(٧٣)</sup> .

ويرى قدامة بن جعفر أنَّ الترصيع ((إنَّما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به، فإنه ليس في كل موضع يحسن، ولا على كل حال يصلح، ولا هو أيضا إذا تواتر واتصل في الأبيات كلها بمحمود، فإنَّ ذلك إذا كان، دلَّ على العمل وأبان عن تكلف))<sup>(٧٤)</sup>.

وأرفع منها لتطابق بين التقطيع العروضي، والتقطيع الدلالي عن طريق الترصيع يقول<sup>(٧٥)</sup>:

بمحمود / ومكفر / ومحمد مسود / وممدح / ومعدل

فالبيت من بحر الكامل:

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلنمتفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

وقد توافقت التفعيلة (متفاعلن) مع كل كلمة مرصعة توافقا تاماً، مع هذا التوافق الإيقاعي الدلالي ينسجم المتلقي، ويستجيب للغايات التي بثها الشاعر بقصد التأثير.

ولاشك في أن القدماء قد اتضحت لديهم الرؤية في أهمية الموسيقى؛ سواء أكانت موسيقى الحشو؛ من جناس، وطباق، ومقابلة، وتقسيم، وتصريع، وترصيع؛ بتعدد أنواعها، وتشعب مسمياتها، وجرس الأصوات، وجرس اللفظة، أم موسيقى الإطار من اختيار الوزن والروي والقافية، وتناسب ذلك كله والدلالة؛ وهذا هو المنهج النقدي الحديث؛ فلا نرى إلا برزخاً ضيقاً؛ يحجب الرؤيتين النقديتين.

التداخل الموسيقي الدلالي :

((إنَّ مسائل كثيرة من علم البديع إنَّما هي عناصر إيقاعية ونحوية ودلالية في الوقت نفسه . تدخل ضمن الخطاب في علاقات مع عناصر متعددة من الكلام وتقود بوظائف مختلفة المعنى والمبنى، مما يجعلها تتسم بشيء من الحركية وذلك سرُّ الجمال فيها وعلّة

تسميتها بالمحسنات ..))<sup>(٧٦)</sup> .

و((يمكن الجزم بأن ما أُقيم من حدود بين مكونات الخطاب الشعري ليست إلا لضرورة منهجية، ذلك بأن بنية القصيدة لا يمكن ان تكون فاعلة ومؤثرة، إلا بتفاعل مستوى الإيقاع في أبعاده المختلفة مع باقي المستويات اللسانية الأخرى المكونة للقصيدة، خاصة (كذا) ما يتعلق بطبيعة الارتباط بين الألفاظ والمعاني وبين المعاني والتركيب وغيرها من المستويات . وقد لاحظ مجموعة من الشعريين المعاصرين ان هذه المستويات اللسانية المختلفة يمكن أن تتفاعل في ظاهرة أسلوبية هي ظاهرة التوازي. فما المقصود بالتوازي؟ وما هي أنماطه ومستوياته؟))<sup>(٧٧)</sup> .

إن ((ثمة تفاعل بين الصوت والبحر يخصص حال الخطاب ويهيء لتقبل المعنى . وثمة سهولة في مجرى الألفاظ على مجار تتألف فيها المقاطع الصوتية وتأتلف، ومن ثم تؤنس فتجري على اللسان في انسياب ويسر أن بنيتها وان بصيغتها الصرفية . والى ذلك يلعب ترتيب الوحدات اللفظية بالتقديم والتأخير دورا مساعدا في نماء الإيقاع وبلورته . ولا غرو أن تحتل بعض مسائل البديع مجالا مهما في الدراسة الإيقاعية باعتبارها روافد دلالية وصوتية مثيرة من حيث بنيتها وباعتبارها مكونات تعلق بغيرها في سياق البيت وقد أنزلت منه منازل يقتضيها علم النحو .

ومن هنا تبدو كثافة الطرح إذ لا نخال، ولا ينبغي لنا، أن نتصور الخطاب الشعري الذي اخترق أحقاباً من الزمن مشافهة ورسماً؛ مجردكم من المقاطع الصوتية متساو أو متناسب بقدر ما هو رصيد مكثف من الإيقاع والجمال والثقافة والاجتماع وغير ذلك))<sup>(٧٨)</sup> .

((وبناء على هذا كان النغم جزء لا يتجزأ من التجربة، ينمو بنموها ويتطور مع بقية عناصرها ولا يمكن فصله عن الألفاظ إذ هو تعبير عن حركة الانفعالات في نفس الشاعر ويكون مع الألفاظ الشكل الذي تتبلور فيه التجربة، فهو جزء متمم لمعنى

القصيدية وبإهماله نهمل جزءاً هاماً (كذا) من المعنى، وعلى هذا فنحن لا نستطيع ان نفهم العمل الفني أو نحدد قيمته دون (كذا) اعتبار الجاذبية الحسية وارتباطاته التخيلية وبنائه الشكلي وعوامل اخرى لا موضوعه فحسب))<sup>(٧٩)</sup>.

((الموضوع أو المادة ذات القيمة هو من الأهمية بمكان ولكن لا بد من أن يتلاءم الشكل مع المادة أو الموضوع حتى يحدث التأثير الجمالي والفني، وهذا يحتم بالتالي أن تكون القصيدة عملاً فنياً متكاملًا من حيث الأفكار والمعاني والأوزان والألحان، فاذا ما تم ذلك يكون الإيقاع قد توافر فيه التنظيم الدلالي والشكلي ويكون الفنان قد وصل إلى ما يسمى بالتناسق العام في الفن، أي انعدام التنافر بين أجزاء المضمون من جهة وبين أجزاء الشكل من جهة ثانية وبين كامل المضمون وبين كامل المضمون، وبين كامل الشكل من جهة أخيرة))<sup>(٨٠)</sup>.

ويقول د. محمد غنيمي هلال: ((إن الألفاظ تتفاوت فيما بينها جمالاً وقبحاً من حيث دلالتها على المعنى وعلى جوانبه المختلفة، وإن المتكلم يستعين - على حسب قصده - بألفاظ قد تستر جانب القبح في الأشياء أو تكشف عنه، وإن الألفاظ يجب أن تختار لتلاءم موقعها في الجمل وفي صياغة المجاز، وفي الغاية من المعنى المراد وهذا جمالها في معناها ومعرضها، ويتصل بهما جمالها في جرسها على حسب السياق، ثم إن من جمال الأسلوب ما يستعان فيه بالألفاظ وجرسها ونظامها كما في المزوجة والسجع .

ولم يكد يخرج النقد العربي عن هذه الحدود في علاجه مسألة اللفظ والمعنى، فقد عاجلها على أساس المقابلة بين كل منهما، ولكنه أولى المسألة عناية كبيرة وقد انقسم نقاد العرب فيها إلى طوائف: فمنهم من نظر إلى مقومات العمل الأدبي - إلى جانب المعنى مغفلاً شأن اللفظ، وآخرون ارجعوها إلى اللفظ، ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى، وأخيراً منهم من نظر إلى الألفاظ من جهة دلالتها على معانيها في نظم الكلام، والرأي

الأخير أهم الآراء، وأكثرها أصالة))<sup>(٨١)</sup> .

ومن أشكال التداخل الأخرى بين المستويات الإبداعية بالنص الشعري ((التعارض القائم بين التركيب والإيقاع، إمّا بتجاوز التركيب لحدود الإيقاع، كما هو الشأن في حالة التضمين، وإمّا بانتهاء المعنى قبل الكلمة الأخيرة كما هو الشأن في حالة الإيغال. فالتضمين لا يكشف فحسب عن هذه التوترات داخل القصيدة، بل يمكن أن يكشف عن توترات وصراعات في كل لحظة فهو يقطع التدفق الوزني، ويقربنا من لغة الحياة اليومية، أو بمعنى آخر أنه محاولة لتكسير الطقوس الشعرية الخاصة بقديسية السطر والقافية .

غير أنّ النقاد القدماء، عدوا التضمين من ضمن عيوب القافية، وتابعهم في ذلك المحدثون، فيما يرى ابن الأثير أنّ ((المعيب عند قوم هو (تضمين الاسناد)، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المثور، على أن يكون الأول منهما مسندا إلى الثاني، فلا يقوم الاول بنفسه، ولا يتم معناه الا بالثاني، وهذا هو المعدود من عيوب الشعر .

وهو عندي غير معيب؛ لأنه إن كان سبب عيبه أن يُعلق البيت الأول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المثور في تعلق أحدهما بالأخرى؛ لأنّ الشعر هو كل لفظ موزون مُقفى دلّ على معنى، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دلّ على معنى، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير .

والفقرُ المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم في مواضع منه، فمن ذلك قوله عز وجل في سورة الصافات ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أءِذَا مُنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا

أَيُّ نَا لَمَدِيُونٌ ﴿١﴾، فهذه الفقر الثلاث الاخيرة مرتبط بعضها ببعض، فلا تفهم كل واحدة منهن إلا بالتالي، وهذا كالأبيات الشعرية في ارتباط بعضها ببعض، ولو كان عيبا لما ورد في كتاب الله عز وجل ((٨٢)).

وهذا رأي يتوافق مع الرؤية الحديثة للنص الشعري؛ التي ترى تلاحم النص في أبياته الشعرية، وإن النص يبني بناءً درامياً متسلسلاً بعيداً عن الرؤية القديمة التي ترى إن البيت وحدة واحدة لا يمكن لها أن تتداخل مع الأبيات الأخرى وإلا عدَّ عيباً شعرياً.

وتتسع المناسبة لتضم المستويين الصوتي والدلالي . وكل مستوى من هذين المستويين يتسع ليشمل مناسبات فرعية؛ وهكذا يضم المستوى الصوتي كل الموازنات التي تقوم على التكرارات الصوتية؛ كالترصيع، والتصدير، والتشطير والترديد، والتسميط، وغيرها .  
أمَّا المستوى الدلالي فيقوم على تناسب المعنى، أمَّا بالتقارب بين معنى الكلمتين الترادف، واما التضاد بينهما الطباق .

أمَّا ابن أبي الاصبع المصري فتحدث عن التوازي، لاسيما التوازي الصوتي وهو بصدد حديثه عن التردد والتعطف معلقاً على بيت المتنبي :

فساق الي العرف غير مكدر وسقت اليه الشكر غير مذم  
فهذا البيت انعطفت فيه ثلاث كلمات من صدره على ثلاث كلمات من عجزه، ففيه بهذا الاعتبار ثلاث تعطفات، وذلك قوله: (فساق)، فإنَّها انعطفت على قوله في العجز (وسقت)، وقوله (إلي) فإنَّها انعطفت على قوله في العجز (اليه)، وقوله غير، فإنَّها انعطفت على قوله في العجز (غير) ((٨٣)).

\* ارتباط الأغراض بالوزن الشعري:

تعددت ألوان الأضواء المسلطة على هذه القضية المرتبطة بموسيقى الشعر، ما بين مؤيد لذلك الارتباط، ومعارض رافض له؛ فبني عمود الشعر على تخير من لذيذ الوزن؛ كما قال المرزوقي، واعتدال الوزن كما يقول قدامة.

والسؤال هل هناك ارتباط بين عاطفة الشعر ومعانيه المبتوثة في قصيدته وبين الوزن المختار، يقول د. محمد غنيمي هلال: ((والحق أن القدماء من العرب لم يتخذوا لكل موضوع من هذه الموضوعات وزناً خاصاً أو بحراً خاصاً من بحور الشعر القديمة. فكانوا يمدحون ويفاخرون ويتغازلون في كل بحور الشعر. وتكاد تتفق المعلقات في موضوعها، وقد نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل. ومراثيهم في المفضليات جاءت من الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف. والأمر بعد ذلك للشاعر. فقد يقع على البحر ذي التفاعيل الكثيرة في حالات الحزن لا تساع مقاطعه وكلماته لأناته وشكواه. محبا كان أم راثياً، أو لملاءمة موسيقاه لأغراضه الجدية الرزينة من فخر وحماسة ودعوة إلى قتال وما إليها، ولهذا كانت البحور الغالبة في الأغراض القديمة هي الطويل والكامل والبسيط والوافر. وقد تنفعل النفس أو تطرب لداع مفاجئ، فتلجأ إلى البحور المجزوءة، أو إلى بحور الخفيف والمتقارب والرمل. وليس هذه سوى تقرير مجمل لا يقوم مقام القاعدة. وكل بحر، بعد ذلك، قالب عام يستطيع الشاعر أن يضيف عليه الصبغة التي تريد، بما يصب فيه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص))<sup>(٨٤)</sup>.

إنَّ إطلاق الأغراض من قيد الأوزان بشكل مطلق، قد لا تؤيده آراء نقدية كثيرة، قد تكون بقيت مترجحة بين الإطلاق والتقييد إذ ((إنَّ الوزن المجرد لا يعطي لوناً بعينه

من الموسيقى فهو نغمات صوتية فارغة من المعنى إذا لم تتحد ببقية عناصر النص اتحاداً عضوياً، وإذا لم تنبئ بافاعيل النفس واحساساتها بكل دقة .

ومن هنا كان النظم في جوهره ازعاجاً للغة يبعدها عن حقيقتها، فتبدو القصيدة للقارئ وكأن فيها وجوداً موهوماً لا حقيقة له، ولا يصل إلى هذه إلا شاعر عرف كيف يوظف الكلمة مستفيداً من ظلالها وإيحاءاتها واشعاعاتها، ومتذوق لا يقف عند المعنى المباشر للكلمة لا يتعدها وإنما يعايش النص بكل ما فيه من صوتية ومعنى وشعور))<sup>(٨٥)</sup> .

((وإذا كان الإيقاع يكمن في الصوت أو في اختيار الكلمة أو في دلالات الألفاظ وإيحاءاتها، أو في التكرار، أو في الوقع اللحني الناجم عن التناغم بين الكلمات فإن هذه جميعاً تفقد قيمتها إذا لم تكن مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمضمون الفن وبعاطفة الفنان الكامنة خلف هذه الإيقاعات؛ فالفن العظيم يستخدم كل الطرق ليصهر وليوحد بين الصوت والمضمون، بين الإيقاع والوجدان، انه يعتمد إلى الحركة التناغمية واللحنية بكاملها ليعبر عن المضمون بكامله وليجسد العواطف تجسيدا تاماً. إن لكل من الصوت والمضمون والكلمة دوراً في العمل الفني، وهذه الأدوار جميعها تعمل معاً ضمن دائرة واحدة مهمتها أولاً أن تعبر عن داخلية الفنان واحاسيسه ثم ايصال هذه الداخلية أو الأحاسيس للسامع أو المتلقي، وبغير هذه الالتحام لا يتم العمل الفني ولا يؤدي دوره المطلوب . فكل عنصر من عناصر النظام اللغوي في القصيدة لا ينهض مستقلاً لوحده ولا يؤدي دوراً جمالياً بمفرده))<sup>(٨٦)</sup> .

هذا النص يوضح كلية العلاقة في النص الشعري، أو تداخل المؤثرات المختلفة لإبداع نص شعري مميز، إن هذه التشكلية المتنوعة هي التي بنى على اساسها ((من حاول ربط الغرض بالوزن، معتقداً أن لكل بحر إيقاعاً يصلح لغرض من الأغراض، ولا يصلح لغيره، إلا أن الآخرين نفوا العلاقة نفيًا كلياً، وفريق ثالث ظل متردداً بين

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

النفي والإثبات، ونتج من ذلك اختلاف جلي، ووقع بعضهم - في ظننا - في انتقاص صراح، وأسباب ذلك كثيرة منها، الاحتكام إلى الذوق والذاتية، وسرعة التأثر، وتحكيم الطبع، وإهمال الاستقراء والمقايسة، مما أدى إلى تعميم الأحكام<sup>(٨٧)</sup>.

إلا أنه عاد فربط البحر بالغرض، قائلاً: ((ولعل ميل الشعراء إلى بحر الطويل الذي كان سيد الساحة الشعرية دون منازع حتى القرن الثالث الهجري، يرجع إلى أمور كثيرة، منها: أنه بحر الفروسية، وهو النمط الذي يقتضي الإيقاع الصاعد وصائغته عنصر إيقاع الوتد المجموع، حيث مبتدأ الجزأين (فعلون) و(مفاعيلن)، فيبدأ الصوت بمقطع قصير، ثم يمتد إلى مقطع طويل، وفي ذلك احساس بالاجتذاب وشعور بوثبة واندفاعية، ثم إن قدرة استيعاب المعاني - في الطويل - جعلته يتميز عن غيره والبسيط يقرب من الطويل، ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والألفاظ مع تساوي أجزاء البحرين، وهو من وجه آخر يفوقه رقة وجزالة، ولهذا قل في شعر أبناء الجاهلية، وكثر في شعر المولدين.

ولا غرو أن التقارب بين الوزنين (الطويل والبسيط) لم يكن في الطبيعة الإيقاعية، ولا في تساوي الأجزاء، وإنما نشأ ذلك بدءاً من بنية المقاطع، من خلال القلب والفك في الدوائر، إذ إن فعلون مفاعيلن هي: وتد وسبب ثم وتد وسببان، فإذا تغير المنطلق، وكانت النهاية هي البداية، كان هناك: سببان ووتد، ثم سبب فوتد، والنتائج: أجزاء البسيط: مستفعلن فاعلن.

ولما كان ذلك كذلك فإنَّ الشعراء القدامى عمدوا إلى ذينك الوزنين ولا سيما في الموضوعات الجديدة، مما جعل نسبة النظم عليهما تكاد تكون واحدة.

هذا في التام، أما المجزوء، فإنَّ بعضهم قد استثقله في البسيط ومنعه في الطويل ولم

يجزه<sup>(٨٨)</sup>.

((إذا كان للبسيط -عموما- رقة وجزالة؛ فإنَّ هناك وزنا آخر امتاح جزالته من تتابع مقاطعه واطراد حركاته، الا وهو بحر الكامل الذي تبوأ المرتبة الثالثة في الشعر العربي القديم))<sup>(٨٩)</sup>.

و) على الرغم من مرونة بحور الشعر العربي في مواكبة شتى الأغراض والمقاصد، نجد حازماً يسعى إلى ربط الوزن بالحالة النفسية للشاعر (الباث) ومن خلال ربطه بالمعنى المعتمل في ذاته))<sup>(٩٠)</sup>.

ويقول -أيضاً-: ((فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف، وأما المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل، وأما السريع والرجز ففيهما كزازة، وأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء، فأما الهزج ففيه مع سذاجته حدة زائدة، فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيه قليلة على طيش<sup>(٩١)</sup> فيها، فأما المضارع ففيه كل قبيحة، ولا ينبغي أن يُعدَّ من أوزان العرب؛ مما يبين لكأن لكل وزن منها طبعاً، يصير نمط الكلام مائلاً إليه))<sup>(٩٢)</sup>.

ولقد لحظ جابر عصفور ((أنَّ القوة والشدة والضعف أو اللين من المصطلحات الموسيقية اصلاً، وتحديدتها مرتبط أساساً بتحديد الابعاد في اللحن، مما يكشف التأثير النفسي، ولا شك (في) ان هذا مجال من مجالات الموسيقى التي ناقشها الفلاسفة منذ القرن الثالث الهجري، فصلة الاوزان بالانفعال ومشاكلته للغرض من المسائل التي أثارها الفلاسفة، وكان مما رأوا ان الالحن المجردة قادرة على إثارة انفعالات المستمع وتحريك دواخله))<sup>(٩٣)</sup>.

يقول د. رشيد شعلال: ((تجد هذه النظرة صداها كبيرا لدى المهتمين بصناعة الالحن قديماً وحديثاً. وقد رسخها الدكتور ابراهيم انيس حين عرض هذه القضية بشيء من الاطمئنان مقررًا أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع

يصب فيه من اشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر في وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم مع سرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية . ومثل هذا الرثاء الذي قد ينظم ساعة الهلع والفرح لا يكون عادة الا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد ابياتها على عشرة، اما تلك المراثي الطويلة فاغلب الظن انها نظمت بعد أن هدأت ثورة الفرع ((<sup>٩٤</sup>)).

ويقول: ناصر لوحيشي: (( وفي المدح والوصف - يرى انيس - ان الشاعر لا ينفعل ولا يتأثر، فيكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع، مثل الطويل والبسيط والكامل . خلافاً لغرض الغزل الثائر العنيف، حيث يقال -عادة- في بحور قصيرة أو متوسطة، وتكون قصائده قصارا - غالبا - .

هكذا يرى أنيس، مع أنه قال قبيل هذا: ان استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرونا بمثل هذا التخير، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه، فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم، ويكفي ان نذكر المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا، ونذكر أنها نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل، لنعرف أن القدماء لم يتخيروا وزناً خاصاً لموضوع خاص .

إن الربط الوثيق بين البحر والغرض؛ هو كما ندعي ربط مستحيل ، لا ندعي أن البحور تتساوى جميعها في دورها الشعوري، والانفعالي لدى المتلقي؛ ولكن من الامور التي يجب مراعاتها؛ هو التطور الزمني، والمكاني، وتغير ذائقة المتلقي بتغيرهما؛ وارتباط ذلك بالترف الاقتصادي، وافتراق البيئة الحضرية عن المدنية .

ولو أننا تابعنا المسألة بدقة لما وجدنا هذا الربط الصميم؛ فقد وجدنا في دراسة سابقة أن الشعراء الحضريين من العصرين العباسي، والاموي؛ نظموا من البحور المجزوءة، وقليلة التفعيلات؛ بما يلائم حياتهم الحضرية، وطرق معيشتهم؛ في حين أن الشعراء ممن

عاشوا في البادية (عباسيين وامويين) لم ينظموا من البحور القصيرة، والمجزوءة؛ وإنما من بحور تامة، وأكثرها من الطويل، والمتقارب، والبسيط، والكامل، والوافر؛ كما عند الشماخ، وعدي بن الرقاع؛ في حين أن عمر بن أبي ربيعة؛ نظم من المجزوء أكثر من علي بن الجهم، ومسلم بن الوليد؛ وكلاهما من الشعراء العباسيين<sup>(٩٥)</sup>.

وحتى الربط بين الوزن والعاطفة، فمن العسير أن نثبت أن الأوزان المختلفة جاءت تبعاً لاختلاف الشعور عند الشعراء القدامى، إذ إننا لا نرى في مقاطع هذه الأوزان المتباينة ما يوحي بمثل ذلك، فهي كلها تخضع لروح القصيدة العام، في توالي المقاطع، ولا يفرق بينها إلا كثرة المقاطع أو قلتها.

إنَّ المسألة ليست كما يظن بعض الباحثين والدارسين، ولذلك قال أنيس بعد افتراضاته وعرضه: يحسن بعد كل هذا ألا نفرض قواعد معينة يلتزمها الشاعر في تخير وزن من الأوزان تحت تأثير عاطفة خاصة، وعلى ناقد الأدب أن يبحث هذا بحثاً مستقلاً في كل قصيدة، ليرى من معانيها وموضوعها، ما إذا كان الشاعر قد وُفق في تخير الوزن، أو لم يحسن الاختيار<sup>(٩٦)</sup>.

إنَّ صعوبة الحسم والفصل تؤكد نسبة المسألة، فالشاعر - أي شاعر - يستطيع التعبير عن أي فكرة ومعنى في الوزن الذي يرتضيه ويستهو به، ولكن الأمر يرتبط بجمال الإيحاء وجودة النسج والتأليف، وقوة الاستمالة والتأثير.

ويبدو لنا أن هذا الأشكال أشبه بقضايا الزحافات والعلل.

فإذا كان بعض الزحافات والعلل - مثلاً - مقبولة عند فريق، صالحة عند فريق ثان، حسنة لدى فريق ثالث، قبيحة عند آخرين، فكذلك الأوزان والأغراض غير أن ما ورد عند القدماء وبعض المحدثين من ادراك الصلة بين موسيقى الشعر العربي وموضوعاته، لم يبرح حدود الذوق والطبع، ولا ريب أن الاحتكام إلى

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

الذوق والحس، لا يقوم حجة ودليلاً، فقد غدا امر موسيقى الشعر اعمق من ذلك وابعده))<sup>(٩٧)</sup> و(( الشعراء القدماء الكبار استطاعوا ان يعبروا عن فكرهم وعن مشاعرهم كأحسن ما يكون التعبير رغم (كذا) انهم التزموا بالبحور والقوافي ونظام التفاعيل الصارم. وكانت موسيقى قصائدهم تسير جنباً إلى جنب مع اهوائهم واحاسيسهم واتجاهاتهم الفكرية))<sup>(٩٨)</sup>.

إن الارتباط بين الوزن الشعري فضلاً عن ايقاعه الداخلي، وبين العاطفة في حدة اندفاعها وجذوتها، أو في انطفائها وخمودها، هو ارتباط لا يمكن إنكاره بشكل كامل، فمن يطلب الدقة في توجيه بوصلة بحثه، عليه الوعي بترايطية العلاقة بين البحر والعاطفة والانفعال .

وان كانت نسبية، ولكن لا يمكن تفكيك العلاقة بشكل تام وثابت .

أمّا ما قيل عن استحداثهم اوزاناً جديدة، مستندين في بعض رأيهم إلى ما قاله أبو العتاهية (( انا اكبر من العروض ))<sup>(٩٩)</sup>، فهو ضرب من الآراء النظرية، التي لم تثبت بشكل علمي دقيق، يقول د. شوقي ضيف: (( ولم يلبث الشاعر العباسي ان حاول النفوذ إلى اوزان جديدة، واذا هو يكتشف وزنين سجلهما الخليل بن احمد حين وضع نظرية العروض، وهما وزنا المضارع والمقتضب، أمّا المضارع فأجزاؤه مفاعلين فاع لاتنمفاعيلن، ودائماً تحذف فيه التفعيلة الاخيرة، ومنه مقطوعة أبي العتاهية :

أَيَا عُتَبَ مَا يَضُرُّكَ أَنْ تَطْلُقِي صَفَادِي  
وَأَمَّا الْمُقْتَضِبُ فَأَجْزَاؤُهُ مَفْعُولَاتٌ مَسْتَفْعَلْنَ مَسْتَفْعَلْنَ، وتحذف منه التفعيلة الاخيرة -  
أيضاً - كما يلقانا عند أبي نواس في مقطوعته:

حَامِلُ الْهُوَى تَعْبُ يَسْتَخْفِيهِ الطَّرْبُ  
إِنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ لَيْسَ مَا بِهِ لَعْبُ

وواضح ان هذا الوزن اكمل نغماً وإيقاعاً من سابقه، ولعل ذلك هو الذي جعله يشيع ويتداوله الشعراء، بينما كادوا يهملون المضارع. واكتشف الشاعر العباسي أيضاً وزن المتدارك أو الخبب، ويقال ان الخليل لم يسجله في عروضه، إنما سجله تلميذه الاخفش، ولكنه إن كان لم يقترح له اسماً فإنه عرفه ونظم منه اشعاراً مختلفة، من مثل<sup>(١٠٠)</sup>:

أبكيك على طلل طرباً  
فشجاك وأحزتك الطلل

(( ولا ريب (في) ان العصر العباسي عرف وثبة عروضية إذ اكثر الشعراء من النظم على الاوزان التي نأى عنها شعراؤنا القدامى، وظهرت الوان اخرى كالشعر المزدوج والمسمطات والسلسلة ووزن الدوبيت، والمواليا، والكان كان، وغيرها .

ولعل بعض الشعراء وخاصة المولدين قد حاول الحيدان عن النظام الشعري الخليلي رغبة في التجديد والتنويع، غير ان تلك الجدة لم تجد قبولاً إلا بعد برهة، ولكنها اصبحت فيما بعد مستساغة تألفها الاذن وتقبلها كما يشير إلى ذلك ابراهيم انيس .

لذلك فإن جل الاوزان الجديدة التي ظهرت في العصر العباسي لم تكن شيئاً ذا اهمية، ان هي الا امتداد لاوزان الخليل وفرع من اصول اوزانه))<sup>(١٠١)</sup> .



إن الشعر كما يقول الجاحظ: ((صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))<sup>(١٠٢)</sup>، والنساج هو الذي ينظم خيوطاً غريبة متناقضة، فيحيلها بخيال شفيف إلى أوشحة منمّقة تجذب الناظرين، هكذا هو الشاعر؛ فهو يصفق الخيوط المهلهلة، ليحليها نسيجاً من النظم جميلاً متناسقاً متوازناً، موظفاً أدواته الشعرية، من موسيقى خارجية، ومن إيقاع داخلي، من دون إهمال لأدوات شعرية تمتح من معين مستويات النص الأخرى، من صورة، وتركيب، وسياق، وألغاز موظفة دلاليًا.

إن الوعي المتقدم بترابطية العلاقة بين القديم والحديث؛ والتمثل الموجه نحو المقولة النقدية (ان الاسد خراف مهضومة) يدفعنا نحو ادراك متقدم للمآثر العظيمة التي رسخها النقاد المسلمون الاوائل والتي كانت نواة حقيقية لسيل الآراء المتدفقة التي غذت الوعي النقدي للمحدثين .

إن مقولات النقاد مثل: (الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والقاضي الجرجاني، وابن الاثير) والرؤية البانورامية لمشهد النقد العربي؛ التي نادى بها اصحاب عمود الشعر من امثال (الأمدي، والجرجاني، والمرزوقي) قد وجدنا صداها جليا عند النقاد المحدثين؛ لشموليتها وموضوعيتها؛ وقد حاز الجانب الصوتي، واللفظي، ودورهما في موسيقية الشعر الدور الاول في نضج الآراء، وقوة تأثيرها.

من هنا؛ استخلص البحث ذلك التأثير المتوهج بين القديم في أصلته، والحديث في جدته، ولو مكنّ لمساحة البحث لناقشنا التأثير الغربي بالموارد العربية اللغوية، والنقدية؛ من ذلك (ديسوسير، وجومسكي) وتأثرهم بابن جنبي، وكذا جان كوهن؛ وتأثره بعبد القاهر، والقاضي الجرجاني. أسأل الله تعالى التوفيق؛ وأن ينعف البحث القارئ .. والله تعالى هو ولي التوفيق.

١. عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، ص ١٠٣ .
٢. شرح ديوان الحماسة لابي تمام، المرزوقي، ١ / ١٠ .
٣. ينظر، نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ٥٥-٥٦ .
٤. النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٤٣٢-٤٣٣، وينظر،  
EApoeiRationaLagvereilnlhe com pLeteTaLesaudpoams  
٩١٤-p٩١٣ .
٥. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، ص ١ .
٦. أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، د. ناصر لوحيش،  
ص ٩ .
٧. المصدر نفسه، ص ١١٣ .
٨. عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ص ٥١ .
٩. ينظر، فن الشعر، ارسطو، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ص ٣ .
١٠. ينظر، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. درويش شعلال، ص ٢١ .
١١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص ١٦١ .
١٢. نظرية الأدب، رينيه ويلك، ص ١٨٨ .
١٣. النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٤٣٠ .
١٤. المصدر نفسه، ص ٤٦٣ .
١٥. مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسن، ص ٥٩ .

١٦. الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٤١٢ .
١٧. ينظر، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، د. ناصر لوحيشي، ص ١٠٤ .
١٨. ينظر، موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ١٣٢ .
١٩. جرس الأصوات ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ١٥٩ .
٢٠. المصدر نفسه، ص ٥٦؛ اللغة الشاعرة، العقاد، ص ١٦ .
٢١. جرس الأصوات ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ١٦؛ موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٨ .
٢٢. ينظر، عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ص ١٣ .
٢٣. ينظر، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، المرزوقي، ١ / ١١-١٢ .
٢٤. جرس الأصوات ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ١٦؛ مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز، ص ١٨١ .
٢٥. عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ص ١٨ .
٢٦. الأنبياء / ١٠٤ .
٢٧. الأنبياء / ١٠٤ .
٢٨. فصلت / ١١ .
٢٩. الأنبياء / ٣٠ .
٣٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١ / ٩٢ . ي
٣١. ينظر، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٧٨-٨٧؛ شرح ديوان المتنبي، البرقوقى، ٢ / ٢٢٣، ٢٢٦ .

٣٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ١/ ٩٣؛ شرح ديوان المتنبي، ٤/ ١٣٣؛ ديوان أبي تمام، تح: د. درويش الجويدي، ٢/ ٥٩؛ والبيت يروى: تعظمت عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبل القدرألاً تنبلا
٣٣. ينظر، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والتقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ وينظر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٢/ ٢٠١، ٢/ ٤٠٢؛ شرح ديوان المتنبي، ٣/ ٧٤؛ ديوان أبي تمام، تح: د. درويش الجويدي، ١/ ١٠٢.
٣٤. القاموس المحيط، الفيروز ابادي، بإشراف نعيم العرقسوسي، مادة / طبق، ص ٩٠٢.
٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٣/ ١٧١.
٣٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ٢/ ١٢.
٣٧. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١٩٩؛ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٣/ ١٧٨.
٣٨. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٣٠؛ ديوان أبي تمام، تح: درويش الجويدي، ١/ ٣٤٨، ٢٤٦، ٢٥٣.
٣٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو رشيق القيرواني، ٢/ ٢٣، ونرى صواب رأي ابن رشيق في تعريف المقابلة، وهو ما نعتمده في تعريف المقابلة.
٤٠. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص ٦٩.
٤١. ينظر، التكرارات الصوتية في لغة الشعر، ص ٣٥.
٤٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٣/ ١٧٩.
٤٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ١٩؛ شرح ديوان المتنبي، ١/ ١٠٥.

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

٤٤. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٣٥؛ ديوان أبي تمام، ١/٢٥٨.
٤٥. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، ص ٣٣؛ وينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص ٥١.
٤٦. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ٢/ ١٩٩.
٤٧. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٢٧٠.
٤٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١/ ٣٨٥.
٤٩. المصدر نفسه، ١/ ٣٧٩.
٥٠. ينظر، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، ص ١٨٣-١٨٤.
٥١. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٦٢.
٥٢. ينظر، معجم المصطلحات البلاغية، ٢/ ٥١، ١٠٩.
٥٣. ينظر، أسرار البلاغة، ص ٢٣؛ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ص ٤٦؛ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ص ١٦.
٥٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١/ ٣٨٦-٣٨٧.
٥٥. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٨٢-٢٨٣.
٥٦. ينظر، التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٧٤-٧٥؛ ديوان أبي تمام، ١/ ٣١٣.
٥٧. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٧٤.
٥٨. معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، ٢/ ٩٨.

٥٩. الطراز الاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ص ١٩٢.
٦٠. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، ص ١٨٢.
٦١. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٧٥، ويسمي ابن أبي الاصبغ هذا النوع من التجنيس (جناس المزاوجة) وينظر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١/ ٣٨٠-٣٨١.
٦٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، ص ٢٨٤.
٦٣. المصدر نفسه، ٧/٢.
٦٤. ينظر، معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، ص ٧٠.
٦٥. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ٢/ ١٩٠؛ ديوان البحري، شرح: محمد التونجي، ٢/ ١١١٢-١١١٣.
٦٦. أسرار البلاغة، ص ١٦.
٦٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٣/ ١٩٤-١٩٥.
٦٨. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٢٦.
٦٩. ينظر، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، ٣/ ١٥.
٧٠. ينظر، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ٥/ ٣٧.
٧١. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ٨٠.
٧٢. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص ٧٣.
٧٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ١/ ٣٩٧.
٧٤. نقد الشعر، ص ٤٦-٤٧.
٧٥. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ٣/ ٤٤.

٧٦. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، ص ١١٤ .
٧٧. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ٩ .
٧٨. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، ص ٨ .
٧٩. عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح، ص ٣٩ .
٨٠. المصدر نفسه، ص ٥٣ .
٨١. المصدر نفسه، ص ٢٣٩ .
٨٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣/ ٢٣٦ .
٨٣. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، ص ١٧-١٨؛  
شرح ديوان المتنبي، البرقوقي، ٣/ ١١٥ .
٨٤. النقد الأدبي الحديث، ص ٤٣٨-٤٣٩ .
٨٥. عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ص ٨٦ .
٨٦. المصدر نفسه، ص ٦٠ .
٨٧. ينظر، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، د. ناصر  
لوحيشي، ص ٨٩ .
٨٨. ينظر، المصدر نفسه، ص ١٢٠-١٢٦ .
٨٩. المصدر نفسه، ص ١٢٦-١٢٧ .
٩٠. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. درويش شعلال، ص ٢٩-٣٠ .
٩١. لم يوضح القرطاجني معنى لفظة ( طيش ) في وصف بعض الاوزان  
الشعرية .
٩٢. ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٦٨-٢٦٩ .
٩٣. ينظر، مفهوم الشعر، ص ١٩٩-٢٠٠ .

أثر عمود الشعر في النقد الحديث

٩٤. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، ص ٣١، وينظر موسيقى الشعراء، إبراهيم أنيس، ص ١٧٧-١٧٨.
٩٥. ينظر، مفهوم الشعر عند شعراء العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية)، أ. د. يوسف طارق السامرائي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨م، ص ٦٥.
٩٦. أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص ١٠٦، وينظر، موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ١٧٦-١٨٠.
٩٧. ينظر، قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، ص ٢٢٧.
٩٨. عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ص ١١٣.
٩٩. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٤ / ١٣.
١٠٠. العصر العباسي الأول، ص ١٩٤.
١٠١. أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، د. ناصر لوحيشي، ص ٥٧.
١٠٢. الحيوان، ٣ / ١٣١.



- بعد كتاب الله ﷻ :

١. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، (٤٧١هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: أبي بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٣. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، (٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ٢٠٠٨م.
٤. أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، د. ناصر لوحيشي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
٥. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، د. رشيد شعلال، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
٦. التكرارات الصوتية في لغة الشعر، د. محمد عبد الله القاسمي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
٧. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد، (د. ط) ١٩٨٠م.
٨. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
٩. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبدة عزام، دار المعارف،

القاهرة، ط ٥، (د. ت).

١٠. ديوان أبي تمام، تح: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية- بيروت، ط ١،  
٢٠١١م.

١١. ديوان البحترى، شرح: د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي- بيروت، (د. ط)،  
٢٠١٢م.

١٢. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، المرزوقي (٤٢١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت،  
ط ١، ٢٠٠٣م.

١٣. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ٢،  
٢٠١١م.

١٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الإمام يحيى بن حمزة العلوي،  
تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٨م.

١٥. العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ١٢، (د. ت).

١٦. عضوية الموسيقى في النصّ الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار،  
الأردن، ط ١، ١٩٨٥م.

١٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، (٤٥٦هـ)، تحقيق  
د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ٢٠٠٧م.

١٨. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، د. كما لأحمد غنيم، عالم الكتب  
الحديث، الأردن، ط ١، ٢٠١١م.

١٩. فن الشعر، أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، (د. مط)، (د. ط)، ١٩٥٣م.

٢٠. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة

- الرسالة، بيروت، ط ٧، ٢٠٠٣ م.
٢١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي، و د. بدوي طباعة، دار الرفاعي، الرياض، ط ٢، (د. ت).
٢٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د. ط)، ١٩٨٦ م.
٢٣. مفهوم الشعر عند شعراء العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية)، د. يوسف طارق السامرائي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨ م.
٢٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧ م.
٢٥. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٣، ١٩٦٦ م.
٢٦. نظرية الأدب، رينيه ويلك، ترجمة محيي الدين صبحي، المطبعة الجامعية، دمشق، (د. ط)، ١٩٧٢ م.
٢٧. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر - القاهرة، ط ٨، ٢٠٠٩ م.
٢٨. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨ م.
٢٩. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، د. علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦ م.





-3-

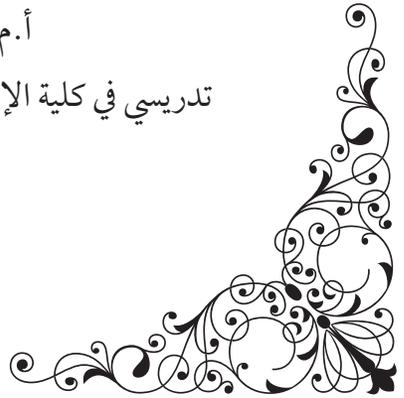
«

»

إعداد

أ.م. د داود صالح عبد الله

تدريسي في كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ الْجَامِعَةِ / كركوك





الحمد الذي خلق الانسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على من علمه شديد القوى، بالحجة والبرهان، وعلى آله وأصحابه، الذين تخرجوا في مدرسته، فكانوا على أصفى قلوب، وأفصح لسان.

أما بعد:

فإن الخطوة التي اتخذها ديوان الوقف السني في التمسك بتبعية كلية الإمام الأعظم له، وكذلك المدارس الدينية، هي خطوة على الطريق الصحيح لإنشاء جيل يحمل في يديه قارورة الدواء من أسقام الدنيا والآخرة، إلا أن كل عمل يحتاج إلى المتابعة والتقويم دائماً، لغرض الارتقاء به إلى مستوى أعلى؛ وذلك أن الطموح أمر مشروع. فكان سبب اختيار هذا العنوان (التعليم الديني في العراق، بين الواقع والطموح، المدارس الدينية، وكلية الإمام الأعظم، أنموذجاً) هو محاولة للوقوف على بعض الجوانب التي أعتقد أنها بحاجة إلى ارتقاء ليكون البناء أحكم والعمران أتم. ومن الصعوبات التي واجهتني في كتابة البحث، هو عدم وجود كتابات كثيرة في مثل هذا الموضوع، فمصادره قليلة.

وقد تضمنت الدراسة تمهيدا ومبحثين وخاتمة.

أما التمهيد فقد تضمن:

تعريف بالمصطلحات الواردة في العنوان والألفاظ ذات الصلة.

مع نبذة تاريخية، عن المدارس الدينية، وكلية الإمام الأعظم.

أما المبحث الأول: فقد تضمن الكلام عن المدارس الدينية، وفيه مطلبان:

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

المطلب الأول: واقع المدارس الدينية، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: واقع المدخلات.

المسألة الثانية: واقع التفاعلات.

المسألة الثالثة: واقع المخرجات.

المطلب الثاني: ما نطمح أن تكون عليه المدارس الدينية، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: الطموح على صعيد المدخلات.

المسألة الثانية: الطموح على صعيد التفاعلات.

المسألة الثالثة: الطموح على صعيد المخرجات.

أما المبحث الثاني: فقد تضمن الكلام عن كلية الإمام الأعظم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واقع الكلية، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: واقع المدخلات.

المسألة الثانية: واقع التفاعلات.

المسألة الثالثة: واقع المخرجات.

المطلب الثاني: ما نطمح أن تكون عليه الكلية، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: الطموح على صعيد المدخلات.

المسألة الثانية: الطموح على صعيد التفاعلات.

المسألة الثالثة: الطموح على صعيد المخرجات.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج، والتوصيات:



١- تعريف التعليم، التعليم مصدر لكلمة علم، تقول: علم يعلم تعليماً، وعلم مضاعف العين، أصله، فعل علم، بناء على ما تقدم لا بد أن نعرف العلم؛ لأنه هو المصدر. فالعلم: قال الجرجاني: (هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة).<sup>(١)</sup>

### العلم في الاصطلاح:

العلم إمّا تصور وإمّا تصديق:

فالتصور: هُوَ إِدْرَاكُ الْمَاهِيَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْكُمَ عَلَيْهَا بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ كَقَوْلِكَ الْإِنْسَانَ فَإِنَّكَ تَفْهَمُ أَوْ لَا مَعْنَاهُ ثُمَّ تَحْكُمُ عَلَيْهِ إِمَّا بِالشُّبُوتِ وَإِمَّا بِالانْتِفَاءِ فَذَلِكَ الْفَهْمُ السَّابِقُ هُوَ التَّصَوُّرُ.

والتصديق: هُوَ أَنْ تَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ أَوْ الْإِثْبَاتِ.<sup>(٢)</sup>

الديني: هي كلمة دين مع ياء النسبة، فنبداً بتعريف كلمة دين، ثم نبين معناه إذا نسبت إلى التعليم،

فالدين في اللغة: قال ابن فارس: ((دَيْنَ) الدَّالُّ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ

(١) التعريفات (ص: ١٥٥).

(٢) معالم أصول الدين (ص: ٢١).

التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

فُرُوغُهُ كُلُّهَا. وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الْإِنْتِيَادِ، وَالذَّلُّ. فَالِدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ: دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيُّ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ. (١)

الدين في الاصطلاح: (الدِّينَ هُوَ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ). (٢)

فالعلوم الدينية هي الإدراكات المنسوبة للدين الذي هو الإسلام والايان والإحسان.

تعريف الواقع لغة واصلاحاً:

الواقع لغة: والوَقْعُ: مصدر وَقَعَ الشَّيْءُ يَقَعُ وَقُوعًا فَهُوَ وَقَعٌ. (٣)

الواقع اصطلاحاً: وَقَعَ الصَّيْدُ فِي الشَّرْكِ حَصَلَ فِيهِ. (٤)

فالواقع في الاصطلاح هو الشيء الحاصل في الوجود

تعريف الطموح لغة واصطلاحاً:

الطموح في اللغة: طمَحَ بَصْرَهُ إِلَى الشَّيْءِ: ارْتَفَعَ. وَكُلُّ مَرْتَفِعٍ طَامِحٌ. وَرَجُلٌ طَامِحٌ،

أَيُّ شَرِيهٌ. (٥)

الطموح في الاصطلاح: (ط م ح): طَمَحَ بَبَصْرِهِ نَحْوُ الشَّيْءِ يَطْمَحُ بِنَفْسِهِ طَمُوحًا

وَاسْتَشْرَفَ لَهُ وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ جَبَلٌ طَامِحٌ أَيُّ عَالٍ مُشْرَفٌ. (٦)

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣١٩).

(٢) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٣١).

(٣) جمهرة اللغة (٢/ ٩٤٤).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٦٨).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣٨٨).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٣٧٨).

التعليم الديني والدراسات الإسلامية في العراق:

يُعدُّ فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد في ٢٥ محرم سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م أول عهد بإنشاء « المدارس » حيث بنيت أول مدرسة في العراق في عصر الوزير نظام الملك، وزير السلطان السلجوقي الب أرسلان ، وعرفت باسم « المدارس النظامية». وقد اقتدى الناس به حينذاك في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة «منطقة الموصل» وديار بكر ومن ثم في مصر وبلاد الشام وغيرها من الأمصار الإسلامية. وبتأسيس «المدرسة النظامية» صار الناس يشعرون بصبغة حكومية، وتقدم أهل الخير لهذه المشاريع ، فتكونت ثقافة لا تراحم، أما هذه المدارس فقد كانت اشبه شيء بالمساجد إلا أنَّ الوجهة الثقافية فيها عالية .

كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ الجامعة:

\* أما كلية الإمام الأعظم ففي سنة ٤٥٩هـ، ١٠٦٧م تم إنشاء مدرسة الإمام أبي حنيفة، وهي أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العراق، وأصبحت محط أنظار العلماء وطلاب العلوم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي آنذاك. وظلت متواصلة في عطائها العلمي عبر القرون اللاحقة.

قال ابن خلكان: وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة، وبنى عنده

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

مدرسة كبيرة للحنيفة.<sup>(١)</sup>

\* قبيل الحرب العالمية الأولى تم تخطيط كلية العراق الإسلامية المعروفة بـ(الكلية الأعظمية) وافتتحت نهار الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ الموافق ١٦ أيار ١٩١١م وانتظمت الدراسة فيها حتى قيام الحرب العالمية الأولى وفي ١٩٢٣م صدر الأمر من الحكومة آنذاك بإعادة (الكلية الأعظمية) وجعلها تابعة لديوان الأوقاف وصارت أكبر مدرسة في العراق ونالت شهرة واسعة بين المعاهد العالية.

\* وفي سنة ١٩٦٧م صدر القانون رقم ٣٨ وبموجبه أُسست (كلية الإمام الأعظم) من جديد وهي تابعة للأوقاف لتعاود المسيرة. ثم جرت تغييرات ، ففي سنة ١٩٧٤م صدر قرار إلغاء التعليم الأهلي، معتبراً الأوقاف جهة أهلية فأتمت هذه الكلية وألحقت بوزارة التعليم العالي مباشرة .

\* وبصدور القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٨٥م والذي يقضي بتأسيس المعهد الإسلامي العالي لإعداد الأئمة والخطباء يرتبط بوزير الأوقاف والشؤون الدينية ويكون مقره في بناية كلية الإمام الأعظم المجاورة لجامع الإمام أبي حنيفة ، فتح الأمل مجدداً بمعاودة الكلية لممارسة دورها العريق في خدمة العلم الشرعي.

\* واستقر الأمر في العام ١٩٩٧م بصدور القانون رقم (١٩) القاضي بتأسيس كلية إسلامية في بغداد ترتبط بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية لإعداد الأئمة والخطباء ولها حق فتح أقسام في المحافظات ونصت المادة رقم (٢١) من القانون المذكور الفقرة الثانية (يطبق قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وقانون الخدمة الجامعية فيما لم يرد به نص خاص في هذا القانون).

(١) وفيات الأعيان (٥ / ٤١٤)

\* وفي العام ٢٠٠٣م اجتمعت الهيئة التدريسية وقررت إعادة اسمها الأول (كلية الإمام الأعظم) لتعاود هذه المؤسسة العلمية البارزة دورها في خدمة الإسلام وأهل العلم في بلد الحضارات العراق الأشم.<sup>(١)</sup>

أما المبحث الأول: فقد تضمن الكلام عن المدارس الدينية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واقع المدارس الدينية، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: واقع المدخلات. ويكون الكلام فيه عن العدد ثم النوع:

١- العدد: إن العدد الكبير الذي تحويه المدارس الدينية من الطلبة، له أثره السلبي

على عدة مستويات، سواء العلمية أم التربوية أم الإدارية أم على الخطة العامة للتعليم:

- فعلى صعيد المستوى العلمي: فقد كان للعدد التزايد الأثر الكبير في تدني المستوى

العلمي، من عدة جهات:

أولاً: المؤسسة التي تريد أن تستقبل أعداداً كبيرة، لا بد أن يؤثر ذلك على التغاضي عن

الشروط المطلوبة، التي يعتمد عليها المستوى العلمي، فقاعدة تركيز لا تكاثر، هي قاعدة

لها أهميتها في الحصول على النوعية المنشودة، ضمن قواعد التخطيط.

- على صعيد المستوى التربوي: بسبب الأعداد الكبيرة التي تضمها الثانويات الإسلامية

من الطلبة ضعفت المتابعة التربوية للطلبة، سواء خلال الدوام الرسمي أم بعده.

- على صعيد المستوى الإداري.

- على صعيد مستوى الخطة العامة.

٢- النوع: لا شك أن النوع له أهميته في النهوض بمستوى أي مؤسسة تريد الإرتقاء

بمخرجاتها، وهو هدف من أهداف كليتنا، ولا ريب أن الكثرة في أي مشروع في الحياة

(١) رشيد الخيون، المذاهب والأديان في العراق، ص ٢٤٣

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

تكون على حساب النوع، وهما على الأغلب متضادان، لا يجتمعان وقد يرتفعان، ولما كان العدد هدفا من أهداف التعليم الإسلامي، -بدليل كثرة عدد المدارس، حتى وصل الحال إلى أنه بين ثانوية إسلامية وأخرى خمس خمسمائة متر- كان ذلك لا محالة على حساب النوع، فلو استطاع التعليم الإسلامي أن يخطو خطوة جريئة، ويعمل على تقليص عدد الثانويات إلى الخمس، ستكون تلك الخطوة هي الحرف الذي سيكتب به برنامج الإرتقاء بالتعليم الإسلامي في العراق؛ لأن هذه الخطوة سيكون لها أثر على الإرتقاء بالمستوى العلمي على صعيد المخرجات في الثانويات الإسلامية، وعلى مستوى المدخلات في كلية الإمام الأعظم؛ وذلك للارتباط الوثيق بين الثانويات الإسلامية وكلية الإمام الأعظم. المسألة الثانية: واقع التفاعلات: ويكون الكلام فيه عن المنهج، ثم المدرس، ثم الرعاية العامة:

- ١- المنهج: هناك عدة نقاط، تتعلق بالمنهج يمكن إعادة النظر فيها، وهي كالاتي:
  - كثرة عدد الدروس الذي يصل في بعض المراحل إلى ثلاث عشرة مادة.
  - وجود مناهج على الأسلوب القديم، الذي يعتمد صعوبة العبارة، والذي يكون له الأثر الكبير على حساب الحصول على المادة العلمية، والطالب في هذه المرحلة غير مؤهل لهذا المستوى.
  - المنهج غني مؤهل للطالب للدخول إلى الجامعات، باستثناء كلية الإمام الأعظم، والذي طلب من الكلية أن يكون مؤخرا أن تكون ٧٠٪ من مدخلاتها من العلمي والادبي في الدراسة الصباحية، و ٩٠٪ في الدراسة المسائية.
- ٢- المدرس: يمكن ملاحظة عدة نقاط تعد عامل ضعف في المدرس، وهي كالاتي:
  - الاعتماد الكلي في نقل المعلومة رفع للطالب على الجانب التلقيني.
  - غياب الجانب العملي كليا في أسلوب التدريس.

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

- غياب المعنى الروحي في الجانب التعليمي.
- غياب الجانب التطويري للمدرس.
- ٣- الرعاية العامة: يمكن تسجيل عدة جوانب، قد غابت عن اسلوب التعليم للطلاب، وهي كالآتي:
  - غياب المحضن التربوي للطلاب، خلال الدوام الرسمي وبعده.
  - غياب العلاقة الأبوية بين الأستاذ.
  - غياب الحلقات التعليمية، التي يمكن للطلاب الالتحاق بها بعد الدوام الرسمي.
- المسألة الثالثة: واقع المخرجات: ويكون الكلام فيها عن مجالات الدراسة، ثم مجال إشغال الوظائف.
- ١- مجالات الدراسة: هناك أزمة كبيرة يمر بها خريجو الثانويات الإسلامية، بعد تخرجهم، وهي كالآتي:
  - عدم وجود كليات تستقبلهم، سوى كلية الإمام الأعظم، والآن أصبح هناك تضيق عليهم، بحسب توجيهات وزارة التعليم العالي.
- ٢- مجالات إشغال الوظائف:
  - عدم وجود تنسيق بين دائرة التعليم الإسلامي، ودائرة المؤسسات، لغرض حجز الدرجات الوظيفية المتوفرة في المؤسسات لخريجي الثانويات الإسلامي، لمن يرغب بالتعيين بعد الثانوية.
- المطلب الثاني: ما نطمح أن تكون عليه المدارس الدينية، وفيه ثلاث مسائل.
- المسألة الأولى: الطموح على صعيد المدخلات: ويكون الكلام فيه العدد، ثم عن النوع.
- ١- العدد: تقليص عدد الثانويات الاسمية إلى الخمس، مما يساعد على احتواء أعدادهم، سواء على صعيد التفاعلات، أم المخرجات.

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

٢- النوع: من الضروري التأكيد على النوع، ووضع الخطط اللازمة له، فهو القاعدة واللبنة الأولى التي يقام عليها بناء المؤسسة التعليمية، ويكون ذلك عبر وضع آلية تضمن قبول الطالب الذي يتمتع بصفتين مهمتين، تكونان عامل أساسي في إخراج الفرد المسلم الذي يكون صالحاً لأن يعطي الصورة الحقيقية عن هذه المؤسسة.

المسألة الثانية: الطموح على صعيد التفاعلات: ويكون الكالان فيها عن المنهج، ثم المدرس، ثم الرعاية العامة.

١- المنهج: يكون النظر في المنهج من خلال النقاط الآتية:

- تضمين المنهج جميع دروس الثانويات الأكاديمية، مع زيادة مادتين من المواد الدينية في كل مرحلة، ويأتي تفصيل ذلك في ملحق، إضافة إلى إنشاء محضن تربوي للطلبة، عن طريق الإقسام الداخلية التي سيكون لدينا الملاكات الكافية، لرعاية هؤلاء الطلبة خارج الدوام الرسمي.

- بعد الثالث المتوسط يمكن تقسيم الدراسة إلى فرعين، العلمي والأدبي.

- الحصول على موافقة وزارة التربية بأن يؤدي طلبة الثانويات الإسلامية امتحان البكلوريا - الثالث المتوسط - والسادس الإعدادي - مع طلبة الثانويات التابعة لوزارة التربية.

- بناء على ما تقدم يمكن الحصول على موافقة وزارة التربية بأن يدخل طلبتنا ضمن الانسيابية للقبول العام في الجامعات العراقية، فيقبل الطالب بناء على ذلك في الكلية التي يؤهله لها معدله، مثل أقرانه من خريجي الفرعين العلمي والأدبي.

- المادتان اللتان تضافان إلى المنهج، تقتصران على الكتب المؤلفة بالأسلوب الحديث؛ لأنَّ الهدف من خريجي الثانويات الإسلامية هو ليس تخريج عالم بالعلوم الشرعية على الأسلوب القديم، وإنما هو إخراج الفرد المسلم المثقف بالثقافة الإسلامية، الذي يتمتع

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

بالسلوك الحسن، والأخلاق الحميدة، والثقافة الإسلامية، التي تجعله فردا قادرا على أن يكون الوجه الذي يمثل الإسلام، من خلال تغلغله في كافة مجالات الحياة، والتي تؤهله لها الكليات المتنوعة التي ستكون مفتوحة أمامه، أما تنشئته عالما فقد يكون هدفا من أهداف خريجي البكالوريوس أو ما هو أعلى مستوى منها.

- يعطى للأسلوب العملي في مرحلة التعليم الثانوي دورا أكبر، ولا يقتصر النهج على اسلوب القراءة والتلقين فقط.

٢- المدرس: دعم المدرس والإرتقاء بمستواه العلمي والتربوي والمعاشي، عبر سلسلة من الخطوات التالية:

- إقامة الدورات العلمية للأساتذة كل بتخصصه، خلال العطلة الصيفية، ووضع إجراءات تشجيعية للمشاركين اللذين تبين لهم مستويات عالية في اختصاصهم، كالمكافئة المادية، أو كتب الشكر، أو الإيفاد.

- تشكيل لجنة خاصة بإدارة البحوث التي يكلف بها التدريسيون، والتي تتعلق بتطوير المناهج الدراسية، أو اسلوب عرضها، مع وضع إجراءات تشجيعية عليها كذلك.

- توسيع دائرة الإيفادات لمدرسي الثانويات الإسلامية، يوجد مدرسون لم يشملوا بالإيفاد مع خدمة خمس سنوات لأهمهم، في حين سائق في الدائرة، يوفد أربع مرات خارج العراق. وكذلك كتب الشكر، هو محروم منها.

٣- الرعاية العامة: يمكن وضع نقاط معينة، لغرض النهوض بمستوى الطالب، على صعيد الرعاية العامة، وهي كالاتي:

- إيجاد قسم داخلي للطلبة، يتسنى من خلاله وضع البرامج العلمية والعملية، للارتقاء بمستوى الطالب، ومما يساعد على تحقيق ذلك هو الكم الذي سيتوفر لدينا من الأساتذة، والأبنية، من خلال تقليص عدد المدارس إلى الخمس.

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

- يمكن تكليف طلبة كلية الإمام الأعظم، بوظيفة (الأذان والقراءة والإمامة) حال دخولهم في الكلية، براتب مقطوع قدره مئتا ألف دينار أو أكثر، بحسب ما تسمح به الميزانية، والتراتب الإدارية، وتكون التكاليفات في المساجد حصراً على طلبة الكلية والثانويات الإسلامية، لغرض ممارسة مهامهم خلال دراستهم، كما هو معمول به في كلية الطب، الذي يمارس الطالب عمله في المستشفيات وهو في مرحلة الدراسة.

المسألة الثالثة: الطموح على صعيد المخرجات: ويكون الكلام فيها عن مجالات الدراسة، ثم عن مجال إشغال الوظائف.

### ١- مجالات الدراسة:

- تخريج طلبة على مستوى من السلوك والأخلاق، والثقافة الإسلامية، التي تؤهله لإعطاء الصورة الحقيقية عن الإسلام.

- أن تكون المجالات مفتوحة أمام طلبتنا، للدخول للكلية التي يؤهله لها معدله، بلا استثناء.

٢- مجالات إشغال الوظائف: الذي نطمح إلى تحقيقه هو التنسيق بين دائرة التعليم الإسلامي، ودائرة المؤسسات، لغرض حجز الدرجات الوظيفية المتوفرة في المؤسسات لخريجي الثانويات الإسلامي، لمن يرغب بالتعيين بعد الثانوية، على وظيفة إمام، أو قارئ، أو خادماً ومؤذن، وهذه الخطوة تحقق هدفين كبيرين مطلوبين، لهما الأثر الكبير في دعم: أولاً: طلبة الثانويات، لأنَّ هذه الخطوة تُعدُّ حافزاً كبيراً للحصول على مدخلات جيدة. ثانياً: مستوى العاملين في المساجد: خريجو الثانويات الإسلامية أولاً بإشغال هذه الوظائف؛ لأنهم درسوا الشريعة ست سنوات، فهم أولى بها ممن ليس له هذه المؤهلات، وواقع مساجدنا يحكي لنا قصة ضعف كبير ممن يتقلدون هذه الوظائف.

أما المبحث الثاني: فقد تضمن الكلام عن كلية الإمام الأعظم، وفيه مطلبان:

:

:

المسألة الأولى: واقع المدخلات: والكلام فيه عن العدد، ثم عن النوع.

١ - العدد: إنَّ عدد مدخلات في أي مؤسسة من المؤسسات، يتناسب مع الأهداف التي تبناها تلك المؤسسة، فالهدف الذي وضعتة الكلية، لا يحتاج إلى تحقيقه لهذه الأعداد الكثيرة، والتي هي على حساب النوع.

٢ - النوع: للنوع أهمية كبيرة في تحقيق الأهداف التي وضعتها كلية الإمام الأعظم لخرجيها، لكن كثرة عدد الثانويات الإسلامية، والتي تحوي على أعداد كثيرة من الطلبة، الذين يواجهون مشكلات بعد تخرجهم في هذه المدارس، فلا منفذ لهم إلا كلية الإمام الأعظم، والتي مهما توسعت في القبول، ومهما تجاوزت كثيرا من الشروط التي لها الأثر الكبير في ضعف المستوى العلمي، لخرجي الكلية، فالكلية مع كل هذا غير قادرة على استيعاب جميع خريجي المدارس الدينية، فلا بد من وضع خطة للحد من الأعداد الكثيرة التي تستقبلها الكلية سنويا، وهي لا محالة على حساب النوع.

المسألة الثانية: واقع التفاعلات: ويكون الكلام فيها عن المنهج، ثم المدرس، ثم الرعاية العامة.

١ - المنهج: يمكن تناول مسألة المنهج والنقاط التي تسجل عليه عبر الخطوات الآتية:

- كثرة عدد الدروس.

- التغيير المتكرر، والمتتالي للمناهج.

- عدم وجود لجنة متفرغة لمتابعة المناهج.

- الأسلوب التقليدي في عملية الإلقاء، وعدم الاستفادة من الوسائل الحديثة.

٢ - المدرس: يمكن تسجيل بعض النقاط فيما يخص المدرس، وهي كالآتي:

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

- عدم توفر الأساتذة المتخصصين في بعض المواد، كالفكر الإسلامي، والمنطق، وعلم النفس، وطرق التدريس، وأصول البحث العلمي، وحقوق الإنسان، والحرية، وغيرها.  
- عدم وجود لجنة متفرغة متخصصة لمتابعة تطوير المدرس.

- عدم تطبيق التعليمات ذات العلاقة بتطوير المدرس، كتحويل التدريسي الذي لا يحصل على الترقية بضعف المدة المحددة قانونياً، وكذلك عدم تطبيق التعليمات التي تشجع التدريس الذي يحصل على الترقية ضمن المدة الأصغرية.

٣- الرعاية العامة: يمكن ملاحظة عدة نقاط يكون من خلالها تشخيص ضعف الرعاية العامة للطلبة، علمياً وتربوياً ومعنوياً ومادياً، وهي كالآتي:

- عدم متابعة الطلبة في الدروس العلمية خارج الدوام الرسمي.

- عدم وجود المحضن التربوي للطلاب في القسم الداخلي.

- عدم وجود المتخصصين القادرين على رفع معنويات الطالب ودفعه إلى الأمام.

- عدم وجود آلية لدعم الطالب مادياً.

المسألة الثالثة: واقع المخرجات: ويكون الكلام فيها عن مجالات الدراسة، ثم مجالات إشغال الوظائف.

١- مجالات الدراسة: يمكن ملاحظة عدة نقاط، لها أثر في ضعف المستوى العلمي، وهي كالآتي:

- الأعداد الكبيرة، التي يتم قبولها، في الدراسات العليا، على حساب النوع.

- الاستثناءات الكثيرة من الشروط الموضوعية لطلاب الدراسات العليا، وهذا أيضاً

على حساب النوع.

٢- مجالات إشغال الوظائف: يمكن تسجيل عدة نقاط لها أثرها السلبي على صعيد

إشغال الوظائف.

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

- عدم وجود تنسيق بين الكلية ودائرة المؤسسات، للحصول على الوظائف الدينية والتدريسية التي تتوفر في الديوان.

- عدم وجود تنسيق مع وزارة التربية، للحصول على عدد من المقاعد، لتعيين خريجي كليتنا، علماً أنّ كليتنا لديها كتاب من وزارة التعليم العالي موجه لوزارة التربية، بأنّ كليتنا تخرج تدريسيين.

:

.

المسألة الأولى: الطموح على صعيد المدخلات: ويكون الكلام فيها عن العدد، ثم

النوع.

١- العدد: أن تقتصر الكلية على ثلاثة أقسام، قسمان شرعية ( الفقه وأصوله، وأصول الدين) إضافة إلى قسم (اللغة العربية) في بغداد ونيوى والأنبار وكركوك، في كل قسم خمسون طالباً، فتكون حصة كل محافظة مئة وخمسين طالباً، يتحصل لنا مجموع القبول الكلي في جميع المحافظات، ستمئة طالب.

٢- النوع: لما خطونا الخطوة الأولى وقمنا بتقليص عدد الثانويات الإسلامية، وجعلنا الأبواب مفتوحة أمام طلبة الثانويات الإسلامية للكليات والمعاهد العراقية، أصبحت الكلية غير ملزمة بقبول العدد الكبير على حساب النوع، وإنما سنركز على النوع، سواء من خريجي الثانويات الإسلامية أم من العلمي والأدبي.

المسألة الثانية: الطموح على صعيد التفاعلات: ويكون الكلام فيها عن المنهج، ثم

المدرس، ثم الرعاية العامة.

١- المنهج:

- تشكيل لجنة دائمة، ومتفرغة، للعمل على خدمة المناهج، مع توفير الدعم الكامل،

التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

والصلاحيات الواسعة.

- الإلتزام بالضوابط الواردة في وزارة التعليم العالي، والمتعلقة بالمدة المحددة لتغيير أي منهج.

- الاستفادة من الوسائل الحديثة، التي خدمت التأليف والطباعة والتنسيق.

- تحويل المناهج في الكلية إلى نظام البور بوينت، ويكون التدريس من خلال الشاشة الذكية، مما يسهل عملية العطاء من قبل الأستاذ، والتلقي من قبل الطالب.  
٢- المدرس:

- تشكيل لجنة دائمة ومتفرغة، للعمل على تطوير الأساتذة، وتطبيق تعليمات وزارة التعليم العالي المتعلقة بتشجيع الأستاذ المتميز، وما وضعته من تعليمات متعلقة بالأستاذ الذي لا يتماشى مع التطور والإبداع.

- إنشاء مركز للتطوير في الديوان، ويكون للكلية فيه النصيب الأوفر في العمل، وإن كان موجودا نعمل على تفعيله.  
٣- الرعاية العامة:

- إقامة الدروس العلمية للطلبة خارج الدوام الرسمي، في القسم الداخلي.  
- إقامة المحاضن التربوية للطلبة، عن طريق الصحبة، بعد الدوام الرسمي، في القسم الداخلي.

- يمكن رفع معنويات الطالب، عن طريق أساتذة متخصصين، في علم النفس، الذي يبصر الإنسان بقدراته التي يملكها، وتشجيعه، بدلا من أسلوب التعنيف، وانتقاد الطالب، وإلقاء اللوم عليه، ولطالما سمعنا ممن يدرسوننا يقولون: كنا وكنا، ويعددون لنا بطولات وملحمت قد سطروها، وفي الوقت نفسه إذا رأى من الطالب أي إبداع فهو قادر وكفيل بقتل هذا الإبداع، وأكثر ما يتمثل هذا بالمناقشات في الدراسات العليا.

- يمكن تكليف جميع طلبة كلية الإمام الأعظم، بوظيفة الإمامة، أو الخدمة والأذان، أو القراءة والأذان، بالمساجد بمبلغ مقطوع قدره مئتا ألف دينار  
المسألة الثالثة: الطموح على صعيد المخرجات.

١- مجالات الدراسة:

- تحديد أعداد القبول في الدراسات العليا، بأعداد أقل مما هي عليه الآن.
- وضع آلية للقبول تكفل قبول أصحاب المعدلات العالية، في الدراسات العليا.
- ٢- مجالات إشغال الوظائف: نطمح إلى وضع آلية وتنسيق مع دوائر الديوان عموماً، وعلى وجه الخصوص، دائرة المؤسسات الإسلامية والخيرية، ودائرة التعليم الإسلامي، ودائرة البحوث والدراسات، للحصول على الوظائف التي تتوفر لديهم، وتناسب مع خريجي كليتنا ليكونوا موظفين في هذه الدوائر.



وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي، فضلاً عن بعض التوصيات.  
النتائج على صعيد التعليم الديني:

١- تقليص عدد الثانويات الإسلامية، إلى الخمس أو أكثر، أي دمج كل خمس ثانويات أو أكثر بوحدة.

٢- تضمين المنهج جميع دروس الثانويات الأكاديمية، مع زيادة مادتين من المواد الدينية في كل مرحلة، ويأتي تفصيل ذلك في البحث، إضافة إلى إنشاء محضن تربوي للطلبة، عن طريق الإقسام الداخلية التي سيكون لدينا الملاكات الكافية، لرعاية هؤلاء الطلبة خارج الدوام الرسمي.

٣- بعد الثالث المتوسط يمكن تقسيم الدراسة إلى فرعين، العلمي والأدبي. الحصول على موافقة وزارة التربية بأن يؤدي طلبة الثانويات الإسلامية امتحان البكلوريا - الثالث المتوسط - والسادس الإعدادي - مع طلبة الثانويات التابعة لوزارة التربية.

٤- بناء على ما تقدم يمكن الحصول على موافقة وزارة التربية بأن يدخل طلبتنا ضمن الانسيابية للقبول العام في الجامعات العراقية، فيقبل الطالب بناء في الكلية التي يؤهله لها معدله، مثل أقرانه من خريجي الفرعين العلمي والأدبي.

٥- للراغبين في إتمام دراستهم في كلية الإمام الأعظم، يمكن لهم ذلك من خلال التقديم الخاص.

٦- يكون الهدف في التعليم الثانوي، تنشئة جيل إسلامي، من خلال الأساليب العملية، أكثر من المادة العلمية، التي سنكتفي بإضافة مادتين على منهج الثانويات الأكاديمية.

## التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

٧- يمكن حجز بعض الوظائف ( خادم ومؤذن وقارئ ومؤذن - وإمام ) للطلبة الذين يرغبون بالتعيين بعد تخرجهم من الثانوية، وكل ما يتوفر من وظائف تكون خاصة لهم.

رَحْمَةُ اللَّهِ

:

١- تقليص عدد أقسام الكلية، إلى ثلاثة أقسام في كل من (بغداد والموصل والأنبار وكركوك).

٢- يقبل في كل قسم خمسون طالبا، يقسم بين البنين والبنات بحسب الحاجة، فيكون عدد طلبة كل محافظة من المحافظات الأربعة، مئة وخمسين طالبا، فيكون العدد الكلي للطلبة ست مئة طالب سنويا.

٣- تحويل المناهج في الكلية إلى نظام البور بوينت، ويكون التدريس من خلال الشاشة الذكية، مما يسهل عملية العطاء من قبل الأستاذ، والتلقي من قبل الطالب.

٤- يمكن تكليف طلبة كلية الإمام الأعظم، بوظيفة (الأذان والقراءة والإمامة) حال دخولهم في الكلية، براتب مقطوع قدره مئتا ألف دينار أو أكثر، بحسب ما تسمح به الميزانية، والتراتب الإدارية، وتكون التكاليفات في المساجد حصرا على طلبة الكلية والثانويات الإسلامية، لغرض ممارسة مهامهم خلال دراستهم، كما هو معمول به في كلية الطب، الذي يمارس الطالب عمله في المستشفيات وهو في مرحلة الدراسة.

٥- يقسم خريجو كلية الإمام الأعظم إلى أقسام، فالذين حصلوا على معدل أكثر من ثمانين يدخلوا الدراسات العليا، أما ما دون ذلك فتكون الوظائف الدينية المتوفرة في ديوان الوقف السني حصرا لهم.

٦- يمكن مفاحة وزارة التربية، لحصول الموافقة على تعيين عدد من خريجي كليتنا في

التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

مدارس وزارة التربية، ولدينا كتاب من وزارة التعليم العالي، ينص على أن كليتنا تخرج تدريسي التربية الإسلامية واللغة العربية.

:

أقترح عددا من التوصيات التي توصلت إلى أنها ضرورية، للنهوض بواقع التعليم الديني والكلية، في العراق:

١- أوصي بتشكيل لجنة مشتركة دائمة ومتفرغة من المؤسساتين، للعمل على وضع آلية خاصة بتنفيذ ما تتوصل إليه من قرارات ضرورية، لدعم التعليم، والإرتقاء به، إلى مستوى الطموح.

٢- تشكيل لجنة لجرد الحجج الوقفية الخاصة بالعلوم الشرعية وطلبتها والمدارس والكليات الشرعية، في دائرة استثمار أموال الوقف السنوي، لا سيما ما يتعلق بالطلبة، ووضع اليد عليها، وصرفها في وجوهها المشروعة، ضمن ضوابط خاصة، توضع لذلك.



- بعد القرآن الكريم:

- ١- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- ٣- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحى الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥- المذاهب والأديان في العراق، رشيد الخيون،
- ٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين

التعليم الديني في العراق بين الواقع والطموح

(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر

عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨- معالم أصول الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي

الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد

الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان.

٩- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن

إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان

عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.





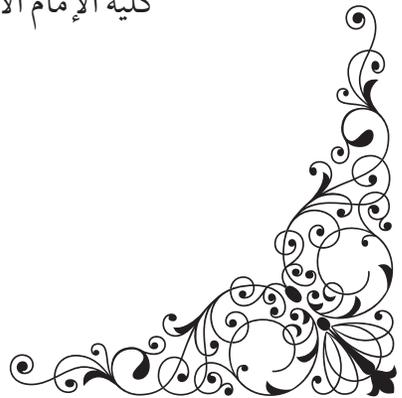
-4-

إعداد

أ.م.د مهند محمد صبيح

رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ الْجَامِعَةُ / بغداد





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
أما بعد: فإن من أعظم ما تُقرب به إلى الله تعالى التفقه في دينه، والانشغال به: تعلماً، وتعليماً، وكتابةً، ودعوةً، وعملاً.

وقد ندب الله تعالى المؤمنين إلى أن ينفروا منهم (طائفة)؛ ليتفقهوا في الدين، ويُفقهوا فيه غيرهم، قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)<sup>(١)</sup>.  
ومدح النبي ﷺ المتفقهين في الدين، فقال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(٢)</sup>.  
كما بين ﷺ أن المعدن السليم الكريم لا يكفي للخيرية والسؤدد -في الإسلام- حتى ينضم إليه الفقه في الدين؛ فقال: «الناس معادن، خيارهم في الجاهلية؛ خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء البحث على وفق الخطة الآتية :

مقدمة ومبحثان:

المبحث الأول: التجديد في الفقه الإسلامي، ويتضمن ثلاثة مطالب :

(١) سورة التوبة: آية / ١٢٢.

(٢) صحيح البخاري: باب العلم قبل القول والعمل، (١ / ٢٤)، رقم (٧١)، و صحيح مسلم، باب النهي عن المسألة (٢ / ٧١٨)، رقم (١٠٣٧).

(٣) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين}، (٤ / ١٤٩)، رقم (٣٣٨٣)، و صحيح مسلم، باب الارواح جنود مجنودة، (٤ / ٢٠٣١)، رقم (٢٣٧٨).

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

المطلب الأول: التعريف بالفقه لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: التعريف بالتجديد الفقهي

المطلب الثالث: مشروعية التجديد الفقهي

المطلب الرابع: ضوابط التجديد الفقهي .

المبحث الثاني: الإمام أحمد وأثره في التجديد الفقهي، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: نبذة عن حياة الامام.

المطلب الثاني: صفات المجدد متحققة في الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ :

المطلب الثالث: التجديد الفقهي عند الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ:

المطلب الرابع: أصول مذهب الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ:

ثم الخاتمة: وفيها أهم نتائج التي توصلت اليها من البحث .

هذا والله تعالى أسأل أن يوفقني للسداد في القول والعمل وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم .



\* ويتضمن ثلاثة مطالب:

:

أولاً: الفقه لغةً: يعني: الفهم والعلم أي الفهم مطلقاً .  
وفي لسان العرب: الفقه، العلم بالشيء، والفهم له . والفقه: الفطنة: فقّهت الشيء أفقّهه، وكل علم بشيء فهو فقه، وتطلق كلمة الفقه على معان أخرى منها:  
فهم غرض المتكلم من كلامه<sup>(١)</sup>.  
الفهم الدقيق، كما في قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾<sup>(٢)</sup>، أي: ما نعلم حقيقة ما تخبر به .  
ثانياً: الفقه اصطلاحاً: عرف الفقه بتعريفات كثيرة ومن أحسنها:  
قول الإمام أبي حنيفة - رحمه الله -: الفقه معرفة النفس مالها وما عليها<sup>(٣)</sup>.  
وعرفه الأمدى بقوله: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية<sup>(٤)</sup>

(١) لسان العرب: ٢ / ٤٧٠ .

(٢) سورة هود: آية / ٩١ .

(٣) المنشور في القواعد: ١ / ٦٨ .

(٤) الأحكام في أصول الأحكام للأمدى: ١ / ٢٢ .

### أولاً: التجديد لغةً:

تجدد الشيء يعني صار جديداً، وجدده أي صيّرهُ جديداً. والجديد نقيض البالي. فيقال «بلى بيت فلان ثم أجد بيتاً من شعر» أي أعاد بناءه. ويقال «جدد الوضوء» أي أعاده، «وجدد العهد» أي كرّره وأكدته<sup>(١)</sup>.

ولقد استعمل مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي أخذاً من الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»<sup>(٢)</sup>. والمراد بتجديد الدين: إحياء معالمه العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: التجديد اصطلاحاً: هو كما عرفه الدكتور يوسف القرضاوي حيث قال: «إنَّ التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد. وذلك بتقوية ما وهب منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى»<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب، ٣/ ١١١، تاج العروس: ٢ / ٣١٤، القاموس المحيط: ١ / ٣٤٦، المصباح المنير: ١ / ٩٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ٦/ ٣٤٩، برقم ٤٢٧٠

(٣) مفهوم تجديد الدين، لبسظامي محمد سعيد، ط ١ (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤م): ص ٣

(٤) ينظر: «تجديد الدين في ضوء السنة»، ليوسف القرضاوي، بحث في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (جامعة قطر: العدد ٢، ١٩٨٧م) ص ٢٩.

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

وعرفه جمال سلطان بقوله: «إنَّ التجديد في مجال الفكر، أو مجال الأشياء على السواء، هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلى أو قدم إلى حاله الأولى»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: التجديد الفقهي: هو جودة الفهم، والاستنباط، والابتكار في تنزيل النص الواقع طوعاً للقواعد المنجية المعروفة في أصول الفقه<sup>(٢)</sup>.

وهو بذلك لا يعني التخلص من القديم وهدمه، وإنما يعني الاحتفاظ به، وإدخال التحسين عليه، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم أن نشأ، وتنميته بأساليبه التي أثمرت تلك الثروة الفقهية، التي تعتز بها الأمة الإسلامية في كل عصر، دون المساس بخصائصه، وطابعه، وبهذا المعنى يجمع منهج التجديد الفقهي بين ثبات الأصول، وتطور الفهم والاجتهاد والتطبيق، فمن توافرت لديه الموهبة، أو الملكة الفقهية التي تجعل عنده القدرة على دراسة منهج النصوص في تقرير الأحكام، ومعرفة الوسائل من حيث كيفية الأخذ بها في الاستنباط .



---

(١) تجديد الفكر الإسلامي، لجمال سلطان، ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٢هـ: ص ١٣.  
(٢) الفقه بين الأصالة والتجديد د/ القرضاوي ص ٢٢، التجديد في الفقه الإسلامي د. الدسوقي: ص ٤٧.

تجديد الدين بصفة عامة، والفقهاء بصفة خاصة سنة من سنن الإسلام، فقد أمر الله به في القرآن المجيد، ودعا إليه النبي ﷺ في السنة الشريفة ومن ذلك ما يأتي:

من الكتاب المجيد: قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾<sup>(١)</sup>.

وجه الدلالة: في الآية دلالة على: وجوب التفقه في الدين، وهي وإن كانت وردت على سبب نزول خاص إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر أصولاً، فتضع على الأمة مسؤولية التفقه في الدين؛ لمواجهة مشكلاتها المتجددة والمتطورة. ومن السنة قول رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجد لها أمر دينها»<sup>(٢)</sup>.

يدل الحديث على أن التجديد سنة إلهية للأمة المحمدية، ولا يخلو عصر من المجددين؛ لكي ينفوا عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.<sup>(٣)</sup>

والعلماء متفقون على أن كل عصر لا يخلو من مجتهد، أو مجدد لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التوبة: آية / ١٢٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ٣ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١١ / ٢٦١ .

(٤) صحيح البخاري كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

ومن المعقول: أنّ الحاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر؛ لمواجهة المشكلات التي تستجد في مختلف العصور، ومن أجل تجديد الدين في النفوس، وهداية الناس، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم.<sup>(١)</sup>



---

القمر، ١٠١/٩، رقم ٧٣١١، وصحيح مسلم كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ): ٣ / ١٥٢٣ .  
(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي، تقديم د/ حمدي زقروق: ص ٤ - ٥ .

لما كان الهدف من تجديد الفقه هو مساندة التطور الاجتماعي والحضاري، فإن ذلك التجديد ليس على إطلاقه، ولكن له حدود وضوابط، لا يجوز العدول عنها؛ حتى لا ينقلب إلى ضده ويكون تغييراً، أو تبديلاً، أو تحريفاً، أو إتباعاً للهوى، وكل ذلك منهي عنه، حتى يكون التجديد مؤدياً الغرض منه يجب أن يكون مضبوطاً بالضوابط الآتية: أن يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد .

أن يكون وثيق الصلة بواقع المسلمين، ومن ثم يكيف الواقع على ضوء النص.<sup>(١)</sup>

كما يلزم فيمن يقوم بمهمة التجديد أمران :

١- معرفة مقاصد الشريعة، وآراء العلماء من قبل .

٢- معرفة أحوال الناس، وأعرافهم، وتقاليدهم، ومتابعة ما يطرأ على هذه الأحوال

من تغير لا بد أن تستجيب له الفتوى .

الضابط الأول: أن يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان دليلاً ظنيّاً من

الأحكام<sup>(٢)</sup>:

الأحكام الظنية سواء الظني: الثبوت، أو الدلالة، أو هما معاً. فلا مجال للتجديد في الأمور القطعية قطعاً مثل: فرضية الصلاة، والصيام، والحج، وتحريم الخمر والخنزير، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ووجوب رجم المحصن الزاني، وجلد الزاني غير المحصن، وقطع يد السارق، وتوزيع التركة بين العصبات: للذكر مثل حظ الأنثيين، ونحو ذلك من الأحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً عليها .

(١) تجديد الفقه الإسلامي: د/ الدسوقي: ص ١١٣ - ١١٥ .

(٢) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة د. القرضاوي: ص ٤٦

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

وهذا معناه مراعاة أمر مهم وهو أنه لا يجوز التجديد فيما ليس محلاً للاجتihad .

و الأحكام التي ليست محلاً للاجتihad نوعان :

النوع الأول: ما علم من الدين بالضرورة :كوجوب الإيمان بالله، وملائكته، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ووجوب الصلاة، والصيام والزكاة، وتحريم الربا والسرقه، والقتل، ونحوها .

النوع الثاني: الأحكام التي جاء فيها نص قطعي الدلالة والثبوت مثل: كفارة اليمين الثابتة بآية المائدة في قوله تعالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته... ﴾<sup>(١)</sup> فهو نص قطعي الثبوت؛ لأنه قرآن، وقطعي الدلالة في مقدار الكفارة. وهكذا سائر المقدرات المنصوص عليها في القرآن والسنة المتواترة كالحدود والكفارات، ومقادير الزكوات، وأعداد الصلوات ونحوها، فلا مجال للاختلاف فيها، ولا التجديد .

الضابط الثاني: أن يكون التجديد وثيق الصلة بواقع المسلمين وعلى ضوء النصوص التشريعية. بمعنى أنه ينبغي الحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع القائم في المجتمعات اليوم، وهو واقع لم يصنعه الإسلام بعقيدته، وأخلاقه، وشريعته، ولم يصنعه المسلمون بأرائهم، وعقولهم، وأيديهم، وإنما هو واقع صنع لهم، وفرض عليهم في زمن غفلة، وضعف، وتفرق، وورثة الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، وبقي كما كان، فليس معنى الاجتihad أن نحاول تبرير هذا الواقع الذي فرضه المستعمرون، وأعداء الإسلام والمسلمين عليهم، ونفتعل الفتاوى لإضفاء الشرعية على هذا الواقع، والاعتراف به مع أنه دعي زنيماً<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة المائدة: آية / ٨٩.

(٢) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، د. يوسف القرضاوي ص ٤٦ .

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

بل نرحب بكل جديد نافع كما نحتفظ بكل قديم صالح، ومن ثم يجوز أن نأخذ من أنظمة الشرق والغرب ما لا يخالف عقيدتنا مما يحقق مصلحة لمجتمعنا على أن يصبغ بصبغة إسلامية حتى يعد جزءاً من نظامنا ويفقد جنسيته الأولى، وبالتالي يلزم للتجديد المعاصر، حتى يكون وثيق الصلة بالواقع في ضوء النص مراعيماً ما يلي:

مراعاة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان .

ب-الجمع بين الأصالة والمعاصرة، بالأخذ بالجديد النافع، والتمسك بالقديم الصالح .

ج- أن نأخذ من أنظمة الآخرين ما يتفق مع شريعتنا، وتحقيق المصلحة، ومحاولة تطويره؛ ليعد جزءاً من نظامنا، ويعبر عن قيم المجتمع المسلم، وتقاليده، وهذا كله حتى لا نقع في تطوير النصوص؛ لتتفق مع الواقع، فنكون قد وقعنا في المحذور، وبدلاً من التجديد سنكون قد انتهجنا طريق التغيير، والتحرير الذي سلكته الأمم السابقة من قبل<sup>(١)</sup>. فلا يتعارض التجديد مع القواعد الشرعية المجمع عليها، حتى يكون جامعاً بين محكمات الشرع، وبين مقتضيات العصر .



(١) الاجتهاد المعاصر، للقرضاوي: ص ٩١.

### حياة الامام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ :

ولد أحمد (رضي الله عنه) في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ، وكانت وفاته في الشهر نفسه سنة ٢٤١ هـ، وهو عربي الأصل، شيباني في نسبه لأبيه وأمه، وشيبان قبيلة من ربيعة، عدنانية، اشتهرت بالإباء، والهمة، والصبر كانت منازلها بالبصرة وباديتها. وأبوه: محمد بن حنبل، وجده: حنبل بن هلال، وقد نشأت أسرته بالبصرة إلا أن جده قد انتقل إلى خراسان، وكان واليا على «سرخس» في العهد الأموي، ثم انضم إلى صفوف الدعوة العباسية، وأوذي في ذلك، وانتقلت الأسرة بعد هذا إلى بغداد حيث كانت ولادة أحمد. مات أبوه على الأرجح وهو طفل، فقامت أمه على تربيته مستعينة في نفقتها بما تركه أبوه من عقار ببغداد، فساعد ذلك النسب الرفيع وهذا اليتيم في نشأته على سمو نفسه، وذكائه، وعلو همته، ونمو مواهبه، وتعرفه على أحوال مجتمعه.

وكانت بغداد التي نشأ فيها أحمد حاضرة العالم الإسلامي، ومهدا للعلوم المختلفة الشرعية، واللغوية، والعقلية، تموج بأنواع المعارف والفنون، وتزخر بالمشارب المختلفة، والأفكار المتباينة، وقد اختارت أسرة أحمد له منذ صباه، أن يتجه لخدمة الدين، فحفظ القرآن وتزود من علوم العربية، وظهرت ألمعيته وعرف بين أقرانه ورفاقه بالتقوى

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

والاستقامة، وحسن الخلق، ولما شب عن الطوق وجد أمامه في بغداد منهجين لطلب الشريعة، أحدهما: منهج الفقه، والآخر: منهج الحديث، فأراد طريق الفقهاء باديء ذي بدء على مذهب أهل الرأي، وأخذ عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ثم مال من بعد إلى طريق المحدثين، وانصرف إلى الحديث، وإن لم ينقطع انقطاعاً كاملاً عن الفقه<sup>(١)</sup>. قال الخلال في تاريخ الحافظ الذهبي: كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها<sup>(٢)</sup>.

وقد أخذ الحديث عن علماء الأمصار كلها في العراق، والشام، والحجاز، وفي مسنده جمع الحديث جمعاً متناسباً من هذه الأمصار، وبدأ من ذلك بالأخذ عن شيوخ الحديث في بغداد، ثم رحل إلى البصرة، والكوفة، والحجاز، واليمن، منذ سنة ١٨٦ هـ وهكذا يبدأ الناشئ علمه بالتلقي عن أهل بلده، فلزم في بغداد إماماً من أئمة الحديث، هو: هشيم بن بشير<sup>(٣)</sup>، روى عنه ابنه صالح، كما في «المناقب» لابن الجوزي، فقال: كتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين، ولزمناه إلى سنة ثمانين، وإحدى وثمانين، واثنين وثمانين، ومات في سنة ثلاث وثمانين، كتبتنا عنه كتاب الحج: نحواً من ألف حديث، وبعض التفسير، وكتاب القضاء وكتبا صغاراً، وسأله ابنه صالح بعد ذلك القول: يكون ثلاثة آلاف؟

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) تاريخ الإسلام تاريخ المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، ت: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ: ٦٩ / ١٨.

(٣) هو هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمى، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد: مفسر من ثقات المحدثين. قيل: أصله من بخارى. كان محدث بغداد. ولزمه الإمام ابن حنبل أربع سنوات. له كتاب «السنن» في الفقه، و «الغازي» إضافة إلى كتاب التفسير توفي سنة ١٨٣ هـ. بنظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١ / ٢٢٩، والأعلام للزركلي: ٨ / ٨٩.

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

قال: أكثر<sup>(١)</sup>.

وبعد موت هشيم، تلقى أحمد الحديث من سائر شيوخ بغداد، حتى بلغ العشرين عاماً، ثم بدأ في رحلاته المتوالية لتلقي الحديث من رجاله شفاهاً، فرحل إلى البصرة خمس مرات، وإلى الحجاز مثلها، التقى في الأولى منها بالشافعي وأخذ عنه سنة ١٨٧ هـ، ثم التقى به بعد ذلك في بغداد حين نضح ووعى فقهه وأصوله.

ورغب مع صاحبه يحيى بن معين<sup>(٢)</sup> في الحج سنة ١٩٨ هـ، والذهاب إلى عبد الرزاق بن همام<sup>(٣)</sup> بصنعاء في اليمن، فوجداه في مكة، ولكن أحمد لم يكتف بهذا اللقاء وسافر إلى صنعاء مع بعد الشقة وانقطاع النفقة، وأخذ عن عبد الرزاق هناك.

وعني أحمد بتدوين ما يسمع من أحاديث وآثار، ولم يكتف بالحفظ، وكان يحمل في رحلاته حقائب كتبه على ظهره، ولا يحدث إلا من كتاب خشية أن ينسى، تورعاً منه وتقوى، مع أنه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة.

وقد ذكر الحافظ الذهبي من شيوخه سوى من ذكرنا: سفيان بن عيينة، ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، والقاضي أبا يوسف، وعبد الرحمن بن مهدي<sup>(٤)</sup>.

(١) مناقب الإمام أحمد، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)

تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ٢، ١٤٠٩ هـ: ص: ٢٩.

(٢) هو يحيى بن معين البغدادي، أحد الأعلام، الحافظ. قال الإمام أحمد: كل حديث لا يعرفه ابن

معين فليس بحديث، توفي سنة (٢٣٣) (٤). ينظر: تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ: ص: ٢٧٠

(٣) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائي، الحميري، اليمني، محدث، حافظ، فقيه. ولد سنة ١٢٦ هـ، أخذ عنه البخاري، وتوفي ٢١١ هـ وله من العمر ٨٥ سنة. له من الكتب: السنن في الفقه، المغازي، تفسير القرآن، الجامع الكبير في الحديث، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: البداية: ١٠/ ٢٦٥، وشذرات الذهب لابن العماد: ٢/ ٢٧، وميزان الاعتدال، للذهبي: ١٠٦/ ٢.

(٤) ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/ ٣٣١، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٨٠-٣٨١.

## رَحْمَةُ اللَّهِ

لقد تحققت صفات المجدد في الامام على أكمل وجه، ومنها:

- ١- العلم: فقد كان الإمام أحمد مالكاً لأدوات الاجتهاد فيما يجتهد فيه، كما هو مقرر في علم أصول الفقه<sup>(١)</sup>، وأهم هذه الشروط:
  - أ- العلم بالقرآن (فيعرف آيات الأحكام - والناسخ والمنسوخ منه - والعام والخاص - والمطلق والمقيد - وأسباب النزول).
  - ب- العلم بالسنة (فيعرف مواقع أحاديث الأحكام، ولا يقتصر على الأمهات الست، ويعرف الصحيح والضعيف من الأحاديث، وعلم التاريخ والرجال، وأسباب الجرح والتعديل).
  - ج- معرفة مسائل الإجماع.
  - د- معرفة أصول الفقه، وكان يتقن هذا العلم لا سيما مباحث الألفاظ ودلالاتها، ومباحث القياس.
  - هـ- معرفة اللغة العربية.
- و- أن يكون فقيه النفس، فيكون الفقه ملكة وسجية له، يستطيع بها استنباط الأحكام

(١) ينظر تفصيل الكلام على شروط المجتهد في: شرح المحلي على جمع الجوامع ٢/٣٨٢، المستصفي للغزالي ٢/٢٥٠، المحصول: ٢/٣٠، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ص ١٦، الإبهاج ٣/٢٥٤، شرح الكوكب المنير ٤/٤٥٩

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

كذلك لا بد أن يلم بمقاصد التشريع، وفقه المصالح والمفاسد وفقه الخلاف.<sup>(١)</sup>

٢- العدالة: كان الإمام أحمد عدلاً في دينه، ورعاً؛ وهو يعلم أن الفتوى هي توقيع عن الله تعالى.

٣- كان الإمام أحمد: بعيداً عن الغلو والإفراط، وكان يجب البعد عن التفريط والتساهل بحجة مجازاة العصر، أو البحث عن المخارج بكل وسيلة ممكنة.

٤- كان الإمام أحمد قدوة لغيره: في سلوكه وحياته، حتى استحق الشرف العظيم والإمامة في الدين.



---

(١) ينظر: الوجيز في أصول التشريع الإسلامي، محمد حسن هيتو: ص ٥٢٦-٥٣١.

## رَحْمَةُ اللَّهِ

يُمكننا أن نخلص إلى أن التجديد عند الإمام تجديد إجمالي وتجديد تفصيلي:  
أمَّا الإجمالي فيعني: إعادة الدين إلى النحو الذي كان عليه في زمن النبي ﷺ وما استقرَّ  
عليه في القرون الفاضلة الثلاثة الأولى.

أمَّا التفصيلي فالمراد به: إحياء وبعث ما اندرس من الدين، وتخليصه من البدع  
والمحدثات، وتنزيله على واقع ومستجدات الحياة<sup>(١)</sup>.

فالتجديد على ثلاثة محاور:

١- المحور الأول: إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن، ونشرها بين الناس،  
ودعوتهم إلى العمل بها.

٢- المحور الثاني: قمع البدع والمحدثات، وتوعية أهلها، وإعلان الحرب عليهم،  
وتنقية الإسلام ممَّا علق عليه من أضرار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن النبي  
ﷺ وصحابته الكرام.

٣- المحور الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما جدَّ ويجدُّ من وقائع وأحداث،  
ومعالجته معالجةً نابعة من هدي الوحي.

فلو رجعنا إلى أصول مذهب الإمام أحمد لوجدنا ذلك متحققاً



(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي: ص ١٩.

## رَحْمَةُ اللَّهِ

ذكر ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين»<sup>(١)</sup>: أن فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على خمسة أصول، نتاولها فيما يلي:

### ١- النصوص:

كان أحمد إذا وجد النص أفتى بموجبه، ولا يلتفت إلى ما خالفه كائنا من كان، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً. وهذا يفسر لنا عنايته بجمع النصوص حتى اجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره.

وتدلُّ مناظرته في مسألة القول بخلق القرآن، وفي الرد على الزنادقة، والجهمية دلالة واضحة على ذلك، فقد كان يطالبهم بالنصوص، ويقول اتتوني بآية من كتاب الله أو حديث من رسول الله أقول به.

والنصوص عند أحمد وافية بأكثر أحكام أفعال العباد، يستوي في ذلك نصوص القرآن ونصوص السنة، فقد جاءت نصوص القرآن بالقواعد العامة التي تتناول كثيراً من الفروع والمسائل، وأوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم، فكان يتكلم بالكلمة الجامعة التي تتضمن المعاني الكثيرة وتشمل ما يحصى من المسائل، فإذا فهمت معاني النصوص في الكتاب والسنة، تبين أنها شاملة لعامة أفعال العباد.

ونصوص الكتاب والسنة في مرتبة واحدة عند أحمد، فإن حجية السنة ثابتة بالكتاب كما أنَّ السنة بيان للكتاب، وهذا وذاك يجعل نصوص السنة الصحيحة، بمنزلة نصوص

(١) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية: ٢٢/١.

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

القرآن في الاستدلال. وحيث وجد النص عند أحمد فإنه لا يلتفت لمن خالفه، ولو كانت المخالفة من بعض الصحابة، ففضل الصحابة والتابعين عند أحمد لا يسوغ تقديم آرائهم على نصوص رسول الله ﷺ فهو المعصوم، وكل يؤخذ من قوله ويرد، إلا رسول الله ﷺ: «من عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>، فكان الأخذ بالنص، وإهدار ما خالفه من أوضح قواعد الإمام أحمد وأصول مذهبه في فتاواه<sup>(٢)</sup>.

## ٢- فتاوي الصحابة:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: أَنَّ الْأَصْلَ الثَّانِي مِنْ أَصُولِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَا أَفْتَى بِهِ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - فَإِنَّهُ إِذَا وَجَدَ لِبَعْضِهِمْ فَتْوَى لَا يَعْرِفُ لَهُ مَخَالَفَ مِنْهُمْ فِيهَا لَمْ يَعْدهَا إِلَى غَيْرِهَا.

والمعروف أن فتوى الصحابي من الأدلة المختلفة فيها عند الأصوليين والإمام أحمد يرى أن ما أفتى به الصحابي إذا لم يعلم له مخالف يكون حجة؛ ذلك لأنه يعدُّ من باب الإجماع السكوتي، ولكن أحمد يتورع عن أن يسمى هذا إجماع، فيقول: لا أعلم شيئاً يدفعه، أو يقول: لا أعلم فيه اختلافاً أو نحو ذلك.

وقول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه يكون بمنزلة الحديث المرفوع، أما إذا كان للرأي فيه مجال فلا يخلو من أمرين:

أ- أن يشيع ويتشر بين الصحابة ولا يظهر خلافه. فظاهر كلام أحمد أنه دليل مقطوع به، يجب اتباعه، وتحرم مخالفته، ولم يسمه إجماعاً، بل أثر عنه قوله: «من أدعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس قد اختلفوا». ولذا نسبوا إليه إنكار الإجماع، وحمل هذا الإنكار

(١) صحيح البخاري: باب إذا اجتهد العامل أو العالم فأخطأ: ٩/ ١٠٧، رقم (٢٥٥٠).

(٢) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية: ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٢٥، وتاريخ التشريع الإسلامي: ٣٩٠.

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

على أنه إنكار للإجماع العام النطقي، لا الإجماع السكوتي. أو إجماع ما بعد الصحابة، أو بعدهم. وبعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير.

ب- أن لا يشيع ولا ينتشر بين سائر الصحابة، ولا يعرف له مخالف؛ فإن دل عليه بالقياس وجب العمل به، قال أبو البركات في «المسودة»: إذا قال الصحابي قولاً ولم ينقل عن صحابي خلافة، وهو ما يجري بمثله القياس والاجتهاد فهو حجة. نص عليه أحمد في مواضع وقدمه على القياس<sup>(١)</sup>.

وهذا هو الذي أثر عن أحمد في كلامه، يقول: «ما أجبت في مسألة إلا بحديث عن رسول الله ﷺ، إذا وجدت في ذلك السبيل إليه، أو عن الصحابة، أو عن التابعين، فإذا وجدت عن رسول الله ﷺ، لم أعدل إلى غيره، فإذا لم أجد عن رسول الله ﷺ فعن الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين؛ فإذا لم أجد عن الخلفاء، فعن أصحاب رسول الله ﷺ الأكاابر بالأكاابر، فإذا لم أجد فعن التابعين، وعن تابعي التابعين، وما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث بعمل له ثواب إلا عملت به، رجاء ذلك الثواب ولو مرة واحدة». ويقول: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والافتداء بهم، وترك البدع».

### ٣- الاختيار من فتاوى الصحابة إذا اختلفوا:

وذكر ابن القيم<sup>(٢)</sup>: أن الأصل الثالث من أصول أحمد هو: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم؛ فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

ويتضح من هذا أن المراد بالاختيار من أقوال الصحابة، أن يختار أقرب هذه الأقوال

(١) المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية: ص: ٣٣٦.

(٢) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية: ١/ ٢٥

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

إلى الكتاب والسنة، وهذا يقتضي النظر فيها، والرجوع إلى النصوص حتى يختار أقربها إلى دلالة النص. فإذا لم يجد الإمام ما يرجح اختيار أحد أقوال الصحابة، حكى الأقوال المنقولة عنهم، ولم يقطع بقول منها.

#### ٤- الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف:

الأصل الرابع من أصول الإمام أحمد هو الأخذ بالحديث المرسل، والأخذ بالحديث الضعيف.

وإذا كان الحديث المرسل في اصطلاح المحدثين<sup>(١)</sup> هو: ما سقط منه الصحابي، كان يقول التابعي: «قال رسول الله ﷺ ...» بخلاف المنقطع والمعضل؛ فإن المرسل في اصطلاح الأصوليين هو: قول العدل الثقة: «قال رسول الله ﷺ ...» صحابياً كان أو غيره فيشمل المنقطع والمعضل.

ومراسيل الصحابة مقبولة عند جمهور العلماء أما مرسل غير الصحابي فقد اختلف العلماء في قبوله والاحتجاج به على أقوال: هل يقبل مطلقاً؟ أو لا يقبل مطلقاً؟ أو يقبل من أئمة النقل؟ أو يقبل من العصور الثلاثة دون غيرهم؟

ويرى أحمد قبول المراسيل مطلقاً، يستوي في هذا مرسل الصحابي، ومرسل غير الصحابي، وهذه هي الرواية الراجحة عنه، ويقدم الحديث المرسل على القياس؛ ولكنه يقدم عليه قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف.

ويشترط في الحديث الضعيف عند أحمد حتى يقبل ويعمل به أن لا يكون باطلاً ولا منكراً ولا في سنده متهم، فيكون قريباً من الحسن. قال ابن القيم: وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر، ولا ما في روايته متهم؛ بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل

(١) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ١٩٦)، والوسيط في علوم ومصطلح الحديث (ص: ٩٠).

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى: صحيح، وحسن، وضعيف، بل إلى صحيح، وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه، ولا قول صاحب، ولا إجماعاً على خلافة، كان العمل به عنده أولى من القياس<sup>(١)</sup>.

#### ٥- القياس:

إذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول الصحابة، أو قول واحد فيهم ولا أثر مرسل أو ضعيف، عدل إلى الأصل الخامس وهو القياس، فاستعمله للضرورة، وقد قال في كتاب الخلال: سألت الشافعي عن القياس، فقال: إنَّها يصار إليه عند الضرورة، أو ما هذا معناه<sup>(٢)</sup>. وقد أخذ الإمام بهذا الرأي.

#### نقل علمه وانتشار مذهبه:

قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: وكان أحمد - رحمه الله - شديد الكراهة لتصنيف الكتب وكان يجب تجريد الحديث، ويكره أن يكتب كلامه، ويشتد عليه، جداً؛ فعلم الله حسن نيته وقصده فكتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفراً، ومن الله سبحانه وتعالى علينا بأكثرها لم يفتنا منها إلا القليل، وجمع الخلال<sup>(٣)</sup> نصوصه في الجامع الكبير، فبلغ نحو عشرين سفراً أو أكثر، ورويت فتاواه ومسائله، وحدث بها قرناً بعد قرن، فصارت إماماً وقدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم، حتى أن المخالفين لمذهبه بالاجتهاد، والمقلدين

(١) د ينظر: إعلام الموقعين: ٢٦/١، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٩١

(٢) ينظر: المصدران أنفسهما.

(٣) هو أبو علي الحسن بن علي الخلال الحلواني قال محمد بن إبراهيم الحلواني: كان يشبهه بأحمد بن حنبل في سمته، وديانته، ارتحل إلى الشام واليمن ومصر والعراقين، سمع عبد الرزاق، وأبا عاصم، ووكيعاً، وأبا أسامة، وخرج له البخاري، ومسلم في صحيحيهما، (ت سنة ٢٤٣)، ينظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٢/ ٦٢٣).

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

لغيره يعظمون نصوصه وفتاواه، ويعرفون لها حقها من النصوص وفتاوي الصحابة<sup>(١)</sup>.

أما تعدد الروايات في مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ:

فهذا من التجدد الفقهي عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فقد تكثر الروايات عن الأمام في المسألة الواحدة بنسبة تفوق سائر الأئمة، وإذا كان مجال الاجتهاد يؤدي إلى هذا، لأن المجتهد قد يعدل عن رأيه، فيأتي من ينقل عنه ويروي القولين في الموضوع الواحد. فقد أشار ابن القيم إلى سبب آخر يرجع إلى منهج أحمد نفسه؛ فإنه كان يروي أقوال الصحابة أحيانا. وقد يختار منها، وربما جاء الذين أخذوا عنه واستنبطوا من موقفه قولاً آخر، وذكروا الأقوال جميعاً، وبهذا تختلف الأقوال المنسوبة إلى الإمام أحمد عند اختلاف الصحابة فهو يتخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم؛ فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول<sup>(٢)</sup>.

أما إنتشار مذهبه: فقد ذاع ذكره في الآفاق الإسلامية، وقصده الناس للسؤال عن الحديث والفقه، وجلس للدرس والإفتاء في المسجد الجامع ببغداد، وكثر الازدحام عليه حتى ذكر بعض الرواة أن عدة من كانوا يستمعون إلى درسه نحو خمسة آلاف مما يدل على مدى ما وصلت إليه مكانته<sup>(٣)</sup>.

:

ومما خلف الإمام أحمد للأمة الإسلامية كتابه النافع الذي عده إماماً إذا اختلف الناس، «المسند» الذي جمع فيه ما رواه من أحاديث دونها بأسانيدها، وبدأ في تلقيها وهو في السادسة عشرة من عمره، سنة ١٨٠هـ؛ غير أنه كان يكره كتابة غير السنة.

(١) ينظر: إعلام الموقعين: ٢٨/١

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١: ٣٩٥

(٣) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٨١

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

روي أن عبد الله قال: قلت لأبي: لم كرهت وضع الكتب؟ وقد عملت المسند؟ فقال له: عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رجعوا إليه. وقد استمر أحمد في جمع مسنده هذا عن الثقات الذين رحل إليهم مدى حياته، وكان في أوراق متفرقة، فلما أحس بدنو الأجل جمع بنيته وخاصته وأملى عليهم ما كتب مجموعاً وإن لم يكن مرتباً. والمسند المتداول اليوم هو رواية عبد الله بن أحمد، الذي ورث عن والده حب الحديث، وحسن العناية به، وقرر العلماء أنه كان أروى الناس عن أبيه. وروى عنه مسند أبيه الثقات الأثبات من بعده حتى حفظته الأجيال. وعبد الله هو الذي رتب المسند بالوضع الذي نراه الآن، فروى مسند كل صحابي على حده.

ولا شك أن أحمد كان يتحرى الأخذ عن الثقات، ولكن العلماء اختلفوا في مدى قوة أحاديث المسند، وإن اتفقوا على أن فيه: الصحيح، والحسن، والغريب. وقد قال ابن تيمية: ليس كل ما رواه أحمد في المسند وغيره، يكون حجة عنده؛ بل يروي ما رواه أهل العلم، وشرطه في المسند ألا يروي عن المعروف بالكذب عنده، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، ثم بين أن الضعيف أو الموضوع، إنما هو من زيادات ابنه عبد الله. وخالف العراقي ابن تيمية، وذهب إلى أن في المسند أحاديث ضعيفة كثيرة، وأحاديث موضوعة قليلة. وقد رد ابن حجر على شيخه في كتابه «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد».

والذي عليه المحققون من العلماء: أن مسند أحمد ليس فيه الموضوع، وإن كان فيه الضعيف، وفرق بين الضعيف والموضوع، فالضعيف لم تتوفر فيه شروط الرواية الصحيحة، أما الموضوع فهو الذي قام الدليل على الكذب فيه. وقد قام الشيخ أحمد شاكر بتخريج أحاديث المسند، وضبط فهارسه، فجعل فيه

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً  
فهارس للأعلام، وفهارس للصحابة مرتبة على حروف المعجم.  
وقام الشيخ أحمد البنا بترتيب المسند وفق الأبواب الفقهية، فيسر مهمة البحث فيه،  
والتوصل إلى المطلوب منه، ونشره بعنوان: «الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد بن  
حنبل الشيباني» مع شرح مختصر<sup>(١)</sup>.



---

(١) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٨٤-٣٨٥

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اقتفى،  
وبعد: فأبرز النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث هي:

- ١- أنَّ التجديد الفقهي هو: جودة الفهم، والاستنباط، والإبتكار في تنزيل النص الواقع طوعاً للقواعد المنجية المعروفة في أصول الفقه .
- ٢- التجديد الفقهي لا يعني التخلص من القديم وهدمه، وإنما يعني الاحتفاظ به، وإدخال التحسين عليه، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم أن نشأ.
- ٣- منهج التجديد الفقهي هو الجمع بين ثبات الأصول، وتطور الفهم والاجتهاد والتطبيق.

- ٤- مشروعية التجديد في الدين بصفة عامة، والفقه بصفة خاصة سنة من سنن الإسلام، فقد أمر الله به في القرآن المجيد، ودعا إليه النبي ﷺ في السنة الشريفة.
- ٥- أنَّ الحاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر؛ لمواجهة المشكلات التي تستجد في مختلف العصور؛ لهداية الناس، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم .
- ٦- لما كان الهدف من تجديد الفقه هو مساندة التطور الاجتماعي والحضاري، فالتجديد ليس على إطلاقه، ولكن له حدود وضوابط، لا يجوز العدول عنها؛ حتى لا ينقلب إلى ضده ويكون تغييراً، أو تبديلاً، أو تحريفاً، أو إتباعاً للهوى، وكل ذلك منهي عنه.
- ٧- لكي يكون التجديد مؤدياً للغرض منه، فلا بد ان يكون منضبطاً بالضوابط الآتية:  
أن يكون التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد. وأن يكون وثيق الصلة بواقع المسلمين، ومن ثم يكيّف الواقع على ضوء النص.

- ٨- يلزم فيمن يقوم بمهمة التجديد أمران: معرفة مقاصد الشريعة، وآراء العلماء من قبله. ومعرفة أحوال الناس، وأعرافهم، وتقاليدهم، ومتابعة ما يطرأ على هذه الأحوال

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

من تغير لا بد أن تستجيب له الفتوى.

٩- يُعدّ الإمام أحمد عالماً من الطراز الأول، فقد أخذ الحديث عن علماء الأمصار كلها في العراق، والشام، والحجاز، منذ نعومة أظفاره، وفي مسنده جمع الحديث جمعاً متناسباً من هذه الأمصار.

١٠- لقد تحققت صفات المجدد عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَلَى اكمل وجه.

١١- يُمكننا أن نخلص إلى أن التجديد عند الامام تجديد إجمالي وتجديد تفصيلي: أمّا الإجمالي فيعني: إعادة الدين إلى النَّحو الذي كان عليه زمن النبي ﷺ وما استقرَّ عليه في القرون الفاضلة الثلاثة الأولى. وأمّا التفصيلي فالمراد به: إحياء وبعث ما اندرس من الدين، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع ومستجدات الحياة.

١٢- يُمكننا أن نلاحظ التجدد الفقهي عند الإمام أحمد من أصول مذهبه .

١٣- علم الله سبحانه حسن نية الإمام وقصده وصدقه وإخلاصه لربه جل جلاله، فانتشر علمه وكتب الناس من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفراً.

١٤- ومن التجدد الفقهي عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كثرة الروايات عنه في المسألة الواحدة بنسبة تفوق سائر الأئمة.

١٥- خلّف الامام أحمد للأمة الإسلامية كتابه النافع الذي عده إماماً إذا اختلف الناس وهو «المسند» الذي جمع فيه ما رواه من أحاديث دونها بأسانيدها .

١٦- اعتنى العلماء والمحققون بمسند الإمام أحمد، كابن حجر حيث ألف كتاباً في الذب عن المسند سماه «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد، والشيخ أحمد شاكر قام بتخريج أحاديث المسند، وضبط فهارسه، والشيخ أحمد البنا قام بترتيب المسند وفق الأبواب الفقهية، فيسر مهمة البحث فيه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

- بعد القرآن الكريم.

١- الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي، ت ٧٨٥هـ)) لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

٢- الاجتهاد المعاصر، للدكتور يوسف القرضاوي

٣- الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي الأمدي (ت: ٦٣١هـ)، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٤- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت: ٤٤٦هـ)، تح: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٥- الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخَيْرِ الدِّينِ الزَّرْكَوِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، (ت: ١٤١٠ هـ - ١٩٧٦ م)، ط ٥، دار العلم للملايين، بَيْرُوت، ١٩٧٩ م.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م

٧- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٨- تاج العرُوس من جواهر القاموس . لمحيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي . (ت ١٢٠٥ هـ) . مكتبة الحياة . بيروت . (د . ت) .

٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تح: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ

١٠- تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠ هـ)، مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١١- تجديد الدين في ضوء السنة»، ليوسف القرضاوي، بحث في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر: العدد ٢، ١٩٨٧ م .

١٢- تجديد الفقه الإسلامي: للدكتور محمد الدسوقي .

١٣- تجديد الفكر الإسلامي، لجمال سلطان، ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٢ هـ .

١٤- التجديد في الفكر الإسلامي، تقديم الدكتور حمدي زقزوق .

١٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف .

١٦- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز التركماني الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د . ت) . وهي الطبعة المصورة على الطبعة الثالثة بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٧٥ هـ .

١٧- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه:

عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م

١٩- شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي

الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد،

مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠- شرح المحلي على جمع الجوامع

٢١- صحيح البخاري صحيح البخاري . لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

الجعفي . (ت ٢٥٦هـ) . تحقيق: د . مصطفى ديب البغا . الطبعة الثالثة . دار ابن كثير،

اليمامة . بيروت . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

٢٢- صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

(ت ٢٦١هـ) . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . (د . ت) .

٢٣- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي .

٢٤- عون المعبود على سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . (ت ٢٧٥هـ) .

لأبي عبد الرحمن شمس الحق الشهرير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي

العظيم آبادي . الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ .

٢٥- الفقه الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة للدكتور يوسف القرضاوي

٢٦- القاموس المحيط للقاموس المحيط . لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي . (ت ٨١٧هـ) . المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

بيروت . لبنان .

٢٧- لسان العرب . لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي

المصري (ت ٧١١هـ) . الطبعة الأولى . دار صادر . بيروت . لبنان . ١٩٦٨ م .

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

٢٨- المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

٢٩- المستصفي، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.

٣٠- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية [بدأ بتصنيفها الجد: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحلیم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.

٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ. (ت ٧٧٠هـ). تصحيح: مصطفى السقا. الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٢هـ.

٣٢- مناقب الإمام أحمد، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ:

٣٣- المنشور في القواعد الفقهية 'لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

٣٤- المهذب في فقه الإمام الشافعي. لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي. (ت ٤٧٦هـ). وبهامشه: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب لمحمد بن أحمد بن بطال الركيبي اليمني. (ت ٦٣٣هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د.ت).

٣٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن

تجديد المنهج الفقهي الإمام أحمد بن حنبل أنموذجاً

عثمان بن قايماز التُّركماني الذَّهَبِي، ( ت ٧٤٨ هـ )، تَحْقِيق: الشيخ علي مُحَمَّد معوض،  
والشيخ عادل أَحْمَد عَبْد الموجود، الطَّبَعَةُ الأُولَى، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٩٥ م.

٣٦- الوجيز في أصول التشريع الإسلامي، محمد حسن هيتو

٣٧- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهْبَة (ت:

١٤٠٣ هـ)، دار الفكر العربي .





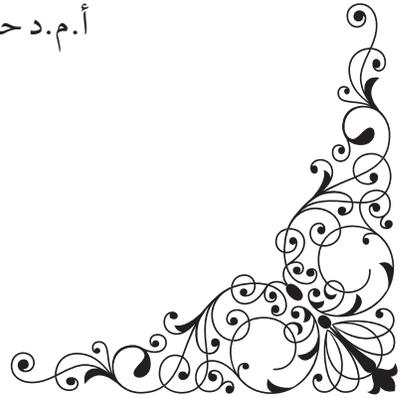


-5-

-  
( )

إعداد

أ.م.د حسن سهيل عبود الجميلي





الحمد لله الواحد الأجل، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي جعل الخيرية فيمن علم وتعلم، وعلى آله وصحبه الذين كانوا هداة للأمم.

وبعد: فانه من لطف الله بنا أن جعلنا من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) التي هي خير الأمم، حثت شريعته بأول كلمة نزلت من عند ربها (اقرأ) على فضل العلم والقراءة، وكما يقول الزمخشري: إن فعل الأمر إذا عدي بالباء أريد به مطلق العموم<sup>(١)</sup>، فيكون بذلك جميع العلوم الشرعية والدينية مرادة من قبل الشارع، يثيب فاعلها ولا فرق بينها، ومن لطفه أيضاً أن جعلنا في كلية الإمام الأعظم الجامعة التي تفتت أساتذتها على الإفادة من مؤتمراتها المتكررة إسهاماً منها في رقي الأمة وتطورها فجزا الله القائمين عليها كل خير، ومشاركة مني في هذا المؤتمر تتجسد في محاولة أبين فيها أن الفقه وهو العلم المهم في حياتنا يحتاج الى تجديد في طريقة عرضه وتدرسه للطلاب، مما يتلائم والتطورات الحاصلة في العالم، وقد وجدت من سبقني في هذا المجال فأردت الإضافة والتطوير للأفكار المطروحة فكانت كتابة هذا البحث وهو بعنوان التجديد في تدريس الفقه الإسلامي وأصوله - الخرائط المفاهيمية نموذجاً - .

وقد اقتضت طبيعته أن يكون مؤلفاً من مقدمة هي ذي، وأربعة مطالب وخاتمة .

المطلب الأول: الخرائط المفاهيمية، الفلسفة والمفهوم والتاريخ.

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤ / ٨٧١

## التجديد في تدريس الفقه الإسلامي

المطلب الثاني: أهمية استراتيجية الخرائط المفاهيمية.

المطلب الثالث: خطوات بناء استراتيجية الخرائط المفاهيمية.

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج. وبعد هذا فهو عمل بشري يعتره الخطأ وغيره فما كان فيه من خطأ فمني والشیطان وما كان فيه من صواب فهو عائد لتوفيقه سبحانه وتعالى وإياه أسأل الموقية والسداد.

:

إنَّ موضوع إصلاح الفقه موضوع في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة، ولكن نحتاج أول ما نحتاج نحن المشغلين بهمَّ التدريس أن نصنع أنموذج الفقيه الذي نريده من هو؟ ما مواصفاته؟ ما نوع المعرفة التي نريد أن نضعها في ذهنه؟ أنريد أن نحشو دماغه تماما في كمّ من المعلومات ونتركه، أم نريد أن نقدم له عشاء أم نعلمه صيد السمك؟ أنريد أن نعلمه كيف يمارس النظر في مصادرنا الإسلامية لكي يواجه التحديات؛ أم نقلقه مجموعة من الجزئيات ونقول له: اذهب أنت وربك فقاتلا، هذه الكلمات التي ختم بها أحد الباحثين دراسته<sup>(١)</sup> لفتت النظر إلى سؤال مفاده ما أبرز طرق تدريس الفقه الإسلامي وأصوله في الجامعات؟ وهل يمكن تقديم أنموذج عملي لتدريس الفقه الإسلامي وأصوله وفق الاستراتيجيات التربوية الحديثة بحيث يكون في متناول أيدي المشتغلين بتدريس الفقه وأصوله؟ ومن خلاله نوظف هذه الاستراتيجيات وتلك المناهج في تعليم الفقه الإسلامي وأصوله.

قبل الخوض في الإجابة على هذا السؤال الجزئي، نبدأ بالسؤال الكبير: ما أبرز أساليب

(١) التحديات التي تواجه الفقه الإسلامي، طه جابر العلواني، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة، تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، ١٩٩٩، ص ١٧٢

التدريس الجامعي بشكل عام؟ ثم ما أبرز أساليب التدريس المتبعة في الدراسات العليا؟  
وبعد ذلك ما الأساليب المتبعة في تدريس الفقه الإسلامي؟

تغلب صبغة التدريس التلقيني على الدراسة الجامعية الأولى<sup>(١)</sup>، وتكاد تلك الصبغة أن تكون الصفة الغالبة على أسلوب التدريس على مستوى الدراسات العليا تلك الصبغة التي لا تسمح بالإبداع والتجديد، ويمكن عزو ذلك إلى الأساليب التقليدية التي يتبعها أعضاء الهيئة التدريسية، والتي تستند-أي الأساليب-على المحاضرة والتلقين، وفي هذه الحالة تكون فرصة الطالب في التعبير عن رأيه قليلة<sup>(٢)</sup>.

وإذا عرجنا على أبرز الطرق المتبعة في تدريس الفقه الإسلامي فنجد أن أبرز الطرق المتبعة في التدريس في كليات الشريعة عموماً وفي الفقه الإسلامي على وجه خاص هو الطريق التقليدي أو الأسلوب الذي يعتمد على المحاضرة بصفة أساسية ويستعمل الأساليب الأخرى التي تتبع هذا الاتجاه، ويمكن عزو هذه المشكلة إلى عدم إطلاع المدرسين ومجاراتهم لما يستجد من طرق ومناهج حديثة في التدريس، فطبيعة المواد الشرعية تتطلب مدرساً ذا عقل متفتح متقناً لأساليب التدريس الحديثة، قادراً على صياغة المعلومة وتقديمها بأسلوب بعيد كل البعد عن التقليد وحشو الأذهان.

تقول الدكتورة منال: المحاضرة في التدريس من أقدم الطرق وأكثرها شيوعاً، وتقوم على أساس أن المعلم هو الشخص الوحيد الذي يمتلك المعرفة والمستمعين ينتظرون

---

(١) مشكلات طلبة الجامعة الأردنية داخل الحرم الجامعي وخارجه، زغريت، وائل. (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤)، ص ٥٥.

المشكلات التعليمية والمالية والمعيشية لطلاب بعض الجامعات بالسودان (دراسة ميدانية)، -متولي، نبيل. مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، عدد ١٧ (سبتمبر ١٩٩١)، ص ٢٣٤.

(٢) مشكلات طلبة الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، باسم حوامدة، (أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤)، ص ٣٦، ص ٦١.

مصغين أن يلقي عليهم ما عنده بهدف إفادتهم<sup>(١)</sup>.

إنَّ الدراسات الفقهية والشرعية اليوم تخرج حفظة وحملة فقه في الأعم الأغلب ولا تخرج فقهاء، تخرج نقلة يارسون عملية الشحن والتفريغ والتلقين ولا تخرج مفكرين ومجتهدين يربون العقل وينمون التفكير<sup>(٢)</sup>.

إذًا، نخلص مما سبق إلى أننا بحاجة إلى إعادة النظر في الأساليب التدريسية المطبقة في تدريس الفقه الإسلامي وأصوله، وقد أوصى عدد من الباحثين إلى ضرورة الاستفادة من أساليب التدريس الحديثة في تدريس الفقه الإسلامي<sup>(٣)</sup>، وهذا ما أوصى به مؤتمر تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات<sup>(٤)</sup>، ومؤتمر علوم الشريعة في الجامعات<sup>(٥)</sup>. يحاول الباحث في هذه الورقة البحثية أن يتجاوز الحدود النظرية المتمثلة بالوقوف والجمود عند حدود التوصيات الورقية؛ بأن يعرض أنموذجا تطبيقيا لتدريس الفقه الإسلامي وأصوله وفق استراتيجية الخرائط المفاهيمية، وذلك في المطالب الآتية:

- (١) طرق واستراتيجيات التدريس الفعال، ورشة عمل من إعداد الدكتورة منال محمود أبي شادي، موقع جامعة سلمان بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية
- (٢) مشكلات طلبة كليات الشريعة في الجامعات الأردنية الرسمية، وعلاجها من منظور إسلامي، إبراهيم الزعبي (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢)، ص ٥١، ص ٧٨-٧٩.
- التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله، فريدة زوزو، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٤١ (صيف ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ١٤٣
- (٣) انظر: تدريس الفقه الإسلامي، الأهداف والوسائل، عبد المجيد، ص ٤٣٦، الأبعاد الاجتماعية والمنهجية في التعليم الفقهي، حمود عليات، ص ٥٥٦
- (٤) توصيات مؤتمر تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات هايل داود، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، ١٩٩٩، ص ٥٦٤ - ٥٦٥
- (٥) توصيات مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ملكاوي، وأبو سل، فتحي، ومحمد. (تحرير) مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، عمان، ١٩٩٥، ج ٢، ص ١٣

عقل المتعلم بناء معرفي منظم، يتكون من أبنية معرفية منظمة من المفاهيم والأفكار الكبرى تترتب في هذه الأبنية بشكل هرمي، حيث تحتل الأفكار الكبرى والمفاهيم العريضة رأس الهرم ومناطقه العليا، وبالنزول إلى قاعدة الهرم تتدرج المفاهيم من الكبير إلى الصغير فالأصغر، ويمثل كل بناء منها وحدة تطور معرفي تبرز ما لدى المتعلم من استعدادات، وخبرات وأفكار، ويتفاعل الفرد ويتعلم ويُنتج في ضوء هذه الإمكانيات، فالطالب يحتاج إلى أداة تساعده على تعلم كيف يتعلم بشكل صحيح وفاعل، وتمثل منظماً تمهيدياً للتعلم وأداة تخطيط بصرية محسوسة تساعد المتعلم على دمج المفاهيم الجديدة ضمن بنيته المعرفية<sup>(١)</sup>.

إنَّ الخرائط المفاهيمية تُعرف بكونها أداة تخطيط لتمثيل مجموعة من المعاني المترابطة ضمن شبكة من العلاقات بحيث يتم ترتيب المفاهيم بشكل هرمي من الأكثر عمومية إلى الأقل عمومية والأقل تجريداً، ويتم الترابط بين هذه المفاهيم بخطوط، فهي أداة تعكس البنية المفاهيمية المنطقية والنفسية والمعرفية، وتضم سلسلة من الخطوات التشعبية التي يتم فيها تجريد المعرفة من شكلها الخطي إلى الهرمي<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ملخص لإستراتيجية التدريس بخرائط المفاهيم، وجيه بن قاسم، منشور في موقع مكتب التربية العربي لدول الخليج: <http://www.abegs.org/aportal/Default.aspx>

(٢) استراتيجيات التدريس لتنمية التفكير، ريان محمد هاشم، الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٦.

---

## التجديد في تدريس الفقه الإسلامي

وللخرايط المفاهيمية تاريخ طويل يزيد على العشرين عاما، حيث طورها نوفاك ورفاقه في جامعة كورينل في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعود جذورها إلى نظرية أوزوبل في التعلم اللفظي التي تدور بشكل رئيس حول مفهوم التعلم ذي المعنى، الذي يتحقق عندما ترتبط المعلومات الجديدة بوعي وإدراك من الطلبة بالمفاهيم والمعرفة الموجودة لديهم سابقا<sup>(١)</sup>.



---

(١) فاعلية استراتيجيتي التعلم بالاكشاف والخرايط المفاهيمية في تحصيل طلبة المرحلة الثانوية في مادة التربية الإسلامية في دولة الكويت، ذياب صالح الحسيني، (رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، ٢٠٠٧م)، ص ٨

يؤكد مارتن (martin ١٩٩٧) على أهمية الخريطة المفاهيمية في تطوير تدريس ودرس العلوم فعند إنشائها باستخراج الأفكار والمفاهيم المتضمنة بدرس ما للعلوم ثم تنظيمها بالصورة الهرمية وانشاء العلاقات الرابطة بينها فإن معلم العلوم يشير للطلبة إلى هيكلها وخط السير في الدرس والتقدم فيه من نقطة إلى نقطة وهنا تتعلم الطلبة في الصف الأفكار الضمنية للدرس والعلاقات مما يدفعهم إلى تبني الخريطة أو انتقادها وتحسينها وعلى كل فإن ذلك يساهم في تطوير قدرات معينة لديهم. كما تساعد خرائط المفاهيم معلم العلوم على تقديم درس منظم ومتكامل منطقيا. كما أنها مفيدة للطلبة لأنها توفر عليهم الوقت والجهد الذي يبذلونه عند دراسة العلوم في الكشف عن العلاقات بين المفاهيم كما أنها تحسن من عملية الفهم والتعلم والتنظيم لديهم<sup>(١)</sup>.

ومن مراجعة الأدب التربوي<sup>(٢)</sup> يتضح أن الخرائط المفاهيمية ذات أهمية بالغة في العملية التعليمية؛ ذلك لأنها:

\* تساعد الطلبة على تعلمهم كيف يتعلمون، مما يؤدي إلى تنمية المهارات العقلية

(١) أنظر: الخرائط المفاهيمية بدرالدين القمودي، ص

(٢) انظر: الخرائط المفاهيمية، يوسف القطامي ومحمد الروسان، عمان: دار الفكر، ٢٠٠٥م، ص ٣٦-٣٧، أثر استخدام خرائط المفاهيم في تحصيل المفاهيم الشرعية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلبة في مادة التربية الإسلامية، ماجد زكي - الجلال، مجلة جامعة الملك سعود م ١٨، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ٢، ١٤٢٦/٢٠٠٦، ص ٦١١-٦١٢.

## التجديد في تدريس الفقه الإسلامي

لديهم، وتزيد من قدرتهم على التفكير.

\* تسهل حدوث التعلم ذي المعنى، بحيث يقوم الطلبة بربط المعرفة الجديدة بالمفاهيم السابقة التي لها علاقة بالمعرفة الجديدة.

\* تجعل الطلبة قادرين على تعلم المفاهيم ومعرفة العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف، مما ييسر تعلمها .

\* تقود الطلبة إلى المشاركة الفعلية في تكوين بنية معرفية متماسكة متكاملة مرتبطة بمفهوم أساسي.

\* توفير قدر من التنظيم الذي يُعدُّ جوهر التدريس الفعال، وذلك بمساعدة الطلبة على رؤية المعرفة المفاهيمية الهرمية الترابطية.

\* تعمل على تنمية التفكير الإبتكاري لدى الطلبة، وتصحيح المفاهيم الخُطأ لديهم.  
\* تساعد على توضيح بنية المادة في صورة شبكة مفاهيمية تمكن الطلبة من فهم المادة واستيعابها بصورة أفضل.

\* تساعد الخرائط المفاهيمية الطلبة على مواجهة التحديات التي تواجههم عند تعلمهم مادة دراسية معينة، وتكوين علاقات بين المفاهيم، ومعرفة كيف يتعلمون.

\* تساعد الخرائط المفاهيمية على التنظيم الهرمي للمعرفة، ومن ثمّ يتبعها تحسين في قدرة الطلبة على استعمال المعلومات الموجودة لديهم.

\* تزود الطلبة بملخص تخطيطي مركز لما تعلموه.

\* تساعد على الفصل بين المعلومات الهامة والمعلومات الهامشية.

\* تساعد المعلم على معرفة سوء الفهم الذي قد ينشأ عند الطلبة .

\* تساعد المعلم على التركيز حول الأفكار الرئيسة للمفهوم الذي يقوم بتدريسه.

\* تساعد على بقاء أثر التعلم لأطول مدّة.

\* تقلل القلق عند الطلبة وتغير اتجاهاتهم نحو المفاهيم الصعبة.

أما خطوات بناء الخرائط المفاهيمية، فهي على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:

\* تحديد الموضوع.

\* قراءة الموضوع واستخراج المفاهيم الأساسية فيه.

\* كتابة المفاهيم على السبورة أو جهاز العرض الرأسي أو الحاسب الآلي.

\* ترتيب المفاهيم من العام إلى الخاص.

\* استعمال الترتيب كدليل لبناء الخرائط المفاهيمية على شكل خط عمودي، بحيث

توضع المفاهيم الأعم في القمة، والمفاهيم الفرعية المرتبطة بالمفهوم الرئيس في الأسفل.

\* وضع المفاهيم في مربعات أو أشكال بيضاوية أو أشكال دائرية والربط بينها

بخطوط.

\* وضع الجمل أو الكلمات المناسبة على الخطوط لوصف العلاقة أو الرابطة بين

المفاهيم.

\* تعديل الخرائط المفاهيمية في ضوء التغذية الراجعة الناتجة من المتعلمين.

\* إعطاء المتعلمين وقتا كافيا لقراءتها وتأملها واستخلاص النتائج منها.

\* إجراء تقويم ختامي؛ للتأكد من تنظيمها وترتيبها وفهم المتعلمين لها.

(١) استراتيجيات التدريس لتنمية التفكير، ص ٢٤٨.

الخرائط المفاهيمية، قطامي والروسان، ص ٥٠.

انتهت الدراسة إلى مفهوم الخرائط المفاهيمية وفلسفتها وتاريخها، وكذلك أهميتها، وخطوات البناء، ونقف الآن مع الشق الأهم ألا وهو النماذج التطبيقية لهذه الاستراتيجية في ميدان الفقه وأصوله.

جرت المحاولة على المزج بين عدة أمور؛ أشكال وهياكل متعددة للخرائط المفاهيمية حسب الموضوع من جهة، و المادة العلمية في هذه النماذج التطبيقية روعي فيها توظيف كتب التراث الفقهي في هذا المضمار إضافة إلى الكتب الفقهية الحديثة من جهة أخرى، وكذلك المزج بين عدة أبواب في الفقه وأصوله، فقد عرضت نماذج ضمن أبواب فقهية متعددة؛ مثل نظام الأسرة في الإسلام، ونظام العقوبات في الإسلام، إضافة إلى المعاملات المالية المعاصرة.

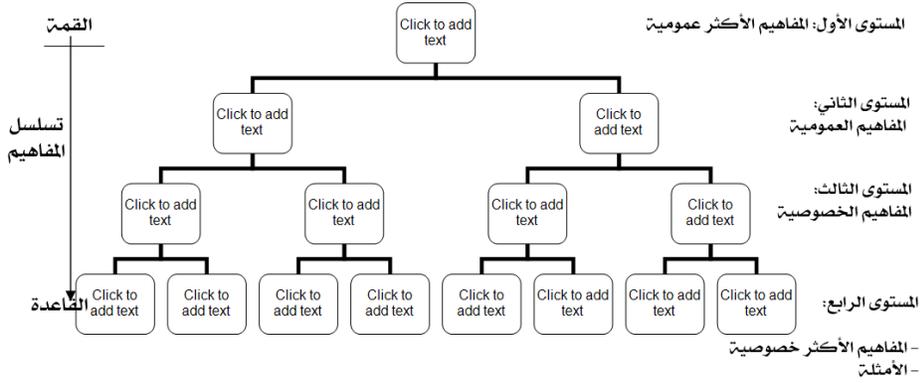
والنماذج التطبيقية على التفصيل هي:

- | الرقم | الموضوع   |
|-------|---|
| ١.    | رسم تخطيطي لخريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية.                                   |
| ٢.    | خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية لموضوع الحوالة في المعاملات في الفقه الإسلامي. |

٣. خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية لموضوع المهر في نظام الأسرة في الفقه الإسلامي.
٤. خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية للقواعد الأصولية اللغوية في أصول الفقه.
٥. خريطة مفاهيمية متعددة المحاور لحد الحرابة "نظام العقوبات في الفقه الإسلامي".
٦. مخطط لخريطة مفاهيمية للمقارنة بين شيئين.
٧. خريطة مفاهيمية للمقارنة بين خطاب الضمان والكفالة في الفقه الإسلامي.
٨. خريطة مفاهيمية للمقارنة بين الظاهر والنص في أصول الفقه.
٩. مخطط لخريطة مفاهيمية فقاعية.
١٠. خريطة مفاهيمية فقاعية لأبرز أعمال التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية في المعاملات المالية المعاصرة.
١١. خريطة مفاهيمية فقاعية لمباحث الحكم في أصول الفقه.

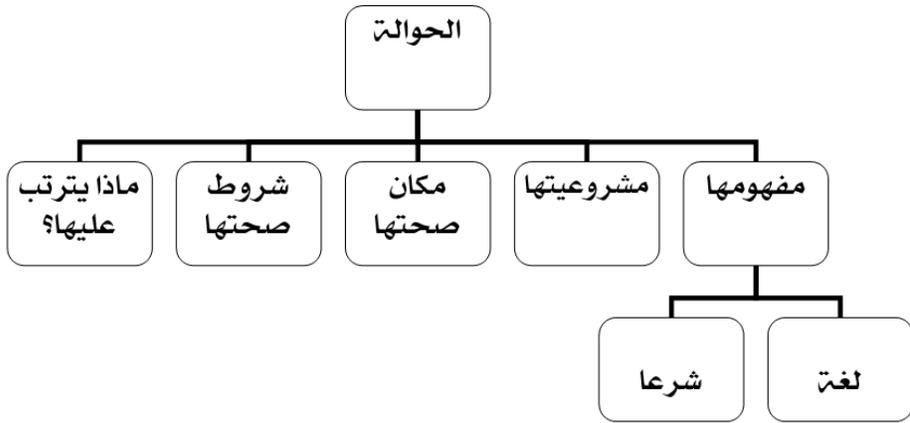


١. رسم تخطيطي لخريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية<sup>(١)</sup>

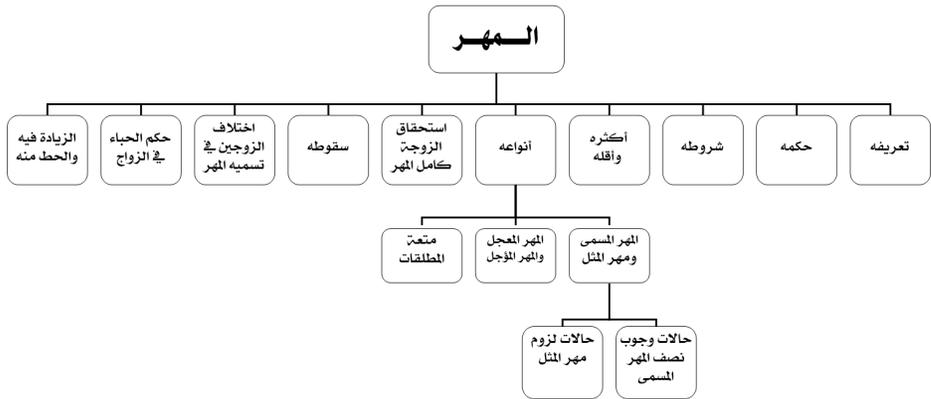


٢. خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية لموضوع الحوالة في المعاملات في الفقه الإسلامي<sup>(٢)</sup>

- (١) خرائط المفاهيم، بندر الغامدي. الجليل: الإدارة العامة للهيئة الملكية - إدارة التعليم، ١٤٢٧هـ / ١٤٢٨هـ، ص ٤.
- (٢) مصدر المادة العلمية: الموصلي، عبد الله بن محمود. الاختيار لتعليل المختار. تحقيق: زهير الجعيد، بيروت: دار الأرقم، (د.ت)، ج ٣، ص ٥-٧.



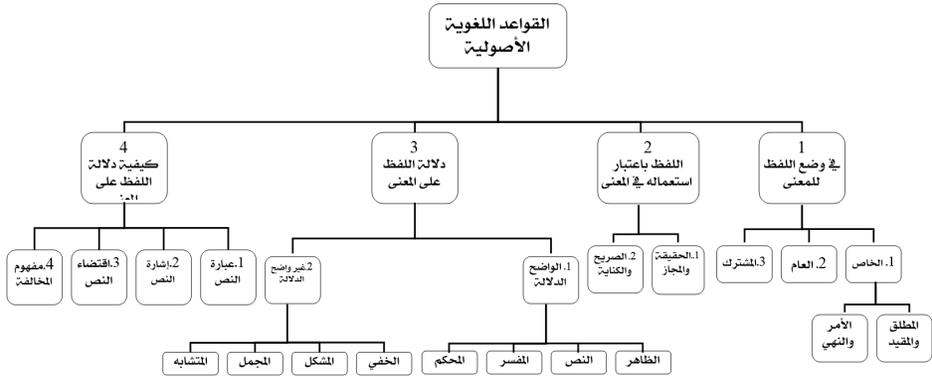
٣. خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية لموضوع المهر في نظام الأسرة في الفقه الإسلامي<sup>(١)</sup>



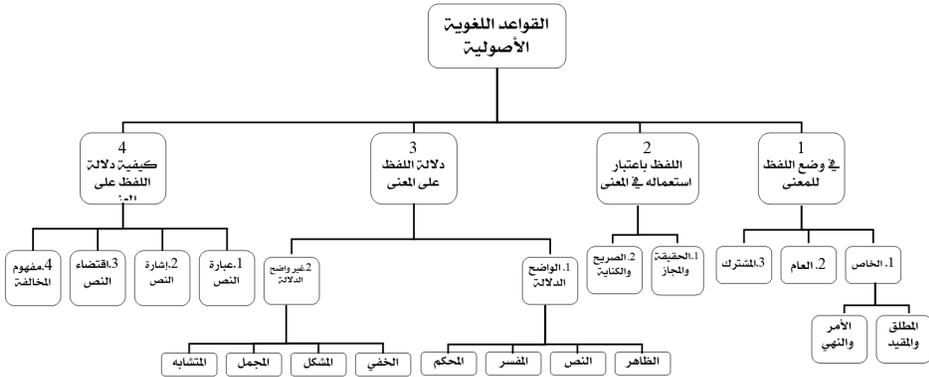
٤. خريطة مفاهيمية هرمية تسلسلية للقواعد الأصولية اللغوية في أصول الفقه<sup>(٢)</sup>

(١) مصدر المادة العلمية: عمر سليمان الأشقر، أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة. عمان: دار النفائس، ١٩٩٧، ص ٢٥٥-٢٧٨.

(٢) مصدر المادة العلمية: عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤،



٥. خريطة مفاهيمية متعددة المحاور لحد الحرابة «نظام العقوبات في الفقه الإسلامي»<sup>(١)</sup>



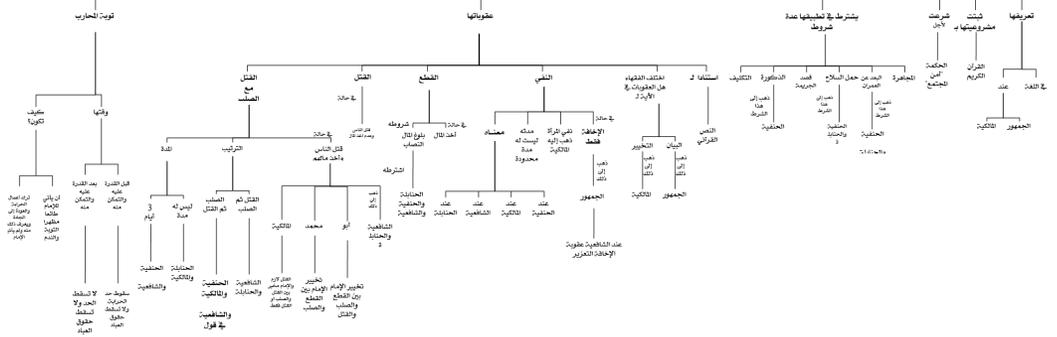
٦. خريطة مفاهيمية للمقارنة بين شيئين

ص ٢٧٧-٣٧٧.

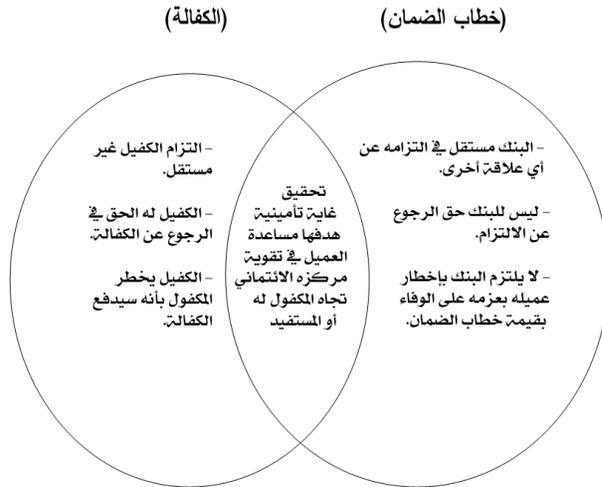
(١) مصدر المادة العلمية: ماجد أبو رحية، الحدود في الفقه الإسلامي، الصفاة: دار الفلاح، ١٩٩٧،

ص ١٧٩-١٩٥.

## حد الحراية



## ٧. خريطة مفاهيمية للمقارنة بين خطاب الضمان والكفالة في الفقه الإسلامي<sup>(١)</sup>

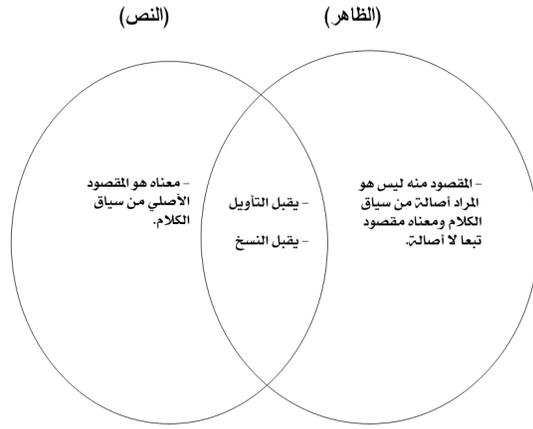


## ٨. خريطة مفاهيمية للمقارنة بين الظاهر والنص «في أصول الفقه»<sup>(٢)</sup>

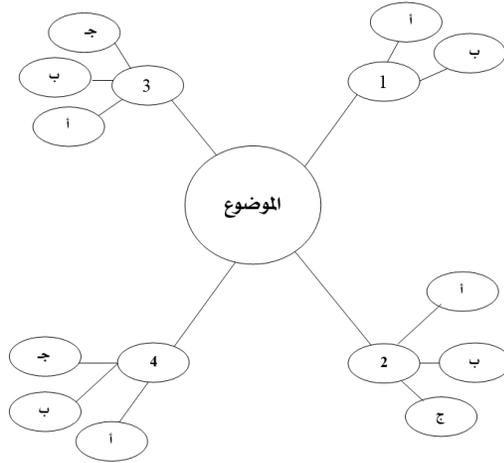
(١) مصدر المادة العلمية: محمد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي. عمان: دار

النفايس، ١٩٩٩، ص ٢٩٤-٢٩٥

(٢) مصدر المادة العلمية: الوجيز في أصول الفقه، زيدان، ص ٣٣٨-٣٤٣



٩. خطط لخريطة مفاهيمية فقاعية<sup>(١)</sup>

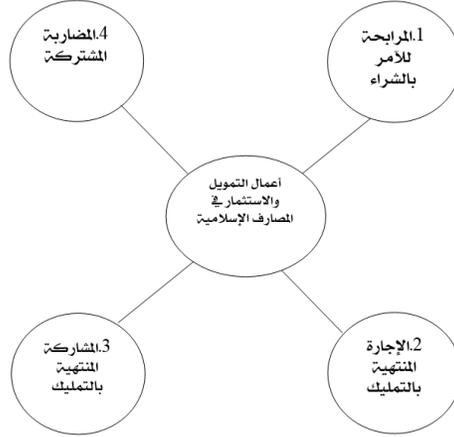


١٠. خريطة مفاهيمية فقاعية لأبرز أعمال التمويل والاستثمار في المصارف الإسلامية

في المعاملات المالية المعاصرة<sup>(٢)</sup>

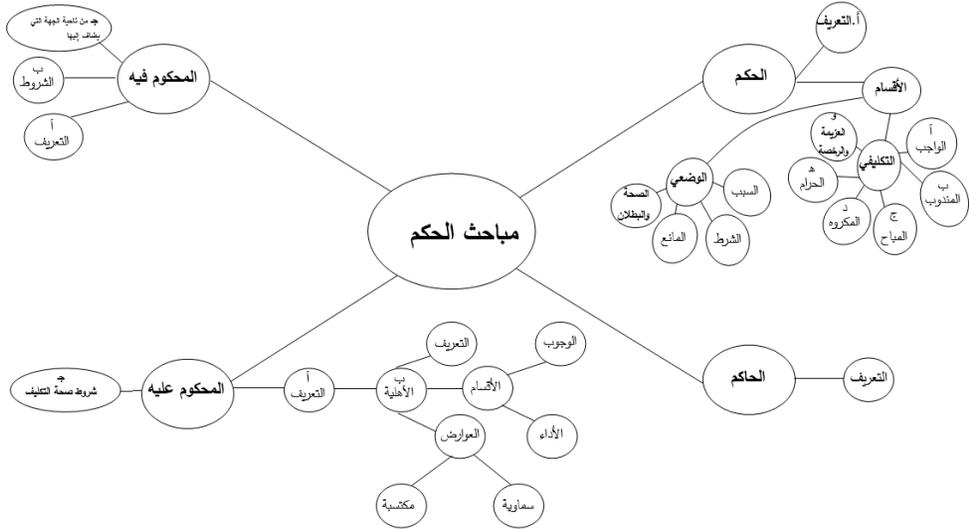
(١) استخدام خرائط المعرفة لتحسين التعلم، دايراسون، ص ٣٦.

(٢) مصدر المادة العلمية: المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، شبير، ص ٣٠٨.



١١. خريطة مفاهيمية فقاعية لمباحث الحكم في أصول الفقه<sup>(١)</sup>

(١) مصدر المادة العلمية: الوجيز في أصول الفقه، زيدان، ص ٢٣-١٤٤.



حاولت في هذه الدراسة بيان مفهوم الخرائط المفاهيمية وفلسفتها وتاريخها، وأهميتها، وخطوات إعدادها، وعرضت بعد ذلك نماذج تطبيقية يمكن لمدرسي الفقه الإسلامي وأصوله في الجامعات الاستفادة منها وتطويرها في عرضهم لمواضيع الفقه الإسلامي وأصوله، وقد خرجت بنتائج منها:

١. نظام الخرائط المفاهيمية عصري ومتطور يمكن لمدرسي الفقه وأصوله استعماله لتوضيح الدروس للطلبة لما فيه من سهولة الربط بين أطراف الموضوع.
  ٢. نظام الخرائط المفاهيمية ينفع التدريسي نفسه لأنه يعينه على التسلسل المنطقي في عرض المادة العلمية.
  ٣. يحث هذا النظام الطلبة على الابداع والتفكير المنطقي المتسلسل وكيفية إيجاد العلاقة بين أطراف الموضوع المعروض.
- وختاماً أسأل المولى جل في علاه أن أكون قد وفقت في إضافة شيء للمكتبة العلمية ولإخواني المدرسين وأحبتي الطلبة المباركين والله ولي كل نعمة وكل فضل.

والحمد لله رب العالمين.



١. الأبعاد الاجتماعية والمنهجية في التعليم الفقهي، حمود عليات، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية، عن تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات، الزرقاء، ١٩٩٩.
٢. أثر استخدام خرائط المفاهيم في تحصيل المفاهيم الشرعية وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلبة في مادة التربية الإسلامية، ماجد زكي الجلاد، مجلة جامعة الملك سعود م ١٨، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ٢، ١٤٢٦/٢٠٠٦
٣. أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، عمر سليمان الأشقر، عمان: دار النفائس، ١٩٩٧.
٤. الاختيار لتعليل المختار. عبد الله بن محمود الموصللي، تحقيق: زهير الجعيد، بيروت: دار الأرقم، (د.ت)، ج ٣.
٥. استخدام خرائط المعرفة لتحسين التعلم، مارغريت دايراسون، ترجمة: قسم الترجمة بمدارس الظهران الأهلية الدمام، الدمام: دار الكتاب التربوي للنشر.
٦. استراتيجيات التدريس لتنمية التفكير، ريان محمد هاشم. الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٦ م.
٧. التحديات التي تواجه الفقه الإسلامي، طه جابر العلواني، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة، تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، ١٩٩٩.
٨. تدريس الفقه الإسلامي، الأهداف والوسائل، عبد المجيد، تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، ١٩٩٩.

٩. التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمقررات الفقه وأصوله، فريدة زوزو، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٤١ (صيف ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
١٠. تكوين الملكة الفقهية للدكتور محمد عثمان شبير، الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩.
١١. توصيات مؤتمر تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات هايل داود (تحرير)، المؤتمر الثاني لكلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، ١٩٩٩.
١٢. توصيات مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات. ملكاوي، وأبو سل، فتحي، ومحمد. (تحرير)، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، عمان، ١٩٩٥، ج ٢.
١٣. الحدود في الفقه الإسلامي، ماجد أبو رحية، الصفاة: دار الفلاح، ١٩٩٧.
١٤. خرائط المفاهيم، بندر الغامدي، الجبيل: الإدارة العامة للهيئة الملكية - إدارة التعليم، ١٤٢٧هـ / ١٤٢٨هـ.
١٥. الخرائط المفاهيمية، بدر الدين القمودي
١٦. الخرائط المفاهيمية، يوسف القطامي ومحمد الروسان، عمان: دار الفكر، ٢٠٠٥م.
١٧. طرق واستراتيجيات التدريس الفعال، ورشة عمل من إعداد الدكتورة منال محمود أبي شادي، موقع جامعة سلمان بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية
١٨. فاعلية استراتيجيتي التعلم بالاكشاف والخرائط المفاهيمية في تحصيل طلبة المرحلة الثانوية في مادة التربية الإسلامية في دولة الكويت، ذياب صالح الحسيني ، (رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، ٢٠٠٧م).
١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشي جاز الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق

المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٠. المشكلات التعليمية والمالية والمعيشية لطلاب بعض الجامعات بالسودان (دراسة

ميدانية)، نبيل متولي، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، عدد ١٧ (سبتمبر ١٩٩١).

٢١. مشكلات طلبة الجامعة الأردنية داخل الحرم الجامعي وخارجه، وائل زغريت،

(رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤).

٢٢. مشكلات طلبة الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، باسم حوامدة، (أطروحة

دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤).

٢٣. مشكلات طلبة كليات الشريعة في الجامعات الأردنية الرسمية، وعلاجها من

منظور إسلامي، إبراهيم الزعبي، (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢)، ص ٥١.

٢٤. المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، محمد عثمان شبير، عمان: دار

النفاثس، ١٩٩٩.

٢٥. ملخص لإستراتيجية التدريس بخرائط المفاهيم، وجيه بن قاسم، منشور في

موقع مكتب التربية العربي لدول الخليج:

<http://www.abegs.org/aportal/Default.aspx>

٢٦. الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.





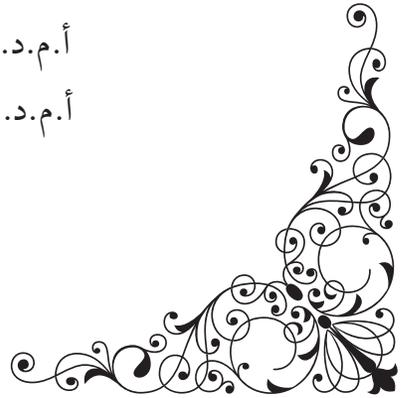
-6-

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي العاشر  
الموسوم بـ(التجديد والإستجابة لروح العصر)

إعداد

أ.م.د. محمد ضاحي الدليمي

أ.م.د. أسماء عبدالقادر العاني





الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد الأمين.  
أما بعد، فإنَّ التجديد موضوع كبير أهتمت به الثقافة الإسلامية المعاصرة، ودخل فيه أناس لا يتقنون فنه فضلاً عن التكلم فيه، وقد أتخذ في الآونة الأخيرة - بحسن نية أو بسوء نية - مطيةً لتحريف أصول الدين وقواعده، وقام أعداء الإسلام بدفع مجموعةٍ من المرتزقة للحديث عنه وإتخاذه مطعناً يطعن به الإسلام، فكان لا بد من كشف اللثام وبيان الحقيقة بين هذا الادعاء وذلك التأصيل، بصورة تأصيلية شرعية مع التفريق بين التجديد عند المسلمين بضوابطه وشروطه وبين التجديد المدَّعى عند الغربيين والحدائثين وغيرهم من المدسوسين.

ومن بين أهم المواضع التي تحتاج إلى التجديد والتطوير هو «التعليم الديني»، فقد صار جلياً لكل ذي لبٍّ مستنير مدى الحاجة الملحة إلى إعادة النظر في التعليم الديني بصورة عامة، في المناهج والوسائل والأنظمة والمؤسسات، وذلك أنَّ العيش تحت ظل حضارة مبرمجة تتيح لطالب المعلومة العديد من المصادر التي تزوده بها، ولا يمكن الاستفادة منها إلا ببناء علمي رصين لطالب العلوم الإسلامية؛ خشيةً انزلاقه في مسالك لا يستطيع الخروج منها لعدم تمكنه من فهم مطلوبه أولاً، ناهيك عن فهم ما أُستدرج فيه، فكم من طالب علم دخل على موقع ليسأل أو يبحث عن سؤال فانجرف في متاهات وسلك دروباً لم يخطر في باله يوماً أن يكون ضمن أحادها، والممعن النظر في هذه الأمور يجد أن علماء هذه الأمة أمام تحدٍّ صعب، فمصادر المعلومات متاحة بسرعة مذهلة ومواردها شتى، وهذا يجعل الأمور أشد صعوبة إذا ما حاولوا التصدي لكل وارد.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
ومن أجل ذلك كله، كان موضوع بحثنا: ((التجديد في التعليم الديني - علمي  
العقائد والأديان أنموذجاً))، وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمه على مقدمة وثلاثة  
مباحث وخاتمة، وكما يأتي:

\* مقدمة: تضمنت توطئةً للموضوع وخطة البحث.

\* المبحث الأول: مفهوم التجديد بين التعريف والتأصيل، وتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تعريف مفهوم (التجديد) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تأصيل مفهوم (التجديد) في الإسلام وضوابطه الشرعية.

\* المبحث الثاني: التجديد في التعليم الديني، وجعلناه في مطلبين:

المطلب الأول: التجديد في التعليم الديني - الصعوبات والحلول.

المطلب الثاني: مقتضيات تجديد العلوم والتعليم الديني ومظاهر النهوض به.

\* المبحث الثالث: التجديد في العقائد والأديان - المفاهيم والتطبيقات، وكان في

مطلبين:

المطلب الأول: التجديد في علم العقائد والكلام - المفاهيم والتطبيقات.

المطلب الثاني: التجديد في علم الأديان ومقارنتها - المفاهيم والتطبيقات.

\* الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وأخيراً، فهذا جهد المقل، فإن كان صواباً فمن فضل الله، وإن كان غير ذلك فنسأله

العفو والغفران، والحمد لله أولاً وآخراً، فهو وليّ النعمة والتوفيق.

\* وستتناول مفهوم التجديد في مطلبين، وهما:

المطلب الأول: تعريف مفهوم (التجديد) في اللغة والاصطلاح

\* وهذا المطلب في فرعين، وكما يأتي:

الفرع الأول: مفهوم (التجديد) لغة

هو: الفعل (جَدَّ) الشيءُ (يَجِدُّ) بالكسر (جَدَّةً): صار جديداً، وهو نقيض الخَلَقِ والبلبلى. و(جَدَدْتُ) الشيءَ (أَجَدُّهُ) بالضم (جَدًّا): قطعته. وثوبٌ (جديد)، هو في معنى (مَجْدُودٍ)، يراد به حين (جَدَّه) الحائك أي قطعه، إذ (جَدَّ الشيءَ يَجِدُّه جَدًّا): قطعه.

قال الشاعر:

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلَقًا جَدِيدَا  
أي: مقطوعا.

ومنه قيل: (ملحفةٌ جَدِيدٌ) بلا هاء لأنها بمعنى مفعولة. وثياب (جُدُّدٌ). وأما قولهم: (ملحفةٌ جديدة) بالهاء، فقليل، قال بعضهم: هو بمعنى (جَدَّ الثوب يَجِدُّ) صار جديداً، لا على ما ذكرنا من المفعول.

و(تَجَدَّدَ) الشيءُ: صار جديداً. و(أَجَدَّهُ، وَاسْتَجَدَّهُ، وَجَدَّدَهُ) أي صيِّره جديداً. و(أَجَدَّ ثوباً واستجدَّه): لبسه جديداً. و(الجدُّدُ): وجه الأرض. وقولهم: لا أفعله ما اختلف (الجدِّدان) وما اختلف (الأجدان) يُعنى به: الليل والنهار. و(جَدِيدَةُ السَّرَجِ): ما تحت الدَّفَّتَيْنِ من الرِّفَادَةِ وَاللِّبْدِ الْمُلْزَقِ. وهما (جَدِيدَتَانِ)، وهو مَوْلَدٌ. والعرب تقول:

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
(جَدِيَّةُ السَّرَجِ وَجَدِيَّةُ السَّرَجِ). و(جَدَّ النَّخْلَ يُجِدُّهُ) أي صَرَمَهُ. و(أَجَدَّ النَّخْلُ): حان له أن يُجَدَّ. وهذا زمن (الجَدَادِ والجَدَادِ). و(جُدَّتْ أَخْلَافُ النَّاقَةِ) إذا أَضْرَبَهَا الصَّرَارُ وقطعها، فهي ناقةٌ مجدودةٌ الأَخْلَافِ.

و(امرأةٌ جَدَاءٌ): صغيرةٌ الثدي. و(فلاةٌ جَدَاءٌ): لا ماءَ بها. و(الجَدَاءُ) من الغنم والإبل: المقطوعة الأذن. و(تَجَدَّدَ الضَّرْعُ): ذهب لبنُه. و(الجَدَاءُ) من كل محلوبة: التي ذهب لبنُها من عيب. و(الجُدودُ): القليلة اللبن من غير عيب، والجمع (الجَدَائِدُ) و(جَدَادُ).

و(الجَدَّةُ): نقيض البلى، يقال: شيءٌ جديد. والجمع: (أَجَدَّةٌ، وَجُدُدٌ، وَجُدَدٌ).<sup>(١)</sup>  
ويتبين لنا مما سبق أنَّ التجديد في اللغة العربية من أصل الفعل (تَجَدَّدَ) أي صار جديداً، (جَدَّه) أي صيَّره جديداً وكذلك (أَجَدَّه، واستجده)، وكذلك سُمِّي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً، ومن هذه المعاني اللغوية يمكن القول: إنَّ التجديد في معناه اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة:

- أ - أنَّ الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس به عهد.
- ب - أنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.
- ج - أنَّ ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق.

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧-١٩٨٧م: ٣/٣٩، والمخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: ١/٣٩٧، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة: ١/١٠٩.

( )

يتهيب كثيرٌ من المسلمين من مفهوم (التجديد)، ويجعلون منه مرادفاً للتغريب أحياناً، وحينما ينادي بعض المصلحين المخلصين بضرورة التجديد في الفقه الإسلامي مثلاً أو في الخطاب الدعوي، نجد أن هناك من يعترض ويقابل ذلك بالتشكيك، ظاناً أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان، عبر نزعة استصحابية تشكل عقدة الحفاظ على المألوف وبناء حاجز أمام كل جديد.

وإذا كان التجديد هو إعادة الشيء الذي بلي وتشوهت سماته الأصلية إلى حالته الأولى، فهذا يعني أنه يرادف الأصالة لا أن يعارضها؛ لأن الأصالة تعني تأكيد الهوية والعودة إلى الأصول والثوابت والمرتكزات التي تنبثق منها الأمور، وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها))<sup>(١)</sup> أي: أن هذا المجدد لا يبتكر ديناً

(١) الحديث أخرجه أبو داود (سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر: ٥١٢/٢، رقم ٤٢٩١)، والحاكم (المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ٥٦٧/٤، رقم ٨٥٩٢)، والطبراني (المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع: ٣٢٣/٦، رقم ٣٢٤)، والخطيب البغدادي (تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ٧٢/٩)، كلهم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. قلت: سكت عليه الحاكم في مستدرکه والذهبي في تلخيصه، ونقل المناوي (فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
أو يبدله، إنَّما يحیی ويصلح أمور المسلمين وعلاقتهم بدينهم، مقوّماً ما انحرف ومظهراً ما  
اندرس، بالإضافة إلى أن عملية التجديد مستمرة، وليست متوقفة عند أشخاص معينين، فهو  
يتضمن الدعوة إلى التجديد عبر اجتهاد المسلمين.

:

\* وفيما يأتي بعض المعاني التي تظهر من الحديث:

١. قوله ﷺ: «بيعت لهذه الأمة»: إن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه، بل تجاوزه ليعيش لأُمَّته  
في معركة الحياة.

٢. البعث «على رأس المائة» هو الإثارة والإرسال، أي تجديده، وليس ولادته ولا وفاته، إذ  
موته على رأس القرن هو أخذ وليس بعثاً، فيكون المراد أن الله سبحانه وتعالى يقبض لهذه الأمة  
مجدداً يتصدى في رأس المائة لنفع الأنام ونشر الأحكام.

٣. المقصود بـ«الرأس» في الحديث: فقال بعضهم: يعني (في أولها)، وقال آخرون: بل  
(في آخرها). وأصل مادة رأس في اللغة: يدل على التجمع والارتفاع، وتستعمل هذه المادة في  
الوجهين في أول الشيء وفي آخره<sup>(١)</sup>. ويبدو - والله أعلم - أن عدم تحديد المقصود به أمر مقصود؛  
لأن المجدد يظهر كلما دعت الحاجة إليه لبُعد الناس عن عهد النبوة أو عصر المجدد السابق.

---

التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ) تصحيح إسناده عن عدد من المحدثين، فقال: ((قال  
الزين العراقي وغيره سنده صحيح ومن ثَمَّ رمز المؤلف (أي السيوطي) لصحته))، وقال عنه الشيخ  
المحدث محمد ناصر الدين الألبانيرحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (موقع الألباني، الرابط:  
www.alalbany.net: (٢/١٥٠، رقم ٥٩٩): ((والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم)).  
وبالجملة فقد اعتمد الحديث: (الزهري، وسفيان بن عيينه، وأحمد، والحاكم، والبيهقي، وابن عساکر،  
والنووي، وابن السبكي، وابن حجر، والحافظ الذهبي، والحافظ زين الدين العراقي، والحافظ ولي  
الدين العراقي، وابن الجزري، وابن كثير، وابن الأثير، والسيوطي، والبخاري، والمنائوي)، ومثات  
غيرهم اعتمدوا الحديث واشتغلوا في تحديد من ينطبق عليهم.  
(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ٧٥/٥، والمعجم الوسيط: ٣١٩/١.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

٤. هل المقصود بقوله ﷺ: «من يجدد لها دينها» فرد أو ما هو أعم أو أشمل من ذلك؟.

فلفظ (مَن) يطلق على المفرد وعلى الجماعة، وقد وقع خلاف في ذلك.<sup>(١)</sup>

ونحن بحاجة إلى التمييز وعدم الخلط بين التجديد الذي يُعدُّ جزءاً حيوياً من ديننا، وبين التجديد بمفهومه الغربي الذي يغلب عليه مجاوزته للماضي وانسلاخه منه، والذي ينظر بمنظور الفلسفة البراغماتية التي ترفض القيم المطلقة وثباتها، وتتخذ الواقع ونجاح التطبيق مقياساً للحق وصدق الفكرة.

فالتجديد الذي نقصده يعود للأصول ولا يهدرها، ولا يعتمد الواقع مقياساً للحق والصواب، بل يتحرى فيه الوسائل التي ينزل عليها القيم ليرتقي ويرتبط بها، أي أنه يقرر القيم والمبادئ الثابتة، ويربط بينها وبين واقع العصر عبر منهجية مقاصدية في فهم النصوص، كما كان في عصر الرسول والصحابة، وكما فعل الأئمة المجتهدين، فكل مشروع نريده أن ينهض ويتحضر لا بد أن يتوغل في الأصالة بنفس درجة توغله في الحداثة، وإلا كان مجرد قديم مقلد أو غريب مستجلب. فالدين به الثابت والمتغير، ولا بد من التفرقة بين القطعيات والظنيات، والأصول والفروع، والأهداف والوسائل؛ لأن القطعيات والأصول والأهداف ثابتة لا مجال للتجديد فيها، أما الظنيات والفروع والوسائل فهذه تحظى بمساحة كبيرة من المرونة وقابلية الاجتهاد البشري، وهذا الذي أكسب ديننا صلاحيته لكل زمان ومكان، فالنصوص متناهية والأحداث والوقائع

(١) ينظر: التجديد في الإسلام، المنتدى الإسلامي، ط ٢، ١٤١١هـ: ص ١٩-٣٨، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه ومجالاته)، الشيخ مراد بن أحمد القدسي، موقع الهدى، ٢١ سبتمبر ٢٠١٠م، الرابط: <http://msjdna.blogspot.com/>، والتجديد، أ.د. سيف الدين عبدالفتاح، أستاذ النظرية السياسية، جامعة القاهرة، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود: ١٧٠/٣٣، وتجديد الدين لدى الاتجاه العقلائي الإسلامي المعاصر، د. أحمد بن محمد اللهيبي، مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٢هـ: ص ٥٢-٥٨.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
والقضايا غير متناهية، لاسيما في عصرنا، فلا بد من الاجتهاد والتجديد الذي يستدعي  
الأحكام والحلول الشرعية المناسبة لخضم أحداث عصرنا، مع التنبيه إلى ضرورة التفرقة  
بين كلام الله عز وجل ورسوله ﷺ وبين كلام بقية البشر.

فنحن بحاجة إلى اجتهادات فردية وجماعية عبر مؤسسات وجمعيات يقوم عليها علماء  
أجلاء من مختلف البلدان الإسلامية مشهود لهم بالعلم وسلامة الرأي والمنهج، يمتلكون  
أدوات التجديد، ليحركوا بها فكرنا وعلومنا الراكدة، ويشرفوا على البحوث العلمية التي  
تستند إلى الكتاب والسنة، وتراعي الطريقة والعقلية المناسبة لطبيعة عصرنا، ويُستفاد من  
معطيات العصر ووسائل البحث الجديدة، ليلوروا ويشيعوا «المعاصرة الأصيلة» بعيداً  
عن وطأة التناقضات. فتجديد الدين يكون في أوجه كثيرة، منها: الاقتصاد وتنظيم شؤون  
الحياة، والجهاد في سبيل الله، وإقامة حكم الله، وإقامة الحدود، وتعليم العلم الشرعي،  
وإعادة الناس إلى الاعتقاد الصحيح ومنابع العلم الأصلية، وإعادة الناس إلى أخلاق  
الإسلام وقيمه، والتحاكم إلى شرع الله. كل هذا من تجديد دين الله، ولا يمكن أن يقوم  
به فرد، بل لا بد أن يجتمع على ذلك أعداد من الناس، فمنهم من يجدد جانب الاجتهاد،  
ومنهم من يجدد جانب الجهاد، ومنهم من يجدد جانب القيم والأخلاق وغير ذلك.<sup>(١)</sup>

وعموماً، فالناظر في اصطلاح هذا المفهوم يجده يتلخص في ثلاثة أمور، وهنّ  
كما يأتي:

إحياء الفهم الصحيح للإسلام: وذلك بنفي جميع الأشياء التي دخلت على الإسلام  
من البدع الفكرية أو من تأثيرات البيئة التي يعيشها الناس والواقع المخالف للإسلام،  
فهذا الإحياء هو من أهم مهمات المجددين.

(١) ينظر: الاجتهاد والتجديد- هل من مزيد، سارة الراجحي، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية  
المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٥/ ٢٥١-٢٥٢.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

التجديد في العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى التي يحتاجها الناس في تطوير حياتهم. إن الرسول ﷺ قد أمر ببيان القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾<sup>(١)</sup>، فمهمات الرسول ﷺ يكون: بد (البلاغ اللفظي، والتربية والتطبيق العملي، والشرح والتفسير لمعانيه وحل إشكالاته)، وهذا هو حال المجدد لعلوم الإسلام، عليه أن يتمثل هذه المهمات الثلاث.

تطبيق الإسلام في واقع الحياة: ويشمل جوانب عديدة، منها: التجديد في ميدان الدعوة ووسائله، فكل وسيلة جديدة يتفتق عنها العصر الحاضر أو العصور القادمة إذا لم يرقم الدليل الشرعي على تحريمها فالأصل جواز استعمالها، ولعل من أبرزها هو وسائل الإعلام الحديثة، فقد أصبحت تصوغ عقول الناس وحياتهم في كل مكان. وكذا قضية الإدارة، فكثير من أعمال المسلمين ومؤسساتهم مبنية على نوع من الفوضى والارتجال، ولم تستفد من الطرق والنظريات الجديدة في الإدارة، فهناك طرق تطورت وأصبح بالإمكان الاستفادة منها.<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الجمعة - الآية: ٢.

(٢) ينظر: مفهوم التجديد في الإسلام، الشيخ سلمان بن فهد العودة، الموسوعة الشاملة: مقالة ١٤٠: ص ٤، ٦. ومن الأشياء المهمة أيضاً هي: «مخاطبة الجماهير»، فقد آن الأوان أن لا تكون الدعوة إلى الإسلام وفقاً على دعوة الشباب، بل نحتاج الآن إلى مخاطبة جماهير الناس؛ لأن الجماهير اليوم مستهدفون من أعداء الإسلام بحيث تسقط آلاف البرامج على البلاد الإسلامية ليتلقاها الناس في قعر بيوتهم، فالدعاة بحاجة إلى أن يخاطبوا جمهور المسلمين، وأن ييسطوا العلم للناس وتسهيله لهم، ومحاولة مخاطبة أكبر طبقة ممكنة من الناس من الوسائل المتاحة.

( )

في واقعنا اليوم اختلطت المصطلحات واختلطت دلالاتها، بل زاد الأمر سوءاً طروحاتُ الحداثة والعلمانيّة ومذاهبها، وقد روج الإعلام لهذه المفاهيم كثيراً بأشكال متعددة ووسائل متنوعة، فظهرت مصطلحات: (الأصالة، المعاصرة، التقليد، التجديد)، وغير ذلك من المصطلحات التي ظلّت عائمة لا تحمل معنى محدداً أو تحمل معاني مختلفة كل معنى يمثل طائفة<sup>(١)</sup>.

ومنذ القرن التاسع عشر أخذت تظهر بوادر هذا الغزو، فنشأت طائفة تدعو إلى تبعيّة كاملة للغرب، وظهر ذلك في مرحلة ضعف المسلمين، فأثر الغزو فيهم تأثيراً كبيراً وظلّت المصطلحات تتردّد في تناقضاتها أو تغيب عائمة دون وضوح، حتى أصبح التجديد يعني التبعيّة العمياء للغرب في قضايا لا تبني مستقبل الأمة. فأهل الحداثة اتّبَعوا مذاهب الغرب العلمانيّ وحدثته في تبعيّة عمياء، وعدّوا ذلك هو التجديد، حتى في ما يخالف الإسلام صراحة، وحاربوا كل قديم في أمتنا بنصوص صريحة، ومن بينها الدين واللغة، بل أعلن بعضهم كلمة الكفر صريحة مدوّية، ولكن المستغرب والمستنكر أنّهم

---

(١) إنّ بيان معاني المصطلحات المتداولة وضبطها من أهم نشاطات البحث وأوجب الواجبات على الباحثين، وذلك للوصول إلى اتخاذ مواقف منضبطة تجاه المصطلح، واستعماله استعمالاً لا يتعارض مع مدلوله، فهو سياجٌ للحراك الفكري من الخلط والعبث، وحمايةٌ للعقل المسلم من الإرباك والفوضى؛ لأن عدم وضوح دلالة المصطلح يورث - أثناء استعماله - شيئاً من الضبابية الفكرية والتميّع العلمي، الأمر الذي يسمح لقراصنة الفكر من العلمانيين وأضرابهم من خطف ذلك المصطلح وتوظيفه توظيفاً غير نزيه، بعد إفراغ مضمونه من دلائله الشرعية، ثم تعبئته بالمضامين الغربية المنحرفة وتسريبها إلى العقل المسلم عبر ذلك المصطلح الذي قد يكون شرعياً في أصله.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

استثنوا من القديم كله أساطير اليونان وخرافاته التي ظلت تمثل محوراً في الفكر الغربي العلماني وفي أدبهم وفكره.<sup>(١)</sup>

ولا شك أن هؤلاء ليسوا بمجددين، ولكنهم مقلدون للحدائثة والعلمانية والغرب، فأخذوا عنهم القشور وأسوأ ما لديهم، ولم يأخذوا العلم الذي نحن بحاجة إليه، وبقينا عالة على الغرب العلماني الحدائثي في أخطر ما يحتاجه الإنسان، فكثير من مظاهر التجديد في واقعنا اليوم هي لم تعطِ الأمة أي خير ولم توفر لها أي قوة. وعلى أية حال، فإن مفهوم التجديد في الفكر الغربي يرتكز على أساسين، هما:

أ - عملية التجديد لا تُرى إلا بمنظور التكيف في إطار من نسبية القيم وغياب العلاقة الواضحة بين الثابت والمتغير، إذ تعتبر كل قيمة قابلة للإصابة بالتبدل والتحول، وعلى الإنسان أن يستجيب لهذه التغيرات بما أسمته التكيف، ولم يطرح الفكر الغربي قواعد لعملية التجديد وحدوده وغاياته ومقاصده.

ب - يغلب على مفهوم التجديد عملية التجاوز المستمرة للماضي أو حتى الواقع الراهن، من مفهوم الثورة الذي يشير إلى التغيير الجذري والانقلاب في وضعية المجتمع. وتبدو فكرة التجاوز مرتبطة بالفكر الغربي الذي يقوم على نفي وجود مصدر معرفي مستقل عن المصدر المعرفي البشري المبني على الواقع المشاهد أو المحسوس المادي.<sup>(٢)</sup>

وفي خضم الجدل الواسع حول قضية (تجديد الخطاب الإسلامي) نجد من يحاول أن يفسّر الإسلام تفسيراً بعيداً عن المنهج العلمي المبني على إجماع السلف وأصول

(١) ينظر: بين التقليد والتجديد، د. عدنان علي رضا النحوي، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣هـ: ٥٢/١٥.

(٢) ينظر: التجديد، أ.د. سيف الدين عبدالفتاح: ٣٣/١٧١، وتجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر: ص ٦٣، ١٠٦.

## التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الاستنباط وشروط الاجتهاد ومراعاة الأدلة الشرعية والمقاصد الكلية في الإسلام، وإنما يحاول أن يبني قراءته من منهج عقلي مجرد عن الوحي، أو من ذهنية منهزمة أمام ما انتجته الثقافة الغربية، أو بناءً على قناعة فكرية غالباً ما تكون من مخلفات الاستشراق، مما يجعله يتخبط تخبطاً واضحاً ويتحرف انحرافاً شديداً في فهم الإسلام. ولا شك أن هذا المنهج المنحرف - غير العلمي في فهم الإسلام - كان له أثر سلبي في محاولة تجديد الخطاب الديني المعاصر، حتى أصبح مصطلح التجديد مرادفاً لمصطلح (التحريف)، فحركة التجديد هذه انطلقت بعد صدمة حضارية أصيب بها العقل المسلم في بداية القرن الماضي نتيجةً للانبهار لما وصل إليه الغرب من التقدم العلمي والصناعي والعسكري مقارنةً لما وصلت إليه الأمة من حالة الجمود والضعف والتخلف. وهنا تكمن المشكلة، فالذي يقوم بعملية التجديد - في مثل هذه الحالة - غالباً سيكون مستلباً من قبل الغرب فيكون هو معياره الوحيد في تحديد مفهوم التقدم والتجديد، وليست المشكلة في الانبهار والتأثر بالغرب فحسب، وإنما المشكلة العميقة أن يُمارس تجديد الدين من هذه النفسية المستلبة والمنهزمة تجاه الغرب؛ لأننا حينئذ نبتعد كثيراً عن المفهوم الشرعي للتجديد، في حين يجب أن تُتخذ ثوابت الإسلام - عقيدةً وشرعيةً - التي هي أبرز مكوّن للذات المسلمة وللحضارة الإسلامية، يجب اتخاذها معياراً صارماً لمعرفة الصحيح والباطل، وقاعدة إنطلاق نحو التقدم والتحديث، وقد وضّح الإمام مالك رحمه الله المسار الصحيح لعملية التجديد والنهوض بالأمة، إذ يقول: «وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا»<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ: ٨٨/٢.  
(٢) هذه الحالة اصطلاح عليها ابن خلدون في نظريته الشهيرة، بـ(تقليد الغالب للمغلوب)، حينما

( )

\* وجعلناه في فرعين، وكما يأتي:

( ) :

يُعدُّ مصطلح التجديد من أكثر المصطلحات إثارةً وشيوعاً في الفكر الإسلامي المعاصر، وفي الوقت نفسه قد يثير حساسية بالغة نتيجة لسوء استخدامه إذ يتلاعب بعضهم بالدين تحت عباءته.

والأصل في مشروعية التجديد قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة وسنده صحيح: ((إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))، ومن المعلوم أنَّ الدين الإسلامي جاء ليقطع جوانب المُحدثات (البدع) التي تزيل جمال الإسلام وتشوه منظره، فيجب أن يظل صافياً نقياً يأخذه الناس كما أخذه الصحابة عن النبي ﷺ اعتقاداً وسلوكاً ومعاملة. ولهذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يوجد المجددون لهذه الأمة الذين ينقون الدين مما علق به من إحداث المحدثين وشبه المبطلين.

ومسألة التجديد في هذا الدين مسألة شرعية؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد ختم بنبيه

---

قال: ((إن المغلوب مولعٌ أبداً بالإقتداء بالغالِب في شعاره وزِيَّه وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه)) [مقدمة ابن خلدون: ص ٢]. ينظر: التجديد حينما يفقد مساره، عبدالله بن محمد المالكي، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود: ١٧٣/٣١.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا يوجد بعده نبي ليجدد للناس دينهم كما كانت الأنبياء تبعث في بني إسرائيل لتجدد لها أمر دينها حيثما يحصل فيها انحراف، ولكن النبي ﷺ خاتم الأنبياء وشريعته صالحة لكل زمان ومكان. إذن، لا بد من وسائل لتظل الشريعة صافية نقية، ومن هذه الوسائل الوقائية:

- حفظ الله لكتابه الكريم حفظاً للدين: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

- منة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بخصيصة الإسناد في الحديث النبوي وحماية الشريعة من الكذابين.

- وجود العلماء المنافحين عن الدين المبيّنين الحق من الزائف فيه دون أن ينقطع تسلسلهم عبر العصور.

- مسألة التجديد في هذا الدين لتكون أيضاً وسيلة لتنقية وتصفية ما يحدث في الدين من انحراف أو بدع أو خرافات ليرجع إلى ما كان عليه نقياً صافياً.

ومن التعريف الشرعي للتجديد عند علماء المسلمين نعرف ما هو الواجب علينا نحو هذا الدين من هذا المفهوم الصحيح، ثم بعد ذلك تتنوع مجالات التجديد في الإسلام، وذلك لأنّ التجديد علاج لما يحدث من انحراف في حياة الناس فقد يكون الانحراف في جانب الاعتقاد فنحتاج إلى تجديد في جانب الاعتقاد، وقد يكون الانحراف في الأمة في جانب السلوك فنحتاج إلى تجديد في جانب السلوك والأخلاق، وقد يكون في الحكم والسياسة أو النظر والاستدلال أو في المفاهيم والتصورات التي يقدمها أعداء الإسلام عن الإسلام، فنحتاج إلى تجديد في مجال فضح الاتجاهات والمناهج والسبل المخالفة للإسلام، وهكذا.. يحتاج كل جانب من الدين تجديداً بحسبه، لذا تتنوع مجالات التجديد

(١) سورة الحجر - الآية: ٩.

\_\_\_\_\_ التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
ضمن التجديد المنضبط بالشرع تبعاً للانحراف أو للضعف والركود الذي يحصل في  
جانب من جوانب الإسلام.<sup>(١)</sup>

( ) :

إنَّ الفكر الإسلامي - من حيث الجملة - يقبل التجديد، إلا أنَّ هذا القبول ليس  
بشكل مطلق وعام، إذ بعض مجالات الفكر يقبل التجديد، ومنها ما لا تقبله، وحتى  
القسم الذي يقبل التجديد له شروط وضوابط. وبيان ذلك فيما يأتي:  
أولاً: دائرة التجديد في الفكر الإسلامي

الفكر هو عمل عقلي محض يختص بالإنسان، فليس كل ما جاء به الإسلام من  
تصورات وأحكام يعدّ فكراً، فهذه التصورات والأحكام جاءت من الله العليم الحكيم،  
وواجب المسلم تجاهها التسليم والإذعان، قال الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا  
﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمقصود إذن بالفكر الإسلامي هو الآراء الاجتهادية التي قدمها علماء الإسلام في  
مختلف العلوم منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا.  
وبناءً على ذلك، فلا تعدُّ الأمور الآتية من الفكر الذي يقبل للتجديد:

١. ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى أو رسوله ﷺ من الأمور الغيبية بنصوص صحيحة

---

(١) ينظر: مقالة (إشكالية التجديد بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي)، الكاتب الصحفي اسعيد  
مديون، موقع حزب النهضة والفضيلة، الرابط: <http://partirv.com/>، ومقالة (التجديد  
مفهومه وضوابطه)، الكاتب حسن بن محمد شبالة، صحيفة الرشد، صنعاء.  
(٢) سورة الأحزاب - الآية: ٣٦.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
صريحة لا تحتمل التأويل ولا مجال للاجتهاد فيها: ك(الإخبارات المتعلقة بذاته المقدسة،  
وخلق الإنسان، والجن، والملائكة، والبعث والحساب، ووجود الجنة والنار وصفتهما،  
والإخبارات الماضية عن الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم ونحوها).

٢. ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى أو رسوله ﷺ من أحكام شرعية بنصوص صحيحة  
صريحة لا تحتمل التأويل ولا مجال للاجتهاد فيها: كالأحكام الشرعية المتعلقة ب(أصول  
العبادات وأصول المعاملات).<sup>(١)</sup>

### ثانياً: ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي

لقد سهّلت ثورة الاتصالات والمعلومات التي يعيشها العالم الحديث من القنوات  
الفضائية والإنترنت وطرق الاتصال اللاسلكي، سهّلت سرعة وصول أفكار  
الحضارات الأخرى وانتشارها في المجتمعات الإسلامية، وهذه الأفكار الواردة تختلف  
عن الفكر الإسلامي من حيث منطلقاتها وأهدافها، فكان لا بد من وضع ضوابط تغربل  
هذه الأفكار، فهذه الضوابط هي التي تحفظ فكرنا التجديدي من الفوضى الفكرية التي  
قد تكون سبباً لنشوء النزاعات وهدم المجتمعات، ويمكن أن تقسم تلك الضوابط إلى  
قسمين:

### القسم الأول: ضوابط في المُجدد (سواء كان فرداً أو جماعة):

١. أن يكون المُجدد من الفرقة الناجية (عقيدة وسلوكاً ومنهجاً)، بمعنى أن لا يكون  
المجدد من فرقة ضالة منحرفة، لأنه سيجدد على ضوء انحرافه وابتعاده عن الدين فربما

---

(١) ينظر: مقالة (ضوابط تجديد الفكر الإسلامي)، د. يوسف على فرحات (مدير عام الوعظ  
والإرشاد)، موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، فلسطين، الإدارة العامة للوعظ والإرشاد،  
الرابط: <http://www.palwakf.ps/irshad/>، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه)،  
الكاتب حسن بن محمد شبالة.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

أصاب الدين بالفساد والانحراف تبعاً لتصرفاته وعقيدته المنحرفة. فالتجديد مهمة الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة)، ومن هنا فليس للفرق المتشايعة على الباطل والهوى من التجديد نصيب، فهي تهدم الدين وتشوه حقيقته.

٢. أن يكون لدى المُجدِّد من العلم الشرعي الحد الكافي، فالعلم مطلوب لأنه لن يجدد من لا يكون لديه علم وسعة إطلاع. بل اشترط بعض أهل العلم أن يكون مجتهداً، ويمكن أن يقال: إن كان التجديد كلياً فيجب أن يكون الشخص المجدد مجتهداً مطلقاً، وأما إن كان التجديد جزئياً فيكفي أن يكون المجدد مجتهداً في المسألة والقضية التي سيجدد فيها.

٣. أن يكون المُجدِّد صاحب همة عالية وإرادة في التغيير فاعلة وثابة، فهو ينطلق بالأمة من واقعها المرفوض المنحرف صعوداً في طريق الصلاح والنجاح، ولا يرضى بالواقع السيء ولا يباركه، فكلمة (يبعث) الواردة في الحديث تدل على أن المجدد ليس كسولاً ولا صاحب مصالح دنيوية دنيئة، بل هو صاحب همة عالية وعزيمة قوية، يسهر الليل ويتعب في النهار، ويحقق في المسائل، ويبذل جهده وماله ووقته، من أجل أن يجدد شيئاً من دين هذه الأمة فهو صاحب نشاط وعمل وحيوية وابتكار وإبداع.<sup>(١)</sup>

القسم الثاني: ضوابط في عملية التجديد:

١. إنَّ التجديد لا يطال بحال أصول الشريعة، بل يقتصر على فقه الشريعة أو آليات فهمها (الاجتهادي منها)، فهو استجابة طبيعية لحاجات التدين في عصر متجدد وظروف حادثة.

٢. الضابط الأصولي الذي يحكم مسألة التجديد والاجتهاد هو: (لا اجتهاد في مورد النص)، وهذه القاعدة تقودنا إلى تقسيم منهجي للمسائل جميعها من وجهة نظر الإسلام

(١) ينظر: التجديد في الإسلام: ص ٥٢-٥٦، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه)، الكاتب حسن شبالة.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

إلى قسمين قد لا يكون ثالث لهما:

أ. المسائل الظنية: التي يكون مدركها ظني الورود أو ظني الدلالة أو كليهما، وهذه المسائل هي الغالبية الساحقة من المسائل الشرعية، ويجوز فيها الخلاف ويقع فيها الاجتهاد بإجماع المسلمين، ومن ضمنها تقع تسعة أعشار المسائل السياسية الشرعية والاجتماعيات التي لا نص فيها.

ب. المسائل القطعية (الورود والدلالة): وهي معدودة في الشريعة، يكفر ويخرج من الملة منكرها وروداً أو دلالة، وهي تشمل: (قطعيات العقائد الإسلامية، وأصول الأخلاق والعبادات وأصول المعاملات والفرائض والحدود المنصوص عليها)، فضلاً عن أصول الفقه الكلية، ومقاصد التشريع الكلية. وهذه القطعيات هي صمام أمان يعصم الأمة من الزيغ والهلاك، وهي الثوابت التي تدور حولها بقية المتغيرات والظنيات.

٣. أن لا يؤدي الفكر التجديدي إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الإخلال بها، فمن ضرورات التجديد حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية بحسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك خلافاً لتيار العصرية، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية، لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (١١) (١)، وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب طاعة الله تعالى ورسوله، فأى فكر يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له، كالفكر الذي يبيح الربا ويرفض الحجاب الشرعي للمرأة.

٤. أن لا يكون الفكر التجديدي فكراً أجمع علماء الأمة على رده وعدم اعتباره.

٥. أن يراعي الفكر التجديدي القواعد العامة في الإفتاء، ومن هذه القواعد:

(١) سورة التغابن - الآية: ١٢.

\_\_\_\_\_ التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

أ. لا يجوز أن يتبع رخص المذاهب وزلل العلماء.

ب. أن لا يكون ملفقاً بين المذاهب بلا دليل صحيح وبحيث يلزم قولاً وصورة باطلة

عند هذه المذاهب.

ج. أن لا يكون مستمداً من الآراء الشاذة في المذاهب، وهو مقابل المشهور أو الراجح

أو الصحيح.<sup>(١)</sup>



---

(١) ينظر: مقالة (ضوابط تجديد الفكر الإسلامي)، د. يوسف على فرحات، موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، فلسطين، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه)، الكاتب حسن شبالة، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه ومجالاته)، الشيخ مراد القدسي، وتجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر: ص ٣٨٤-٣٨٩.

لقد سعى أهل الزيف والباطل جاهدين لطمس حقائق الاسلام الصافي وإظهار فكر الكفر على أنه الحق بمختلف أنواع المغالطات، ومن بين أكاذيبهم التي يروجون لها لطمس حقائق الحضارة الاسلامية كذبة أن كل من جدّد في مجال العلوم عند المسلمين كان منحرفاً عن تعاليم الاسلام وعقيدة أهل السنة، محولين بذلك رمي الاسلام الصافي بما هو في الأديان المحرفة التي تركوها، ولكن هيهات أن يقاس دين الحق على أديان الباطل فالإسلام هدم علوم الباطل وعلوم الخرافة والأساطير والسحر، وأقرّ وحضّ على علوم الحق والنفعة، حتى ظهر من علماء المسلمين أناس ممن شربوا من معين القرآن والسنة جمعوا الحُسنيين حيث كانوا علماء حديث وفقه وفي الوقت نفسه أحدثوا ثورة عالمية في العلوم التجريبية، فبرعوا في الدنيا والدين<sup>(١)</sup>.

كما أن هنالك من عامة المسلمين ممن درسوا العلوم التجريبية دون العلوم الدينية، لكن علمهم بأصول إسلامهم وعيشتهم عليه وحبهم له جعلهم يمشون على تعاليمه في أخلاقهم ومعاملاتهم وأمانتهم<sup>(٢)</sup>. فكل هؤلاء يُعدّون فخراً للأمة الإسلامية، وعلامة بارزة على إهتمامها بالعلوم النافعة (الدينية والدينيوية) وعلى سيرها وفق منهجية محكمة ومناهج رصينة في طريق العلم والتعليم<sup>(٣)</sup>.

(١) من بين هؤلاء العلامة المحدث والفقير الشافعي والطبيب ابن النفيس، والعلامة المحدث الأندلسي وأفضل طبيب جراح في زمنه أبو القاسم الزهراوي، إذ نالوا شرف السبق قبل غيرهم في الميدان العلمي وكانت لهم بصمة عالمية وابتكارات علمية خالدة في العلوم التي تخصصوا فيها، كما كانوا علماء دين أيضاً.

(٢) ومن هؤلاء: الفلكي ابن الشاطر، والمبدع الخوارزمي، والإصطخري، والجغرافي الكبير الإدريسي، وغيرهم كثير.

(٣) ينظر: مقالة: (علماء أهل السنة وإسهامهم في تجديد وتغيير مجرى العلوم)، محمد الباحث، مصر، منتدى التوحيد، ٢٠١٢م.

-

\* وهو في فرعين:

:

إنَّ التاريخ يحكي صراع التجديد وتحدياته وتجاربه وتحيلاته بين أديانه وأعدائه، فنحتاج أن نعيد النظر فيه بشكل جادّ ومستمر حول مفاهيم وآليات التجديد، لا سيما في العلوم الشرعيّة، هذه العلوم التي كانت فخر الأمة ومصدر عزتها وحضارتها، فلا يمكن أن تكون هي ذاتها سبب تخلفها وضعفها.

والواقع المعاصر يؤكد على أن علوم الشريعة قد أصبحت ملجأ للضعفاء وموتلاً للكسالى ووصمة تخلف وسمة انتقاص لطلاب الشريعة وفقهائها في بعض المجتمعات الإسلاميّة، وحقيقة أنّ هذه النظرة الدونيّة لتلك العلوم ليست دائماً تآمراً من الأعداء ومكائد ضد الإسلام، بل قد يكون تفريطنا في المحافظة على علومنا وفي إصلاح مناهجنا، ثم إنَّ إهمال تطويرها لمواكبة المستجدات المعاصرة وإيجاد الحلول لمشكلاتنا الفكرية والحياتية المختلفة سوف يُغيّب هذه العلوم عن الحياة المعاصرة، وينمي الرغبة للحلول المستوردة، وبالتالي تصبح مؤسّساتنا وجامعاتنا الشرعيّة مصنعاً لإنتاج الكتب والمدونات لمجتمعات ماضية ولظروف مختلفة.

لذا، فإننا في حاجة ماسّة لتفعيل دور تلك العلوم لتفي باحتياجاتنا وتواكب متغيرات مجتمعنا المعقّدة، ونقوم فعلاً لا لفظاً بالدور التجديدي لها من غير أن نلغي أو نبذل في

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

سمتها العام وأصولها التي قامت عليها.

فالمعارف البشرية إذا توقفت عن الإبداع والتجديد بليت في عقول أصحابها وشاخت أفكار روادها، وأرغمتهم نحو التبعية والانسياق في ركب الأمم المتقدمة، وتصبح علومهم مهما كانت نفاستها كالتقود التي ولّى زمانها وذهبت قيمتها.

ومن المؤسف أن دعوات التجديد ارتبطت في ذهن البعض بأنموذج خاطئ أراد محو الماضي وإبدال الوحي المعصوم بآراء بشرية تحكمها مصالح آنية، فهذا التطرف في دعوى التجديد لا ينبغي أن يقابله تطرف في الانغلاق والتقليد، وأحسب أن أهل العلم والبصيرة من حملة العلوم الشرعية على عاتقهم مهمة كبرى تلزمهم المبادرة في وضع مناهج ورؤى جديدة في تصنيف وتدریس وتنزيل العلوم الشرعية على معاش الناس واحتياج مجتمعاتهم الحالية والمستقبلية، دون الغفلة عن تكوين الطالب والمعلم التكوين الذي يؤهله للتعايش الايجابي مع واقعه، وتعميق وعيه بمجريات الأحداث التي حوله، وهذا ما جعل علماءنا يزيدون دوماً من الشروط المؤهلة للمجتهد والناظر في الأحكام تبعاً للمتغيرات الحادثة والوقائع المتشابكة، مما ألزمهم في عصرنا الحاضر أن ينادوا بجماعية الاجتهاد سداً لنقص التصور للواقع من الأحاد، وهذا على سبيل المثال وإلا فحالات النهوض والتجديد في تاريخ علومنا الشرعية تعدّ منارات عطاء وهداية للأجيال اللاحقة، أضاءها الشافعي في رسالته والغزالي في مصنفاته الفقهية وابن تيمية في فتاواه واختياراته والشاطبي في موافقاته، وغيرهم من رواد التجديد الديني في مسيرتهم الصادقة والمتابعة كما أخبر عنهم النبي ﷺ.

إن العلوم الشرعية هي النافذة التي يطلّ منها العالم على الإسلام، وطلاب هذه العلوم هم نماذج حيّة تحكي مبادئ هذا الدين، وبقدر مدخلات المعارف الصحيحة والتربية القويمة لهؤلاء الأفراد تكون المخرجات المتوقعة القادرة على حمل المشروع النهضوي

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

للأمة في رهانها الحضاري الكبير على البقاء أو الفناء.<sup>(١)</sup>

:

إنَّ العلوم الإسلامية ينبغي أن تكون هي النبراس المنير لجميع المواد التدريسية بما تحتويه هذه المادة من معارف تهدف إلى تقويم سلوك الفرد والمجتمع وبناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح، والرقي بهذا الأخير نحو التقدم المادي والمعنوي.

الصعوبات التي تقف أمام تجديد التعليم الديني والنهوض به:

١. الصعوبات المتعلقة بالكوادر التدريسية، وتشمل:

\* ضعف تكوين الكوادر التدريسية علمياً وتربوياً.

\* عدم أوقلة استعمال الوسائل السمعية والبصرية.

\* المشاكل المادية والمعنوية التي يواجهها التدريسيون.

\* ابتعاد واقعهم الفعلي عن السلوك الإسلامي القويم.

٢. الصعوبات المتعلقة بالإدارة وواقع التدريس، وتشمل:

\* العناية بالأهداف العامة وإهمال وسائل الوصول إليها، فالأهداف عندما تُسطَّر

دون أن توضع آليات لتطبيقها تبقى مجرد شعارات فضفاضة، وهذا هو الواقع في الدول

المتخلفة في جميع المجالات، وليس في التعليم فقط.

\* غياب تصور واضح عن الطالب المسلم الذي نتمنى تخرجه.

(١) ينظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٩م: ص٣٩٢، ٥٦٣، وتجديد العلوم الإسلامية تكميل للمسيرة أم تبديل للشريعة، د.مسفر بن علي القحطاني، قسم الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ٢٠٠٥م.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

\* كثير من الأساتذة غير مهتمين بالبحوث المستجدة في مجال التربية والتكوين، وقد لا يتبعون طريقة بعينها وإنما يسعون إلى إيصال المعلومات ولو بطريقة اعتباطية.

\* تخريج طلبة فاقدين للمهارات اللازمة في الحياة الحديثة وعاجزين عن المشاركة فيها، فخريج المدارس الدينية والكليات الإسلامية غالباً ما يقتصر على الوظائف الدينية كالوعظ والإمامة والتدريس، وهذا مرتبط:

- إما بضعف التكوين الذي يقتصر فقط على العلوم الدينية ولا يؤهله للعمل في ميادين أخرى.

- أو مرتبط بمنظومة ثقافية وتاريخية متأثرة بالعقلية الاستعمارية، وتقسيم المجتمع العربي الإسلامي إلى قسم محافظ وآخر منفتح، فكان من يحافظ على الأصالة يعدُّ العلوم الأخرى علوماً دخيلة لا علاقة لها بالحضارة الإسلامية. في حين أن طلبها هو واجب كفائي كحال التخصصات الإسلامية، فكان العلماء المسلمون يجمعون بين كل العلوم، فتجد ابن سينا طبيباً وفاقياً، والرازي رياضياً وفاقياً.

### ٣. الصعوبات المتعلقة بالمناهج (الكتاب التعليمي)، منها:

\* عدم مراعاة الخصائص العقلية والوجدانية والنفسية للمتعلمين.

\* اقتصار كثير من مضامينه على أفكار نظرية مجردة لا علاقة لها بالمحسوس.

\* غياب التناسق بين مكونات الكتاب في كثير من المناهج.

التطلعات والحلول الممكنة لتجديد التعليم الديني:

١. الالتزام بمواصفات علمية وتربوية عالية للتدريسيين، وتلافي ضعف التكوين، عن طريق دورات التكوين والتعليم المستمر للكوادر التدريسية.
٢. اقتراح الحلول المناسبة لتجاوز المشاكل المادية والمعنوية، والمساهمة الفعالة في حلها.
٣. استعمال الوسائل السمعية البصرية، وتعاون الإدارة في تحقيق ذلك بتوفيرها.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

ومتابعة استعملها.

٤. إعداد برنامج محكم، ووضع تصور واضح حول شخصية الطالب المسلم المراد تخرجها.

٥. ينبغي أن يكون هناك تلاحم بين الأسرة والمؤسسة التعليمية وبين المجتمع من أجل إسداء الخدمة التربوية.

٦. المزج بين التدريس بالطرق التعليمية الحديثة والطرق القديمة، والتنوع في ذلك بحسب الحالة والحاجة. فأساليب التدريس تعم كل المواد، مع مراعاة بعض خصوصيات المادة، فكل أستاذ يختار الأسلوب الأنسب أو الطريقة الملائمة لتبليغ المعلومات أو كيفية التوصل إليها.

٧. اعتماد الشروط والمسائل المساعدة في إنجاح المحاضرة أو الدرس، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

- الإعداد الجيد للدرس، والإهتمام بالتفاعل اللفظي وغير اللفظي الإيجابي.
  - وضوح الصوت وخلو العرض من الأخطاء اللغوية والعلمية.
  - أن يكون مناسباً لمستوى الطلاب والمادة والزمن.
  - أن يكون قصيراً وبعبارات سهلة وبسيطة وواضحة.
  - أن تكون الاستنتاجات منطقية والعناصر مرتبة.
  - أن يتخلله: مناقشة، وعرض بعض الوسائل التدريسية المناسبة.<sup>(١)</sup>
- وكل ما من شأنه إنجاح دروس التعليم الإسلامي في مناخ تربوي ملائم.

(١) ينظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي: ص ٣٩٢، ٥٦٣، ٦٨٣-٦٨٦، وتجديد العلوم الإسلامية تكميل للمسيرة أم تبديل للشريعة، د. مسفر القحطاني.

\* وسنجعلها في ثلاثة فروع، وكما يأتي:

الفرع الأول: مقتضيات تجديد العلوم الإسلامية والتعليم الديني  
إنَّ تغيير المناهج في التفكير والفهم على ضوء العلم الحديث أمرٌ لا بدَّ منه، إذ  
الانفتاح على لغات العالم ضروري لتبليغ رسالة الإسلام للعالمين، وعرض الإسلام  
عرضاً علمياً موضوعياً، بلغة علمية واضحة يفهمها البشر، وهذه الحاجة إلى التغيير  
ملحة خصوصاً مع ما تعانيه العلوم الإسلامية اليوم من الضعف، وتوقف حركة  
التجديد في المناهج والأفكار. وقد مرَّ التراث العلمي الإسلامي بمراحل تاريخية  
تراوحت بين التطور والتدهور، لكننا نملك تراثاً غنياً يحتاج إلى غربلته، ونحن  
أمامنا عملية ذات شقين: الأول يتمثل في هدم ما لا يصلح، والثاني يتعلق باعتماد ما  
هو أصيل والبناء عليه؛ لأنه لا يجوز أن نقطع تماماً مع آرائنا وتاريخنا. على أن يكون  
المعيار في ذلك هو مدى معاصرة التراث للأحداث التي نعيشها، ومشاكل هذا  
العصر واستحقاقات المستقبل، فما هو ملائم لهذا العصر نحفظ به، أما الاجتهادات  
التي وُلدت في عصر معين واستجابت لمشكلات معينة ولم تعد قائمة، فينبغي إعادة  
النظر فيها.

فالثابت هو النصوص الثابتة، أما الاجتهادات في الفهم وتطبيقاتها فمتغيرة، فإذا كانت

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الشريعة هي نصوص القرآن وما ثبت من السنة، فإن الفقه هو الفهم لهذه النصوص، وهذا الفهم هو الذي يتجدد بتجدد العصور، وإلا أصابنا جمود تام، وإذا لم نمارس الاجتهاد والتجديد نموت، ولذلك فإن العلوم الإسلامية اليوم تعاني من الضعف؛ فلا نجد تجديداً حيث مازلنا نردد ما كُتب في القرن الثالث والرابع الهجريين.

إنَّ حركة التجديد في المناهج والأفكار توقفت، وبقينا نردد القوالب الجاهزة، كما أنَّ هناك أسباباً لها علاقة بتدهور الحضارة الإسلامية، ويمكن تقسيمها إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية، الداخلية ترجع إلى ضعف وانقسام وصراع وتشتت الدولة الإسلامية إلى إمارات كما وقع في الأندلس، وهذا الضعف الداخلي أدى إلى ضعف النواحي العلمية والفكرية والاجتهادية، ثم هذا الضعف أدى إلى استيلاء الخارج على هذه الأمة لأنها أصبحت ضعيفة، وهذا ما يسميه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار، فالجسم عندما يتوفر على مناعة يقاوم الجراثيم، أما إذا كانت مناعته ضعيفة فإنَّ الجراثيم ستفتك به. فالحضارة عندما تسقط تضعف في جميع وجوهها، فهي لا تضعف في جانب دون آخر، بل إنَّ الضعف يكون عاماً وشاملاً، فالعلوم الفيزيائية والرياضية لم تتطور، والعلوم الاجتماعية بعد ابن خلدون لم تنم، ثم إنَّ أوجه النشاط الفكري والاجتهادات النظرية توقفت تماماً أو تقريباً، وبقينا نردد التراث الذي أنتجه أسلافنا الأقدمون لما كانوا في حيوية وازدهار. فهذا التراث في أغلبه كان مناسباً للعصر الذي احتضن نشأته، لكن إذا تجددت المشكلات فإنَّ الحلول ينبغي أن تتجدد، وأن تتجدد الفهم أيضاً. وعموماً، العلوم الإسلامية تحتاج إلى تجديد في مناهجها أو في أساليب تدريسها، فعلى سبيل المثال، علم الكلام يحتاج إلى تجديد، إذ كان المتكلمون القدماء قد اعتمدوا على ثقافة عصرهم، فعلم الكلام علمٌ استدلالي على العقائد، وإذا كانت الأدلة القديمة أصبحت الآن غير نافعة، فلا بد أن نأتي بأدلة جديدة تتفق مع ما وصل إليه العلم والفكر في زماننا هذا، فنحن بحاجة لتغيير

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

مناهجنا في التفكير والفهم على ضوء العلم الحديث.<sup>(١)</sup>

ويلاحظ في السنوات الأخيرة أن هناك سعياً حثيثاً من قبل بعض البلدان الإسلامية لإعادة النظر في مسالك وطرق تدريس العلوم الإسلامية، ومعلوم أن الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإنسان والكون تحتاج إلى حد أدنى من العلوم التطبيقية (الرياضيات والفيزياء والأحياء وعلم الفلك)، من أجل فهم الآيات فهماً صحيحاً؛ لأن الإقتصار على التفسير اللغوي لن يقود حتماً إلى الفهم الدقيق والصحيح، والمسلمون تاريخياً هم الذين قدّموا للعالم إبداعاتهم في مجال الفلك، لأن حياتهم العملية فرضت عليهم الإهتمام بهذه العلوم، فكانت النتيجة ذلك التراث الفلكي المتميز الذي خلفه المسلمون وأفادوا به البشرية، وكذا بالنسبة للرياضيات حيث تقدمت على أساس الموارث وقسمة التركات، فنحن بحاجة إلى التجديد في طريقة تدريس العلوم الإسلامية، وإلى التغيير في مناهجها للتربية والتعليم؛ لأن هذه المناهج ما تزال تعتمد على الحشو في الدماغ وكثرة المواد، وتقتل في الطالب ملكة التفكير وتدفعه إلى الحفظ فقط، فنحن بحاجة إلى بناء فكر طلبة العلوم الشرعية، وليس إلى بناء ذاكرتهم فحسب، ولهذا لا بد أن نهتم بالرياضيات لأنها مفيدة للعقل، وكذلك لا بد من الإهتمام بالطبيعات، لأن كل العلوم -تقريباً- مبنية عليها، ولهذا الاعتبار -أيضاً- لا بد من أن نجمع في جامعة واحدة بين العلوم كلها بما فيها الإسلاميات، ثم بعد ذلك يكون هناك تخصص في علم من العلوم.

الفرع الثاني: مظاهر تجديد العلوم الإسلامية والتعليم الديني

إذا أردنا التجديد في العلوم والتعليم الديني فلا بد من السعي لتحقيق بعض المسائل وتجديد بعض المظاهر والأمور في العملية التربوية والعلمية وفي المناهج والمؤسسات

(١) ينظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي: ص ١٩٥، ٥٦٣، ٦٨٣، ٧٥٢.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الإسلامية. وفيما يأتي بعضاً من المظاهر التجديدية المقترحة فيها، وعلى النحو الآتي:

أولاً: التجديد في مناهج العقيدة وطرق تدريسها: ويكون كما يأتي:

١. اعتماد منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلام السلف الصالح، وتنقية العقيدة مما علق بها من آراء دخيلة، مع الاستعانة بأساليب متكلمي أهل السنة المحتاج إليها لردّ شبه المعاصرين بلغة عصرية.

٢. بيان أثر العقيدة على النفوس، فالعلم بالله والمعرفة بأسمائه وصفاته هي أجل أنواع العلوم؛ لأنها إذا استقرت في النفوس واستولت على القلوب أثمرت حقائق إيمانية ومعارف وجدانية واتصلت بالملا الأعلى.

٣. إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان وأعمال القلب، كالحب والخوف والرجاء والإنابة والخشوع.

٤. اعتماد طريقي المعرفة العقلية والعقلية في العقيدة، فالمعرفة العقلية مصدرها الوحي (الكتاب والسنة)، والمعرفة العقلية مصدرها الكون، فصحيح المنقول موافق لصريح المعقول.

٥. ردّ الشبهات العقدية الحديثة، والوقوف في وجه التحديات الراهنة، مثل: (الإلحاد، والمادية الجدلية، والعلمانية) ونحوها، وهذا في الحقيقة إعمال لمنهج السلف الذين جابهوا تحديات عصرهم وزمانهم.

ثانياً: التجديد في علوم التزكية وطرق التربية والمعاملة:

١. إحياء صفات الربانية والأخلاق الإيمانية.

٢. الإبتعاد عن شطحات الغلاة الذين حصروا الدين في رسوم معينة وكيفيات مخصصة.

٣. تعهد القلوب بذكر الله والخشوع لطاعته، فالقلوب تقسو إذا لم تتعهدا بذكر الله

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً  
وسلوك الطريق السليم والمنهج المستقيم.

٤. تجديد المعاملة مع الناس من حسن إلى أحسن، مسترشداً بكتاب الله ومهتدياً بسنة

نبيه ﷺ.

٥. ربط الناس بالنصوص الشرعية تعظيماً وامتثالاً ولا يكتفي بالوعظ فقط، وذلك

بنشر العلم الشرعي.

٦. ربط الأحكام الشرعية والحلال والحرام بأصولها الإيمانية التي تدعو إلى العمل بها

وامتثالها.

ثالثاً: تجديد الاجتهاد العلمي لمواجهة التحديات المعاصرة:

فقد أوجد عصر العولمة وما سبقه من تطور علمي كبير وطفرة هائلة في مجال الاتصالات ومجال الإدارة، كل ذلك أوجد تحديات كبيرة متنوعة أمام الفقه الإسلامي، كما شملت مجالات الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية والعلوم الطبيعية، الأمر الذي تطلب معالجة جذرية عبر آلية الاجتهاد. غير أنه لا بد لهذا الاجتهاد من ضوابط، أهمها ما يأتي:

١. أن يكون تخصصياً: فعصرنا قد غلب عليه التخصص، فلا مانع من أن يضطلع أهل كل تخصص في الشرع بتخصصهم ويستفرغوا جهدهم في سبر غوره وحل مشكله وتذليل معضله.

٢. أن يكون جماعياً: إذ ندر وجود العلماء الموسوعيين أو انعدم، فكان لا بد من قيام هيئات جماعية.

٣. أن يجمع بين الانتقاء والإنشاء: فينتقى من التراث ما وافق الدليل، ويقابل المستجدات بإنشاء البديل.

٤. أن يجمع بين علم النص والواقع: الجمع بين معرفة النصوص الشرعية وأحوال

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الواقع ليكون الحكم صحيحاً.

٥. أن يزاوج بين النصوص والمقاصد: فلا يصح حكم شرعي إذا بني على علم بالنص وجاهل بالمقصد والمآل.

رابعاً: التجديد الحضاري (علمياً وثقافياً) للنهوض بالأمة الإسلامية:

١. إحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب.

٢. صياغة المنهج السليم للتفقه من استقراء طريقة السلف الصالح وبأساليب علمية حديثة.

٣. تنمية آفاق التواصل الحضاري، ومن ذلك الإفادة من الحضارات الأخرى في المنهج العلمي في الكونيات والنظم الإدارية المتقدمة.

٤. الإهتمام بعالمية الخطاب الدعوي والسياسي، فالكتابات التي تقدم لغير المسلمين قليلة، وينبغي إعطاؤها الإهتمام الملائم لها، كما ينبغي أن تعتمد على الحججة العقلية.

٥. تأسيس فقه الأقليات المسلمة في مجتمع غير المسلمين على قاعدة: (لا تكليف إلا بمقدور)، أي على قدر الوسع والطاقة بما يحقق للمسلمين الحفاظ على هويتهم دون انكفاء وتفاعلهم دون ذوبان.

٦. التركيز على المنظومة القيمية في علاقاتنا مع الحضارات الأخرى والقائمة على وحدة الأصل الإنساني، ومنطلق التكريم الإلهي للإنسان، وإحياء مبدأ التعارف، وتعميق الأخوة الإنسانية.

٧. التركيز على إظهار القيم الجمالية في الإسلام وربطها بالعقيدة، فقد بسط الخالق سبحانه مظاهر الجمال والزينة في كل أرجاء الكون.

٨. فضح المناهج والاتجاهات المخالفة للإسلام، وذلك بيان حال المناهج والاتجاهات

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

والمبادئ المخالفة للإسلام وبيان خطرهما على الأمة وكيفية دحرهما.

٩. الإهتمام بإصحاح البيئة، من نبات وحيوان ومصادر مائية وغلاف جوي ونحوها، ونشر الوعي البيئي، والمحافظة على البيئة، والقضاء على الآثار الضارة لبعض الصناعات النووية والتجارب الفضائية.

١٠. وضع المفاهيم في التعامل مع أهل الكتاب في إطارها الشرعي الصحيح بعيداً عن شطط الغلاة، وإشاعة فقه الرحمة لبعث مكامن الهداية في نفوسهم.

١١. الالتزام الواضح بالحرية وحقوق الإنسان ومشروعية الخلاف الفكري، والتعدد الديني والثقافي، ونبذ العنف في العمل السياسي، وعدم خلطه بالجهاد.

١٢. إنشاء مؤسسات متخصصة في الحوار مع الآخر في المجالات الدينية والثقافية والسياسية.

١٣. مخاطبة الرأي العام العالمي من منطلق إنساني - بإعلام قوي - لدفع عجلة الحوار والتفاهم.

١٤. تشجيع فكرة المواطنة للجاليات الإسلامية في المهجر مع رعاية مستلزماتها<sup>(١)</sup>

-

:

ويقصد بالتعليم الديني: العملية التعليمية المشتملة على تدريس العلوم الإسلامية للمراحل العمرية المختلفة، بدءاً من المرحلة الأساسية، ومروراً بالثانوية والدبلوم،

---

(١) ينظر: مقالة (مظاهر التجديد في الفكر الإسلامي)، د. يوسف علي فرحات، الإدارة العامة للوعظ والإرشاد، فلسطين، والتجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه في واقعنا المعاصر، د. عصام أحمد البشير، والأساس الإسلامي للتجديد وضوابطه، الشيخ الأمين عثمان الأمين، مفتي الديار، إريتريا، ومقالة (التجديد مفهومه وضوابطه ومجالاته)، الشيخ القدسي.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

وانتهاءً بالدراسة الجامعية الأولية والعليا.

كما يقصد بوسائل التعليم: الكيفية والإجراءات التي تنظمها المعلومات والخبرات التربوية التي تقدم للطلبة وتعرض عليهم لتحقيق الأهداف المنشودة مثل القراءة والمناقشة والتكرار وغيرها من وسائل تعليمية، ولعل أبرز هذه الوسائل المعتمدة وأكثرها شيوعاً هي المحاضرة، ولا يخلو هذا الأسلوب من طرح التساؤلات والمناقشة والمحاورة والمناظرة. بينما نجد التعليم الإلكتروني مفهوماً تدخل فيه الكثير من التقنيات والأساليب، فهو طريقة للتعليم باستعمال آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاتة ووسائطه المتعددة من صوت وصورة وآليات بحث ومكتبات إلكترونية، وكذلك بوابات الإنترنت، سواءً كان عن بُعد أو في الفصل الدراسي.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ واقع تدريس العلوم الشرعية في الجامعة لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحوث التقييمية للوقوف على مديات تطوره واستجاباته للظروف المستجدة، ومن أبرز الانتقادات الموجهة للوسائل الحالية المتبعة في تدريس العلوم الإسلامية تركيزها الكبير على حفظ المعلومات والتلقين فقط مع كل ما تحمله من حشو وتعقيد، وقلة الإهتمام بتنمية التفكير النقدي والإبداعي واكتساب المهارات العقلية لتوليدها، وهذا يعني ضرورة الوعي بالواقع والتعامل معه بما يحقق مقاصد التشريع التي أدرك العلماء السابقون أهمية تحقيقها.

وقد شهد العقدان الأخيران مولد ثورة علمية ضخمة في مجال التعليم الإلكتروني، فسارعت الدول المتقدمة بتقديم برامج تعليمية وتدريبية لأفرادها عن طريق التعليم الإلكتروني. وتتمحور فكرة التعليم الإلكتروني في تقديم المحتوى التعليمي بوسائل حديثة وفعالة تتسم بانفتاح علمي هائل، إلا أنّ تلك المزايا لم تخفف من حدة العقبات والتحديات التي تواجه هذا النوع من التعليم لا سيما في دول العالم الثالث، بسبب

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً \_\_\_\_\_  
اعتمادها معياراً موحداً لصياغة المحتوى، بالإضافة لقلّة الكوادر المدربة على التعليم الإلكتروني، وتزايد هذه الصعوبات في العلوم الشرعية. ولا يزال التعليم الإلكتروني المعتمد على الكمبيوتر أسلوباً موازياً للتعليم الأساسي التقليدي ويمكن اعتماده بصورة مكتملة لأساليب التعليم المعهودة. وبالإمكان تبني تقنيات وأساليب عديدة ضمن خطة تعليم وتدريب شاملة تعتمد على مجموعة من الأساليب والتقنيات.<sup>(١)</sup>

إنّ من أبرز أهداف تدريس العلوم الشرعية في الجامعات هو تأسيس العقلية العلمية والتفكير الواقعي للدارسين وغرس المنهج الفكري والإسهام في إيجاد وتنمية التفكير الإبداعي والوسطي المعتدل، وغرس الابتعاد عن الغلو والتقصير، ومن الصعب أو المستحيل أن يتم ذلك إلا من غرس ثقافة الحوار وأدب الاختلاف وزيادة المدارك الثقافية والمعرفية لدى الطلبة، ولا بد لتحقيق ذلك كله من تدريب الطلبة على استيعاب ثقافة واقعهم وما يدور حولهم من توجهات فكرية وعلمية واجتماعية لتأتي دراساتهم ضمن تلك الأجواء وليست منفصلة عنها، فوسائل تدريس البرامج والمناهج الدراسية في العلوم الإسلامية - على وجه العموم - تتسم في الوقت الحاضر باعتماد أسلوب المحاضرة والإلقاء، وهو أمر يعود في بعض الأحيان إلى طبيعتها النظرية، إضافة إلى ندرة استعمال أساليب أخرى كالورش التعليمية والتقنيات الحديثة من أجهزة الحاسوب ونحوها<sup>(٢)</sup>، لأسباب عدة، ويمكن حصرها فيما يأتي:

أولاً - أسباب تتعلق بالطلبة:

---

(١) ينظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي: ص ١٩٥، ٦٨٣، وتدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني - مادة أحكام الأسرة أنموذجاً، إعداد وتقديم: د.رقية طه العلواني، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة البحرين: ص ٢.  
(٢) ينظر: تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني: ص ٣.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

١. ضعف مهارة التعلّم الذاتي لدى الكثيرين منهم.
٢. التخوف من تغيير المؤلف إلى الجديد.
٣. عدم الإلمام باستعمال الحاسب الآلي بما في ذلك الإنترنت والبريد الإلكتروني لدى كثيرين.

#### \* علاج ذلك:

يكون بتقديم برامج تدريبية أو ورش عمل وحلقات دراسية وغيرها لمعالجة هذه المعوقات.<sup>(١)</sup>

#### ثانياً- أسباب تتعلق بالمناهج:

تتسم المواد التعليمية المصاغة في برامج ومناهج العلوم الإسلامية بغلبة الجانب النظري على التطبيقي، الأمر الذي يجعل تحويل المحتوى التعليمي فيها إلى مواد تعليمية حديثة تتلاءم مع التعليم الإلكتروني، أمراً يتسم بشيء من الصعوبة البالغة إضافة إلى ما يتعلق بهذا من حقوق الطبع والنشر.<sup>(٢)</sup>

#### \* علاج ذلك:

يكون ذلك من تكليف طاقم متخصص في كل كلية أو قسم، يجمع بين الخبرة التعليمية والتربوية من جهة وبين الخبرة الإلكترونية والحاسوبية من جهة أخرى، للقيام بإعداد وإخراج مناهج في تلك العلوم تتوافق مع متطلبات التعليم الإلكتروني، أو أن يتم طرح هذا المقترح لمن يرغب في المشاركة فيه منهم، على أن يستمر تحديث هذه المواد ومراجعتها، الأمر الذي سيسهم في دفع عجلة تطوير هذه المناهج بشكل تلقائي، وهو أمر في غاية الأهمية. فالتوجه نحو التعليم الإلكتروني ولو بشكل جزئي سيسهم في تطوير

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص ٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ٦.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

هذه المقررات.

### ثالثاً- أسباب تتعلق بالاساتذة:

الكثير من أساتذة هذه العلوم تلقوا علومهم في عدد من الجامعات الإسلامية التي تتبنى على وجه العموم منهجية التدريس عن طريق المحاضرة والتلقين، وهو الأسلوب السائد في غالب جامعاتنا العربية، وبهذا يصبح التحول من طريقة التعلم التقليدية إلى طريقة تعلم حديثة، لا يخلو من تعقيدات وصعوبات بالنسبة لكثير من الأساتذة، يضاف إلى ذلك صعوبة التعامل مع متعلمين غير متعودين أو مدرّبين على التعلم الذاتي.

### \* علاج ذلك:

يكون من توضيح حقيقة أن التعليم الإلكتروني لن يغني عن دور المدرس التقليدي إلا أن هذا الدور ينبغي أن يستجيب لحاجات المتعلمين بأسلوب يتوافق مع حاجات العصر وتغيراته، فالتعليم الإلكتروني يحسن ويطور فاعلية الأساتذة، وليس بديلاً لمن لديهم الخبرات والمهارات المطلوبة. كما ينبغي التأكيد على أهمية إمام المدرس ونبوغه واتساع ثقافته كركائز هامة وشروط لا بد من توفرها للنجاح في أداء رسالته التعليمية ومخاطر الانغلاق تحت سقف معرفي محدود. كما يمكن أن تسهم عملية شرح إيجابيات التعليم الإلكتروني في تقريب هذه الوسيلة إلى الأذهان<sup>(١)</sup>. ويمكن الوقوف على بعض من هذه الإيجابيات فيما يأتي:

١. التعليم الإلكتروني يسهم في متابعة المستجدات على مستوى التقنيات والاتصالات واستغلالها لتطوير عمليتي التعليم والتعلم وتنمية مهارات الاتصال المادي والثقافي.

٢. التعليم الإلكتروني يسهم في تدريب دارسي العلوم الشرعية على أسس الحوار

(١) ينظر: تدريس العلوم الإسلامية: ص ٧.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

والتسلسل العلمي والتحليل المنطقي والإهتمام الفائق بثقافة الطالب وإطلاعه على مختلف المستجدات العلمية والاجتماعية كجزء من شروط خلق الأرضية السليمة للاجتهد والرأي السديد، فطلاب التعليم الإلكتروني لا يقتصر دورهم على الوصول إلى المقررات فقط، بل يتعدى إلى المشاركة والتعليق وإبداء الرأي في كل القضايا المطروحة. ٣. التعليم الإلكتروني يتيح للمتعلم أن يركز على الأفكار المهمة أثناء كتابته وتجميعه للمحاضرة أو الدرس، وكذلك يتيح للطلاب الذين يعانون من صعوبة التركيز وتنظيم المهام الاستفادة من المادة؛ وذلك لأنها تكون مرتبة ومنسقة بصورة سهلة وجيدة والعناصر المهمة فيها محددة.

٤. التعليم الإلكتروني يسهم في زيادة المصادر العلمية للمواد الدراسية كما ونوعاً. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق أن كل ما ذكر سالفاً حول دور تقنيات التعليم الإلكتروني في تطوير تدريس العلوم الإسلامية، يحتاج إلى بنية تربوية ومادية هائلة، الأمر الذي يضع على عاتق المؤسسات التعليمية عبئاً ثقيلاً لتجاوز الأساليب التقليدية المرتكزة على وسائط التواصل المحدودة ومسايرة مفهوم الانفتاح المتعدد الأقطاب. فالجامعات تلعب دوراً محورياً في توطيد ثقافة التعليم الإلكتروني.



\* وجعلناه في فرعين، وكما يأتي:

الفرع الأول: علم العقائد والكلام وضرورة التجديد فيه

يلعب علم العقائد والكلام الديني دوراً رئيساً في المنظومة المعرفية لأيّ دين، كما يحتلّ مركزاً حسّاساً فيها، ومن الطبيعي - وفقاً لهذه المكانة التي يتمييز بها - أن يمثل التنامي أو التغييرات على هذا العلم تغيراً بنوياً بالنسبة لخطوط الخارطة المعرفية الأخرى كافة؛ لأنّ هذا العلم يشتمل جملة المبادئ التصديقية للمعارف الأخرى، فلا بد أن تكون الإنطلاقة من القاعدة وصولاً حتى رأس الهرم دون العكس؛ إذ هذا ما تقتضيه طبيعة العلاقة بين هذه العلوم والمعارف، وهذا ما يفرض وضع التنمية الشاملة لعلم الكلام في موقعها الصحيح في سلّم الأولويات الفكرية والثقافية. وفي هذا السياق يأتي تجديد علم الكلام، وذلك بهدف تحقيق التنمية الفكرية لهذا العلم ووضعها في سياقه المناسب له فعلاً. ومن الضروري الأخذ بعين الاعتبار تجربة علم الكلام وقراءتها قراءة موضوعية فاحصة؛ لتحديد عناصر القوة والضعف قدر الإمكان؛ بغية المحافظة على عناصر القوّة وتفعيلها

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

وتفادي المشكلات والآثار الناجمة عن عناصر الضعف.<sup>(١)</sup>

فعناصر القوة في علم الكلام - على سبيل المثال - أربعة، وهي:

أ. الدقة والشمولية: فالمتكلم عندما يشتغل بمسألة كلامية نراه يتفحصها تفحصاً دقيقاً ويعالجها معالجةً فاحصة، والتراث الكلامي المدون شاهدٌ ناطق عندنا اليوم على حجم الجهود التي بذلها المتكلمون في دراساتهم المدونة، وطريقة الفنقلة أو «إن قلت: قلت» واحدة من أبرز الطرق الشاهدة على هذا الأمر.

ب. المواكبة الدائمة للمستجدات الفكرية في المجتمع الإسلامي: وهذه ميزة مهمة، فلا تكاد تسمع بطرح أو كتاب أو نقد أو نظرية صدرت واشتهرت، حتى ينبري المتكلمون لتقييمها والرد عليها أو تأييدها.

ج. إجابات علم الكلام حاسمة ومطمئنة في تلك الآونة: وعلم الكلام اليوم مطالبٌ وبالتعاون مع بقية العلوم بالتفكير في حل لمشكلة الاضطراب والتذبذب النفسي ولو بإجراء تعديلات على مفهوم اليقين العلمي.

د. خصوصية الأصالة: فعلم الكلام من العلوم الإسلامية الأصيلة؛ لأنه ولد قبل عصر الترجمة أي أنه لم يكن متأثراً في انطلاقه بالثقافة والفلسفة اليونانية، ولا يعني ذلك عدم تأثره بالأفكار الواردة، وإنما المقصود هو أن الطابع الذي حكم هذا العلم هو طابع الأصالة، وبالتالي فكانت المزاجية مع أي فكر خارجي مزاجيةً إيجابية ومن الدرجة الثانية. فالمطلوب من علم الكلام اليوم هو الإنطلاق في التفكير بصورة أصيلة من دون

(١) ينظر: التجديد المنهجي في علم الكلام الإسلامي، حيدر حب الله، مجلة الحياة الطيبة، عدد (٦)، بيروت، ٢٠٠١م، وكتاب «مسألة المنهج في الفكر الديني»، حيدر حب الله، ٢٠٠٧م، والموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله، الرابط: <http://hobbollah.com/articles>.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

سدّ باب التفاعل الطبيعي بين العلوم كلّها.<sup>(١)</sup>

وعناصر الضعف في علم الكلام، هي ما يأتي:

أ. النزعة التجريدية: عاش الكلام القديم ردحاً طويلاً في مداراتها، فأدّى ذلك إلى انشغال الباحثين بأمور ومسائل لا ترجع بالفائدة المناسبة مع حجم الجهود المبذولة، كما وأدّى ذلك إلى تولّد عقلٍ فرضيٍّ يحاكي الصور والاحتمالات من دون أن يلحظها وانعكاساتها في أفق الواقع، مما أحدث عزلةً نسبية للعقل الكلامي.

ب. النزعة اليقينية: حيث ساهم المنطق الأرسطي وغيره أيضاً فيها، فإنه وفق تصوره لليقين ووسائل الإثبات أيضاً ساهم في تكوين عقلٍ جزميٍ ينفي الآخر بمجرد إثبات ذاته نفيّاً غير قابلٍ لاحتمال الخلاف.

ج. النزعة المذهبية: التي اصطبغ بها الكلام القديم حتى صارت السمة الغالبة عليه، وهذا الاصطبغ مع ما فيه من حسناتٍ إلا أنّه حدّ من حركة هذا العلم؛ لأنه أحاطه بجداليّة لا متناهية في موضوعاتٍ محدودة.

د. الذاتية والتحيز: وهذا من إفرازات نزعة اليقين والتمذهب، وبالتالي ضعف الموضوعية والحياد، وهي مشكلةٌ جديةٌ لا يخلو منها علم، لكن علم الكلام القديم قد تجاوزت فيه الحدّ الطبيعي، فعلى التجديد الكلامي تجنّب هذه المشكلة بواسطة رفع القيود وتقليل الاعتبارات التي تفضي بالمتكلم إلى الذاتية والأحكام المسبقة.

هـ. اعتماده على المنطق الأرسطي منطقاً وحيداً وحكماً متفرداً في الجدل العلمي: حيث قدّم هذا المنطق على أنه حقائق ثابتة عامة شاملة كلية ويقينية، غير أن تطوّر المعارف البشرية كشف عن ثغراتٍ في هذا المنطق، لا أقلّ أنه بوضعه الحالي ليست لديه قابلية لحلّ

(١) ينظر: الاتجاهات الجديدة في علم الكلام مدخل تاريخي، عبد الجبار الرفاعي، مجلة التوحيد، عدد

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

تمام المشكلات اليوم، ومن الضروري للكلام الجديد الاتكاء على مخزون منطقي أكبر يشمل - إلى جانب المنطق الأرسطي - المنطق الاستقرائي والرياضي والتجريبي والذاتي والديالكتيكي، وإلا فإن أزمة تخاطبٍ ستنشأ. ولا يراد هنا التقيص من شأن المنطق الأرسطي بقدر ما يراد الإشارة إلى كون هذا المنطق جهداً بشرياً لا يتّصف بالكمال.<sup>(١)</sup>

:

هناك رؤيةٌ تؤمن بأن التجديد في علم الكلام هو بتحويل الجهد الكلامي إلى مؤسسة أي مؤسسة علم الكلام، وذلك بتشكيل مؤسسات ولجان للإهتمام بمجموعة أمورٍ من قبيل ما يأتي:

١. تصحيح التراث الكلامي.
٢. إخراجها من المكتبات القديمة ومن عالم المخطوطات، وتحقيق هذه الكتب وطباعتها طباعةً عصريةً.
٣. إقامة المؤتمرات الدورية والملتقيات والمنتديات التي تُعنى بالفكر الكلامي.
٤. تأسيس مكتباتٍ كلاميةٍ متخصصة تتوفر فيها جميع المصادر والمراجع الكلامية القديمة والحديثة.
٥. تأسيس بنوكٍ معلوماتيةٍ كلاميةٍ تسهّل على الباحثين المادة الكلامية.
٦. تحويل علم الكلام إلى عالم الانترنت والكمبيوتر ونحوها.
٧. الإهتمام بالإصدارات الكلامية المتخصصة من مجلّاتٍ ونشرياتٍ ودورياتٍ.
٨. تهيئة معاجم مفهوسة ومعاجم مصطلحات ودائرة معارف وموسوعة.

(١) ينظر: الاتجاهات الجديدة في علم الكلام، د. حسن حنفي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد (١٤): ص ١٧-٢٥.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

٩. إنشاء مراكز ترجمة تنقل الفكر الآخر، كما تعرّف الآخر بالفكر الكلامي الإسلامي.  
١٠. تأسيس مراكز تعليمية تتخذ الكلام مادةً أساسية، وتُلحق بها ما صار يلاصقها من علوم ومعارف أخرى، كعلم المعرفة والنفوس والاجتماع وتاريخ العلوم والأسطورة... وغير ذلك من المشاريع والبرامج.

وتوجد نشاطات واسعة اليوم تتحرّك في إطاره، إلا أن الذي ينبغي ملاحظته هو أن التجدد والتغيّر الذي حصل يستدعي إصلاحات كبيرة وعميقة في العقل الكلامي نفسه، فالتجدد الذي حصل كان على أكثر من مستوى وعلى أكثر من صعيد، مما يمكن إيجازه هنا:

١. تجدد المسائل: فإنّ قسماً كبيراً من مسائل علم الكلام لم يعد له اليوم وجود، إذ لم تعد تشغل إهتمام الباحثين والمفكرين، بل إنّ بعض الأفكار والأدلة والرؤى صار بطلانها ظاهراً، بل إنّ مدارس كلامية بأكملها صار حالها كذلك، وفي المقابل ظهرت أفكاراً ومذاهب كلامية جديدة.

٢. تجدد المبادئ: كثير من دراسات علم المعرفة والوجود والعلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية قد تغيّرت من أساسها، فصارت كثير من اهتمامات وأدلة ونقاشات المتكلمين بلا معنى في ظلّ التحولات العلمية العظيمة.

٣. تجدد المنهج: وهو أهم أنواع التجدد؛ فقد كان المنهج المتبع سابقاً في علم الكلام هو المنهج الجدلي القائم على القضايا المسلّمة والمشهورة لدى الطرفين، ثم حصل تطوّر في زمن فخر الدين الرازي، ثم على إثره حصول التزاوج بين الفلسفة والكلام بعد قرون من التخاصم. أما اليوم فإنّ العلوم الأخرى قد تعرضت هي أيضاً لانقلابات منهجية، بل صار المنهج نفسه عرضةً للنقد والتحليل أيضاً.

٤. التجدد في الهيكلية المعرفية: فالتغييرات التي تعرّضت لها العلوم لم تكن محصورةً

\_\_\_\_\_ التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

في نطاق المسائل والمنهج والمبادئ، بل تعدتها لتشمل مجموع هذه الأمور، أي وصل التحول إلى مرحلة أشبه بالكلية والشاملة، فصارت بنية العلم هي المتحوّلة والمعدّلة. من هنا، فإن التجديد في علم الكلام (أو علم الكلام الجديد) هو من العمق والسعة بمكان لا تفي به مجرد بناء المؤسسات بالشكل المتقدّم وإن كانت لازمةً له.

:

إنّ الوظائف الرئيسية التي يمارسها علم الكلام تتمثل في أمور ثلاثة:

أ. محاولة شرح وتبيين المفاهيم الاعتقادية بالصورة المناسبة القادرة على احتواء واستيعاب المضمون إلى أبعد الحدود ونقله بأمانة ودقّة، وبالتالي تقليص الأخطاء والاشتباكات التي يمكن أن يسببها قصور الخطاب الكلامي، ويأتي هنا دور تحديد المصطلح السليم الذي يبعد عن حدوث التداخلات والاختلاطات.

ب. محاولة إثبات المفاهيم الاعتقادية وإقامة الأدلّة والبراهين عليها من توظيف مختلف أنواع الإثبات المنطقية والمعتبرة قياساً واستقراءً، وعلى المستوى العقلي أو النصّي أو التاريخي أو التجريبي.

ج. محاولة ردّ ودفع الإشكالات والشبهات الموجهة إلى المعتقدات الدينية والمذهبية. إن الوظائف المتوجبة على علم الكلام اليوم هي نفسها الوظائف التقليدية الثلاث المتقدمة، فإذا أريد لعلم الكلام الجديد أن يتجاوز عقبة الإسقاطات والتطويع التي ابتليت بها المذاهب والمدارس الكلامية، عليه أن يجري تعديلاً أساسياً في التوظيفات التي يراد استخدام علم الكلام فيها، عبر تحويله من علم ملتزم مدافع إلى علم باحث محقق، من دون أن يلزمنا ذلك رفع اليد عن دين أو مذهب ما، فالحديث هنا يدور حول نمو علم لا خدمة دين، وإن كان نموّ هذا العلم على المدى البعيد يصبّ في خدمة الدين لا محالة.

لقد كان يرجى بعد عملية فلسفة الكلام - أي جعله فلسفياً - أن يحدث هذا الأمر،

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

ولعل بعض آثار هذا الحدث قد تجلّت في علم الكلام، لكن من المؤكّد أن علم الكلام لم يستطع أن يتحلّى بالاستقلاليّة العلمية التامة، بل كان -كعلم الفلسفة- يعيش قلق التوافق مع النص، من هنا توجه الدعوة إلى إنشاء الكلام الفلسفي بغية تحقيق فرص نموّ أكبر لهذا العلم، ونقصد بـ«الفلسفي» في هذه التسمية صيرورة المنهج الكلامي فلسفياً يستهدف الحقيقة دون أن يصادرهما في إطار أو غيره بصورة مسبقة، كما هي الحال في المنهج الكلامي -المعروف تاريخياً- الذي يفترض الحقيقة في جانب من الجوانب، ثم يتحرّك على أساس الدفاع عنها.

فلسفة علم الكلام بهذا المعنى يمكنها أن تعطي هذا العلم الإمكانية الداخلية لعمليات إعادة النظر المتواصلة، وبالتالي الحدّ من التجمّد على أخطاء لا مجال لتجاوزها، كما توسّع من التنوّعات الفكرية والثقافية داخل منظومة هذا العلم، ممّا يمنحه مزيداً من الحيوية والإنتاج.<sup>(١)</sup>



(١) ينظر: الإتجاهات الجديدة في علم الكلام، د. حسن حنفي: ص ١٩ وما بعدها، ومسألة المنهج في الفكر الديني، حيدر حب الله: ص ٥ وما بعدها، وقضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي: ص ٧٥٢-٧٥٧.

\* وجعلناه في ثلاثة فروع، وكما يأتي:

:

إنَّ علم الأديان يبحث عن منشأ الأديان وتطورها، وفي الأسس التي تركز عليها الأديان المختلفة، وفي أوجه الاتفاق أو الاختلاف فيما بينها. وبعبارة أخرى: إنه يناقش تاريخ الأديان، ويوضح فلسفتها، ويوازن بينها. وتاريخ الأديان يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطوراتها، ومرتكزاتها، لدى الشعوب البدائية المتخلفة، والشعوب المتمدنة. فالغرض من دراسة الأديان هو معرفتها.

وأما فلسفة الأديان فإنها تبحث في العلاقات بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة، وفي الغايات التي تهدف إليها. ويدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة، وعلم الكلام، أو اللاهوت، وعلم التصوف. بينما مقارنة الأديان (أو تاريخ الأديان المقارن) يدرس خصائص ومميزات كل دين، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى.<sup>(١)</sup>

ولقد قدّم القرآن الكريم الدّرس المنهجي الموضوعي الأول في مجال مقارنة الأديان، كما حفل بالحديث المُفصّل المستوعب عن الأديان والعقائد والملل والنحل والمذاهب المختلفة المتنوعة، وعرض مقالاتهم بدقة واستقصاء، ثم ناقشها وبين وجوه

(١) ينظر: الإنسان في ظل الأديان، د. عمارة نجيب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٦م: ص ٥، والأديان دراسة تاريخية مقارنة، د. رشدي عليان، وسعدون الساموك: ص ١٨.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الزَّلَّ والبطلان والزيغ فيها، وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله (عليهم السلام)، ونجد ذلك واضحاً في حديث القرآن الكريم عن اليهود والنصارى، حيث فصل القرآن مقالاتهم واعتقاداتهم ومذاهبهم، ولم يعالجها متعجلاً في نصّ أو نصين، وإنما جاء فيها بفيض غزير زاخر، فالحديث عن بني إسرائيل جاء في القرآن من أكثر المسائل نصوصاً بعد العقائد، وقد اهتمَّ القرآن الكريم من البداية بأهل الكتاب باعتبارهم الأولى بالدعوة والاستجابة قبل غيره؛ لأن الأصول الرئيسة - قبل التحريف - مشتركة بين أهل الكتاب ودعوة الإسلام.<sup>(١)</sup>

كما ساق القرآن الكريم مقالة الملاحدة الدهريين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد عرض مقالاتهم كما هي، ثم عقب عليها بأنها قائمة على الظن، وليست وليدة العلم اليقيني، وكفي بالظنّ طريقاً لرفض هذه العقيدة؛ لأن العقائد الصحيحة إنما تقوم على العلم اليقيني.<sup>(٣)</sup>

كما نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة للمقارنة بين الإسلام (الدين الحق) وغيره من الأديان - سماوية كانت أو وضعية-، فتحدث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة، وقد سماها القرآن أدياناً مع بطلانها، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ

(١) ينظر: الأديان دراسة تاريخية مقارنة: ص ١٨، وفي معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبدالستار فتح الله، القاهرة، د.ت: ص ٦٩. لقد ورد النداء: ﴿يا أهل الكتاب﴾ في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، وآيات غيرها تحاور اليهود والنصارى.

(٢) سورة الجاثية - الآية: ٢٤.

(٣) المذهب الدهري هو ما نعني به في العصر الحديث المذهب المادي Materialism، وعقيدة الدهريين هو إنكار الحكيم الخالق القادر ورفض ما بعد هذه الحياة من حقائق الدار الآخرة. ينظر: العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها، د. محمد عبدالستار نصار، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٩هـ: ص ١٠٦.

ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف بعضها ببعض، وكان كل دين يعدّ ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالاً، فاليهودية لم تعترف بالنصرانية والمسيح (عليه السلام)، والنصرانية عدت نفسها وريثة اليهودية ولم ترّ مع وجودها وجوداً لليهودية، ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية والهندوسية، بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين، وعدت اتجاهاتها هرطقة وضلالاً، وربما حكمت بالإعدام على أتباع سواها، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (٢). وهذا كان هو الإتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب، ومن هنا لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام؛ لأنّ المقارنة نتيجة للتعدد، وليس التعدد معترفاً به عند أحد، فلم يوجد ما يترتب عليه، وهو المقارنة. (٣)

وإذا كان علم (مقارنة الأديان) يعني في العصر الحديث أن تتخذ الأديان بعامة - كتابية ووضعية - والعقائد الدينية أو الملل والنحل موضوعاً للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التي اصطلح عليها أهل هذا الحقل، فإن الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم، وجعلها موضوعاً مستقلاً للدراسة والبحث، ووضع العلماء لذلك مناهج علمية سديدة، فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوها وأرّخوا لها وانتقدوا بعضها، وكانوا يستمدون أو صافهم لكل

(١) سورة الكافرون - الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة - من الآية: ١١٣.

(٣) ينظر: اليهودية، د. أحمد شلبي، ط٨، ١٩٨٨ م، مكتبة النهضة، القاهرة: ص ٢٤.

## التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا فإنهم بعد أن اختطوه علماً مستقلاً، اتخذوا له منهجاً علمياً سليماً<sup>(١)</sup>.

فإهتمام المسلمين بمقارنة الأديان كان بتأثير مباشر من القرآن الكريم، فعقدوا لهذا الغرض كتباً مفردة أو فصولاً مطوّلة من مصنفاتهم. وقد أدّت الحرية والتعددية الدينية إلى وجود جوٍّ من التسامح الديني والفكري، وهذا أدّى إلى المخالطة والتواصل والمعاشية التي نتج عنها الحوار والمناقشة، ثم ما لبث الأمر أن اتسع ليشمل جانب الدراسة لديانة الآخر فهماً ووصفاً، وتحليلاً ومقارنة، مما أدّى إلى نشوء فرع من العلم يُسمى علم مقارنة الأديان، يُعنى -أساساً- بدراسة الملل والنحل، وهذا ما اعترف به المستشرق آدم متر<sup>(٢)</sup>. وإذا كان هناك فريق من الباحثين يقرر أنّ الدراسات الجادة في مجال علم الدين المقارن لم تظهر إلا مع كتابات ماكس ميلر الإنجليزي فإنّ لسان الحق يقول: إنّ المفكرين الإسلاميين قد قدموا إسهامات جادة لا يمكن إغفالها في مجال علم الدين بقسميه: تاريخ

---

(١) ينظر: مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، د. محمد الشرقاوي، المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية، ٢٠-٢٢ إبريل ١٩٩٦م: ص ٥٠٨، والدين، د. محمد عبد الله دراز: ص ١٤. ومما ينبغي التنويه إليه أن مصطلح مقارنة الأديان قد صكّه علماء الغرب في نهاية القرن التاسع عشر، ليدل -عندهم- على الدراسة العلمية للأديان، للتفريق بين هذا النوع الجديد من الدراسة وبين الدراسات اللاهوتية التي عرفتتها النصرانية منذ نشأتها وحتى اليوم، وقد اتسع نطاق علم مقارنة الأديان في القرن العشرين ليشمل: (تاريخ الأديان، وفلسفة الدين، وعلم الاجتماع الديني، وعلم نفس الدين، وفينومولوجيا الدين).

(٢) ينظر: مقدمة د. محمد الشرقاوي للرد الجميل للغزالي: ص ١٩، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متر، ترجمة: د. محمد عبد الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م: ٣٨٤/١. وقد أشادت الموسوعة البريطانية بجهود المسلمين في حقل دراسة الأديان، وأبرزت نقطتين: تتمثل الأولى في تحقيق السّبق في مضمّار دراسة الأديان، والثانية هي احتفاظ المسلمين بقيم الوحي والعقل معاً أثناء دراسة الأديان، وهذا الأمر لا تتسم به الدراسات الغربية للأديان.

الأديان، ومقارنة الأديان.

والمُقرَّرُ في مجال الدراسات المقارنة أنَّ الأبوَّة الشرعية لعلم مقارنة الأديان ترجع إلى المسلمين، والخلاف يقع حول أول مَنْ أَلَّفَ من المفكرين المسلمين في هذا العلم، فعلى حين يذهب بعضهم إلى أنَّ ابن حزم الأندلسي قد نال شرف السَّبْق وهو الرائد في مقارنة الأديان في الفكر الإنساني كله، نجد آدم متز يعدُّ النوبختي، (ت ٢٠٢هـ - أو ٣١٠هـ) صاحب كتاب («الآراء والديانات» ولم يتّمه)، أول مَنْ أَلَّفَ في هذا العلم، وآخرون يرون أنَّ شرف كتابة أول تاريخ للأديان في العالم يختص به الشهرستاني مؤلف كتاب (الملل والنحل)، ورأي رابع يرى أنَّ أبا عيسى الورّاق الذي كتب (المقالات) له اليد الطُّولى في حقل الدراسات المقارنة للأديان، وأنه أول مَنْ كتب في هذا المجال.<sup>(١)</sup>

\* ويمكننا إجمال أهمية دراسة علم مقارنة الأديان لطلبة العلوم الإسلامية:

١. أنه يقدم للمفكرين المسلمين أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، ليس فقط من أتباع الديانات الأخرى، ولكن أيضاً من التحديات التي ينشرها التيار الإلحادي المنتشر في العالم كله.
٢. أن الداعية الناجح لا يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتى هى أحسن إلا إذا درس ما عندهم من ديانات ووقف على الملل والنحل التى يدين بها غير المسلمين.
٣. أنه يقدم للمسلمين معرفة قيمة عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه ومتانة حجته ويسر كتابه، ومكانته العظمى بين الكتب الأخرى.

(١) ينظر: الدراسات العلمية للدين في الفكر الإسلامي، د. إبراهيم محمد تركى، المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية، ٢٠-٢٢ إبريل ١٩٩٦م: ص ٥٩٣، ومناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، د. محمد الشرقاوي: ص ٥٠٨، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ١/ ٣٨٥، واليهودية، شلبي: ص ٢٧.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

٤. أنه واجب علمي تقتضيه الضرورة الملقاة على عاتق العلماء والدعاة لتوضيح الحق للناس بطريق علمي سليم بعيد عن الأهواء.

٥. أنه يؤكد ثقة المسلم في دينه من مقومات الأفضلية والإمтиاز.

٦. أنه سلاح للمسلمين في الحاضر كما كان سلاحاً لهم في الماضي للدفاع عن الإسلام العظيم.

وبذلك يتبين لنا ضرورة التجديد في مباحث هذا العلم - كماً وكيفاً ونوعاً-، وتنوع وسائل تعلمه وتعليمه لطلبة العلوم الإسلامية وكل من يحتاج إليه، بل ضرورة توسيع الدراسات فيه، وفتح أقسام خاصة بدراسة تاريخ الأديان، وأخرى خاصة بمقارنة الأديان، وثالثة خاصة بفلسفة الأديان.

:

لقد شكلت الحضارة الغربية المعاصرة نقلة إنسانية غير معهودة في ميدان التطور المادي والتقدم التقني المميز، وقد خلفت قدراً كبيراً من الافتتان والإعجاب بتفوقها، ولكن رافق هذا الوجه المشرق الجميل سقوط هذه الحضارة في مساوئ غاية في الخطورة أفقدتها بريقها الوهاج حينما وقعت هذه العلوم في انتكاسة معرفية، تمثلت أساساً في عدم تحرر أغلب هذه العلوم من قبضة التحيز، سواء عن وعي أم عن غير وعي، والتي أضحت السمة الغالبة على أبحاثها، وتبع ذلك إقصاء وتشويه لأنساق معرفية مغايرة، ناهيك عن بروز ما عرف بظاهرة التوظيف اللاأخلاقي للعلوم الإنسانية بصفة خاصة، فبدت منتظمة في نسق واحد يعتمد تقنيات ومناهج محددة، أخرجت هذه العلوم عن إطارها النظامي الأكاديمي الصرف.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

إن علم مقارنة الأديان كغيره من العلوم الإنسانية في الغرب يعاني من الأزمة ذاتها، في بيئة تغض الطرف عن إسهامات غير غربية مما أفرز أخطاء فظيعة في تأريخ نظريات دراسة الأديان ونسبة اكتشاف نظريات علمية إلى غير أصحابها، يأتي هذا المطلب ليكشف أنه مع غياب هذا العلم في الفكر الإسلامي المعاصر لظروف تاريخية أملت بالحضارة الإسلامية، فالمؤكد أن علم مقارنة الأديان وليد الحضارة الإسلامية ولا بد من إعادة الاعتبار له.

والفكر الإسلامي مدعو في العصر الحاضر أن يبين صورة الإسلام النقية ومعاله في عقول أتباعه، ثم يرفع اللبس و الغموض الذي يكتنفه عند الآخرين من جراء الحملات العدائية المستمرة التي تثير شكوكا وشبهات حول أصالة بعض العلوم الإسلامية علاوة على فضحها وكشف زيفها.<sup>(١)</sup>

إنَّ هناك أزمة منهجية تتخبط فيها الدراسات المقارنة للأديان في العصر الحديث تحت وطأة التحيز الذي يكتنفها حيث لا يمكن التقليل من شأنها، وعليه فإن علم مقارنة الأديان في أمس الحاجة إلى منهجية بإمكانها أن تحدث فيه ذلك الانتشال من وضعه المتأزم إلى وضع أكثر حيادية، ولا يتسنى له ذلك إلا أخذنا الاعتبار الآتية:

١. أن أنساق الدين الكبرى كما برزت في الفكر الغربي وردت مجزأة وتم تسويقها في إطار من العالمية، وهي لم تتحرر من وطأة النظرة المتحيزة التي تنظر إلى أديان بعينها وتتخذها أنموذجاً للدراسة، كالمسيحية مثلاً، وتتغاضى عن نماذج لأديان جمعت بين هذه الأنساق وزادت عليها. وقد كان لتصنيف هذه الأنساق وتبويبها بحسب المسيحية في غالب الأحيان أثره الخطير في المقارنة بينها، لا سيما أن وظيفة علم مقارنة الأديان الغربي هو مقارنة بين تاريخ الأديان، وأسطع مثال على ذلك محاولة مقارنة الكتاب المقدس

(١) ينظر: البعد الحضاري الدولي في علم مقارنة الأديان، أ.د. عبدالقادر بخوش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر: ص ٣٢.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً \_\_\_\_\_  
بالقرآن الكريم حين طفق بعض الباحثين إلى إعادة ترتيب القرآن الكريم بطريقة جديدة  
تحدو حذو الكتاب المقدس في ذلك، والعدول عما أجمع عليه المسلمون وتعارفوا عليه،  
وما نقل إليهم بالتواتر.

إن الدراسات النقدية للكتاب المقدس والقرآن الكريم تفضي إلى استحالة المقارنة  
بينهما فطبيعة كل منهما تنضح بمفارقات عديدة تعدت اللغة والإعجاز إلى طريقة الكتابة  
والجمع.

للتذكير هنا أن علماء الملل والنحل في الإسلام رتبوا أنساق الأديان وفق ما يعتقده  
جمهور معتنقيه، ثم عمدوا إلى مقارنة الأصول بالأصول والفروع بالفروع، فالعقائد  
بالعقائد والعبادات بالعبادات. بهذا المنهج الصارم وغير المتحيز انكب علماء الملل  
والنحل على دراسة الأديان.

٢. أزمة الفكر الغربي تكمن في جعل العقل قوة مستقلة عن الحس ومن الإيمان قوة  
مستقلة عن العقل متأثراً بذلك بما غصت به أدبيات المسيحية حول التناقض بين العقل  
والإيمان مع أن ملكات الإنسان واحدة فالذي يحس ويعقل ويؤمن إنسان واحد. أضف  
إلى ذلك مبدأ الصراع بين الأضداد الذي لازم الفكر الغربي منذ نشأته الأولى في أحضان  
اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد وحتى عصرنا الحاضر، فبرزت على ساحة الفكر  
الغربي الثنائيات المتضادة المتصارعة: (المثالية والواقعية، المادة والروح، العقل والوحي)،  
فهذه النزعة أصيلة في المسيحية، وقد ترك أثره في النصرانية، أما الإسلام فإنه يواجه هذا  
التعارض بقصد التغلب عليه.

٣. حرص علماء الإسلام على إبراز شمول الدين لمجالات أوسع من الأنساق ذات  
الجانب الواحد، لذلك فإن مشاهير علماء الإسلام لم يشعروا في آية لحظة بالحدود الفاصلة  
بين مجالات المعرفة التي تناولوها على النحو الذي نشعر به الآن، ومن ثم لا نجد لديهم

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

أي أثر من آثار التعارض أو الانفصال، بل نجد بالأحرى إحساساً واضحاً بالتكامل بين المجالات المتعددة، فنحن ندرك أنه إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجري، كانت مجموعة علوم الدين واللغة تسير جنباً إلى جنب مع مجموعة العلوم الرياضية والتجريبية. إنَّ جهود الفيلسوف ابن سينا تعكس - في ثانياً مراحل تطورها المختلفة - مدى عبقريته في إدراج العلوم الطبيعية بجانب الفلسفة الإلهية. كما ينبهر المتفحص كتب المسلمين باتساع الدائرة التي يشغلها الدين وتنوع المجالات التي يشملها، ومنه فإن الغرض الديني لا يقتصر على الجانب النفسي ولا على الجانب العقلي ولا على الجانب الخلقى بالمستوى الفردي، وإنما تتسع دائرته لتشمل المظهر الحضاري العام، وهذا يؤكد على أن الدين يعنى بالكيان الإنساني كله.

وليس غريباً أن نجد بعض المفكرين الغربيين يعلنون في صراحة أن الدين قد شغل الشخصية الإنسانية وأتاح أوسع مدى لقواها وملكاتهما، ولم يكن مجرد أمر يتعلق بالعقل أو بالقلب.

٤. لم تكن المسيحية بمنأى عن نزعة التحيز، فهذا التوجه الذي تنتهجه الكنائس الغربية - في إطار تطورها التاريخي - ليس بالأمر العارض، فهو إحدى المهام الجوهرية لعلم اللاهوت المعاصر، حيث الاستيعاب من جديد لرسالة يسوع الناصري متجاوزة الحضارة اليونانية اللاتينية، التي كثير ما حجبت جوهر الرسالة المسيحية ليسوع الناصري.

٥. إنَّ الفكر الإسلامي اليوم هو في أمس الحاجة إلى أن تتضح صورته الناصعة بتنقية تراثه من أدران عكرت نقاءه وأنجع وسيلة لتحقيق ذلك تتمثل في إحياء علم مقارنة الأديان، فهو بإمكانه أن يضطلع بدور فعال، كما كان من قبل وسيلة في إنهاض العقول من سباتها، وكم يحدونا الأمل أن يشق هذا العلم طريقه كما فعل من قبل في خدمة

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الإنسانية بعيداً عن التحيز.

مع هذه الأهمية عاد هذا العلم إلى الظهور في الجامعات الإسلامية، ولكنه في الحقيقة  
ظهور محتشم لم يأخذ بعدُ مكانته اللائقة، فلا بد من السعي بتخصيص قسم لدراسة  
مقارنة الأديان.<sup>(١)</sup>

:

يمثل علم مقارنة الأديان اليوم مجالاً أكاديمياً خصباً يتيح للباحث المسلم مجالات  
أوسع للتعرف مع الآخر بطرق علمية بعيدة عن التشنج العاطفي والمفاهيم المغلوطة،  
وبذلك يتيح للباحث فرصة التحوار مع الآخر، لكن هذا المجال الأكاديمي قد لا يستوعبه  
إلا الباحثون؛ لأنه يفرض منهجية محكمة ومعالم موضوعية عن طريقها يتوصل الباحث  
للتواصل بالمسلك الرئيسي، عن طريق المدارس التي تُبعد عن الفهم الخاطيء.  
والمتمعن في مضامين مصطلح النقد يجد أن الحوار ما هو إلا نقد سلبي كان أو إيجابياً،  
فموضوع الحوار الديني هو إفراز للحقائق غير المتقبلة وغير المفهومة من الطرف الآخر،  
فهو طريقة وأسلوب نقدي وفضاء واسع يشمل تبيان الحقائق ويوسع نطاقها ويبين  
مساوئها ومحاسنها.

فالقرآن الكريم قد استعمل الحوار لتبيان حقيقة الطرف الآخر، وهذا ما ذكره

---

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢: ص ٢١، والبعد  
الحضاري: ص ٣٤-٤٠، وفي الدين المقارن، محمد كمال إبراهيم جعفر، دار الكتب الجامعية، القاهرة،  
١٩٧٠م: ص ٢٥، وابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حمادة، القاهرة، دار المعارف، ط  
١، ١٩٨٣: ص ٧-٨.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾<sup>(١)</sup>، فجوهر الحوار القرآني هو الوصول إلى الحقيقة لاعتناقها، والوصول إلى الطريق الأصوب لسلوكه، والوصول إلى التواصل المثمر، والبعد عن التجافي، من هنا نلاحظ أن الحوار له مفهوم ديني خالص يتلخص في تفهيم الآخر الحقيقة الدينية، كما أن له مفهوماً آخر، يمثل العلاقات المتبادلة بين طرفين أو أكثر، أي بمعنى آخر تاريخ علاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وكتاريخ للتصورات والمعارف المتبادلة عن بعضهم البعض.<sup>(٢)</sup>

أما بالنسبة للمفهوم المعاصر فيشكل الحوار محطة تاريخية واعية لوضع شديد الأهمية والحساسية، يتطلب دراسة مفاهيمية نظرية متكاملة ومعالجة مؤسساتية، وعملية مثمرة وفاعلة، وتقويم هذه الظاهرة الجديدة من زاوية واحدة غير ممكن، فإنه لا بد من تجديد سياسي واجتماعي وثقافي للبلد أو الإقليم الذي يجري فيه الحوار، حيث إن الاتجاهات الخاصة بالحوار يمكن أن تكون ذات أهداف متشعبة، ووفق مستويات مختلفة أيضاً، فالحوار يشكل محطة تاريخية واعية للتفاوض والتحاو الواعي، تهدف في عمومها إلى إيجاد مناخ للتفاعل الديني والأخلاقي والإنساني الإيجابي انطلاقاً من القيم المشتركة.<sup>(٣)</sup>

(١) سورة آل عمران - الآية: ٦٤.

(٢) ينظر: الحوار دائن وحوار مع مستشرق، شوقي ابوخليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١: ص٦، ومقالة (مدى مساهمة علم مقارنة الأديان قديماً في الحوار الديني)، د. بشير كردوسي، ٠٧/١٤/٢٠١١، موقع الحوار اليوم، الرابط: <http://www.alhiwartoday.net/node/310>، وقضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي: ص ٦٤٥-٦٤٨، ٦٦٦، والتعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم، أ.د. محمد عبدالغفور الشريف، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ط١، ٢٠٠٧م: ص ٧-٨.

(٣) ينظر: حوار الحضارات والواقع والأهداف، ماجد الغرباوي، مجلة التوحيد، عدد ٨٦، شباط

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

لقد أرسى القرآن الكريم قواعد الحوار والجدل والنقد بين المسلمين والآخرين وحدد أساليب التعامل معهم ودعوتهم إلى الإسلام وكشف الحقائق، وذلك من مخاطبة الآيات القرآنية مباشرة ودعوتهم إلى الإيمان بما جاء به النبي محمد ﷺ، فالحوار، كلمة وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، كما أن كلمة (جدل) وردت في ثانياً آياته سبع وعشرين مرة، فالقرآن اعتمد الحوار منذ فجر الرسالة الإسلامية، ودعا إليه إنطلاقاً من نقاط الالتقاء في محاولة لاستعاب الخلاف العقائدي، فالإسلام أسس للحوار وشرعه في القرآن مع أهل الكتاب وعدّه جزءاً من النقد المبني على العقلانية والإنصاف والحسنى.

وقد أعطى الإسلام لليهود والنصارى وضعا متميزاً في التعامل والعلاقات: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦)، كما أنه أباح مؤاكلة أهل الكتاب ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم، ويكون لهذه الزوجة الكتابية القيام بفروض عبادتها والذهاب إلى معبدها أو كنيستها لممارسة شعائر دينها.

لهذا ظهر عند المسلمين علم تاريخ الأديان (علم الملل والنحل)، والذي أصبح يعرف في عصرنا بعلم مقارنة الأديان بمنهجية السمحاء وبعده الإنساني والعالمي على عكس الأديان الأخرى، بل اهتم المسلمون أيضاً بدراسة الأديان غير السماوية، والتي اعتنوا بها وبمعتقداتها وما أفرزته من أطر اجتماعية وثقافية، فكانت دراستهم من أهم ما أنتجه الفكر الإنساني وقتها، حتى أن كتب علم الكلام لا تخلو من دراسة ومناقشة هذه الأديان (الثانوية، المناوية، المزدكية، الهندوسية «البرهمية»، البوذية).<sup>(٢)</sup>

١٩٩٧م، مؤسسة الفكر الإسلامي، إيران: ص ٧.

(١) سورة العنكبوت - الآية: ٤٦.

(٢) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد الطنطاوي: ١/١٥٩، والحوار في القرآن، محمد

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

فعلم الأديان يُعدُّ من العلوم الأساسية في التراث الإسلامي وإن لم يلقَ العناية الكافية في عصورنا المتأخرة من الدارسين المسلمين، هذا العلم الذي عرفه الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، هو من ابتكار البيئة الإسلامية في القرون الأولى للحضارة الإسلامية، ويعد هذا العلم آخر ما وصلت إليه العقلية المنهجية الإسلامية في دراسة الدين. ولكن بعد ضعف المسلمين واستسلامهم لأدبيات التخلف أتجه الفكر الغربي نحو هذا العلم مبرزه من جديد، فأفتتحت كبريات الجامعات الغربية قسماً خاصاً لدراسة الأديان، كجامعة السربون (فرنسا) سنة ١٨٨٥م فتح قسم (علم الأديان)، وجامعة شيكاغو (أمريكا) فُتح فيها سنة ١٨٩٣م قسم (الأديان المقارنة)، وجامعة مانشستر (بريطانيا) سنة ١٩٠٤م، كما فتح أول كرسي لعلم الأديان في ألمانيا (برلين) سنة ١٩١٠م، وفتح بإيطاليا أول كرسي لعلم الأديان بجامعة ميلانو سنة ١٩١٢. فأخذ بذلك هذا العلم طابعاً معرفياً مميزاً عند الغرب، فظهرت عدّة تسميات، لكن فُضلت التسمية الألمانية عند علماء مقارنة الأديان بالغرب، والملاحظ أن التسمية الحالية (علم مقارنة الأديان) لم تحدد إلا في عصرنا الحالي بدءاً من القرن (١٩م) في أمريكا وإنجلترا، كما يتضح أن منهجه يعد من المناهج التي تساعد على التعرف على الآخر والتحاور معه والابتعاد عن المفهومات المغلوطة.<sup>(١)</sup>

مساهمة علم (مقارنة الأديان) في الحوار الديني:

يمثل البحث المقارن عنواناً مقبولاً عند الكثيرين من الباحثين لا سيما في مجال علم مقارنة الأديان، بل يعدُّ اليوم من أخصب الدراسات منهجاً وأصعبها لتشابك قضاياها، ولهذا فإن هناك ثمة مقاربات متعددة للبحث المقارن حول ماهية المقارنة كعنصر جوهري

حسين فضل الله، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، الجزائر، د.ت: ٢٩/١.

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ٣٤٢/١.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

في الدراسات المقارنة للأديان والذي تنطلق منه الدراسات والأبحاث لتحديد المفاهيم الأساسية للبحث المقارن للأديان والتي حددت في: (فهم ظاهرة أو فكرة ما، وتحديد مجالات التباين، والاشترك، والتأثير، والتأثر، وتفسيرها).

ومن أجل الوصول إلى نتائج موضوعية يتم على أساسها وضع التصورات المتنوعة لكشف الأبعاد الخفية والحقيقية والتوصل إلى معرفة الآخر والتحاوور معه؛ لأنَّ جوهر الحوار هو: (التعرف على الآخر للكف عن المفهومات الخاطئة وهذا يؤدي إلى الكف عن رؤية الآخرين كما نحب أن نراهم، وكذلك الابتعاد عن الجدل الديني العقيم)، وهذا كله يجبرنا إلى تحديد نطاق المقارنة في علم مقارنة الأديان ليحدث التفاعل الايجابي لمعرفة الآخر والتحاوور معه، فالتحديد يدفع بنا إلى معرفة العوامل المتنوعة والتي لها الدور الأساس فيه، فالمؤهلات الشخصية وإمكانات البحث من مادية ومعرفية هي التي تحدد هذا الإطار.<sup>(١)</sup>

وهذه المسائل يتم منها استيعاب البحث المقارن في الأديان، بل هي التي تضيء الطريق نحو نجاح المقارنة الموضوعية التي تساعد على الابتعاد عن المفهومات المغلوطة وتوصل الدارس إلى حقيقة الآخر، وتكون ضمن خمس مراحل: (تعريف المسألة، تحديد نطاق المقارنة، تتبع الحد الأقصى من مستويات الاشتراك والتباين حتى الشكلية منها، الانتقال من المستويات الشكلية إلى الحقيقية فيما يتصل بالاشترك والتباين، تفسير حالات الاشتراك والتباين)، فاستيعاب هذه المسائل الجوهرية يكون مقدمة ضرورية للمساهمة في الحوار الديني، ويتم ذلك من مسالك، منها -مثلاً- طريق المدارس.

(١) ينظر: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٥: ص ١٢٧-١٢٨، والتعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم: ص ٩، وتجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر: ص ٣٨٤-٣٨٩.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

ولا تتم مساهمته في الحوار الديني عن طريق المدارس إلا عن طريق المعالم الكبرى التي يفرضها علم مقارنة الأديان، والتي تساعد على معرفة الآخر معرفة إيجابية موضوعية، وهذه تتمثل في:

١- تحديد الإطار التاريخي والمعرفي: فالعقائد والطقوس والأفكار الدينية تتكون في بداياتها في إطار معرفي تاريخي متشابك، واستيعاب هذه الثنائية تمنح الباحث فهماً أعمق للمعالم الأخرى، وتتيح له تجاوز المقارنة المباشرة والذهاب إلى ماهو أبعد. فاستيعاب الإطار التاريخي المعرفي لمسألة عقديّة مشتركة بين ديارتين يبعدها عن النتائج الاستباقية، بل يدفعنا إلى معرفة الجوهر البشري في التشابه في بعض الأفكار الدينية.

٢- المصادر والمراجع الأصيلة والمتخصصة: لتحقيق هذا الاستيعاب الجيد يجب بالضرورة استيعاب مقوماته الأساسية، وهي المصادر والمراجع الأساسية لأصحابها والتي تحدد الاتجاه العلمي الرصين والصحيح والجاد، وإلا سيكون البحث أعرج ويدخل في نطاق بحوث العامة التي تعتمد الديماغوجية الخطابية التليفقية، فلا يتصور أن ندرس قضية دينية لدين ما ونعتمد على مصادر ومراجع غيره لتحديد نطاقها وماهيتها، إذ يؤدي هذا إلى تسرب معلومات خاطئة وناقصة لا قيمة لها كما يؤدي في النهاية إلى عقم وشلل البحث، وكلما استعان الباحث في مقارنة الأديان بمصادر ومراجع أصيلة تمثل أصحابها كلما كانت حجته أقوى واستقراؤه أكمل، وكثيراً ما عانى كبار الباحثين الأمرين من أجل الحصول على مصادر أصحابها حتى يكون التوثيق من منبعه ليزيد قيمة للبحث.

٣- معرفة المنظومة الفكرية: وهي المنظومة التي تشكلت منها الأفكار الدينية أو المنظومة الدينية للأديان وتشكيلاتها التاريخية والمعرفية حتى نتعد عن التصورات الخاطئة والنتائج الخاطئة. فكما أنه لا يعقل أن نطلق من مصادر غير أصحابها لدراساتهم فكذلك الحال لا يمكن أن نطلق من منظومة فكرية لا تمثل أصحابها لتحديد معتقدات

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً \_\_\_\_\_  
أو طقوس أساسية عند الآخر بمفاهيم واعتقادات لا تمثلهم، فهذه المفاهيم هي  
المادة الأولية التي تعطي دوراً مهماً في تشكيل نتائج البحث. وهذا يؤدي بنا إلى الكف عن  
رؤية الآخرين كما نحب أن نراهم وكذلك الابتعاد عن الجدل الديني العقيم.

٤- مبدأ تقدم الفهم على النقد: إنَّ إشكالية فهم القضايا المقارنة قد تطرح تسؤولات  
مبدئية عند الباحث قد لا يستوعبها للوهلة الأولى لكن هي من الضروريات المعرفية  
في البحث المقارن فدراسة النبوة أو الوحي عند اليهود أو المسيحيين ومقارنته بما عند  
المسلمين -مثلاً- يتطلب فهماً واستيعاباً لمفهوماتهم العقديّة والتشكّل التاريخي ولن  
يكون نقد نظرتهم مجدياً إلا إذا كان مسبقاً باستيعاب كامل لها.

٥- تجنب الشمولية: وهو التركيز بعمق على معالجة قضية محدودة على نحو لا شمولي،  
وبعض الدارسين يعارضون ذلك، وهذا ناشئ بالتأكيد عن غياب الرؤية المنهجية، فسعة  
البحث هنا تجعل منه بحثاً موسعاً يتناول مسائل وقضايا قد تكون بحجم كبير غير أن  
عمقها لن يتجاوز بضع ستمترات، فالعلاقة عكسية بين منهجي الشمولية والعمق،  
فكلما كان موضوع البحث أكثر شمولاً تراجع مستوى العمق في البحث، وبالتالي تراجع  
التواصل والتحاوّر مع الآخر ومعرفة حقيقته.<sup>(١)</sup>

وقد لاحظنا الكثير من علمائنا قديماً وحديثاً -وكذلك في الغرب- قد امتثلوا لهذه  
الضوابط المنهجية التي تسير بصاحبها نحو المعرفة الموضوعية بالآخر، فعلماءنا قد ساهموا  
في الحوار الديني وفي التعارف على الآخر من بحوثهم وتمسكهم بالمنهجية العلمية التي  
يفرضها علم تاريخ الأديان (أو علم مقارنة الأديان)، كما أنهم سلكوا مسلك المدارس

---

(١) ينظر: التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم: ص ٨-٢٠، ومقالة (مدى مساهمة علم مقارنة  
الأديان قديماً في الحوار الديني)، د. بشير كردوسي، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري:  
٣٤٢-٣٤٣، ودراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة: ص ١٢٧-١٢٨.

\_\_\_\_\_ التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

وبذلك لمسوا جوهر الحوار المتمثل في معرفة الآخر بابتعادهم عن المفهومات الخاطئة.

ختاماً، يمكننا أن نخلص إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وهي كالآتي:

١. أن التجديد في اللغة هو من جعل الشيء القديم جديداً، وفي الاصطلاح له مفهومان:

- مفهوم شرعي: ومعناه يتلخص في ثلاثة أمور: (إحياء الفهم الصحيح للإسلام، والتجديد في العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى التي يحتاجها الناس في تطوير حياتهم، وتطبيق الإسلام في واقع الحياة).

وهذا المفهوم دعا إليه الإسلام وحثّ على تحقيقه بضوابطه وشروطه.

- ومفهوم آخر: معناه الانقضااض على أصول الدين وثوابته ووكلياته، وهدمها وبناءها بناءً جديداً، فأوجدوا مفاهيم وقواعد وأحكام جديدة له تتناسب وتتماشى مع حضارة الغرب. وهذا المفهوم مرفوض شرعاً.

٢. الأصل في مشروعية التجديد قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة وسنده صحيح: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))، ولهذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يوجد المجددون لهذه الأمة الذين ينقون الدين مما علق به من إحداث المحدثين وشبه المبطلين.

٣. يجب إعادة النظر بشكل جاد ومستمر حول مفاهيم وآليات التجديد، وبخاصة في العلوم الشرعية، إذ الواقع يؤكد أنها أصبحت ملجأ للضعفاء وموثلاً للكسالى، فالحاجة

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً \_\_\_\_\_  
مأسّة لتفعيل دور تلك العلوم لتفي باحتياجاتنا وتواكب متغيرات مجتمعنا المعقّدة، فيقدر  
مدخلات المعارف الصحيحة والتربية القويمة للطلبة تكون المخرجات القادرة على حمل  
المشروع النهضوي للأمة الإسلامية.

٤. على عاتق أهل العلم مهمة كبرى تلزمهم المبادرة في وضع مناهج ورؤى جديدة في  
تصنيف وتدرّيس وتنزيل العلوم الشرعية على معاش الناس واحتياج مجتمعاتهم الحاليّة  
والمستقبليّة، دون الغفلة عن تكوين الطالب والمُعَلِّم تكويناً يؤهله للتفاعل الإيجابي  
مع واقعه، فمن أهداف التعليم الديني هو تأسيس العقلية العلمية والتفكير الواقعي  
والإسهام في إيجاد وتنمية التفكير الإبداعي والوسطي المعتدل.

٥. هناك الصعوبات تقف أمام تجديد التعليم الديني والنهوض به، من أبرزها:  
(ضعف تكوين الكوادر التدريسية علمياً وتربوياً، وعدم أو قلة استعمال الوسائل  
السمعية والبصرية، والعناية بالأهداف العامة مع إهمال وسائل الوصول إليها فالأهداف  
من دون أن توضع آليات لتطبيقها تبقى مجرد شعارات فضفاضة، وغياب تصور  
واضح عن الطالب المسلم الذي نتمنى تخريجّه، وعدم إهتمام كثير من الأساتذة بالطرق  
والأساليب المستجدة في مجال التربية، وتخريج طلبة فاقدين للمهارات اللازمة في الحياة  
الحديثة وعاجزين عن المشاركة فيها، وعدم مراعاة المناهج الدراسية للخصائص العقلية  
والوجدانية والنفسية للمتعلمين).

٦. الحلول الممكنة لتجديد التعليم الديني: (الإلتزام بمواصفات علمية وتربوية  
عالية للتدرّيسيين وتلافي ضعف التكوين عن طريق دورات التعليم المستمر، واستعمال  
الوسائل السمعية البصرية وتعاون الإدارة في تحقيق ذلك بتوفيرها ومتابعة استعمالها،  
ووضع تصور واضح حول شخصية الطالب المسلم المراد تخريجّه، والمزج بين التدريس  
بالطرق التعليمية الحديثة والطرق القديمة وتنويع بحسب الحالة والحاجة، واعتماد

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الشروط والمسائل المساعدة في إنجاح المحاضرة والدرس).

٧. أن وسائل تدريس المناهج الدراسية -عموماً- تتسم في الوقت الحاضر باعتماد أسلوب المحاضرة والإلقاء، وقد شهدنا في الآونة الأخيرة مولد ثورة علمية ضخمة في مجال التعليم الإلكتروني، وتتمحور فكرته في تقديم المحتوى التعليمي بوسائل حديثة وفعالة تتسم بانفتاح علمي هائل، ولا يزال التعليم الإلكتروني المعتمد على الكمبيوتر أسلوباً موازياً للتعليم الأساسي التقليدي، وبالإمكان تبني تقنيات وأساليب عديدة ضمن خطة تعليم وتدريب شاملة تعتمد على مجموعة من الأساليب والتقنيات.

٨. يلعب علم العقائد والكلام الديني دوراً رئيساً في المنظومة المعرفية لأي دين، كما يحتلّ مركزاً حساساً فيها، فلا بد أن تكون الإنطلاقة من القاعدة وصولاً حتى رأس الهرم دون العكس، وفي هذا السياق نجد أن هناك مقترحات تجديدية بتحويل الجهد الكلامي إلى مؤسسة (أي مؤسسة علم الكلام)، وذلك بتشكيل مؤسسات ولجان للإهتمام بإنجاز مجموعة أمور، منها ما يأتي:

- \* تصحيح التراث الكلامي، وإخراجه من عالم المخطوطات وطباعتها بلغة عصرية مناسبة.
- \* إقامة المؤتمرات الدورية والملتقيات والمنتديات التي تُعنى بالعقائد والفكر الكلامي.
- \* تأسيس مكاتب كلامية متخصصة تتوفر فيها جميع المصادر والمراجع الكلامية القديمة والحديثة.

\* إنشاء مراكز ترجمة تنقل الفكر الآخر، كما تعرّف الآخر بالفكر الكلامي الإسلامي.

٩. ضرورة التجديد في دراسة علم الأديان -كماً وكيفاً ونوعاً-، وتنوع وسائل تعلمه وتعليمه لطلبة العلوم الإسلامية، بل ضرورة توسيع الدراسات فيه، فمع هذه الأهمية العظمى نجد هذا العلم قد ظهر في بعض الجامعات الإسلامية ظهوراً محتشماً، لذا لا بدّ من السعي إلى فتح أقسام تخصصية لدارسة الأديان،

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

إذ تكمن أهمية دراسة الأديان فيما يأتي:

- \* أنه يقدم أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه.
- \* أنه يقدم للمسلمين معرفة قيمة عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه ومثانة حجته.
- \* أنه واجب علمي على العلماء والدعاة لتوضيح الحق للناس بطريق علمي سليم بعيد عن الأهواء.

١٠. يمثل علم الأديان مجالاً أكاديمياً خصباً يتيح للباحث المسلم مجالات أوسع للتعرف مع الآخر بطرق علمية بعيدة عن التشنج العاطفي والمفاهيم المغلوطة، فهو يتيح له فرصة التحوار مع الآخر، والحوار ما هو إلا نقْدٌ، سلبياً كان أو إيجابياً، فموضوعه إفراز الحقائق غير المتقبلة وغير المفهومة من الطرف الآخر.

١١. يمثل البحث المقارن في مجال مقارنة الأديان من أخصب الدراسات منهجاً وأصعبها لتشابك قضاياها، وهذا كله يجرنا إلى تحديد نطاق المقارنة في هذا العلم ليحدث التفاعل الإيجابي لمعرفة الآخر والتحوار معه. وهذه المسائل هي التي تضيء الطريق نحو نجاح المقارنة الموضوعية، وتكون ضمن خمس مراحل: (تعريف المسألة، تحديد نطاق المقارنة، تتبع الحد الأقصى من مستويات الاشتراك والتباين حتى الشكلية منها، الانتقال من المستويات الشكلية إلى الحقيقية فيما يتصل بالاشتراك والتباين، تفسير حالات الاشتراك والتباين)، ويتم ذلك من مسالك، منها طريق المدارس. ولا تتم مساهمته عن طريق المدارس إلا عن طريق المعالم الكبرى التي يفرضها علم مقارنة الأديان، والتي تساعد على معرفة الآخر معرفة إيجابية موضوعية، وهي كما يأتي:

أ. تحديد الإطار التاريخي والمعرفي للمسائل: فاستيعاب هذا الإطار يبعدها عن النتائج

الاستباقية.

ب. المصادر والمراجع الأصيلة والمتخصصة: فهي ضرورية لتحقيق هذا الاستيعاب،

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

وإلاّ ستتسرب معلومات خاطئة وناقصة لا قيمة لها، كما يؤدي في النهاية إلى عقم وشلل البحث، وكما استعان الباحث في مقارنة الأديان بمصادر ومراجع أصيلة كلما كانت حجته أقوى واستقراؤه أكمل.

ج. معرفة المنظومة الفكرية الدينية للأديان وتشكيلاتها التاريخية والمعرفية: حتى نبتعد عن التصورات الخاطئة والنتائج الخاطئة والجدل الديني العقيم.

د. مبدأ تقدم الفهم على النقد: فلن يكون نقد نظرتهم مجدياً إلاّ إذا كان مسبقاً باستيعاب كامل لها.

هـ. تجنب الشمولية: وهو التركيز بعمق على معالجة قضية محدودة على نحو لا شمولي، فكلما كان موضوع البحث أكثر شمولاً تراجع مستوى العمق في البحث، وبالتالي تراجع التواصل والتحاوّر مع الآخر ومعرفة حقيقته.

١٢. نجد أنّ علماءنا قد ساهموا في الحوار الديني وفي التعارف على الآخر من بحوثهم وتمسكهم بالمنهجية العلمية، وسلكوا مسلك المدارس، وبذلك لمسوا جوهر الحوار المتمثل في معرفة الآخر بابتعادهم عن المفهومات الخاطئة.

سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون،  
وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.



\* بعد القرآن الكريم.

١. ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣ م.
٢. الاتجاهات الجديدة في علم الكلام مدخل تاريخي، عبد الجبار الرفاعي، مجلة التوحيد، عدد (٩٦)، مؤسسة الفكر الإسلامي، إيران، د.ت.
٣. الاتجاهات الجديدة في علم الكلام، د. حسن حنفي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد (١٤).
٤. الاجتهاد والتجديد - هل من مزيد، سارة الراجحي، موسوعة الردّ على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٥. الأساس الإسلامي للتجديد وضوابطه، الشيخ الأمين عثمان الأمين، مفتى الديار، إريتريا.
٦. إشكالية التجديد بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، مقالة للكاتب الصحفي اسعيد مديون، المنسق الإقليمي لحزب النهضة والفضيلة بإقليم بني ملال، موقع حزب النهضة والفضيلة، الرابط: <http://partirv.com>.
٧. الإنسان في ظل الأديان، د. عمارة نجيب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٦ م.
٨. البعد الحضاري الدولي في علم مقارنة الأديان، أ.د. عبدالقادر بخوش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، د.ت.
٩. بين التقليد والتجديد، د. عدنان علي رضا النحوي، موسوعة الرد على المذاهب

\_\_\_\_\_ التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٠. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق:

مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

١١. تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، د. أحمد بن محمد اللهيبي،

مركز البحوث والدراسات، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٢هـ.

١٢. تجديد العلوم الإسلامية تكميل للمسيرة أم تبديل للشريعة، د. مسفر بن علي

القحطاني، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، موسوعة البحوث والمقالات العلمية،

جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٣. التجديد المنهجي في علم الكلام الإسلامي، حيدر حب الله، مجلة الحياة الطيبة،

عدد (٦)، بيروت، ٢٠٠١م.

١٤. التجديد حينما يفقد مساره، عبدالله بن محمد المالكي، موسوعة الرد على المذاهب

الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

١٥. التجديد مفهومه وضوابطه ومجالاته، مقالة للشيخ مراد بن أحمد القدسي، موقع

الهدى، ٢١ سبتمبر ٢٠١٠م، الرابط: <http://msjdna.blogspot.com/>.

١٦. التجديد مفهومه وضوابطه، الكاتب حسن بن محمد شبالة، صحيفة الرشد،

صنعاء، منقول من موقع الدكتور: [www.shabalh.net](http://www.shabalh.net).

١٧. التجديد، أ.د. سيف الدين عبدالفتاح، أستاذ النظرية السياسية، جامعة القاهرة،

موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

١٨. تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني - مادة

أحكام الأسرة أنموذجاً، د. رقية طه العلواني، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،

جامعة البحرين.

- التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً \_\_\_\_\_
١٩. التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم، أ.د. محمد عبدالغفور الشريف، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ط ١، ٢٠٠٧م.
٢٠. توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٦م.
٢١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، المستشرق آدم متر، ترجمة: د. محمد عبدالهادي أبي ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٢٢. حوار الحضارات والواقع والأهداف، ماجد الغرباوي، مجلة التوحيد، عدد ٨٦، مؤسسة الفكر الإسلامي، إيران، شباط ١٩٩٧م.
٢٣. الحوار دائما وحوار مع مستشرق، شوقي ابوخليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١.
٢٤. الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، الجزائر، د.ت.
٢٥. الدراسات العلمية للدين في الفكر الإسلامي، د. إبراهيم محمد تركي، المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية، ٢٠-٢٢ إبريل ١٩٩٦م.
٢٦. دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٥.
٢٧. الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢.
٢٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، د.ت.
٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
٣٠. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.  
٣١. ضوابط تجديد الفكر الإسلامي، د. يوسف على فرحات، موقع وزارة الأوقاف  
والشؤون الدينية، فلسطين.

٣٢. ضوابط تجديد الفكر الإسلامي، مقالة للدكتور يوسف على فرحات، مدير  
عام الوعظ والإرشاد، موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، فلسطين، الإدارة العامة  
للوعظ والإرشاد، الرابط: <http://www.palwakf.ps/irshad>.

٣٣. العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها، د. محمد عبدالستار نصار، دارالطباعة  
المحمدية، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

٣٤. علماء أهل السنة وإسهامهم في تجديد وتغيير مجرى العلوم، محمد الباحث، مصر،  
منتدى التوحيد، أكتوبر ٢٠١٢م. الرابط: <http://www.elthwed.com/vb/showthread>

٣٥. في الدين المقارن، محمد كمال إبراهيم جعفر، دار الكتب الجامعية، القاهرة،  
١٩٧٠م.

٣٦. في معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبدالستار فتح الله سعيد، القاهرة،  
د.ت.

٣٧. فيض القدير، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٢م.  
٣٨. قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ٣،  
٢٠٠٩م.

٣٩. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن  
سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-  
١٩٩٦م.

التجديد في التعليم الديني - علمي العقائد والأديان أنموذجاً

٤٠. مدى مساهمة علم مقارنة الأديان قديماً في الحوار الديني، د. بشير كردوسي،

٢٠١١م، موقع الحوار اليوم، الرابط: [http://www.alhiwartoday.net/](http://www.alhiwartoday.net/node/310)

٤١. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،

تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤٢. مظاهر التجديد في الفكر الإسلامي، مقالة للدكتور يوسف علي فرحات، مدير

عام الوعظ والإرشاد، الإدارة العامة للوعظ والإرشاد، فلسطين.

٤٣. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض

الله، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٤٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد

النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت.

٤٥. مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين، الشيخ محمود

الطحان، سنة ١٩٨٤م.

٤٦. مفهوم التجديد في الإسلام، الشيخ سلمان بن فهد العودة، الموسوعة الشاملة،

مقالة ١٤٠.

٤٧. مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، د. محمد الشرقاوي، المؤتمر الدولي

للفلسفة الإسلامية، ٢٠-٢٢ إبريل ١٩٩٦م.

٤٨. اليهودية، د. أحمد شلبي، ط ٨، ١٩٨٨م، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ت.



-7-

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي العاشر  
الموسوم بـ(التجديد والاستجابة لروح العصر)

إعداد

أ.م.د عبد الكريم عبد الغني الدراجي  
تدريسي في كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ / بغداد





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد: فإنَّ القواعد الفقهية من أعظم الإبداعات العقلية، لأنَّها تمتاز بإيجاز عبارتها مع عموم معناها وسعة استيعابها للمسائل الجزئية إذ تصاغ القاعدة في جملة مفيدة مكونة من كلمتين أو بضع كلمات من ألفاظ العموم، وتُعدُّ من جوامع الكلم إذ يندرج تحت كل منها ما لا يحصى من المسائل الفقهية المختلفة<sup>(١)</sup>.

وهي جليلة وكثيرة لها من فروع الأحكام ما لا يحصى وهذه القواعد لم يذكر منها شيء في أصول الفقه، وقد يشار إليها هناك على سبيل الإجمال.

وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع، ومجددة لكل عصر وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه، وتتضح له مناهج الفتوى.

وقد اجتهد العلماء الأقدمون في وضعها وصياغتها عبر تاريخ الفقه الإسلامي المجيد، بدءاً من عصر النبي ﷺ، مروراً بعصر الصحابة والتابعين والفقهاء الذين انكبوا طوال عصور التاريخ الإسلامي على بلورتها وصياغتها في بطون الكتب؛ لضبط الفقه الإسلامي وتأصيله، فاستخدموها عند التعليل والترجيح للحفاظ والمساعدة على فهم مقاصد الشريعة التي تحولت إلى منارات هدى تتسم بقوانين وقواعد حيث المرونة والسعة والتكيف مع كل جديد، وهي المميزات التي جعلت هذه الشريعة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، ولها الأثر العظيم في تجديد الفقه التي تواجه التطور البشري وتتصدى لحوادث لا معد لها.

(١) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ١/ ٢٣.

القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

إنَّ القواعد الفقهية هي قواعد إجتهادية استنبطها العلماء المجتهدون من معقول النصوص والقواعد العامة للشريعة أو بناء على مصلحة رأوها أو عرف اعتبروه، أو استقراء استقرأوه فعلى من تعرَّض لمثل هذه المسائل أن يكون على جانب كبير من الوعي والإدراك والإحاطة بالقواعد الفقهية وما بنيت عليه كل قاعدة أو استنبطت منه، وما يمكن أن يستثنى من كل قاعدة حتى لا يدرج تحت القاعدة مسألة يقطع أو يظن خروجها عنها، والقواعد الفقهية لها فائدة كلية في ضبط المسائل فمن اطع عليها من المطالعين يضبط المسائل بأدلتها، وسائر المأمورين يرجعون إليها في كل خصوص ومسألة مستجدة أو نازلة جديدة.

ومن هنا كان لهذه القواعد أثرها الكبير في الأبحاث التشريعية التجديدية في كل عصر مهما تغيرت الأعراف والأزمان ولها أثر كبير في الحكم على النوازل الطبية مثل بيان أحكام التجميل والعمليات الجراحية المعاصرة، وكذلك نجد مهما تغير الزمان والمكان وتجديد القوانين الوضعية في معظم البلدان التي تأخذ من الشرعين القانونيين نجدهم لا يستغنون عن القواعد الفقهية.

فمن أجل هذا اخترت موضوع القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي واخترت قاعدة اليمين على المدعى عليه انموذجا مع التطبيق الفقهي وقد قسمت بحثي على خمسة مطالب، ففي المطلب الأول عرفت القاعدة، والمطلب الثاني: الفرق بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية، والمطلب الثالث: معنى الفقه ومعنى التجديد، والمطلب الرابع: مشروعية تجديد الفقه، والمطلب الخامس: أثر القواعد في التجديد الفقهي قاعدة (اليمين على المدعى عليه) أو (اليمين على المدعى عليه والبيئة على من أنكر) أنموذجا، ثم الخاتمة والمصادر والمراجع.

الباحث

القاعدة في اللغة: أصل الأُس، والقواعد الأساس، وقواعد البيت أساسه، وهي الأساس والميزان<sup>(١)</sup> يقول الله عز وجل: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)<sup>(٢)</sup> وفيه: (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ)<sup>(٣)</sup>، فالقاعدة في هاتين الآيتين بمعنى الأساس وهو ما يرفع عليه البنيان. وقال الزَّجاج - رحمه الله -: القواعد أساطين البناء التي تعمده، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تتركب عيدان الهودج فيها).<sup>(٤)</sup>

وقال الرَّاغِبُ الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ)<sup>(٥)</sup> (قعدت المرأة عن الحيض والولد تقعد قعوداً، وهي قاعد: انقطع عنها، والجمع قواعد)<sup>(٦)</sup>. تبين لنا من التعريف اللغوي أنَّ القاعدة في اللُّغة تطلق على إطلاقات متعددة لكنَّها كلها تدور حول معنى واحد، هو الأصل والأساس وسواء كان هذا الأصل أو الأساس حسياً كقواعد البيت أو معنوياً كقوله ﷺ: ((بني الإسلام على خمسة أصول...)) أي على خمسِ قواعد.

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٣/ ٣٦١، ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١/ ٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية ٢٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٣/ ٣٦١.

(٥) سورة النور، الآية ٦٠.

(٦) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣/ ٣٦١.

: :

عرفت القاعدة في الاصطلاح بتعريفات كثيرة منها:

عرّفها الجرجاني (٧٤٠هـ) بأنها: (قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها)<sup>(١)</sup>.  
وعرّفها التفتازاني (٧٩١هـ) بأنها: (حكمٌ كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه)<sup>(٢)</sup>.

هذا هو تعريف القاعدة بصفة عامة، وسواء كانت فقهية أو غير فقهية، إذن فما هو تعريف القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية؟

: :

عرفت القاعدة الفقهية بتعريفات كثيرة منها:

عرّفها الحموي شارح الأشباه والنظائر لابن نجيم بقوله: (حكمٌ أكثرى لا كلي، ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه)<sup>(٣)</sup> ومما يلاحظ على هذا التعريف أن قوله (حكمٌ أكثرى) وذلك لوجود المستثنيات والشواذ في القاعدة الفقهية أكثر مما توجد في القواعد الأخرى، ولذلك قال علماء المالكية: (ومعلوم أن أكثر قواعد الفقه أغلبية)<sup>(٤)</sup>.  
وعرّفها الأستاذ مصطفي الزرقا (١٤٢٠هـ) بأنها: (أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكاماً تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها)<sup>(٥)</sup>.

وعرّفها الدكتور علي الندوي بأنها: (حكمٌ شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام

(١) التعريفات للجرجاني، باب القاف / ١ / ١٧١.

(٢) شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني / ١ / ٣٤.

(٣) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر للحموي / ١ / ٥١.

(٤) أنوار البروق في أنواع الفروق، لأحمد بن إدريس القرافي / ١ / ٣٦.

(٥) المدخل الفقهي العام لمصطفى الزرقاء / ٢ / ٩٤٧.

القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

ما دخل تحتها)، وقال في شرح تعريفه: القواعد الفقهية هي قواعد تحتوي على زمرة من الأحكام الشرعية من أبواب مختلفة، يربطها جانب فقهي مشترك، ومن هنا فإنَّ القيد المذكور في التعريف وهو (شرعي) يخرج القواعد غير الشرعية، والقيد الثاني (أغلبية) يفيد بأنَّ هذه القواعد متسمة بصفة الأغلبية، وقد يند عن معظم القواعد بعض الفروع، وإنَّ كان خروج تلك الفروع لا يغير صفة العموم للقواعد ولا يحط من قيمتها<sup>(١)</sup>.

:

أما القواعد الأصولية: فهي تلك المناهج والمعايير التي تُستعمل لأجل استنباط الأحكام الشرعية<sup>(٢)</sup> مثل قولهم: النَّهي يقتضي الفساد والنَّص يقدم على الظاهر، وهي هنا تختلف عن أصول الفقه؛ لأنَّ أصول الفقه هي أنفسها المصادر والأدلة التي يستنبط منها الحكم الشرعي، أما القواعد فهي مناهج ومعايير هذا الاستنباط، إلاَّ أنَّ بعض الأصوليين قد يتجاوز فيطلق القواعد الأصولية على الأصول أنفسها والعكس<sup>(٣)</sup>.

فالقواعد الأصولية إذن: هي تلك المباحث والقوانين والقواعد اللغوية التي يعتمد عليها المجتهد في تفسيره وتعامله مع النصوص الشرعية، واستنباطه الأحكام منها<sup>(٤)</sup>.

(١) القواعد الفقهية للندوي، ص ١٧.

(٢) ينظر: أصول الفقه للخضري (دار الفكر، ١٩٨٨م) ص ١٣.

(٣) مراعاة الخلاف في المذهب المالكي وعلاقتها ببعض أصول المذهب وقواعده، الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ص ١٢٥.

(٤) القواعد الأصولية عند القاضي عبد الوهاب البغدادي للدكتور محمد بن المدني الشنتوف، ص ٤٦.

عندما نتحدث عن الفرق بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية، فإنَّ كلا النوعين من القواعد يشتركان في أنها قضايا كلية وأصول عامة يندرج تحتها فروع وجزئيات متعددة كما بينا ذلك في تعريف كلا المصطلحين، كما أنهما يشتركان في خدمة الفقه الإسلامي والكشف عن الحكم الشرعي لكثير من الأفعال والتصرفات، ولهذا قال الزنجاني: (لا يخفى عليك أنَّ الفروع إنما تُبنى على الأصول، وأنَّ من لا يفهم كيفية الاستنباط ولا يهتدي إلى وجه الارتباط بين أحكام الفروع وأدلتها التي هي أصول الفقه، لا يتسع له المجال، ولا يمكنه التفريع عليها بحال، فإنَّ المسائل الفرعية على اتساعها وبعُد غايتها لها أصول معلومة، وأوضاع منظومة ومن لم يعرف أصولها لم يحط بها علماً)<sup>(١)</sup> وإذا كانت القواعد الأصولية والفقهية تشتركان في هذا القدر من الخصائص، فإنَّ الإمام شهاب الدين القرآفي يُعدُّ أوَّل من ميز بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية، فقد جاء في مقدمة (الفروق) ما يلي:

(فإنَّ الشريعة المعظمة المحمدية) زاد الله تعالى منارها شرفاً وعلواً. اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان:

أحدهما: المسمى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام

(١) تخریج الفروع على الأصول، محمود بن أحمد الزنجاني ص ٣٤.

القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم، ونحو ذلك... والقسم الثاني: قواعد فقهية كلية، كثيرة العدد، عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يُحصى، ولم يذكر شيء منها في أصول الفقه، وإن اتفقت الإشارة إليه هنالك على سبيل الإجمال، فبقي تفصيله لم يتحصل<sup>(١)</sup>.

ويرى الإمام ابن تيمية الفرق بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية، باعتبار أن أصول الفقه هي الأدلة العامة خلافاً لقواعد الفقه فإنها عبارة عن الأحكام العامة<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم الفروق الرئيسة بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية ما يلي:

١. إن القواعد الأصولية قواعد كلية تنطبق على جميع جزئياتها وموضوعاتها، فقولنا: (الأمر للوجوب) قاعدة تشتمل بحكمها كل أمر مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> و(النهي للتحريم) قاعدة تشتمل بحكمها على كل نهي، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> و(خبر الآحاد يُفيد الظن) قاعدة تشتمل على كل خبر ثبت عن طريق الآحاد.

أما القواعد الفقهية: فهي أغلبية يكون الحكم فيها على أغلب الجزئيات، وتكون

(١) الفروق للقرافي / ١، ٢، ٣.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤ / ١٠٠، القواعد الفقهية للندوي ص ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

لها المُستثنيات، مثال ذلك قولهم: (الفرض أفضل من النَّفل) <sup>(١)</sup>، بدليل قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ.....) <sup>(٢)</sup> وقد أُستثنت من هذه القاعدة فروع، منها:

\* (إبراء المعسر: فإنه أفضل من إنظاره، وإنظاره واجب، وإبراءه مستحب) <sup>(٣)</sup>.

\* (ابتداء السلام: فإنه سنة، والرد واجب، والابتداء أفضل) <sup>(٤)</sup> وقد ثبت فضل الإبتداء بالسَّلام بقوله ﷺ: (..... وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) <sup>(٥)</sup>.

\* (الوضوء قبل الوقت أفضل منه في الوقت، وهو قبل الوقت مُستحب، وبعده فرض) <sup>(٦)</sup>.

٢. إنَّ القواعد الفقهية متأخرة في وجودها الذهني والواقعي عن الفروع؛ لأنها جمع لشتاتها، وربط بينها، وجمع لمعانيها.

أما القواعد الأصولية فالفرض الذهني يقتضي وجودها قبل الفروع؛ لأنها القيود التي أخذ الفقيه نفسه بها عند الإستنباط، ككون ما في القرآن مقدماً على ما جاءت به السنة، وأنَّ نص القرآن أقوى من ظاهره، وغير ذلك من مسالك

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ٣١٢.

(٢) جزء من حديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع (٦٥٠٢) / ٨ / ١٠٥.

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ٣١٣، وينظر: مغني المحتاج للشربيني الخطيب ٤ / ٢١٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) جزء من حديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير

المعرفة (٦٢٣٧) / ٨ / ٥٣.

(٦) الأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ٣١٥.

الإجتهد، وهذه متقدمة في وجودها على استنباط الفروع بالفعل. وكون هذه الأصول كشفت عنها الفروع، فليس هذا دليلاً على أن الفروع متقدمة عليها، بل هي في الوجود سابقة، والفروع لها دالة كاشفة، كما يدل المولود على والده، وكما تدل الثمرة على الغراس، وكما يدل الزرع على نوع البذور...<sup>(٧)</sup>

٣. القواعد الأصولية هي ذريعة لاستنباط الأحكام الشرعية العملية، وبذلك تنفصل القواعد الفقهية عنها، لأنها عبارة عن مجموعة الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى علة واحدة تجمعها، أو ضابط فقهي - يحيط بها - والغرض منها تقريب المسائل الفقهية وتسهيلها،<sup>(٨)</sup> وهي بذلك توفر للفقيه الوقت، وتغنيه عن البحث الطويل في بطون الكتب.

٤. إن موضوع القواعد الأصولية الدليل السمعي، وأعراض الدليل، أو أنواع الأعراض، فقولنا: (خبر الواحد يفيد الظن) قاعدة أصولية موضوعها عرض من أعراض الدليل السمعي، أما موضوع القاعدة الفقهية فهو أعمال المكلفين<sup>(٩)</sup>.

٥. إن القواعد الأصولية خاصة بالمجتهد يستعملها عند استنباط الأحكام الفقهية، ومعرفة حكم الوقائع والمسائل المستجدة من المصادر الشرعية.

أما القواعد الفقهية فإنها خاصة بالفقيه، أو المفتي، أو المتعلم الذي يرجع إليها لمعرفة الحكم الموجود للفرع الفقهي، ويعتمد عليها بدلاً من الرجوع إلى الأبواب

---

(٧) ينظر: القواعد الفقهية للندوي ص ٦٩، القواعد الأصولية عند القاضي عبد الوهاب البغدادي للدكتور محمد بن المدني الشنتوف ص ٥٠.

(٨) القواعد الفقهية للندوي ص ٦٩.

(٩) مراعاة الخلاف في المذهب المالكي، للدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ ص ١٢٨.

الفقهية الواسعة والمتفرقة<sup>(١)</sup>.

٦. إنَّ القاعدة الأصولية مصدر لتأسيس أحكام وإِجتهادات جديدة، أما القواعد الفقهية فهي مقررة لأحكام ثابتة في مسائلها وصورها، وبالتالي فهي تابعة وتالية. هذه إذن أهم الفروق والمميزات التي تتميز بها كل من القاعدتين الفقهية والأصولية، وباستيعابها وفهمها يزول الخلط واللبس الذي يحصل لبعض الباحثين في عدم التفرقة بين المصطلحين.

وفي ختام هذا المبحث لا بُدَّ من أن نشير إلى أمر مهم، ذكره الدكتور علي أحمد الندوي - حفظه الله - وهو قوله: (إنَّ بعض القواعد قد نجدُها متداخلة أو متراوحة بين القسمين المتقدم ذكرهما، فذلك نتيجة اختلاف النظر إلى القاعدة، فالقاعدة ينظر إليها من ناحيتين:

وذلك كسد الذرائع أو العُرف، فإذا نظر إليها باعتبار موضوعها دليلاً شرعياً كانت قاعدة أصولية، وإذا نظر إليها باعتبارها فعلاً للمُكلف، كانت فقهية، كسد الذرائع إذا قيل: كلُّ مباح أدى فعله إلى حرام أو أدى إلى الإتيان به إلى حرام فهو حرام سداً للذريعة كانت القاعدة فقهية، وإذا قيل: الدليل المثبت للحرام مثبت لتحريم ما أدى إليه كانت القاعدة أصولية، والعُرف: إذا فُسر بالإجماع العملي أو المصلحة المرسلة كانت قاعدة أصولية، وإذا فُسر بالقول الذي غلب في معنى معين، أو بالفعل الذي غلب الإتيان به كانت قاعدة فقهية)<sup>(٢)</sup>.

(١) القاعدة الكلية: (إعمال الكلام أولى من إهماله) وأثرها في الأصول، للشيخ مصطفى عبور هرموش ص ٢٥، نقلاً من كتاب القواعد الأصولية عند القاضي عبد الوهاب البغدادي، للدكتور محمد بن المدني الشتوف ص ٥٠.

(٢) القواعد الفقهية للندوي ص ٧٠، ٧١.

؛

الفقه في اللغة: الفهم والعلم أي الفهم مطلقاً . والفقه، العلم بالشيء، والفهم له. والفقه: الفطنة: ففهمت الشيء أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه، وتطلق كلمة الفقه على معان أخرى منها فهم غرض المتكلم من كلامه.

ويعطي معنى الفهم الدقيق، كما في قوله تعالى ( قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول )<sup>(١)</sup>، أي: ما نعلم حقيقة ما تخبر به<sup>(٢)</sup>

الفقه في الاصطلاح: عرف الفقه بتعريفات كثيرة منها قول الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-: الفقه معرفة النفس مالها وما عليها.<sup>(٣)</sup>

وعرفه الآمدي<sup>(٤)</sup> بقوله: ( العلم بالأحكام الشرعية العملية ال مكتسبة من أدلتها التفصيلية)<sup>(٥)</sup> وقال إمام الحرمين<sup>(٦)</sup>: (الفقه معرفة الأحكام الشرعية التي

(١) سورة هود آية ٩١ .

(٢) لسان العرب ٢ / ٤٧٠ - التعريفات ١ / ٢١٦ - المطلع ١ / ٣٩٧ - الحدود الأنيقة ٦٧ / ١ .

(٣) المنشور في القواعد ١ / ٦٨

(٤) هو الإمام علي بن أبي علي بن محمد الآمدي الملقب بسيف الدين الفقيه الأصولي ولد بآمد من ديار بكر وإليها ينسب من مؤلفاته: الأحكام في أصول الأحكام . ت ( ٦٣٠ هـ ) ينظر: الأعلام للزركلي ٣ / ٤٨١ ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ٧ / ١٥٥ .

(٥) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ١ / ٢٢ .

(٦) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين ولد في جوين، مجتمع على إمامته وغزارته، تفقه على والده، وأتى على جميع مصنفاته

طريقها الاجتهاد<sup>(١)</sup>.

وقال ابن خلدون<sup>(٢)</sup>: (الفقه معرفة أحكام الله في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر). ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

بين ابن القيم<sup>(٣)</sup> العلاقة بين المعنيين للفقه بقوله: والفقه أخص من الفهم، فهو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهو قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في الفهم تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم وهي متلقاه من الكتاب والسنة، وما يعينه الشارع من الأدلة، فالفقه بهذا وثيق الصلة بمعناه لغة حيث يطلق على استنباط الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية، وهو أمر يقتضي من المجتهد استفراغ الجهد والوسع في النظر والتأمل، والتعمق في العلم، والوقوف بقدر الطاقة على بواطن الأمور دون الاكتفاء بظواهرها، وهذا يعني دقة الفهم. فمن لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يسمى فقيهاً.

وتصرف فيها حتى زاد عليه في التحقيق والتدقيق. جاور بمكة أربع سنوات وبالمدينة يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب، فلهذا قيل له إمام الحرمين. وتولى الخطابة بمدرسة النظامية ت (٤٧٨ هـ). له مصنفات: نهاية المطلب في دراية المذهب والإرشاد و « البرهان ينظر: الأعلام ٣٠٦ / ٤ .

(١) الورقات ٧ / ١ - اللمع في أصول الفقه ٣٢ / ١

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن، أبو زيد، الحضرمي، الأشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم وولي في مصر قضاء المالكية. وأخذ الفقه عن قاضي الجماعة ابن عبد السلام وغيره. ت (٨٠٨ هـ) من تصانيفه: العبر وديوان المبتدأ والخبر وتاريخ ابن خلدون، وشرح البردة « ينظر: الأعلام ١٠٦ / ٤، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٨٨ .

(٣) هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها ت (٧٥١ هـ) وله مؤلفات من أهمها إعلام الموقعين عن رب العالمين. ينظر: الأعلام ٥٦ / ٦ - البداية والنهاية ٧ / ٦٥٨ .

:

التجديد لغة: مصدر جَدَّد يَجِدِّدُ تجديداً .

والجديد ضد القديم، وتجدد الشيء: صار جديداً، وجدده أي: استحدثه، وصيره جديداً، جَدَّه واستجدَّه: صيَّره جديداً<sup>(١)</sup>، ويقال جدد ثوبه أي لبسه جديداً.

\* فالتجديد يعني أمرين:

أولهما: تجدد الشيء بنفسه، ونموه وزيادته بدون فعل .

ثانيهما: استحداث التجديد يعني: إدخال التحسين عليه حتى يصير جديداً<sup>(٢)</sup>.

التجديد اصطلاحاً: يختلف معني تجديد الدين عن تجديد الفقه وفيما يلي معني كل منهما: أولاً: عرف العلماء تجديد الدين بتعريفات متعددة أهمها ما يلي: اختلف العلماء في تحديد معني تجديد الدين على أقوال أهمها ما يلي:

القول الأول: المراد من تجديد الدين: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات أي: يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، ويعز أهله، ويقمع البدعة، ويكسر أهلها، وبهذا يكون التجديد معناه: إحياء الدين. يعني بيان ما غفل عنه الناس وتركوه، أو أهملوه، وحثهم على العمل به، فهو يربط بين العلم والعمل<sup>(٣)</sup> فلا يلزم من التجديد إضافة

(١) ينظر: القاموس المحيط ١ / ٣٤٦ المصباح المنير ١ / ٩٢

(٢) ينظر: تاج العروس ٢ / ٣١٤، المعجم الوسيط ١ / ١٠٩ .

(٣) ينظر: عون المعبود ١١ / ٢٦٤ .

شيء جديد إلى الدين، ولا حذف شيء منه ونبذه.<sup>(١)</sup>

قال في مجالس الأبرار: والمراد من تجديد الدين إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما<sup>(٢)</sup> ثم قال: والمجدد لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة، والباطنة، ناصرًا للسنة قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه، وهذا يعني أن: التجديد ليس لكل أحد، وإنما هو لمن توافرت فيه ضوابط وشروط خاصة؛ حتى يكون مجددًا.

القول الثاني: إنَّ التجديد يعني: الاجتهاد المطلق، أي: الاجتهاد الإنشائي الذي يكون فيه معنى الابتكار والإبداع فيكون اجتهاداً إنشائياً سواء كان عاماً، أو خاصاً، كلياً أو جزئياً. فمن المعنى الأول أي: الاجتهاد بمعنى إحياء ما اندرس من السنة والعمل على إزالة البدعة، مثل العلماء له: بالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز؛ بسبب ما فعله من إعادة الخلافة الإسلامية، والتي ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه من بعده<sup>(٣)</sup>، وحمله بعضهم على إحياء السنة الشريفة

(١) ينظر: التجديد في الإسلام ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢ (١٤١٥ هـ) ٢٥٩/١١

خاصة، وحفظها، وجمعها كما لُقّب الإمام الشافعي<sup>(١)</sup> الإمام الزهري<sup>(٢)</sup>: بناصر السنة، بسبب أنه قام بأول محاولة لجمع السنة النبوية بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

ومن المجددين بالمعنى الثاني: أعلام الصحابة، والأئمة الأعلام أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة الذين ساروا على طرق للاستنباط يسهل منها فهم النصوص، واستخراج أحكام المسائل من النصوص على حكم تلك القواعد التي ساروا عليها، واصطلحوا عليها مثل الاستحسان وسد الذرائع، والاستصحاب والقياس والعرف وغيرها، وقد أهتم الفقهاء بذكر المجددين من كل عصر ومن أهم ذلك ما ذكره السيوطي في رسالته (تحفة المهتدين باسماء المجددين)<sup>(٥)</sup> وعد من

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع . من بني المطلب من قريش . أحد المذاهب الأربعة، وإليه ينتسب الشافعية . جمع إلى علم الفقه القراءات وعلم لأصول والحديث واللغة والشعر كان شديد الذكاء . نشر مذهبه بالحجاز والعراق . ثم انتقل إلى مصر (١٩٩ هـ) ونشر بها مذهبه أيضا وبها توفي . ٢٠٤ هـ من تصانيفه الأم و الرسالة و أحكام القرآن اختلاف الحديث. ينظر: طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٤ - ٢٨٠

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب . من بني زهرة، من قريش . تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام . هو أول من دون الأحاديث النبوية . ودون معها فقه الصحابة . قال أبو داود: جميع حديث الزهري (٢٢٠٠) حديث توفي سنة ١٢٤ هـ. ينظر: والأعلام للزركلي ٧ / ٣١٧.

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . قرشي من بني أمية . الخليفة الصالح قيل له خامس الخلفاء الراشدين لعدله وحزمه . من كبار التابعين . ولد ونشأ بالمدينة ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ فبسط العدل، وسكن الفتن توفي سنة ١٠١ هـ ينظر: الأعلام للزركلي ٥ / ٢٠٩

(٤) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي للقطان ص ٢٥٤

(٥) فيض القدير ٢ / ٢٨ عون المعبود ١١ / ٢٦٣ - إرشاد الفحول للشوكاني ١ / ٣٧٠ شرح المعتمد ١ / ٦٣ التجديد في الإسلام ص ٨٠ - ٧٩.

المجددين:

في المائة الأولى: عمر بن عبد العزيز، وابن شهاب الزهري، والحسن البصري<sup>(٦)</sup>، وابن سيرين<sup>(٧)</sup>.

وفي المائة الثانية: الشافعي وفي الثالثة: النسائي<sup>(٨)</sup>، وفي الرابعة: الحاكم<sup>(٩)</sup>، وفي الخامسة: الغزالي<sup>(١٠)</sup> وفي السادسة: الرازي<sup>(١١)</sup>، وفي السابعة: ابن دقيق

(٦) هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، مولى لبعض الأنصار. ولد بالمدينة وكانت أمه تعمل عند أم سلمة. رأى بعض الصحابة، وسمع من قليل منهم. كان شجاعاً، جميلاً، ناسكاً، فصيحاً، عالماً، شهد له أنس بن مالك وغيره كان إمام أهل البصرة توفي سنة ١١٠ هـ. ينظر: تهذيب التهذيب [٢٤٢ / ٢] للزركلي والأعلام ٢٤٢ / ٢

(٧) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر. تابعي، مولده ووفاته بالبصرة. نشأ بزازاً وتفقه. كان أبوه مولى لأنس بن مالك. ثم كان هو كاتب لأنس بفارس. كان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. روى الحديث عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت والحسن بن علي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، واشتهر بالورع وتأويل الرؤيا. وينسب إليه كتاب تعبير الرؤيا توفي سنة ١١٠ هـ. ينظر: وتهذيب التهذيب ١٤ / ٩؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٨٢ / ١.

(٨) هو أحمد بن علي بن شعيب، النسائي الإمام المحدث صاحب السنن. أصله من (نسا) بخراسان. وجال في العالم الإسلامي يسمع الحديث ويلقى الشيوخ حتى برع. ثم استقر بمصر مات في الرملة بفلسطين. من تصانيفه السنن الكبرى والمجتبى وهو السنن الصغرى والضعفاء توفي سنة ٣٠٣ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١ / ١٦٤؛ والبداية والنهاية ١٢٣ / ١١

(٩) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه، الشهير بالحاكم، يُعرف بابن البيع. من حفاظ الحديث والمصنفين فيه. من أهل نيسابور. سمع بنيسابور وحدها من نحو ألف شيخ، وبغيرها من نحو ألف وحفظ نحو ٣٠٠ ألف حديث. اتهم بالتشيع، ودافع عنه السبكي. من تصانيفه: «المستدرک علی الصحیحین ومعرفة علوم الحديث». توفي ٤٠٨ طبقات الشافعية للسبكي ٦٤ / ٣ وتاريخ بغداد ٤٧٣ / ٥

(١٠) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي بتشديد الزاي. نسبته إلى الغزال (بالتشديد) وكان أبوه غزالاً، أو هو بتخفيف الزاي نسبة إلى (غزاله) قرية من قرى طوس. فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف. رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر توفي سنة ٥٠٥ هـ. من مصنفاة: البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة وإحياء علوم الدين [الأعلام للزركلي ٢٤٧ / ٧ شذرات الذهب ٤ / ١٠.

(١١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، المعروف بابن الخطيب. من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد بالري وإليها نسبته. فقيه وأصولي شافعي، متكلم، نظار،

العيد<sup>(١)</sup>، وفي الثامنة: البلقيني<sup>(٢)</sup>، وفي التاسعة: السيوطي<sup>(٣)</sup>، وبعد ذلك الشوكاني<sup>(٤)</sup>، وابن عابدين<sup>(٥)</sup>، وهذا معناه أن قضية التجديد والمجددين كانت ولا تزال محل اهتمام العلماء في كل عصر<sup>(٦)</sup>.

مفسر، أديب منحه الله قدرة فائقة في التأليف والتصنيف، فكان فريد عصره توفي ٦٠٦ هـ (الفتح المبين في طبقات ٢٠٣ / ٧ للزركلي والأعلام ٤٧ / ٢ الأصوليين

(١) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري . المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد . قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد . أصل أبيه من منفلوط ( بمصر ) انتقل إلى قوص . وولد على ساحل البحر الأحمر . وتوفي بالقاهرة ٧٠٢ هـ . من تصانيفه: إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام في الحديث وأصول الدين . والأعلام ١٧٣ / ٧ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني، القاهري فقيه شافعي، نشأ بالقاهرة، وتفقه بوالده وغيره في مصر ودمشق، برع في الفقه والأصول، والعربية، والتفسير، والمعاني، والبيان، وأفتى ودرس في مصر ودمشق وولي القضاء . من تصانيفه: حواشي الروضة و نكت المنهاج توفي سنة ٨٢٤ هـ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٧ / ٤ شذرات الذهب ٢٤٢ / ٩ . ١٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل . أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيمًا . وقضى آخر عمره ببيته عند روضة المقياس حيث انقطع للتأليف . كان عالما شافعيًا مؤرخًا أديبًا وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة . كان سريع الكتابة في التأليف . ومؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف؛ منها الأشباه والنظائر و الحاوي للفتاوى و الإتقان في علوم القرآن توفي سنة ٩١١ . ينظر: شذرات الذهب ٥١ / ٨ والأعلام ٧١ / ٤ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن . ولد بهجرة شوكان ( من بلاد خولان باليمن ) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ ومات حاكمًا بها . ١٢٥٠ هـ وكان يرى تحريم التقليد . له ١١٤ مؤلفًا . من مصنفاته: « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار و فتح القدير و السيل الجرار و إرشاد الفحول . ينظر: البدر الطالع ٢٢٥ - ٢١٤ / ٢ ونيل الأوطار ٣ / ١ (٥) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين . دمشقي . كان فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره . صاحب رد المحتار على الدر المختار . وابنه محمد علاء الدين ( ١٣٠٦ - ١٢٤٤ هـ ) المشهور أيضا بابن عابدين صاحب (قوة عيون الأخيار) الذي هو تكملة لحاشية والده السابقة الذكر . من تصانيف ابن عابدين الأب العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية و نسبات الأسحار على شرح المنار ومجموعة رسائل توفي سنة ١٢٥٢ هـ . ينظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٢٦٧ .

(٦) ينظر: فيض القدير ٢ / ٢٨١

:

على ضوء ما سبق فإن الفقه هو الفهم البشري لنصوص الشرع فهماً صحيحاً، وإن اختلف وتنوع من مكان لآخر ضرورة .

أي السنة الإلهية لا تقضي على الناس في كل بقاع الأرض بأن يكونوا نمطاً واحداً من حيث التقاليد والأعراف، والقدرات فهم مختلفون، ولو شاء ربك لجعلهم أمة واحدة ولذلك خلقهم .

قال تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) <sup>(١)</sup> كما أن معجزة الإسلام تختلف عن كل الأديان في أنها: معجزة عقلية، عملية، وليست مرتبطة في وجودها بحياة الرسول ﷺ، وشخصه مثل المعجزات السابقة، وإنما هي معجزة أبدية خالدة أبد الدهر، فهي تخاطب العقل والوجدان، وتدعو كل إنسان على ظهر الأرض إلى الحق إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا كانت السنة الإلهية خاصة باختلاف الخلق في الألسنة والألوان في الزمن الواحد، فإن اختلافهم عبر القرون أشد مما يستدعي ضرورة تجديد الفهم بكل زمن وعصر ومكان يتلاءم مع طاقاته، وأعرافه، وأحواله، وإذا كان تجديد الفقه يعني: جودة الفهم، والاستنباط، والإبتكار في تنزيل النص الواقع طوعاً للقواعد المنجية المعروفة في أصول الفقه <sup>(٢)</sup>.

فالتجديد بذلك لا يعني التخلص من القديم وهدمه، وإنما يعني الاحتفاظ به، وإدخال التحسين عليه، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم أن نشأ، وتنميته

(١) سورة الروم آية ٢٢.

(٢) الفقه بين الأصالة والتجديد د/ القرضاوي ص ٢٢ - التجديد في الفقه الإسلامي د/ محمد الدسوقي ص ٤٧.

بأساليبه التي أثمرت تلك الثروة الفقهية، التي تعزز بها الأمة الإسلامية في كل عصر، دون المساس بخصائصه، وطابعه، وبهذا المعنى يجمع منهج التجديد الفقهي بين ثبات الأصول، وتطور الفهم والاجتهاد والتطبيق، فمن توافرت لديه الموهبة، أو الملكة الفقهية التي تجعل عنده القدرة على دراسة منهج النصوص في تقرير الأحكام، ومعرفة الوسائل من حيث كيفية الأخذ بها في الاستنباط<sup>(١)</sup>.

فالمجتهد هو: الفقيه المستفرغ لوسعه؛ لتحصيل ظن بحكم شرعي، ولا يكون إلا بالغاً عاقلاً قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مأخذها، وإنما يتمكن من ذلك بشروط: الأول أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، فإن قصر في أحدهما لم يكن مجتهداً، ولا يجوز له الاجتهاد ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة، بل بما يتعلق منهما بالأحكام.

قال الغزالي والذي في الكتاب العزيز من ذلك قدر خمسمائة آية، واختلفوا في القدر الذي يكفي المجتهد من السنة، فقيل: خمسمائة حديث، وهذا أعجب ما يقال فإن الأحاديث التي تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة.

وقال ابن العربي<sup>(٢)</sup> في المحصول: هي ثلاثة آلاف، وقال أبو علي الضرير: قلت لأحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup>: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي بكفيه مائة

(١) ينظر: شرح المعتمد ١/٦٣ إرشاد الفحول ١/٣٧٠ .

(٢) هو أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الأشيبلي المولود ت (٥٤٢ هـ) ينظر: العلام ١٨/٧

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله . من بني ذهل بن شيبان الذين ينتمون إلى قبيلة بكر بن وائل . إمام المذهب الحنبلي، وأحد أئمة الفقه الأربعة . أصله من مرو، وولد ببغداد . امتحن في أيام المأمون والمعتصم ليقول بخلق القرآن فأبى وأظهر الله على يديه مذهب أهل السنة . ولما توفي الوائق وولي المتوكل أكرم أحمد، ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بمشورته . ت (٢٤١ هـ) - له المسند وفيه

ألف؟ قال: لا، قلت: ثلاثمائة ألف. قال: لا. قلت أربعائة؟ قال: لا. قلت: خمسمائة ألف؟ قال: أرجو، قال: بعض أصحابه: هذا محمول على الاحتياط، والتغليظ في الفتيا، قال الرازي الشافعي: لا يشترط استحضار جميع ما ورد في ذلك الباب إذ لا يمكن الإحاطة به، ولو تصور لما حضر في ذهنه عند الاجتهاد جميع ما روى. وقال الغزالي وجماعة من الأصوليين: يكفيه أن يكون عنده أصل بجمع أحاديث الأحكام، كسنن أبي داود، ومعرفة السنن للبيهقي<sup>(١)</sup>، أو أصل وقعت العناية فيه بجمع أحاديث الأحكام ويكتفي فيه بمواقع كل باب فيراجع وقت الحاجة، وتبعه على ذلك الرافعي<sup>(٢)</sup>، ونازعه النووي<sup>(٣)</sup>.



ثلاثون ألف حديث ينظر: تاريخ بغداد ١ / ٣٢٥، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ١ / ١٥٨. (١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي - نسبة إلى بيهق وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور - فقيه شافعي، حافظ كبير، أصولي وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي قال إمام الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة. (ت ٤٥٨هـ) من تصانيفه السنن الكبير و السنن الصغير و مناقب الشافعي. ينظر: طبقات الشافعية ٣ / ٣ والأعلام ١ / ١٣١.

(٢) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعي، أبو القاسم. من أهل قزوين من كبار الفقهاء الشافعية. ترجع نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي ت (٦٢٣ هـ) من مصنفاته: الشرح الكبير الذي سماه العزيز شرح الوجيز للغزالي. ينظر: الأعلام للزركلي ٤ / ١٧٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٥ / ١١٩. (٣) النووي والرافعي من أشهر فقهاء الشافعية وإذا أطلقت عبارة الشيخين في فقه الشافعية فالمراد الرافعي صاحب المحرر والوجيز والتتمة والنووي صاحب التصانيف المشهورة كشرح مسلم والأذكار والمنهاج والروضة ت (٥٦٧٦هـ)، الفوائد البهية ص ١٠

تجديد الدين بصفة عامة، والفقهاء بصفة خاصة سنة من سنن الإسلام، فقد أمر الله به في القرآن المجيد، ودعا إليه النبي ﷺ في السنة الشريفة ومن ذلك ما يلي من الكتاب المجيد قوله تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون))<sup>(١)</sup> في الآية دلالة على وجوب التفقه في الدين، وهي وإن كانت وردت على سبب نزول خاص إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر أصولاً، فتضع على الأمة مسؤولية التفقه في الدين؛ لمواجهة مشكلاتها المتجددة والمتطورة.

ومن السنة ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها»<sup>(٢)</sup> دلّ الحديث على أن التجديد سنة إلهية للأمة المحمدية، ولا يخلو عصر من المجددين؛ لكي ينفوا عن الدين تحريف المغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.<sup>(٣)</sup>

(١) سورة التوبة آية ١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ٥١١/٢ رقم ٤٢٩١ ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤١٥ هـ - والبيهقي في كتاب المعرفة عن أبي هريرة ص ٥٢ - والحاكم في المستدرک کتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٥٦٧/٤ في التلخيص ٥٢٢/٤.

(٣) ينظر: عون المعبود ٢٦١/١١

وقد أثر عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: لن تخلو الأرض من قائم الله بالحجة لكسي لا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً<sup>(١)</sup> وقد جمع السيوطي في رسالته الأصولية الرد على من أدخل إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، أقوال العلماء في أن كل عصر لا يخلو من مجتهد أو مجدد لقوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله)<sup>(٢)</sup> ومن المعقول أن الحاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر؛ لمواجهة المشكلات التي تستجد في مختلف العصور، ومن أجل تجديد الدين في النفوس، وهداية الناس، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم<sup>(٣)</sup>.

والفقه هو: الفهم الصحيح للأدلة الشرعية الذي يواجه كل عصر بما يستجد فيه، ولم يكن موجوداً من قبل، ومن ثم فإنَّ التجديد ضرورة ليس شرعية فحسب، وإنما اجتماعية لصياغة حياة المسلمين في كل عصر، صياغة جديدة تواكب التغيرات من ناحية، وتحافظ على حيوية الإسلام من ناحية أخرى، وتشق للمسلمين طريقاً للمشاركة في صنع التقدم الحضاري، ولا سبيل لذلك إلا عن طريق تجديد الفهم، وتجديد النفوس تمهيداً للإثراء بالمزيد من الإبداع الذي يضيف جديداً إلى دنيا الناس في جميع المجالات، الأمر الذي من شأنه أن يصلح للناس دينهم ودنياهم على حد سواء .

(١) ينظر: فيض القدير ٣/٣٦٦ - صفة الصفوة ١/٣٣١ تاريخ دمشق ١٤/١٨ حلية الأولياء ١/٨٠.  
(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ومسلم كتاب الإمارة ٥٣ - باب قوله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) ٣/١٥٢٣  
(٣) التجديد في الفكر الإسلامي ص ٥ .

القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

---

وإذا كان التجديد مطلوباً في كل عصر فإنه في هذا العصر أشد طلباً، والحاجة ماسة إليه أكثر من أي عصر مضى من أجل المتغيرات الجديدة والتحديات من قبل حتى تستطيع الأمة أن تواكب ركب الحضارة، وتنهض من كبوتها، وتسترد مكانتها، وتنشط في فكرها، وتشارك في إثراء الفكر وإثراء الحياة كما كان السلف من قبل .



( )  
( )

قال القرافي : (وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه، ويشرف ويظهر رونق الفقه ويعرف وتتضح مناهج الفتاوى وتكشف، فيها تنافس العلماء وتفاضل الفضلاء)<sup>(١)</sup> ومن هنا كان لهذه القواعد أثرها الكبير في الأبحاث التشريعية التجديدية في كل عصر مهما تغيرت الأعراف والأزمان فالقواعد تتعلق بكلام الله سبحانه وتعالى وبكلام رسوله ﷺ وكذلك اشتغالها على قواعد متعددة متفرعة عليها ولعموم أثرها المتفق على اعتبارها والعمل بها الى يومنا هذا .

فالقواعد الفقهية لها أثر كبير في الحكم على النوازل الطيبة مثل بيان أحكام التجميل والعمليات الجراحية المعاصرة، وكذلك نجد مهما تغير الزمان والمكان وتجديد القوانين الوضعية في معظم البلدان التي تأخذ من المشرعين القانونيين نجدهم لا يستغنون عن القواعد الفقهية والى يومنا هذا، فلنأخذ قاعدة اليمين على المدعي عليه أنموذجا لنجد أنّها مهما تغيرت الأعراف والقوانين تبقى هذه القاعدة تستعمل الى يومنا هذا ونجد قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩<sup>(٢)</sup> يأخذ بهذه القاعدة فقبل أن نبحث

(١) الفروق للقرافي ٣/١.

(٢) ينظر: شرح قانون الإثبات مجموعة من المحاضرات المجموعة في شرح قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ للمستشار القانوني رامي احمد الغالبي امين سر رابطة المستشارين القانونيين.

عن تطبيق القاعدة لا بد من تأصيلها:

أولاً: تأصيل قاعدة: (اليمين على المدعى عليه).

أو: (اليمين على المدعى عليه، والبينة على من أنكر).

تستند هذه القاعدة إلى عدة أدلة منها:

\* قوله: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ)، ذَكَرُوهَا بِاللَّهِ وَاقْرَءُوا عَلَيْهَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٧] فَذَكَرُوهَا فَأَعْتَرَفْتُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ».<sup>(١)</sup>

\* وجه الدلالة: قال الإمام النووي: (هذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك وقد بين - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الحِكْمَةَ في كونه لا يعطى بمجرد دعواه لأنه لو أعطي بمجرد دعواها لأعطي قوم دماء قوم وأموالهم واستبيح ولا يمكن المدعى عليه أن يصون ماله ودمه وأما المدعي فيمكنه صيانتها بالبينة).<sup>(٢)</sup>

٢- وقوله: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (شاهدك أو يمينه).<sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب تفسير القرآن باب (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ) [آل عمران: ٧٧]: رقم الحديث (٤٥٥٢) (٦/٣٥)

(٢) شرح مسلم للنووي ٣/١٢، ينظر: عون المعبود ٣٥/١٠.

(٣) رواه البخاري وتتمته قال عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فَقَرَأَ إِلَى ﴿عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٧٧]، ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ خَرَجَ إِلَيْنَا، فَقَالَ مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: فَحَدَّثَنَا، قَالَ: فَقَالَ: صَدَقَ، لَفِيَّ وَاللَّهِ أَنْزَلْتَ، كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ حُصُومَةٌ فِي بئرٍ، فَأَخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»، قُلْتُ: إِنَّهُ إِذَا حَلَفَ وَلَا يُبَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ

ثانيا: الدراسة التطبيقية لقاعدة: (اليمين على المدعى عليه) أو (اليمين على المدعى عليه، والبينة على من أنكر) .

لهذه القاعدة الفقهية عدة تطبيقات في باب القضاء والدعاوي، ومن تطبيقات القاعدة ما يلي:

١- (إذا اختلف المودع والمودع فقال أودعتك وديعة وأنكرها فالقول قوله... ولأن الأصل أنه لم يودعه فكان قوله. وإن ادعى أنها تلفت نظرت، فإن ادعى التلف بسبب ظاهر كالنهب والحريق فلم يُقبل حتى يقيم البينة على وجود النهب والحريق لأن الأصل أن لا تهب ولا حريق، ويمكن إقامة البينة عليها فلم يقبل قوله من غير بينة، فإن أقام البينة على ذلك أو ادعى الهلاك بسبب يخفى فالقول قوله مع اليمين أنها هلكت لأن الهلاك يتعذر إقامة البينة عليه فقبل قوله مع يمينه).<sup>(١)</sup>

٢- إذا ادعى عليه أنه أودعه فقال ما لك عندي شيء أو لا تستحق علي شيئا فالقول قوله، فإذا أقام المالك البينة فأقرّ الوديع قائلاً: صدقت بالبينة ولكنها تلفت، أو قال: ولكني رددتها إليك لم يقبل قوله لأنه خان بجحوده فلا يقبل قوله في التلف أو الرد... قال المطيعي في تكملة المجموع: (وقد جمع الأستاذ محمد الخضرأوي من فقهاءنا المعاصرين عناصر ذات فائدة في أحكام دعوى الرد على المالك أو وارثه قال أثابه الله: وإذا ادعى الوديع ردّ الوديعة على من اتّمنه من مالك وحاكم وولي ووصي وقيم، صدق بيمينه وإن أشهد عليه بها عند دفعها لأنه اتّمنه، أما لو ضمنها بتفريط أو عدوان فإنه لا يقبل دعواه ردّها، ويجري ما ذكر في كل أمين أو وكيل وشريك وعامل قراض وجاب في ردّ ما جباه على الذي استأجره للجباية..)<sup>(٢)</sup>

وهو عليه غضبان» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصَدِيقَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقْرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] كتاب الرهنباب إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه، فالبينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه رقم الحديث (٢٥١٥) ٣/١٤٣.

(١) المهذب للشيرازي ٢/١٨٦، ينظر: تكملة المجموع للمطيعي ١٤/١٩٧.

(٢) تكملة المجموع للمطيعي ١٤/١٩٧، المهذب للشيرازي ٢/١٨٧.

٣- إذا اختلف المتبايعان في مقدار الثمن ولم تكن بينة تحالفاً<sup>(١)</sup> لما روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لو أن الناس أعطوا بدعاويهم لإدعى ناس من الناس دماء ناس وأمواهم لكن اليمين على المدعى عليه).<sup>(٢)</sup> قال الإمام النووي: (في هذا الحديث دلالة لمذهب الشافعي والجمهور من سلف الأمة وخلفها أن اليمين تتوجه على كل من إدعى عليه حق سواء كان بينه وبين المدعى اختلافاً أم لا..).<sup>(٣)</sup> فجعل اليمين على المدعى عليه والبائع مدعى عليه بيع بألف والمشتري مدعى عليه بيع بألفين فوجب أن يكون على كل واحد منهما اليمين لأن كل واحد منهما مدعى عليه ولا بينة فتحالفاً كما لو ادعى رجل على رجل ديناراً وادعى الآخر على المدعى درهما.<sup>(٤)</sup>

٤- إذا اختلف الزوجان في قبض النفقة فادعى الزوج أنها قبضت وأنكرت الزوجة، فالقول قولها مع يمينها، لقوله - عليه السلام -: (اليمين على المدعى عليه). ولأن الأصل عدم القبض.<sup>(٥)</sup>

٥- إذا ادعت امرأة نفقة من زوجها، فأنكر المدعى عليه كونها زوجته فعليها إثبات الزوجية، فإذا عجزت يكلف الزوج باليمين، فإن حلف ترد الدعوى، وإن نكل يحكم عليه بالنفقة.<sup>(٦)</sup>

٦- (إذا ادعت المرأة على الزوج أنه عنين وأنكر الزوج فالقول قوله مع يمينه، فإن

(١) ينظر: المهذب للشيرازي ٢/٦٥، كتاب الام للشافعي ٦/٢٤٥، مغني المحتاج للشربيني ٢/٩٥، تكملة حاشية رد المحتار ٢/٢١٤، المغني لابن قدامة ٤/٢٦٦.

(٢) سبق تخريجه

(٣) شرح مسلم للنووي ٣/١٢.

(٤) المهذب للشيرازي ٢/٦٥.

(٥) المهذب للشيرازي ٣/١٥٥، تكملة المجموع للمطيعي ١٨/٢٧٥.

(٦) ينظر: شرح المجلة لمير القاضي ١/١٣٨.

نكل ردت اليمين على المرأة، وقال أبو سعيد الإصطخري: يقضي عليه بنكوله ولا تحلف المرأة لأنه أمر لا تعلمه، والمذهب الأول لأنه حق نكل فيه المدعى عليه عن اليمين فردت على المدعى كسائر الحقوق ..).<sup>(١)</sup>

٧- (إذا ادّعت امرأة أنّ زوجها طلقها ثم تزوجت بأخر فأنكر الزوج الأول الطلاق فإنه يحلف وتسلم إليه المرأة ويلغو نكاح الثاني لأن الأصل عدم الطلاق).<sup>(٢)</sup>

٨- (لو قال الزوج وقد أسلم هو وزوجته قبل وطئ أسلمنا معا فالتكاح باق وقالت: بل مرتباً فلا نكاح فهو مدع وهي مدعى عليها، فإذا كان مع المدعى بينة بما ادّعاه سمعها الحاكم وحكم له بها، فإن لم تكن معه بينة معدلة فالقول حينئذ قول المدعى عليه لموافقة الظاهر ولكن بيمينه).<sup>(٣)</sup>

٩- (إذا لم يكن لوث ولا شاهد، فالقول قول المدعى عليه مع يمينه، لقوله - عليه السلام -: (اليمين على المدعى عليه)، ولأنّ اليمين إنّما جعلت في جنبه المدعى عند اللوث لقوة جنبته باللوث فإذا عدم اللوث حصلت القوة في جنبه المدعى عليه لأنّ الأصل براءة ذمّته، وعدم القتل فعادت اليمين له).<sup>(٤)</sup> قال الإمام النووي في الرّوضة: (إذا ادّعى القتل بغير لوث وتوجهت اليمين على المدعى عليه، فهل يغلظ عليه بالعدد؟ قولان: أظهرهما، نعم، لأنّها يمين دم فإن نكل المدعى عليه ردّ على المدعى ما توجه على المدعى عليه على اختلاف القولين).<sup>(٥)</sup>

(١) المهذب للشيرازي ٢/ ٤٥١، تكملة المجموع للمطيعي ١٦/ ٢٧٧.

(٢) اعانة الطالبين للديماطي ٣/ ٣٢٤.

(٣) الاقناع للشربيني ٢/ ٢٧٤.

(٤) المهذب للشيرازي ٣/ ٤٢٧.

(٥) روضة الطالبين للنووي ٧/ ٤٥.

١٠- (انِ ادَّعى على رجل ديناً في ذمته فأنكره ولم تكن بينة فالقول قوله مع يمينه، لقوله عليه السَّلام: (اليمين على المدَّعى عليه)، ولأنَّ الأصل براءة ذمته فجعل القول قوله).<sup>(١)</sup>

١١- (إذا قال المكري: أكريتك هذا البيت شهر كذا بعشرة، فقال: إكترت جميع الدَّار بالعشرة، فإن لم يكن بينة تحالفاً، ثم يفسخ العقد، وعلى المستأجر أجره مثل ما سكن في الدَّار أو البيت، فلو أقام أحدهما بينة دون الآخر، قضي بالبينه، فإن أقاما بينتين، فقولان، وقيل: وجهان، أحدهما: خرَّجه ابن سريج، تُقدَّم بينة المستأجر، لاشتغالها على زيادةٍ وهي إكترت جميع الدَّار، وأظهرهما، وهو المنصوص: يتعارضان، فيكون على قولي التعارض، وإن قلنا: بالسُّقوط، تحالفاً، وإن قلنا، بالاستعمال، جازت القرعة على الصحيح، وفي اليمين معها الخلاف السابق).<sup>(٢)</sup>

١٢- إذا اشترى عمرو مالا من خالد، ثم ادَّعى خالد على عمرو بأنَّه قد اشترى المال بالوكالة عن فلان وإنَّه أضاف العقد إلى نفسه، لذلك يطلب منه ثمن المبيع، لأنَّ حقوق العقد تعود إلى العاقد، وأنكر عمرو كونه وكيلًا عن فلان زاعماً أنَّه رسول عن فلان فالبينه على البائع واليمين على المشتري عند عجز البائع عن البينة).<sup>(٣)</sup>

١٣- (لو تقاسم شريكان ثم تنازعا في بيتٍ أو قطعة أرض وقال كل هذا من نصيبي ولا بينة تحالفاً وفسخت القسمة).<sup>(٤)</sup>

١٤- (لو اختلف السَّيد والمكاتب في قدر النُّجوم أو في الأجل ولا بينة أو لكل بينة

(١) المهذب للشيرازي ٤١٣/٣.

(٢) روضة الطالبين للنووي ٣٤٤/٨.

(٣) ينظر: درر الحُكام لعلي حيدر ٧٥/١، شرح المجلة لمنير القاضي ١٣٨/١.

(٤) مغني المحتاج للشربيني ٤٢٦/٤.

تحالفاً إن لم يتفقا على شيء فسسخها الحاكم).<sup>(١)</sup>

١٥- (إن اختلفا في وجود العيب مثل أن يكون بجسده بياض يمكن أن يكون بهقاً أو مراراً واختلفا في كونه برصاً أو كانت به علامات الجذام من ذهاب شعر الحاجبين فاختلفا في كونه جذاماً فإن كانت للمدعي بينة من أهل الخبرة والثقة يشهد أن له بما قال ثبت قوله وإلا حلف المنكر والقول قوله، لقول النبي ﷺ: (ولكن اليمين على المدعى عليه).<sup>(٢)</sup>

١٦- مسألة تتعلق بالقاعدة وهي من يبدأ باليمين أولاً؟ قال الشافعي - رحمه الله -: في البيوع يبدأ بيمين البائع وهو قول أبي يوسف وزُفر وإحدى الروايتين عن أبي حنيفة، لأنَّ الشرع جعل القول قول البائع وهو يقتضي الإكتفاء بيمينه. وقال في الصداق إذا اختلف الزوجان يبدأ بيمين الزوج كالمشتري، وبه قال الحنفية. وقال في الدَّعوى والبيِّنات إن بدأ بالبائع خُير المشتري وإن بدأ بالمشتري خُير البائع..<sup>(٣)</sup>



(١) الاقناع للشرييني ٢/ ٣٠٢.

(٢) المغني لابن قدامة ٧/ ٥٨١.

(٣) ينظر: المهذب للشيرازي ٢/ ٦٥، المبسوط للسرخسي ١٣/ ٣٠، البحر الرائق لابن نجيم ٣/ ٣١٥.

١. إنَّ القواعد أثر كبير في الأبحاث التشريعية التجديدية في كل عصر مهما تغيرت الأعراف والأزمان فالقواعد تتعلق بشريعة الله وكذلك اشتغالها على قواعد متعددة متفرعة عليها ولعموم أثرها المتفق على اعتبارها والعمل بها الى يومنا هذا .
٢. القواعد الفقهية لها أثر كبير في الحكم على النوازل الطيبة مثل بيان أحكام التجميل والعمليات الجراحية المعاصرة، وكذلك نجد مهما تغير الزمان والمكان وتجديد القوانين الوضعية في معظم البلدان التي تأخذ من المشرعين القانونيين نجدهم لا يستغنون عن القواعد الفقهية والى يومنا هذا.
٣. تعميق المفاهيم الشرعية عامة والفقهية خاصة من تلك القواعد.
٤. بناء أحكام النوازل على القواعد الفقهية والأدلة وربطها بالمقاصد والمصالح الشرعية.
٥. ربط اللاحق بالسابق من الاجتهادات لمواكبة قضايا العصر والتجديد الفقهي واستشراف آفاق المستقبل ويتم ذلك من خلال تلك القواعد.
٦. التكامل العلمي بين الأدوات المنهجية التجديدية والإجرائية والعلوم الشرعية والإنسانية المعاصرة تكون عن طريق القواعد الفقهية.
٧. إنَّ قاعدة اليمين على المدعي عليه تستعمل الى يومنا هذا وتُعدُّ مجددة للفقهاء، ومهما تغيرت الأعراف والقوانين تبقى هذه قاعدة الإثبات في كلِّ دول العالم.

- بعد القرآن الكريم.

١. أبو داود كتاب الملاحم، أبو داود، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ (سنة ١٤١٥ هـ).
٢. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
٣. الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
٤. أصول الفقه، محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف المصرية، المكتبة التجارية الكبرى، ط٦ (١٩٦٩).
٥. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م).
٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
٧. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (١٤١٧ هـ).
٨. التجديد في الفكر الاسلامي، د. عدنان محمد امامة، دار ابن الجوزي ط١ (١٤٢٤هـ).
٩. تخريج الفروع على الأصول، محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق د. محمد أديب صالح، ط٢، ١٣٩٨هـ، مطبعة مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ضبطه

وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

١١. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، بن نقطة الحنبلي البغدادي (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٢- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١ (١٤١١).

١٣- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

١٤- شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح بمصر، (د.ط) (د.ت).

١٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١ (١٤٢٢هـ).

١٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢ (١٤١٥هـ).

## القواعد الفقهية وأثرها في التجديد الفقهي

١٧- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكّي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١٨- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

١٩- الفروق = أنوار البروق في أنواع الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٠- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٢١- القواعد الفقهية، مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها، علي أحمد الندوي، قدم لها العلامة الجليل الفقيه مصطفى الزرقا، دار القلم - دمشق، ط ٤ (١٤١٨هـ).

٢٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣ (١٤١٤هـ).

٢٣- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم دمشق، ط ٢ (٢٠٠٤م).

٢٤- مراعاة الخلاف في المذهب المالكي وعلاقتها ببعض أصول المذهب وقواعده، الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ (ط ١)، دار البحوث للدراسات

الإسلامية - دبي).

٢٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.

٢٦- المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط ١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م).

٢٧- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م).

٢٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: تصفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ (١٤١٢هـ).

٣٠- المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، دار الكتب العلمية.

٣١- نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط ١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م).

٣٢- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٤ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م).





-8-

أ.م.د محمد سيد أحمد شحاته  
أستاذ الحديث وعلومه المشارك  
بكلية أصول الدين / أسيوط  
و حالياً بجامعة المجمعة  
كلية التربية بالزلفي / السعودية





الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فمن المعلوم أن النصوص النبوية جاء فيها كثير من الأخبار عن أحداث آخر الزمان، والمؤمن مطالب بتصديق تلك النصوص لكونها خرجت من لسان من لا ينطق عن الهوى، ولكونها من الغيبات التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي. وكانت هناك أحكام مرتبطة بهذا الزمان، ولا شك أنها أحكام ستجد في هذا الزمان، ولها ضوابط تضبطها، ولا لقبولها، ومن هذه الضوابط على سبيل المثال: الاعتماد على النصوص الصحيحة. لأن المستقبل غيب؛ والغيب لا يدرك ولا يمكن الاطلاع عليه إلا بوحي معصوم من الله عز وجل.

ومن هذه الضوابط أيضاً: أن لا يخرج عن ظاهر النصوص إلا بدليل، فإن عدم الدليل كان الحمل على الظاهر هو المتعين، والحمل على خلافه تحريف، فالنصوص الشرعية نصوص هداية ورحمة لا نصوص إضلال، وغيرها من الضوابط التي ستذكر أثناء البحث. وفكرة وضع ضوابط لتجديد الفتاوى آخر الزمان تنطلق من مقدمة أساسية وهي أن الإسلام رسالة رب العالمين إلى الناس كافة، وهذا العموم يشمل الزمان والمكان، فالإسلام هو الرسالة الخاتمة للرسالات ولا وحي بعد محمد ﷺ.

فمن لوازم خاتمية الرسالة أن تنسجم طريقة فهمها والتدين بها مع الأوضاع العالمية المتغيرة والمتجددة في كل يوم.

:

«ضوابط قبول التجديد للفتاوى المرتبطة بأحاديث نهاية الزمان».

أهداف البحث:

:

- (١) التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى.
- (٢) بيان ضوابط التجديد في الفتوى.
- (٣) بيان ضوابط فتاوى آخر الزمان .

:

- (١) ما المقصود بالفتوى؟.
- (٢) ما معنى تجديد الفتوى؟.
- (٣) ما ضوابط تجديد فتاوى آخر الزمان؟.

:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وتدعيم ذلك بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنة.

:

سيكون البحث على هذا النحو:

مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: أهمية الموضوع - مشكلته - منهجه - عناصره.

المبحث الأول: معنى تجديد الفتوى بتغير الزمان.

المبحث الثاني: الضوابط الحديثة للفتاوى المتعلقة بأحاديث آخر الزمان.

الخاتمة: أهم نتائج البحث.

ثم مراجع البحث، ومحتوياته.

:

التجديد: من جدد الشيء إذا صيره جديداً، أو إعادة الشيء بعد فترة، ومنه: تجديد  
الوضوء<sup>(١)</sup>.

وجدد قواه: استردّها وأعاد حيويّته/ جدد نشاطه/ جدد شبابه: أخذ بعض الراحة  
ليعود أكثر قدرة على العمل.<sup>(٢)</sup>

فالتجديد يدور حول معنى جعل الشيء جديداً<sup>(٣)</sup>.

وقد استعمل مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي أخذاً من الحديث الصحيح «إِنَّ  
اللَّهَ يَبْعَثُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>(٤)</sup>.

والمراد بتجديد الدين: إحياء معالمة العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب  
والسنة<sup>(٥)</sup>.

وتجديد الفتوى يعني: جودة فهم الفتوى، والقدرة على الاستنباط، والابتكار في

(١) معجم لغة الفقهاء (ص: ١٢١).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٤٨).

(٣) ينظر: الصحاح (١/ ٤٥١)، لسان العرب، (٣/ ١١١)؛ تاج العروس (٢/ ٣١٤)، المعجم  
الوسيط (١/ ١٠٩)، القاموس المحيط (٣٤٦/)، المصباح المنير (١/ ٩٢).

(٤) أخرجه: أبو داود في كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة سنن أبي داود- (٤/ ١٧٨)  
ح (٤٢٩٣)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٦٧) ح (٨٥٩٢)،  
وقال الألباني صحيح.

(٥) مفهوم تجديد الدين لمحمد سعيد بسطامي (ص ٣).

تنزيل النص الواقع طوعاً للقواعد المنجية المعروفة في أصول الفقه<sup>(١)</sup>. وهذا لا يعني أننا سنأتي بجديد بعيداً عن النصوص التي بين أيدينا، وإنما معناه أننا سنفهم النصوص في ضوء مستجدات العصر، فيتطور الفهم ويتطور الاجتهاد، لأن النص ثابت والفهم متغير ومتطور. ومن توافرت لديه القدرة على الفهم، أو الملكة الفقهية بحيث يستطيع أن يوقع النص على الواقع والمستجدات فهو فقيه مجدد، يواكب مستجدات العصر.

:

#### \* في اللغة:

الفتوى تأتي بمعنى الإجابة على المسألة، والإبانة، والتعبير. يقال: أفتاه في الأمر: أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً. ويُقال: أفتيت فلاناً رؤياً رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها. يُقال: أفتاه في المسألة يفتيه إذا أجابه، والاسم الفتوى. والفتيا تبين المشكل من الأحكام، أصله من الفتى وهو الشاب الحدّث الذي شبّ وقوي، فكانه يقوي ما أشكل ببيانه فيشبّ ويصير فتياً قوياً، وأصله من الفتى وهو الحدّث السنّ. وأفتى المفتي إذا حدّث حكماً. وفي قوله تعالى: فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا؛ أَي فاسألهم سُؤالَ تقريرِ أهمّ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا مِنَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ أَي يسألونك سُؤالَ تعلّم<sup>(٢)</sup>.

(١) الفقه بين الأصالة والتجديد د/ القرضاوي (ص ٢٢)، التجديد في الفقه الإسلامي د/ محمد

الدسوقي (ص ٤٧) بتصرف.

(٢) لسان العرب (١٥ / ١٤٧).

الفتوى اصطلاحاً: ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل<sup>(١)</sup>.  
أو: الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية أو القانونية، ودار الفتوى مكان المفتي<sup>(٢)</sup>.  
و(المفتي) من يتصدى للفتوى بين الناس وفقهه تعينه الدولة ليجيب عما يشكل من  
المسائل الشرعية<sup>(٣)</sup>.

:

تجديد الدين بصفة عامة، والفقهاء بصفة خاصة، والفتوى بصفة أخص أمر مشروع  
دلت عليه نصوص الشريعة، ومن ذلك ما يلي:  
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ  
لَيَنفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]  
ففي الآية دلالة على: وجوب التفقه في الدين، وهي وإن كانت وردت على سبب  
نزول خاص إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر أصولاً،  
فتضع على الأمة مسؤولية التفقه في الدين؛ لمواجهة مشكلاتها المتجددة والمتطورة.  
ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ  
إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>(٤)</sup>.

دل الحديث على أن التجديد سنة إلهية للأمة المحمدية، ولا يخلو عصر من  
المجددين؛ لكي ينفوا عن الدين تحريف المغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل  
الجاهلین. <sup>(٥)</sup>

(١) التعاريف (ص: ٥٥٠).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٣).

(٣) السابق (٢/ ٦٧٤).

(٤) سبق تحريجه.

(٥) عون المعبود (١١/ ٢٦١).

وقد أثر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله: «لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة لكي لا تبطل حجج الله، وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً». (١).  
وقد جمع السيوطي في رسالته الأصولية الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، أقوال العلماء في أن كل عصر لا يخلو من مجتهد، أو مجدد لقوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» (٢).

ومن المعقول: أن الحاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر؛ لمواجهة المشكلات التي تستجد في مختلف العصور، ومن أجل تجديد الدين في النفوس، وهداية الناس، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم. (٣).

فكما أن التجديد ضرورة اجتماعية لصياغة حياة المسلمين في كل عصر، صياغة جديدة تواكب التغيرات من ناحية، وتحافظ على حيوية الإسلام من ناحية أخرى، وتشق للمسلمين طريقاً للمشاركة في صنع التقدم الحضاري، ولا سبيل لذلك إلا عن طريق تجديد الفهم، وتجديد النفوس تمهيداً لإثراء بالمزيد من الإبداع الذي يضيف جديداً إلى دنيا الناس في جميع المجالات، الأمر الذي من شأنه أن يصلح للناس دينهم ودنياهم على حد سواء.

وإذا كان التجديد مطلوباً في كل عصر، فإنه في هذا العصر أشد طلباً، والحاجة ماسة إليه أكثر من أي عصر مضى؛ من أجل التغيرات الجديدة والتحديات من قبل، وحتى

---

(١) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٨٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤ / ١٨).  
(٢) أخرجه: البخاري كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (٣ / ١٣٣١) ح (٣٤٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى (١ / ٩٥) ح (٣١٢).  
(٣) التجديد في الفكر الإسلامي عدد ٧٥ تقديم د/ حمدي زقروق (ص ٤، ٥).

تستطيع الأمة أن تواكب ركب الحضارة، وتنهض من كبوتها، وتسترد مكانتها بين الامم.

:

الفتوى تتغير بتغير الزمان؛ لأن الزمان مؤثر، ويعني بذلك أن الزمان أحياناً يؤثر في تغير صورة المسألة، فتتغير الفتوى بناءً عليها، ولا يعني هذا أن المفتي يتخير من الفتاوى ما يشاء، ثم يفتي بناءً على أن هذا الزمن يقتضي هذه الفتوى، فالمفتي ليس مشرعاً يشرع للناس، بل هو ينقل عن الشرع، والذي يشرع هو الله سبحانه وتعالى، والنبى ﷺ، وأما المفتي فإنه ينقل ما فهمه من كلام الله عز وجل ومن كلام النبى ﷺ على هذه الواقعة، لكن أحياناً تكون صورة الواقع حادثة بشكل ما والزمان يغيرها.

فقد منَّ اللهُ تعالى على أهل هذه الملة السَّمحاءِ بشريعةٍ محكمةٍ غراءٍ؛ صالحةٍ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلا تنفكُ حادثةٌ عن حكمِ اللهِ تعالى فيها، ولا نازلةٌ إلا ويجد الفقهاءُ في نصوصِ الشريعةِ ومقاصدها ما يدلُّ عليها ويبينها، ولا تغيرُ حالٌ أو ارتُقبَ في مسألةٍ ما مآلٌ إلا اعتبرتهُ الشريعةُ وفق الأدلةِ الشرعيةِ، والمصالحِ المرعيةِ.

ولكن ما قُطِعَ بالشرعِ ثبوتهُ، أو كان على غلبةِ الظنِّ حكماً شرعياً؛ فإنه لا يتغير ولا يتبدل، وهي جملة الأحكام الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة.

وليس المقصود بتغير الزمان مثلاً؛ أن يجعل ذلك مسوغاً وحيداً لتغير الفتوى، - وإن كان سبباً من الأسباب الداعية إلى النظر في مدارك الأحكام -؛ بل الواجب ربطها بالأصول الشرعية، والمقاصد العامة؛ فإن تحقق - بعد النظر في مدارك الأحكام - الموجب للتغيير؛ غير المفتي فتواه مستنداً في ذلك إلى الدليل الشرعي الثابت.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «فاعلم أن ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد؛ فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك؛ لم يحتاج

في الشّرع على مزيد، وإنّما معنى الاختلاف أنّ العوائد إذا اختلفت رَجَعَتْ كُلُّ عَادَةٍ إِلَى أصلٍ شرعيٍّ يحكم به عليها؛ كما في البلوغ مثلاً، فإنَّ الخطاب التّكليفي مرتفع عن الصبي ما كان قبل البلوغ، فإذا بلغ وقع عليه التّكليف. فسقوط التّكليف قبل البلوغ، ثمّ ثبوته بعده ليس باختلاف في الخطاب، وإنّما وقع الاختلاف في العوائد والشّواهد<sup>(١)</sup>.

فينبغي أن تكون هناك ضوابط تضبط هذا النوع من الفتوى وهذه الضوابط سنراها فيما يأتي.



---

(١) الموافقات (٥ / ٩٩).

من المعلوم أن أحداث آخر الزمان لا تعرف إلا عن طريق الوحي، إذ هي غيب لا يطلع عليها إلا الله أو من أطلعه الله على هذا الغيب عن طريق الوحي، وحينما يخبر عنها ﷺ لا يخبر إلا إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣: ٤)، ولكننا لا نعتمد في مثل هذه النصوص إلا على صحيح الأخبار. فمن المعلوم أن الأحاديث عن آخر الزمان كثيرة وجد فيها الصحيح، والحسن، والضعيف، بل والموضوع.

وهذا النوع من الأخبار الفائدة منه أخذ الحيطه والحذر من فتن آخر الزمان، وأيضاً فيها اثبات لصدق نبوة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إذاً فهي تمثل جانباً مهماً من الإيمان عند المسلم إذ هي من باب الإيمان بالغيب.

وقد آمن بهذا الغيب معظم المسلمين، وللأسف رده بعضهم رداً كلياً، وبعضهم جازف فجرح إلى التأويل الخاطيء وخرج بهذه النصوص عن سياقها.

لذا سأحاول جمع الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع الفتاوى المتعلقة بهذه

الأحاديث:

:

:

.

إنَّ من أهم القضايا التي ينبغي أن تراعى في الفتاوى عموماً، وفي الفتاوى المتعلقة بنهاية الزمان هي صحة النصوص، فإن كان النص قرآناً فهو المقطوع بثبوته، وإن كان سنة نظر فيه وفي إسناده فإن كان صحيحاً ثابتاً فمقبول، وإن كان ضعيفاً فمردود ولا تفسر الوقائع في ضوئه، والأمر يكون أشد وأشد عند الاحتجاج بالموضوعات، إذ رواية الموضوعات غير جائز إلا مع البيان، فكيف بالاحتجاج بها؟! .  
ومن المقرر عند علماء الحديث أن الخبر الضعيف لا يقبل بأي حال في مثل هذه الأخبار -أعني الغيبات- .

قال النووي: «ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف، والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالللال والحرام، ومما لا تعلق له بالعقائد والأحكام»<sup>(١)</sup>.

قال السيوطي: وذكر شيخ الإسلام له ثلاثة شروط:  
أحدها: أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلظه، نقل العلائي الاتفاق عليه.  
الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به بثبوته، بل يعتقد الاحتياط<sup>(٢)</sup>.  
مما سبق نرى أن الضعيف لا يجوز الاحتجاج به في العقائد ولا في الللال والحرام، وإنما جَوِّز بعض المتأخرين العمل به في فضائل الأعمال بشروط وهي:  
١) أن يكون الحديث في فضائل الأعمال.  
٢) أن يكون ضعفه غير شديد.

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١ / ٣٥٠).

(٢) المصدر نفسه (١ / ٣٥١).

(٣) أن يندرج تحت أصل معمول به.

(٤) أن لا يعتقد ثبوته عند العمل به، بل يعتقد الاحتياط.

والقصد أن الاعتماد في هذا الباب يكون على الصحيح وحده دون الضعيف فضلاً عن الموضوع، وفي الصحيح غنية عن الضعيف.

والمرجع في بيان صحيح الحديث من ضعيفة إنما هو إلى أهل العلم بالحديث فهم المؤهلون وحدهم لبيان صحيح الخبر من سقيمه وقويه من ضعيفة.

فهذا أول ضابط لقبول هذا النوع من الفتاوى المتعلقة بأحداث آخر الزمان ألا يكون مستند الفتوى ودليلها حديث ضعيف.

:

فلا يتسرع المفتي عند النزول بالفتوى دون تثبت أو تأكيد مما يقول لما جاء في حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَفْتِيَ بِفِتْيَا غَيْرِ ثَبَتٍ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»<sup>(١)</sup>. وروى عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَوْمًا يَتَدَارَعُونَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تَضْرِبُوا بَعْضَهُ بَعْضًا، مَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا لَا، فَكَلُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ» قال أبو عبد الله: «وَكُلُّ مَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَأَوْلَى أَنْ يَكِلَهُ إِلَى عَالِمِهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: فأمر من جهل شيئاً من كتاب الله أن يكله إلى عالمه، ولا يتكلف القول

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب العلم باب التوقي في الفتيا (٣/ ٣٥٩) ح (٣٦٥٩)، ابن ماجه في المقدمة باب اجتناب الرأي والقياس (١/ ٢٠) ح (٥٣٩)، وأحمد في المسند (١٤/ ١٧) ح (٨٢٦٦)، وقال الألباني: حسن.

وقوله أفتي هنا أي من وقع في خطأ بفتوى عالم فلا إثم على متبع ذلك العالم.  
(٢) أخرجه: أحمد في المسند (١١/ ٣٥٢) ح (٦٧٤٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٦٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٧٩) ح (١٣٠٨)، وقال الشيخ شعيب: صحيح.

بها لا يعلمه<sup>(١)</sup>.

فقد يأتي المفتي دون أن يشعر بما يخالف الكتاب والسنة فيدخل في هذا الحديث الذي رواه عائشة، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن رجب رحمه الله: «هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها... فكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: «وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربح بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦] ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧] فتقدم

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢٦).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردد (٢/ ٩٥٩) ح (٢٥٥٠)، ومسلم في كتاب الأحكام باب من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (٥/ ١٣٢) ح (٤٥١٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٦).

إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يجرمه: هذا حرام، ولما لم يجله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه<sup>(١)</sup>.

فالفتوى بدون تثبت، وبدون علم مهلكة، ليست من صفات العلماء، وشرعنا الحنيف علمنا التأكد من الفتوى قبل صدورها فعن جبير بن مطعم أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي البلاد شر؟ فقال: «لا أدري» فلما أتاه جبريل قال: «يا جبريل أي البلدان شر؟» قال: لا أدري حتى أسأل ربي، فأنطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم جاء، فقال: يا محمد، إنك سألتني أي البلاد شر؟ وإني قلت لا أدري وإني سألت ربي فقلت: أي البلاد شر، فقال: «أسوأها»<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث تأصيل عظيم لعدم التسرع في إصدار الفتوى بدون تثبت، بل إن من أسباب ظهور الجهل هو الفتوى بغير علم.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»<sup>(٣)</sup>.

فانظر إلى هذه المهلكة التي كانت سبباً في ضلال الشخص وإضلال غيره ألا وهي

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ٣١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب العلم (١ / ١٦٦) ح (٣٠٣)، وقال: وهذا الحديث أصل في قول العالم: لا أدري، وله شاهد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، والطبراني في المعجم الكبير (٢ / ١٢٨) ح (١٥٤٥)، وقال الألباني: حسن. (تحقيق صفة الفتوى (ص: ٩).

(٣) أخرجه: البخاري في -كتاب العلم- باب كيف يقبض العلم- ١ / ٥٠ ح (١٠٠) وانظر ح (٦٨٧٧٩)، ومسلم في كتاب العلم - باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان- ٤ / ٢٠٥٨ ح (٢٦٧٣).

الفتوى بدون علم وبغير تثبت.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِّنَّا حَجْرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ اِخْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمُمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاعْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ « قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّهَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَّمَمَ وَيَعْرِصَ ». أَوْ « يَعْصِبَ »<sup>(١)</sup>. فانظر كيف كانت الفتوى بدون علم وبغير تثبت سبباً في موت هذا الصحابي، وإذا تأملت قول النبي ﷺ قتلوه، تعلم خطورة الفتوى بغير علم.

:

من قواعد أهل السنة المقررة أن الأصل أن يحمل النص على ظاهره، وأن الظاهر مراد، وأن الظاهر ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، وأنه لا يخرج عن هذا الظاهر إلا بدليل، فإن عدم الدليل كان الحمل على الظاهر هو المتعين، والحمل على خلافه تحريف، فالنصوص الشرعية نصوص هداية ورحمة لا نصوص إضلال، فلو قدر أن المتكلم أراد من المخاطب حمل كلامه على خلاف ظاهره وحقيقته من غير قرينة ولا دليل ولا بيان لصادم هذا الفعل مقصود الإرشاد والهداية وأن ترك المخاطب والحالة هذه بدون ذلك الخطاب خير له وأقرب إلى الهدى.

وشأن أخبار الفتن والملاحم وأشرط الساعة كبقية أخبار الشارع يجب حملها على ظاهرها، وعدم تحريف ذلك الظاهر وتعطيله لتوهّمات أو تحرصات أو ظنون عاطلات أو معقولات باطلات، فالحذر الحذر من تسليط طاغوت المجاز على هذه النصوص

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم (١ / ١٣٢) ح (٣٣٦)، والدارمي في كتاب الطهارة باب في المجروح تصيبه الجنابة (١ / ٧٣) ح (٧٧٩)، وقال الألباني: حسن.

تسهيلاً لعملية تنزيلها على الواقع، أو تعجلاً لواقعة ينزل عليها النص، أو إظهاراً لها بصورة تناسب الواقع المعاصر بما فيه من مخترعات وتقنية.

خذ مثلاً ما قاله الدسوقي في كتابه (القيامة الصغرى على الأبواب)<sup>(١)</sup> معلقاً على حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ تَبِيَّتْ مَعَهُمْ، حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا<sup>(٢)</sup>.

قال: (واثنان على بعير أي يركبان سيارة خاصة، وثلاثة أيضاً وأربعة، وهذا مما تحتمله السيارات الخاصة، وبعد ذلك عشرة على بعير إشارة إلى السيارات الخاصة الكبيرة مثل «الجيمس» وما في حجمها إذ تحمل عشرة ركاب).

فمثل هذه التأويلات السخيفة، إنما وقعت لظن صاحبها أنه لا يتصور وقوع مثل هذه الأشرطة في هذا العصر إلا بأن تكون على هذه الصفة والصورة، وهذا لا شك خطأ، بل خطأ عظيم، ومن تأمل مثل هذه التأويلات علم حظ القوم من العلم، وأنهم غير مؤهلين لتناول مثل هذه المباحث والكلام فيها، فينبغي أن يحجر عليهم من الكتابة والتأليف رأساً، حماية لهم وصيانة للناس أن لا يضلوا بما يكتبون<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك نقله الإمام القرطبي عن بعض المتأخرين في تفسير الدابة، فقال: «إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنساناً متكلماً يناظر أهل البدع والكفر ويجاهدهم لينقطعوا،

(١) ص ٢٠٦: ص ٢٠٧.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الرقاق باب كيف الحشر (٥ / ٢٣٩٠) ح (٦١٥٧)، ومسلم كتاب صفة النار باب صفة الحشر (٨ / ١٥٧) ح (٧٣٠٤).

(٣) الفصل في الرد على الحضارة الغربية (٥ / ١٥١).

فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

قال شيخنا الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي في كتاب المفهم له: «وإنما كان عند هذا القائل الأقرب لقوله تعالى: تكلمهم، وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة ولا يكون من العشر الآيات المذكورة في الحديث لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة بها، فلا ينبغي أن تذكر مع العشر، وترتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول ثم فيه العدول عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يسموه باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يسمى بدابة، وهذا خروج عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء وليس ذلك دأب العقلاء فالأولى ما قاله أهل التفسير والله أعلم بحقائق الأمور»<sup>(١)</sup>.

أو ما قاله محمد عبده في تأويل الدجال بقوله: «إنَّ الدجال رمز للخرافة والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها»<sup>(٢)</sup>.

ومن أسباب إخراج النصوص عن ظواهرها عند بعضهم دعوى معارضتها للمعقول... والذي يعني هنا أن نؤكد على أن هذه النصوص الشرعية يجب حملها على ظواهرها ولا يصح تأويلها لمجرد تنزيلها على واقع حالي أو لتوهم معارضتها للمعقول، وأن تأويلها والحالة هذه مخرج لها عن قصد الشارع وبالتالي فتزويلها بعد التأويل تنزيل لها على واقع غير مراد ولا مقصود للشارع<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله مبيناً خطورة التأويل: «فأصل خراب الدين والدنيا، إنما

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٢٣٦)، وينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٣ / ٨٢).

(٢) تفسير المنار (٣ / ٣١٦ - ٣١٧) بتصرف.

(٣) ينظر: علم العقيدة والتوحيد (ص: ٣٩)، منارات وعلامات في تنزيل أحاديث الفتن على الوقائع

والحوادث لعبد الله بن صالح العجيري - ص ٨٩

هو من التأويل الذي لم يردده الله ورسوله بكلامه، ولا دلَّ عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، وهل أريق دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل، وليس هذا مختصاً بدين الإسلام فقط؛ بل سائر أديان الرسل لم تنزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد .

ففي لزوم الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودفع التأويل المتعسف بغير دليل موافقة لنصوص الكتاب والسنة لفظاً ومعنى، مع بعد عن التكلف في الدين، والقول على الله بغير علم، والافتراء على رسوله الأمين، فضلاً عن ما في ذلك من مصلحة سد باب الخروج على العقيدة ببدعة محدثة، وسد باب الخروج على الشريعة، والاجترار على الحرمات، والتهاون بالطاعات والوقوع في المنكرات، بصرف ألفاظ الوعد والوعيد عن حقيقتها وظاهرها، ودعوى أن كل ذلك غير مراد.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهيته .. قال غير واحد من السلف : ليحذر أحدكم أن يقول : أحل الله كذا أو حرم كذا، فيقول الله له : كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه»<sup>(١)</sup>.

وهذا التحذير من إصدار أحكام الله تعالى قاطعة في النوازل والواقعات من دون علم راسخ لا شك أنه يفضي إلى إعنات الناس والتشديد عليهم بما ينافي ساحة الشريعة ورحمتها بالخلق<sup>(٢)</sup>.

ولا يسلم للمتأول تأويله حتى يجب على أمور أربعة:

(١) إعلام الموقعين ٣ / ١٠٩ .

(٢) ضوابط الفتيا في النوازل المعاصرة (ص: ٩).

أحدهما: أن يبين احتمال اللفظ لذلك المعنى الذي أورده من جهة اللغة.

الثاني: أن يبين وجه تعيينه لهذا المعنى أنه المراد.

الثالث: أن يقيم الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره؛ لأنَّ الأصلَ عدمه، قال ابن الوزير رحمه الله: من النقص في الدين رد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل .. (١).

الرابع: أن يبين سلامة الدليل الصارف عن المعارض، إذ دليل إرادة الحقيقة والظاهر قائم، وهو إما قطعي، وإما ظاهر، فإن كان قطعياً لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح (٢).

ومما يدل على إعمال الظواهر أنه لا يتم بلاغ ولا يكمل إنذار، ولا تقوم الحجة ولا تنقطع المعذرة بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين، ولا تدل على مراد المتكلم بها؛ بل على خلاف ذلك، فينتفي عن القرآن - والعياذ بالله - معنى الهداية، وشفاء الصدور، والرحمة، التي وصف الله تعالى بها كتابه الكريم، ومعاني الرأفة والرحمة والحرص على رفع العنت والمشقة عن الأمة، التي وصف الله تعالى بها نبيه ﷺ في كتابه العزيز، وهو الذي ترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلا التباس في أمره ونهيه، ولا إلغاز في إرشاده وخبره، باطنه وظاهره سواء.

وكذلك السنة النبوية التي خرجت من أفصح الناس الذي لا ينطق عن الهوى، من أوتي جوامع الكلم، وكان كلامه ألغاز تحتاج إلى حلٍّ والعياذ بالله.

:

(١) إيثار الحق لابن الوزير (ص ١٢٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ٣٦٠ - ٣٦٢)، والصواعق المرسله لابن قيم الجوزية (١ / ٢٨٨ - ٢٩٠)، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (٤ / ١٠٠٩).

إنَّ مراعاة الألفاظ الشرعية ملحظ ينبغي التنبه إليه والاعتناء به عند الكلام على مختلف المباحث في هذا الباب - أعني باب الفتن والملاحم وأشراط الساعة-، إذ إنَّ الألفاظ الأجنبية على الشريعة أو المحرفة عنها قد غزت هذا الباب فترى أقواما قد استوردوا شيئا من تلكم الألفاظ فضمنوها كتبهم ثم صدروها إلى الناس وأدعوها، والمشكلة تعظم حين يترتب على تلك الألفاظ أحكام ولوازم وآثار، أو يترتب من لا يعلم أحكام هذه الألفاظ ولوازمها على نصوص الشريعة، ولنضرب أمثلة على ذلك: قول بعضهم مثلا المسيح الدجال، دون المسيح الدجال، واللفظ المنصوص عليه في ألفاظ الشريعة المسيح وما يقدمه بعضهم من التعليلات في تصحيح هذه اللفظة بل وجعلها أولى من كلمة المسيح خطأ محض بل استدراك على الشارع لو تأمل القوم، قال الحافظ ابن حجر: وبالغ القاضي ابن العربي فقال ضل قوم فرووه المسيح بالخاء المعجمة وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال مسيح الضلالة فدل على أن عيسى مسيح الهدى فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث<sup>(١)</sup>.

ومن الألفاظ الأجنبية عن الشريعة كذلك لفظة (هرمجدون) وهي لفظة كثر تردادها للتعبير عما عبرت عنه الشريعة بالملاحم أو الملحمة حتى غدت هذه اللفظة عنوانا لبعض المصنفات الإسلامية، والله المستعان، فالتعبير باللفظ الشرعي لا شك أولى، ومما يدل على هذا الأصل في عدم تغليب الألفاظ الخارجة عن الشريعة على ألفاظ الشريعة ما ثبت عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، إِلَّا إِنَّهَا الْعِشَاءُ، وَهُمْ يُعْتَمُونَ بِالْإِبِلِ.<sup>(٢)</sup>

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الصلاة باب وقت العشاء وتأخيرها (٢ / ١١٨) ح (١٣٩٩)،

وغيرها من النصوص الدالة على هذا المعنى.

قال ابن القيم: «ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه؛ فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل عليه في أحسن بيان، وقول الفقيه المعين ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري، حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا لهم ألفاظا غير ألفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان، فتولد من هجران ألفاظ النصوص والإقبال على الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا الله.

فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة عهدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم، وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك، وهلم جرا، ولما استحکم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض»<sup>(١)</sup>.

ومما يحسن فقهه في هذا الباب هو مراعاة العرف الواقع للألفاظ في زمن النبي ﷺ فتفسر الألفاظ في ضوءها، لا أن تفسر الألفاظ بالأعراف الحادثة، فينبغي أن تضبط المعالم الجغرافية مثلا في ضوء العرف السابق لا اللاحق، فجزيرة العرب مثلا ينبغي أن تفسر لا

---

وأبو داود في كتاب الأدب باب في صلاة العتمة (٤ / ٤٥٣) ح (٤٩٨٦)، والنسائي في كتاب الصلاة باب في الكراهية في أن يقال للعشاء العتمة (١ / ٢٩١) ح (٥٤٠)، وابن ماجه في كتاب الصلاة باب النَّهْيُ أَنْ يُقَالَ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ (١ / ٢٣٠) ح (٧٠٤)، وأحمد في مسنده (٨ / ١٧٩) ح (٤٥٧٢).  
(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ / ١٣٠).

باعتبار العرف الجغرافي اليوم لعدم مطابقته بالضرورة للعرف المتقدم المقصود بالنص، فهذه قد تكون أوسع أو أضيق بحسب تجدد العرف، بل يجب أن تفسر في ضوء استعمال هذا الاصطلاح في زمن النبي ﷺ، وكذا الشأن في نجد والعراق واليمن والشام والمشرق والمغرب إلى آخره، وينبغي أن يلاحظ أنه لا يلزم بالضرورة وقوع الاختلاف بين العرف الواقع اليوم والعرف السابق في كل قضية ومسألة، لكن ينبغي مراعاة هذه المسألة لئلا تحمل ألفاظ الشارع على ما لا يراد بها، وتنزل النصوص على وقائع غير مقصودة.

:

لكون النصوص متعلقة بأخبار في أزمان مختلفة وأحوال متباينة؛ ولهذا قسم العلماء مثلا أشراط الساعة إلى أقسام عدة لمراعاة هذا الضابط؛ فهناك أشراط صغرى؛ وهناك أشراط كبرى؛ فمن لم يراع هذا الضابط خبط خبط عشواء؛ وتكلف ما لا علم له فيه. وهذا أصل مهم في هذا الباب، فلا يصح أن يستعجل شرط قبل أوانه أو يقدم على واحد من أقرانه، بل لا بد أن يراعي المنزل البعد الزمني فلا يحكم لشرط بالظهور أو تحديد وقت الظهور مع عدم صلاحية الوقت المحدد لظهور الشرط، كما لا يصح أن يقدم شرط على شرط وردت السنة بتأخيره عن ذلك الشرط.

يدلُّ على هذا ما صحَّ من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: حَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَحَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَحَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدْنٍ تَرَحَّلُ النَّاسَ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الفتن باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٨ / ١٧٩) ح (٧٣٨٩).

فتأمل قول النبي ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون) ففيه مراعاة لصلاحيه الزمان لقيام الساعة، وتنبه على أنها لا تكون قبل أشراتها .  
فهذا يدل على أهمية مراعاة عامل الزمن في عملية التنزيل أما ما يتعلق بمسألة الترتيب فالأمر فيه أوضح وأظهر، إذ إن السنة بينت ترتب بعض الأشراف بعضها على بعض، بحيث لا يصح أن يجعل المنزل شرطاً قبل شرط حكمت السنة بتأخره عنه.

ومما يدل على مراعاة السلف لهذه المسألة ما ثبت عن نافع بن عتبة، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: إِنَّهُمْ فَقَمٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقَمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعَدُّنَّ فِي يَدَيَّ، قَالَ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارَسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ، حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ<sup>(١)</sup>.

فلا بد من أن يحقق المفتي في ترتيب الأشراف لتأثيره على عملية التنزيل، ومتى ما خالف في الترتيب أو انتصر لقول فيها كان لذلك تأثير ولا شك على التنزيل على الواقع.

:

الشريعة قائمة على أساس مراعاة مصالح العباد، والمقصود بمراعاتها لمصالحهم أنها تقضي بتقديم الأهم منها على ما هو دونه، وبالتزام المفسدة الدنيا لا لقاء الكبرى حينما

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الفتن باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال (١٧٨ / ٨) ح (٧٣٨٧).

تتلاقى المصالح والمفاسد في مناطٍ واحدٍ، أو يستلزم إحداهما الأخرى لسببٍ ما. فإذا تعارضت مصلحتان في مناطٍ واحدٍ بحيثُ كان لا بُدَّ لنيلٍ إحداهما من تفويت الأخرى نظر إلى قيمتها من حيثُ الذات - وقد وجدنا أنَّ كليات المصالح المُعتبرة شرعا مندرجة بحسب الأهمية في خمس مراتب وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال - فما به يكون حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما به يكون حفظ النفس مقدم على ما يكون به حفظ العقل وهكذا<sup>(١)</sup>.

فالأمر ليست كلها على وزان واحد؛ فبعضها مهم وبعضها أكثر أهمية، وبعضها نتائجه أعظم وفضله أكثر، والقدرة على تحقيقه في الواقع أقوى، فإذا تعارضت الأمور وضاعت، ولم يمكن تحقيقها جميعاً، إما لضيق الوقت، وإما للعجز عن القيام بذلك كله، وإما للتعارض، فإنه يقدم في ذلك الأهم أو الأوّل ثم الذي يليه وهكذا، ويتحدد الأوّل من خلال عدة عناصر: الفضل والأهمية، والنتائج المتوقعة، والقدرة على التحقيق والتنفيذ؛ فقد يكون أمر أفضل من أمر، لكن لا قدرة على تحقيقه، فيكون البدء بتنفيذ الأقل فضلاً في هذه الحالة أوّل للقدرة على التنفيذ<sup>(٢)</sup>.

لأن الإخبار بالواقعة وأنها المرادة بالنص الوارد قد يترتب عليه مفسد أعظم من مصلحة مجرد الإخبار.

وبين هذا الضابط ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ<sup>(٣)</sup>.

(١) رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة ر (ص: ٢٤٥).

(٢) المفصل في أحكام الهجرة (٤/ ٤٣٢).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب العلم باب حفظ العلم (١/ ٥٦) ح (١٢٠).

والحاصل أنه أراد به نوعين من العلم، وأراد بالأول: الذي حفظه من السنن المذاعة لو كتبت لاحتمل أن يملأ منها وعاء. وبالثاني: ما كتبه من أخبار الفتن، كذلك. وقال ابن بطال: المراد من الوعاء الثاني أحاديث أشراط الساعة، وما عرف به النبي، عليه الصلاة والسلام، من فساد الدين على أيدي أغيلمة سفهاء من قريش، وكان أبو هريرة يقول: لو شئت أن أسميهم بأسمائهم، فخشني على نفسه فلم يصرح، وكذلك ينبغي لكل من أمر بمعروف إذ خاف على نفسه في التصريح أن يعرض، ولو كانت الأحاديث التي لم يحدث بها في الحلال والحرام ما وسعه كتبتها بحكم الآية<sup>(١)</sup>.

وعدم إخبار الناس بما تحتمله عقولهم وعلمهم مما أرشد إليه النبي ﷺ؛ وجرى عليه العمل منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن معاذ رضي الله عنه قال: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عَفِيرٌ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا<sup>(٢)</sup>. وبوب الإمام البخاري في صحيحه بابا قال فيه: بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا. وَقَالَ عَلِيُّ: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: ليس كل علم يثبت وينشر وإن كان حقا، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلمها ما تكلم فيها ولا حدث بها، وكان يكره الكلام فيها

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢ / ١٨٥).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير باب اسم الفرس والحمار (٣ / ١٠٤٩) ح (٢٧٠١)،

مسلم في كتاب الإيمان باب حق الله على العباد (١ / ٤٣) ح (٥٣).

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم (١ / ٥٩) باب (٤٩).

ليس تحته عمل، وأخبر عن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك، فتنبه لهذا المعنى، وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدِ ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة لشرعية والعقلية<sup>(١)</sup>.

:

لأن التعجل مظنة الوقوع في الخطأ غالباً؛ ولا يمكن تجنب ذلك الخطأ إلا بالترث والتأمل، والعلم بالنص وإثباته؛ وتنقيح مناطه وتحقيقه.

وقد ورد ذم التعجل عموماً ومدح الأناة والترث في غير ما نص صحيح؛ من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَشْجِّ، أَشْجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءُ<sup>(٢)</sup>.

فلا يصح أن يتعجل الشخص في إصدار حكم على قضية من القضايا قبل تكامل آلة الحكم عنده، فلا بد أن يكون بصيراً بالنص ثبوتاً ومعنى بصيراً بالواقع فيصدر حكماً يرجو به أن يكون أقرب للصواب بحسب تكامل تلك الآلة فيعطي كل قضية حقها ومستحقها من الحكم فلا يعطي القطعي حكم الظني ولا الظني حكم القطعي، فإن

(١) الموافقات ٥/ ١٧١.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان بالله تعالى ورسوله (١/ ٣٦) ح (٢٥)، والترمذي في كتاب البر والصلة باب التأي والعجلة (٤/ ٣٦٦) ح (٢٠١١)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب الحلم (٢/ ١٤٠١) ح (٤١٨٨).

فلتت منه كلمة بأن له خطؤها فلا عليه أن يعود إلى الحق فإن العود إلى الحق أحمد، فإن لم يعد واستمرراً الخطأ في هذا الباب فليعلم أنه ممن قد غلبه هواه، وليخش على نفسه مغبة الباطل واستمراءه.

:

وقد حرص الصحابة على التأكد من المعنى الحقيقي للنص، ومما يؤكد حرص الصحابة على تفهم معاني أحاديث النبي ﷺ سؤالهم عما يشكل عليهم مما يتعلق بأحاديث الفتن والملاحم وأشرط الساعة ما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ حَدِيثًا جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضٌ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: هَذَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». (١) فانظر إلى تفسير تضييع الأمانة في ذلك الوقت، ليست الأمانة المعروفة عند الناس، وإنما إسناد الأمر إلى غير أهله.

وعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ. (٢).

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الرقاق باب رفع الأمانة (٥/ ٢٣٨٢) ح (٦١٣١).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (١/ ٤٤) ح (٨٥)، وفي كتاب الاستسقاء باب ما قيل في الزلازل والآيات (١/ ٣٥٠) ح (٩٨٩)، وفي كتاب الأب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٥/ ٢٢٤٥) ح (٥٦٩٠)، وفي كتاب الفتن باب ظهور

وهنا لم يترك الصحابة هذه الكلمة التي لم يعرفوها من قبل، وإنما الواحش لا يقعوا في التأويل الفاسد. إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة الدالة على هذا المعنى.

قال أبو حاتم البستي: إنَّ العاجل لا يكاد يلحق، كما أنَّ الراقق لا يكاد يسبق، والساکت لا يكاد يندم، ومن نطق لا يكاد يسلم، وإنَّ العاجل يقول قبل أن يعلم، ويحبب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب<sup>(١)</sup>.

فلا بد لمن أراد التصدر لتنزيل النصوص على الواقع أن يكون فقيها به، إذ أركان التنزيل ثلاثة نصوص ينزل وواقعة ينزل عليها وعملية تنزيل، فإذا لم يتصور الواقع التصور الصحيح كانت عملية التنزيل غير صحيحة، وصار التنزيل إن وقع على واقعة غير مقصودة، والمقصود من تفهم هذا الواقع التعرف على الصورة الكاملة للواقع بكل جزئياته بحيث يعلم مدى تطابق الحديث مع هذا الواقع وإلى أي مدى وقع التخالف إن كان، فإن كانت المطابقة تامة كان التنزيل ببقية الضوابط صحيحاً وإلا كان التنزيل غير صحيح .

وقد أصل لنا النبي ﷺ هذا الأصل وهو التحقق من الواقعة والتثبت من صفاتها وذلك في حديثه مع ابن صياد حين قال عمر: يا رسول الله، أتأذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: (إن يكن هو لا تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله)<sup>(٢)</sup>.

الفتن (٦ / ٢٥٩٠) ح (٦٦٥٢)، وفي باب خروج النار (٦ / ٢٦٠٥) ح (٦٧٠٤)، ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم (٨ / ٥٩) ح (٦٨٨٦).

(١) روضة العقلاء ٢١٦.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب باب قول الرجل للرجل اخساً (٥ / ٢٢٨٤) ح (٥٨٢١)،

وعلى هذا جرى الصحابة ومن بعدهم في التحقق من الواقع واستجلائه قبل القطع والجزم بالتنزيل، والشاهد أن التحقق لازم لمن أراد أن يصح تنزيهه فإن لم يلتزمه كان الخطأ والزلل.

:

حتى يتمكن المفتي بعد استكمال النظر في المقارنة بين النص الثابت والواقع للتأكد من استكمال الواقعة للصفات المذكورة في النص من عدمه. فإن كان الكلام عن واقعة ماضية فالواجب أن تكتمل صفات النص فيها فإن تخلفت صفة لم يصح تنزيل النص عليها لعدم اكتمال الصفات، وإن كانت الواقعة التي يراد التنزيل عليها حاضرة أو يتوقع وقوعها عن قريب.

فمثلا في الحديث الذي تحدث عن بيعة الخليفة المهدي في آخر الزمان عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُقْتَلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّيَاطُ السُّودُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ) (١).

ومسلم في كتاب الفتن باب ذكر ابن الصياد (٨ / ١٨٩) ح (٧٤٥١).  
(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن - باب خروج المهدي - ١٣٦٧ / ٢ ح (٤٠٨٤)، وأحمد في مسنده ٢٧٧ / ٥ ح (٢٢٤٤١)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين - كتاب الفتن والملاحم - ٥١٠ / ٤ ح (٨٤٣٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه الحاكم في المستدرک من طريق الحسين بن حفص عن سفيان به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ولفظه إذا رأيتم السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي. (مصباح

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجَبْهَةِ أَفْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ) (١).

وعن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قالا : قال رسول الله ﷺ : ( يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده) (٢).

قال الشيخ ابن باز: (لا يجوز الجزم بأن فلانا هو المهدي، إلا بعد توافر العلامات التي بينها النبي ﷺ في الأحاديث الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) (٣).

فلا بد من استكمال جميع الصفات والأوصاف حتى يقال إنه المهدي.

ومن المعلوم أنه ليس من تلازم تطابق الأسماء تطابق الحقائق.

لأن من الأخطاء الفادحة التي وقع فيها بعض من قصر علمه؛ حملهم الأسماء الواردة في النصوص الشرعية على أسماء من عاصروهم؛ فجزموا بأنهم المعنيون بذلك في النص الشرعي؛ ونتج بسبب ذلك ويلات ومحن على المسلمين.

وإلى هذا المعنى أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله: وقد نطقت هذه الأحاديث التي

الزجاجة ٤/ ٢٠٤).

(١) أخرجه : أبو داود في سننه - كتاب المهدي - ١٠٧/٤ برقم (٤٢٨٥)، والترمذي في سننه - كتاب الفتن - باب ما جاء في المهدي - باب ٥٣ - ٥٠٦/٤ برقم (٢٢٣٢)، وقال : هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ وابن ماجه في سننه - كتاب الفتن - باب خروج المهدي - ١٣٦٦/٢ رقم (٤٠٨٣)، وأحمد في مسنده ١٧/٣ برقم (١١١٤٦)، وقال الهيثمي: رواه الترمذي وغيره باختصار كثير رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالها ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤)، وقال الشيخ الألباني : حسن سند الحديث . (صحيح سنن أبي داود ٤/ ١٠٧).

(٢) أخرجه: مسلم - كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - ٤/ ٢٢٣٥ برقم (٢٩١٣) (٢٩١٤).

(٣) فتاوى الشيخ ابن باز (٤ / ١٦٨).

أوردناها آنفا بالسفاح والمنصور والمهدي ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره وأنه يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حدة كما أفرد له أبو داود كتاباً في سننه وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يسلم الخلافة إلى عيسى ابن مريم إذا نزل إلى الأرض والله أعلم، وأما السفاح فإنه يكون في آخر الزمان فيبعد أن يكون هو الذي بويح أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر وهذا هو الظاهر فإنه قد روى نعيم بن حماد عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن قدوم الحميري سمع نفيح بن عامر يقول: يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء.

قال ابن كثير: وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل ونشر القسط وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صححت هي التي تكون مع المهدي ويكون أول ظهور بيعته بمكة ثم تكون أنصاره من خراسان كما وقع قديماً للسفاح والله تعالى أعلم هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام الله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب<sup>(١)</sup>.

:

ويؤكد هذا الضابط وجود أحداث عظيمة في تاريخ الإسلام لم تشر إليها النصوص الشرعية؛ مما يدل على أنه ليس من شرط الوقائع وجود أدلة لها في الشريعة خاصة؛ وهذا ما يجعل المرء يترقب في تنزيل النص الشرعي على وقائع معينة.

(١) البداية والنهاية (٦/٦٣٤).

ومن نظر فيما مر بالأمة من أحداث جسام علم صحة هذا، وأن الله قد يقدر على العباد أموراً ولا يخبرهم بها، فقد هدمت الكعبة في عهد الحجاج، واعتدي على الحجيج في المسجد الحرام وأخذ الحجر الأسود أيام القرامطة، ووقعت الحروب الصليبية، واحترق المسجد الأقصى في ظل الاحتلال، وليس فيما بين أيدينا من النصوص الصحيحة إشارة إلى مثل هذه الحوادث، فلا يصح والحالة هذه أن نفتعل صلة بين النصوص وهذه الحوادث فنحملها ما لا تحمل أو نلوي أعناقها لتدل عليها.

:

إنَّ العلم والقدرة له وحده، وليس للإنسان من ذلك إلا ما كتب الله له، وما الاستشراف إلا اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب؛ ولذلك فإنَّ السنة النبوية قد حثت المستشرف على أن يستخير الله، ويطلب منه أن يوفقه لخير الأمرين عند الاحتياج إلى أحدهما. قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «إنَّ العبد لا يكون قادراً إلاَّ مع الفعل لا قبله، والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله، والتبري من الحول والقوة، وأن يسأل ربه في أموره كلها»<sup>(١)</sup>.

:

فيجب اعتقاد أنَّ الذي يجب أن يتغيَّر هو الفتوى المتعلقة بتغيَّر الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وأمَّا الأحكام الشرعية المستندة إلى النصوص فإنَّها ثابتة لا تتغيَّر، فيكون مستندُ تغيَّر الفتوى: الأصول الشرعية، والمصالح المرعية في الدين.

(١) فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ١٨٧).

فلقد أخطأ خطأً فاحشاً من قال بشمول: تغير الفتوى بتغير الزمان على عمومها، وما علمت في المتقدمين من قال عن هذه القاعدة بشمولها، بل كلامهم عنها يفيد أنها قاعدة فرعية صورية وليست حقيقية، إذ يضربون لها المثال بتغير الأعراف، وهذا محكوم بقواعد العرف والعادة، ومن هنا فهي صورية لا حقيقية.

فالحكم ثابت لا يتغير وإنما الفتوى به بحسب المقتضى الشرعي، كما في سهم المؤلفة قلوبهم. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

:

ألا ينازع في أمر الفتوى وتغييرها غير أهلها، وأهلها هم علماء الشريعة، والمجتهدون من هذه الأمة وقد اتفق العلماء على أن القاضي يجب أن يعرف عادات الناس وأعرافهم حتى يقضي بينهم، ولا يجوز أن يقضي من لا علم له بذلك<sup>(٢)</sup>.

فالعمل بهذه الضوابط يجعل الفتاوى التي تخرج منضبطة بميزان الشرع الحنيف.



(١) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (١/٨٤).

(٢) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: ٤٧٥).

هذه أهم الضوابط العلمية التي أشار لها أهل العلم في هذه المسألة؛ والتي متى ما تمسك بها المرء كان نجاة له في معضلات هذه المسائل؛ ونسأل الله عز وجل الهداية.

\* وما سبق يتضح الآتي:

(١) أن المستقبل الذي يخبر به المعصوم عليه السلام قد عرفه عن طريق الوحي فهذا المستقبل لا يحتمل إلا الصواب.

(٢) أن أحكام آخر الزمان لها واقع خاص يختص بها فلا ينزل حكم من الأحكام عليها دون مراعاة لهذه الضوابط.

(٣) أن رعاية الضوابط ورعاية القواعد تعصم تصور المسلم من أن يقع تصوُّره فيما لا يقره الشرع، تعصم ذلك التصور، وتضبط عقل المسلم في تصوُّراته.

(٤) أهمية رعاية تلك الضوابط وتلك القواعد، لأنها تضبط العقل -عقل المسلم- في تصوُّراته التي ينشأ عنها تصرفه في نفسه أو في أسرته أو في مجتمعه .

\* ومن هنا أوصي :

(١) بعدم إغفال فقه النوازل، وما يفرضه ذلك من تدريب وإعداد من شأنه أن يفتح أعيننا على أهمية الرجوع إلى الأصلين الشريفيين.

(٢) على الجامعات والمراكز العلمية أن تهتم بإعداد المفتين والعناية بالفتاوى في جميع التخصصات لا سيما الإسلامية.

- بعد القرآن الكريم.
١. أصول الفقه الذي لا يسعُ الفقيه جهلهُ لعياض السلمي ط: دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
  ٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين ط: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة الطبعة: ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
  ٣. إثثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير ط: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م.
  ٤. البداية والنهاية لابن كثير ط: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
  ٥. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
  ٦. تاج العروس من جواهر القاموس للمرئضي، الزبيدي ط/ دار الفكر.
  ٧. تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
  ٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ط: دار طيبة حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي.
  ٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ط: دار النوادر، دمشق - سوريا الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث
  ١٠. الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه وهو

- (صحيح البخاري) - للبخاري ط/ دار ابن كثير اليمامة بيروت الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م تحقيق: مصطفى ديب البغا .
١١. الجامع الصحيح، هو سنن الترمذي لأبي عيسى بن سورة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العربية. بيروت - لبنان.
١٢. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس ط: مؤسسة الرسالة - بيروت السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
١٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م تحقيق: هشام سمير البخاري.
١٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي الأصبهاني ط: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٥. رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة ﷺ لمحمد طاهر حكيم ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـم ٢٠٠٢م.
١٦. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ط: دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
١٧. سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
١٨. سنن أبي داود - لأبي داود بن الأشعث - ط/ دار الفكر - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .
١٩. سنن الدارمي - لأبي محمد الدارمي ط/ دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى

- ١٤٠٧هـ - تحقيق / فواز أحمد زمرلي - وخالد السبع العلمي .
٢٠. الصحاح للفارابي ط: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م
٢١. صحيح مسلم - لمسلم بن الحجاج - ط/ دار إحياء التراث بيروت - تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٢. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله لابن قيم الجوزية ط: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الأولى، ١٤٠٨هـ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله.
٢٣. ضوابط الفتيا في النوازل المعاصرة للدكتور / مسفر بن علي القحطاني أستاذ الفقه وأصوله في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.
٢٤. عمدة القاري شرح صحيح البخارى - لبدر الدين العيني - ط/ دار إحياء التراث بيروت (د.ت).
٢٥. الفتاوى الكبرى لابن تيمية الحراني ط: دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى، ١٣٨٦ تحقيق: حسنين محمد مخلوف.
٢٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ط دار المعرفة بيروت تحقيق/ محب الدين الخطيب.
٢٧. القاموس المحيط للفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٨. لسان العرب لابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ط: دار المعارف القاهرة.

٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمى ط دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربى القاهرة بيروت ١٤٠٧ هـ.
٣٠. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
٣١. المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخریجات الأصحاب لبكر بن عبد الله أبى زيد ط: دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامى بجدة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٣٢. المستدرک على الصحيحین للحاکم ط: دار الحرمین القاهرة - مصر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م تحقيق: أبى عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي.
٣٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل - للإمام أحمد بن حنبل - ط / مؤسسة قرطبة - مصر.
٣٤. مصباح الزجاجة - للبوصيري - ط / دار العربية - بيروت - الثانية - ١٤٠٣ هـ - تحقيق / محمد المتقى الكشناوى.
٣٥. المعجم الكبير - للطبراني - ط / مكتبة العلوم والحكم - الموصل - الثانية - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م - تحقيق / حمدى بن عبد المجيد السلفي .
٣٦. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ط: دار الدعوة.
٣٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبى العباس القرطبي ط دار الكتاب العربى القاهرة بيروت.
٣٨. مفهوم تجديد الدين، ١ الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤ م لمحمد سعيد بسطامي.

٣٩. منارات وعلامات في تنزيل أحاديث الفتن على الوقائع والحوادث لعبد الله بن

صالح العجيري

٤٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا النووي ط دار إحياء التراث

العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

٤١. الموافقات في أصول الفقه للشاطبي ط: دار المعرفة - بيروت، تحقيق : عبد الله

دراز.

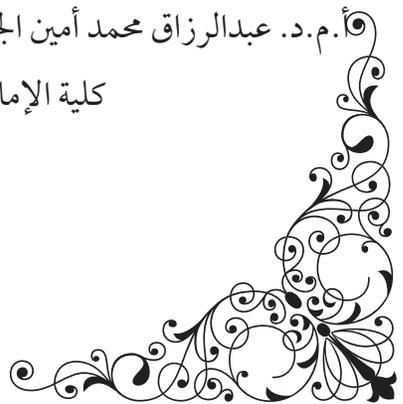
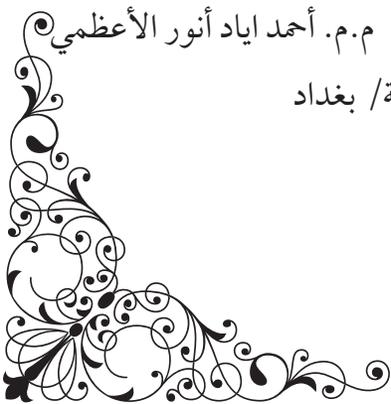




-9-

( )

إعداد



أ.م.د. عبدالرزاق محمد أمين الجاف      م.م. أحمد ايدان نور الأعظمي  
كلية الإمام الأعظم الجامعة / بغداد



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فلا يخفى على ذي لب وعينين أنّ ما يشهده واقعنا المعاصر من تراجع في النواحي السياسية والعلمية والاقتصادية وغيرها. بسبب تراجع الأمة عن قيمها وطريقة تفكيرها وموازن أعمالها، فكان لا بد من مراجعة أصيلة للانتقال من مرحلة التراجع إلى مرحلة التقدم والانطلاق وذلك يستدعي دراسة هذا الواقع والكشف عن الأسباب ليسهل العلاج.

إن أولى خطوات التغيير إعادة النظر في مجال التعليم الذي هو الركن الركين في استمرار حياة الأفراد والأمم، لا سيما ما نجده من أمور جدت وظواهر طفت على سطح الحياة وصبغتها بغير الصبغة التي أرادها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة من الآية: ١٣٨).

وقد استعمل الباحثان المنهج الوصفي الاستدلالي . وتقتضي طبيعة البحث الحالي أن يحتوي على مقدمة وأربعة مباحث واستنتاجات وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع. وشمل المبحث الأول تاريخ التجديد في التعليم، وضرورة التجديد في التعليم ودوافعه.

وتضمن المبحث الثاني التحديات والتحويلات العالمية التي تواجه عملية التجديد، وسبل مواجهتها. وتناول المبحث الثالث سبل التجديد في التعليم، وإصلاح مناهج التعليم، وإعداد المعلم الناجح وتطويره، وتوفير وسائل التعليم الجديدة (التقنيات). وأخيراً يحتوي المبحث الرابع دور المؤسسات الشريكة للمؤسسة التربوية التعليمية في عملية التجديد.



إنَّ من الأمور التي يجب الإهتمام بها في واقعنا المعاصر عقد الندوات والمؤتمرات للقيام بدراسات علمية وفكرية في محاور شاملة ومتنوعة تخص قضايا أمتنا الإسلامية، ومنها تجديد التعليم هو من أكثر القضايا استحقاقاً للدراسة والبحث والتفكير عندما يأتي الحديث عن نهضة الأمة ورفيِّها وتقدمها نحو الأفضل، ومن هنا كان اهتمام التربويين والمفكرين والكتَّاب وغيرهم، للنهوض بالأمة الإسلامية تجاه هذه الهجمة العالمية الشرسة على الإسلام والمسلمين والتي لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة، وللتعليم دور بالغ الأهمية في التنشئة، وبناء المجتمع، ومناهضة الإرهاب والطائفية. لذا استيقظنا الهمة إن شاء الله للمشاركة مع هذه النخبة والجمع الكريم في هذا المؤتمر العلمي الدولي العاشر والموسوم بعنوان: (التجديد والاستجابة لروح العصر) مقدرين جهود كلية الإمام الأعظم الجامعة في تبني هذا المؤتمر خدمةً ونفعاً للإسلام والمسلمين.

إنَّ تجديد التعليم ضرورة حياتية؛ كوننا نعيش في عصر التكنولوجيا العلمية والتقنية المتقدمة ودخول الحاسب الآلي في شتى المجالات لا سيما التربوية والتعليمية منها، وإنتشار الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ومستجداته والمعلومات والمعارف المتزايدة وتنوع طرق البحث العلمي، فلا بد من أن ينعكس ذلك على التعليم وطرائقه وكذا ضغوط عديدة على المناهج الدراسية وغيرها ومن ثم على المخرجات التعليمية وتحديدًا الطلبة.

«إنَّ حركة التاريخ تأتينا في كل يوم بابتلاءات جديدة، وهي بتعاقب أحداثها المختلفة تلقي كثيراً من الحُجُب على أصولنا الشرعية ومبادئنا الكبرى وقيمنا فتقدم

رموزاً وتفسيرات تبعد كثيراً من تصوراتنا عن استشفاف المنهج الرباني الأقوم في إصلاح الحياة والنهوض بها. فصرنا نعيش في عصر روحه مادية وأوضاعه أقرب إلى العلمانية، ما قد يجعل البعض يتخبط في أساليب التعليم فضلاً عن صياغة مناهجه»<sup>(١)</sup>. ومن الحقائق الثابتة أن استمرار المجتمعات وتطورها لا شك في أنه يستمد قوته من التجديد المستمر في هذه المجتمعات، والإسلام ينفرد بخاصية التجديد، وهي من كمال الدين الإسلامي الخالد، وقد أعجرت الغزاة قديماً وحديثاً - غزاة الأرض، والفكر، والمجتمعات-<sup>(٢)</sup>.

نجد في القرآن الكريم إشارات عن مسألة التجديد؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح/ ١٤ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ الروم/ ٥٤، وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن/ من الآية ٢٩، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/ من الآية ٣، ونجد في السنة النبوية الشريفة قول رسولنا الكريم ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)<sup>(٣)</sup>، فيشير لنا المنهج الإسلامي ووسطيته أن ليس هناك تناقض بين اكتمال الدين بتمام الوحي وختم النبوة والرسالة، وبين التجديد الدائم أبداً لهذا الدين،

(١) عبدالكريم بكار: تجديد الوعي، دار القلم، بيروت ط ٣، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٩.

(٢) يُنظَرُ: فايز عزيز: الإسلام وتجديد دين الأمة في عصر العولمة، ط ١، دار الإيمان - الاسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ١٢.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٤/ ١٠٩ (٤٢٩١).

الذي اكتمل بختم الوحي وتمام القرآن الكريم. فالتجديد هنا الموامة بين نصوص الوحي والواقع المعاصر الذي يعيشه أبناء جيل لاحق إلى يوم القيامة.

«إن النبي ﷺ لم يكن يتحسس من كل جديد وافد، إلا إذا كان مخالفاً للدين، أو كانت مضارته ومفاسده أكبر من منافعه ومصالحه. والنبي ﷺ عندما أُخبر بأن الملوك لا يقبلون الرسائل إلا إذا كانت مختومة، سارع واتخذ خاتماً نقشه (محمد رسول الله) ولم يرفض هذا النظام العالمي لأنه قادم من بلاد الكفرة المشركين»<sup>(١)</sup>

منهج البحث: وظّف في هذا البحث المنهج الوصفي الاستدلالي؛ نظراً لملاءمته البحث، وهو أحد أشكال التفسير العلمي الموضوعي المنظم للمعلومات النظرية التي تخص تجديد التعليم، ووصف الظاهرة نفسها كما هي في الواقع، دون تأثر بالعوامل الذاتية، وصولاً إلى استنتاجات أسهمت في فهم الواقع.

أهمية التجديد والحاجة إليه: إنّ حاجة المجتمع المحلي والأمة الإسلامية إلى إعادة استرجاع واستثمار ثروتها العلمية والفكرية، وحاجة الشخصية المسلمة إلى الرجوع إلى هويتها؛ وذلك بالتأصيل الإسلامي لمختلف العلوم وإعطائها الصبغة الإسلامية والأخلاقية والعلمية وغيرها.

«قد يكون استخدام هجر العاصي في حقبة ما وسيلةً نافعةً في رده إلى الجادة، لكن حين تكثر إطارات الشر وبؤر الفساد، فإن هجره ربما أدّى إلى دفعه إلى واحدة منها، لنخسره على نحو كامل. ويمكنك أن تقول مثل هذا في استعمال الشدة في الدعوة والتربية والتعليم والإدارة، فمثل هذا الأسلوب ربما كان ذا فائدة فيما مضى، أما اليوم فإنه يكاد يكون عقيماً» وعليه فلا بد من أن نحاول امتلاك رؤية جديدة للأهداف والأساليب

(١) اني فقيه: خطوات في فقه التعايش والتجديد، ط ١، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان-الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٠٦.

والوسائل التعليمية بالإمكانات المفتوحة والتحديات المتجددة، وإلا فإن كثيراً من جهودنا قد تكون في غير محلها.<sup>(١)</sup>

مشكلة البحث: إن جوانب القصور في التعليم العام، إلى جانب الظروف والأحوال الصعبة لكثير من الطلاب تجعلنا نتساءل: كيف يمكن تجديد وتطوير نظم التعليم الرسمي، وتحقيق التعاون بينه وبين التعليم غير الرسمي وغير النظامي لمعالجة حالات التسرب بين الطلاب الشائعة والكثيرة في طول العالم الإسلامي وعرضه؟ وكيف يمكن أن نشبع الحاجات التعليمية لهم كونهم يقعون خارج مسؤولية أية وزارة في البلد،؟<sup>(٢)</sup>.

وإن من أهم أهداف التربية والتعليم، هو إيجاد الفرد الصالح النافع لنفسه وأمتة، وإن جنوح الفرد يميناً أو يساراً، يستوجب الحيلة والحذر والبحث عن الأسباب وسبل العلاج للجيل الحاضر، وإعداد العدة لوقاية الجيل الجديد من استفحال تلك الظواهر فيه<sup>(٣)</sup>.

«إذ معظم المجتمعات المسلمة تزخر بكثير من السلبيات التي تستفز الحليم؛ فالمجتمع يعاني من عنف الظلم الاجتماعي، وعنق القهر الاقتصادي، وعنق الاستبداد، ويعاني من الاستلاب الحضاري، ويعاني من الفساد الأخلاقي»<sup>(٤)</sup> ومن الأنظمة والقوانين والتصرفات المنافية للدين والمناقضة لقيم المجتمع. يتضح مما سبق أن هناك حاجة ماسة إلى القيام ببحث ودراسة علمية وفكرية، تهدف إلى تجديد التعليم، وتكشف عن أهم الاستنتاجات التي تساعد على الاستفادة منها. ومن هنا برزت مشكلة البحث التي يمكن

(١) عبدالكريم بكار: تجديد الوعي، مرجع سابق، ص ٢٣

(٢) يُنظَرُ: عبدالكريم بكار: المسلمون بين التحدي والمواجهة: حول التربية والتعليم، ج ٥، ١٤٢٦-٢٠٠٥م، ص ٣٦١.

(٣) يُنظَرُ: حنان درويش: الوسطية سلاح التصدي للغلو والتطرف في المجتمع الإسلامي، ١٤٢٦هـ، ص ٢.

(٤) عبدالرحمن اللويحي: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٢٧.

تحديدها في السؤال الآتي:

لماذا تجديد التعليم ضرورة حياتية؟

\* وتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الآتية :

١- ما بداية التجديد في التعليم وما مسوغاته ودوافعه؟

٢- ما أبرز التحديات التي تواجه عملية التجديد؟ وما سبل مواجهتها؟

٣- ما أهم سبل التجديد وإصلاح التعليم؟

٤- ما دور المؤسسات الشريكة للمؤسسة التربوية في عملية التجديد؟

وقد جعلنا مقدمة وخطة البحث نقطة البداية وسير البحث، وسوف يقسم هذا البحث إن شاء الله تعالى على أربعة مباحث تجيب عن الأسئلة الأربعة أعلاه؛ والتي تجيب بمجملها عن السؤال الرئيس للبحث وهي كالاتي: يحتوي المبحث الأول: على الإجابة عن السؤال الأول، بينما يأتي المبحث الثاني: إجابة عن السؤال الثاني للبحث، ويوضح المبحث الثالث: الإجابة عن السؤال الثالث للبحث، ويبيّن المبحث الرابع: إجابة السؤال الرابع للبحث، ثم بعد ذلك جاءت الاستنتاجات، والخاتمة تتلوها قائمة ثبت للمصادر والمراجع التي أفاد منها. وذلك على النحو الآتي ذكره.



مفهوم التجديد: التجديد لغة: مصدر جَدَدَ يَتَجَدَّدُ، فهو جَدِيدٌ ومُتَجَدِّدٌ، أي: صارَ جَدِيداً وأَجَدَّهُ وَجَدَّدَهُ: صَيَّرَهُ جَدِيداً، أي: ضَدَّ البالي الخَلِقَ، والجَدُّ أَبُو الأبِ وَأَبُو الأُمِّ. والجَدُّ أَيضاً الحِطُّ وَالبَخْتُ وَالجَمْعُ (الجُدودُ) تَقُولُ مِنْهُ: (جُدَدَت) يَافِلَانُ أَي: صَرَتَ ذَا جَدٍّ فَأَنْتَ (جَدِيدٌ) حَظِيظٌ وَ (مَجْدُودٌ) مَحْطُوظٌ. وَ (جَدٌّ) بوزنِ حَدٍّ وَ (جَدِّي) بوزنِ مَكِّي نسبة إلى مدينة (جُدَّة).

وفي الدعاء: «وَلَا يَنْفَعُ ذَا (الجَدِّ) مِنْكَ الجَدُّ» أَي لَا يَنْفَعُ ذَا العَنَى عِنْدَكَ غِنَاهُ وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ العَمَلُ بِطَاعَتِكَ، وَمِنْكَ مَعْنَاهُ عِنْدَكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجن/ ٣، أَي عَظَمَةُ رَبِّنَا وَقِيلَ غِنَاهُ وَجَلَالُهُ. وَالجَادَّةُ مُعْظَمُ الطَّرِيقِ وَالجَمْعُ (جَوَادٌ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ. وَ (الجَدُّ) بِالكَسْرِ ضِدُّ الهَزْلِ تَقُولُ مِنْهُ: (جَدٌّ) فِي الأَمْرِ يَجِدُّ وَيَجِدُّ وَ (أَجَدَّ) أَي عَظَمَ. وَ (الجَدُّ) أَيضاً الاجْتِهَادُ فِي الأَمْرِ (أَجَدَّ) فِي الأَمْرِ أَيضاً، يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا (لَجَادٌ مُجَدُّ) بِاللُّغَتَيْنِ، وَفُلَانٌ مُحْسِنٌ (جَدًّا) بِالكَسْرِ لَا غَيْرُ. وَقَوْلُهُمْ: فِي هَذَا خَظَرٌ (جَدُّ) عَظِيمٌ أَي عَظِيمٌ جَدًّا. وَ (الجُدَّةُ) بِالضَّمِّ الطَّرِيقَةُ وَالجَمْعُ (جُدَدٌ) قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ﴾ فاطر/ ٢٧، أَي طَرَائِقُ تُخَالِفُ لَوْنَ الجَبَلِ.

وَ (جَدٌّ) الشَّيْءُ يَجِدُّ (جُدَّةً) بِكَسْرِ الجِيمِ فِيهِمَا صَارَ (جَدِيداً) وَهُوَ نَقِيضُ الخَلْقِ. وَجَدَّ الشَّيْءَ قَطَعَهُ وَبَابُهُ رَدٌّ. وَثَوَّبَ جَدِيدٌ. وَهُوَ فِي مَعْنَى مَجْدُودٍ يَرَادُ بِهِ حِينَ جَدَّهُ الحَائِكُ أَي

قَطَعَهُ. وقد يتعدى المعنى إلى ضده؛ فيكون جَدَّدَ بمعنى أبلَى وأخْلَقَ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا

وَأَمْسَى حَبْلَهَا خَلَقًا جَدِيدًا

أَيَّ مَقْطُوعًا قَدِيمًا، وَ (تَجَدَّدَ) الشَّيْءُ صَارَ جَدِيدًا وَ (أَجَدَّهُ) وَ (جَدَّدَهُ) وَ (اسْتَجَدَّهُ) أَيَّ

صَيْرَهُ جَدِيدًا وَ (الْجَدِيدَانِ) اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَكَذَا (الْأَجْدَانِ).<sup>(١)</sup>

وقد ينحى بعضهم في تجديده إلى معنى الضدِّ إذا أخذَ نمطًا تقليديًّا في كل زمن ومكان، فيُصبح تجديده بالياً خَلَقًا مُهْلَهلاً كالثوب الذي عفا عليه الزمن. فلا يكون تجديده إلا ترقيعاً.

لقد مضت سنة الله في خلقه أن كل جديد يبلى ويخلَق ثم يَفْنَى، ليس في المحسوسات فحسب، وإنما يطرد هذا في المعنويات؛ كالإيمان والكلمة؛ جاء في الحديث القدسي: (إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءَ كُلِّهِمْ)، ولكن بتقادم الآماد ومرور الأزمان يطرأ البلى على هذا الإيمان ويتضاءل حتى يُصبح عند بعضهم رسوماً ومظاهر لا روح فيها، وقد يموت عند آخرين فقد جاء التعبير عن هذا المعنى في بقية الحديث القدسي: (وَإِنَّهُمْ أَتَّهَمُوا الشَّيَاطِينَ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ) الحديث.

لذلك تعهد الله سبحانه وتعالى البشرية ببعث الرُّسُل ليجددوا لهم على الدوام حياتهم ويُعيدوا لهم ما وهى من بناء دينهم ويردوهم إلى الجادة. فكان كل نبي يأتي بتجديد شريعة من قبله أو يأتي بشريعة جديدة حتى ختم الله الرسالات برسالة

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٥٤، ج دد.

فالتجديد سُنَّةٌ إلهيةٌ في الكون شملت حتى دينه عند الناس فيبعث الله تعالى لهم كل قرن من الزمان مَنْ يجدد لهم أمر دينهم، أي ما اندرسَ منه وما انحرفَ، لقول رسول الله (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا).<sup>(٢)</sup>

وإن خطاب القرآن منذ نزوله وإلى يوم القيامة لا يحتاج إلى تجديد، وإنما الذي يحتاج للتجديد هو نحن بأنفسنا ووعينا، وفهمنا، وسلوكنا، ورؤيتنا المتفتحة لمعطيات العصر، وتحقيق الانسجام بينها وبين مستوى القرآن السامي المحتوى، والذي يعد قديمه وجديده سواء. واختيار الخطاب المناسب لإعلانه، وفهم مدلولات هذا الخطاب القرآني في مختلف أنحائه حسبما تقتضيه ظروف الانفتاح على العصر، ودرء الشبهات، وتفنيدهم، وتصحيح المفاهيم، وصدّ سيل الحملات المغرضة، وتشويه الحقائق الإسلامية والإنسانية. وهذا يتطلب تجديد الخطاب السياسي العالمي والمحلي، وتبني استراتيجية جديدة في مقاومة التطرف على نحو يعم فيه قيم الخير والحرية والمساواة والعدل والإنصاف، وتنتهي فيه لغة التهديد والوعيد.<sup>(٣)</sup>

مصطلحان التعلم والتعليم عمليتان متبادلتان ومتفاعلتان، فالتعلم هو عملية تغيير وتعديل في السلوك يتصف بنوع من الاستمرارية النسبية، وأنه عملية تتضمن كل أنواع الخبرات للحصول على النتائج التعليمية المطلوبة، أما التعليم فتمثل مهارة

(١) عماد علي: تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع روح العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١  
٢٠٠٤م، ص ١٥-١٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) يُنظَرُ: وهبة الزحيلي: العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الكبيرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ٣٧٣.

تطبيق المعرفة والخبرات والمبادئ العلمية من أجل إنشاء وبناء بيئة مناسبة لتسهيل عملية التعلم، وبذلك فإن التعليم يتضمن التكنولوجيا التي تضمن تطبيق العلمية للوصول إلى أنواع عملية. أن عملية التعليم هي تلك النشاطات الهادفة إلى إحداث التبدل والتغير المطلوبين، وهي عملية التفاعل بين المدرس والتلاميذ في غرفة الصف لذا فالتعليم هو العملية، والتعلم هو ناتج العملية<sup>(١)</sup>.

«إن من الحيوي أن نفهم واقعنا فهماً موضوعياً مجرداً، وأن نتعامل معه بالعقل والفكر لا بالعاطفة والحماسة. فإذا ما استطعنا تشخيصه في مفردات محددة، ثم استطعنا استخلاص نواة التقدم من بين الركام الحضاري الضخم؛ وجب علينا أن نعلم أن مصير الشعوب ليس مشاريع أنجزت، وانتهت؛ وإنما هو مشروع لا يزال تحت الإنجاز مهما بلغت الأمة من التقدم أو الانحطاط. وحين يعتقد مجتمع أنه أخذ شكله النهائي فإن ذلك لا يدل إلا على قرب النهاية!. إن الابتلاء مستمر، وعلينا أن نجعل استجاباتنا بحجم التحديات. إن الوصول إلى القمة ليس هو الأهم، ولكن الأهم هو البقاء فيها. وإن الانحدار نحو القاع ليس هو الكارثة، لكن الكارثة هي الاعتقاد أنه لا سبيل إلى الخروج منه!» والعمل الجاد هو الشرط الأساسي؛ لتجاوز اليأس؛ إذ لا يأتي بالأمل سوى العمل، ولا شيء يغري بالنجاح كالنجاح نفسه.<sup>(٢)</sup>



(١) يُنظَر: هناء الفلّلي: علم النفس التربوي، ٢٠١٠م، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) يُنظَر: عبدالكريم بكّار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

«إنَّ تقدم العلوم في الغرب في وقتنا هذا حصل رغباً عن الدين أما في دين الإسلام فالعكس من ذلك، أنه - أي الدين الإسلامي - لا يستطيع أن يبقى على قيد الحياة إلا بانتشار العلوم، فإن بين الإسلام والعلوم رابطة كلية، والغربي إذا صار عالماً ترك دينه، أما المسلم لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً»<sup>(١)</sup>.

\* ومما نعانیه في مجتمعاتنا على الوجه الآتي<sup>(٢)</sup>:

١ - ضعف الفاعلية: فالمشكلات التي تحتاج مجتمعاتنا تستمر قروناً، حيث لا نفطن لها إلا بعد فوات الأوان؛ فنأتي دائماً بعد الأحداث لا قبلها. فنجد المعلم الذي لا يعلم بكفاءة في مجتمعاتنا وغيرها.

٢ - قلة الاكتراث بالوقت: فكيف يمكننا أن نلحق بركب الحضارة إذا كنا نسير بربع الطاقة التي يسير بها الآخرون! وكيف لا تتسع الهوة التي تفصل بيننا وبينهم؟ فنجد أنفسنا حيال مواقف كثيرة يُقتل فيها الوقت قتلاً نتيجة فقد آلة صغيرة، أو نتيجة وجود موظف مهمل لم يجد من يقول له: لم؟ أو ينظر إليه نظرة عتاب.

٣ - ضعف المبادرة الفردية: كالقيام بأعمال تطوعية خيرية ذات نفع عام. فلا يعمل الفرد إلا في الحقل الذي رُسم له، وينصرف عن المبادرة.

(١) عماد علي: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) يُنظَرُ: عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٦-٥٢.

٤- النمطية: من حيث البعد عن التنوع والتفصيل. سواء كان في العمل أو التخصص أو العادات دون مراعاة التغير الزماني.

٥- الانفرادية: أنَّ العمل بروح الفريق المنسجم النشط الفعَّال سمة بارزة من سمات التحضر.

٦- الشكليَّة: هناك نوع من المقابلة بين الشكل والمضمون، ولعل طريقة التعليم القائمة لدينا على التلقين، لا التفكير والحوار والمناقشة هي التي تجعل المرء يندفع إلى قول أي شيء بقطع النظر عن محتواه.

٧- مقاومة التغيير: إنَّ حياة المسلمين اليوم مثقلة بالبدع وبالكثير من الأشكال والعادات البالية التي تصادم عقيدتنا، أو التي لا تصادمها لكنها عالية التكلفة قليلة الفائدة، ومع ذلك فإنَّ الناس جعلوها جزءاً من ثقافتهم وحياتهم.

٨- الفقر، وفقد الثقة بالنفس، والشخصية الأزدواجية، والآنية، والشعور بالدونية، وطغيان الانفعال، والإسقاط (تحويل ما يزعج إلى الخارج على شكل نبذ): ففي التعليم يلقي أساتذة كل مرحلة مسؤولية ضعف الطلاب على الأساتذة في المرحلة التي قبلها، والمدرسة تلقي المسؤولية على الأسرة، وهكذا. حتى وصل الأمر إلى أن أصبح لسان الحال ينطق بالمقولة الدائنة: مشكلاتنا صنعها الجيل السابق وسوف يحلها الجيل اللاحق، أما نحن فأبرياء من كل تبعة! فأنمر ضعف الشعور بالحاجة إلى النقد الذاتي، فلا محاسبة ولا مراجعة، ولا تفكير في الإصلاح والتغيير.<sup>(١)</sup>

:

يُعدُّ الاكتفاء بالمعرفة التخصصية في هذا العلم أو ذلك والذهاب أبعد باتجاه (التخصص

(١) يُنظَر: عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦١-٦٧.

الدقيق) الذي يعني الإمام بهذه الحلقة أو المفردة أو تلك من مفردات هذا العلم أو ذاك، وهي مسألة ضرورية من أجل إقامة الفرص العميقة للكشف والإضافة والإبداع، وكل هذا لا يسوّغ الاعتقال في خانة التخصص الدقيق، الذي لا يملك أصحابه فضاءً علمياً واسعاً، ولا خزيناً ثقافياً خصباً، يمنحهم المزيد من الإبداع في مجال تخصصهم الدقيق والحضور المؤكد في ساحات الثقافة، والقدرة على إرفادها بالمزيد.<sup>(١)</sup>

ومع الأسف الشديد، فقد اتجهت المؤسسات التعليمية في العقود الأخيرة إلى تركيز انتباهها إلى الوظيفة المعرفية للتعليم، وأخذ إهتمامها بالجانب القيمي يضعف، مما يحتم العودة إلى الجانب الذي عده بعض المفكرين حقيقة «فريضة غائبة».<sup>(٢)</sup>

:

يُعدُّ التكامل المعرفي ضرورةً من ضرورات التأصيل الإسلامي للمعرفة، أو أسلمتها بعبارة أخرى، إعادة بناء المعرفة الإنسانية في ضوء تصورات المعرفة الإسلامية وقيمتها ومبادئها، وتحريرها من هيمنة المؤثرات العلمانية، وأحياناً المادية، التي انحرفت بمعطياتها ونتائجها فيها يتعارض وأسس التصور الإسلامي والكون والحياة والإنسان والوجود والمصير.

فيأتي القرآن أحياناً محققاً مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تغلب على المسلمين المادية والحظوظ الجسدية والشكليات والطقوس، أو الروحانيات المحضنة وتعذيب

(١) عماد الدين خليل: ازدواجية التعليم الجامعي مرثيات للخروج من الأزمة، ١٤٣٣-٢٠١٢م، ص ٧١٨.

(٢) يُنظَرُ: عبد الحميد عبدالمجيد: التجديد والإصلاح التربوي في نظام التعليم السعودي، الموضوع الثامن والعشرون، ٢٠١٥م، ص ٢٢. <http://qu.edu.sa/page/ar> /٥٢٦١

الجسد وإذلال النفس. (١)

إنَّ عِلْمِي النفس والاجتماع، وعلوم الإدارة والسياسة والاقتصاد، والتاريخ والحضارة، والآداب والفنون، في أمسِّ الحاجة إلى التعامل معها، بدءاً وصيرورةً، ونتائجٍ ومعطيات، وفق أسس وضوابط المعرفة الإسلامية التي لا تبخل بتقديم تأسيساتها وثوابتها ومعاييرها لأداء هذه المهمة، من أجل الوصول - بالطرائق العلمية الصارمة - إلى نتائج أكثر دقة وإحكاماً. (٢)

إن الدعوة إلى الأخذ من ثقافة الآخرين، مهما بدت مبررة ومقنعة، فإنها تظل محملة بخطر كبيرين:

أولهما، أن تتحول الاستجابة لها إلى استجابة مطلقة، تأخذ مع «الأدوات الحضارية»، «قيماً حضارية»، ومع الأساليب التقنية أساليب حياة ومعيشة، ونظماً للعلاقات الإنسانية، أي تحمل مع «أدوات النهضة» أدوات «للانتكاس» في ميادين أخرى، وتنتقل إلى البيئة المحلية مع أسباب التقدم، أمراض التقدم وأعراض الأزمة المصاحبة له. أما الخطر الآخر، فهو خطر الاستجابة الناقصة، نتيجة المقاومة الداخلية والباطنية الناشئة من الإحساس بالخطر، والشعور بالغرابة إزاء «أدوات التقدم» المستعارة. إن الشعوب في مراحل ضعفها، وإحساسها بأخطار الغزو الثقافي والسياسي تميل - بتلقائية فطرية - إلى الانغلاق على نفسها، وإغلاق النوافذ في وجه التيارات الوافدة، وتثبيت أقدامها في أرضها المحلية خوفاً من أن تقتلعها العواصف القادمة. (٣)

(١) يُنظَر: وهبة الزحيلي: مرجع سابق، ص ٣٦٩.

(٢) عماد الدين خليل: مرجع سابق، ص ٧٢٠.

(٣) يُنظَر: عبد الحميد عبد المجيد: مرجع سابق، ص ٥.

سواء أكان هناك قصدية مسبقة أم هو الجهل بالمطالب والضروريات التعليمية والتربوية، فإننا منذ قرابة قرنين من الزمن أنشأنا نمطين من المؤسسات التعليمية، وأقمنا بينهما جداراً صلباً يصعب تخطيه.. المؤسسات المعنية بالعلوم والمعارف الإنسانية، وتلك المعنية بالعلوم أو المعارف الإسلامية؛ إذ لم يتح لخريجي العلوم الإنسانية أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإسلامية التي تمكنهم من التأصيل الضروري لما يتلقونه من العلوم الإنسانية، قدمت إليهم جاهزةً من الغرب بكل ما تنطوي عليه من تضادّ -في بعض حلقاتها- مع أسس التصور الإسلامي ومقوماته. ما انه لم يُتَحْ لخرجي العلوم الإسلامية أن يتلقوا شيئاً ذا بال من العلوم الإنسانية، التي تمكنهم من أن يكونوا في قلب العصر، ملمّين بالحد الضروري من معارفه، قادرين على المشاركة في إعادة صياغته برؤية معاصرة، تملك في الوقت نفسه معاييرها التصورية التي تحفظ لها شخصيتها وتحمي خصوصيتها.<sup>(١)</sup>

«فقد أدى انشطار التعليم إلى تعليم ديني، وآخر مدني إلى انفصال عميق في عقل المسلم تجاه المشكلات الخطيرة، التي تعيشها المجتمعات الإسلامية على ضوء التقدم الحضاري الهائل في المعرفة، وتنوع مصادرها، ووسائل الاتصال، وحرية الوصول إليها والتقنيات»<sup>(٢)</sup>

:

(١) عماد الدين خليل: مرجع سابق، ص ٧٣٠.

(٢) ناصر الخوالده: ثنائية التعليم الجامعي وآثاره في البلاد الإسلامية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ٧٦٥.

ترجع أزمة التعليم الجامعي في ديارنا الإسلامية إلى بدايات القرن الماضي، ونشوء أول المعاهد والجامعات فيها، التي اختار معظمها أن يتشكل أو يبحر في اتجاهين متضادين، يتمحّص أولهما للعلوم أو المعارف الإنسانية ويمضي ثانيهما للتعامل مع العلوم أو المعارف الإسلامية، من غير أن يعقد بين الطرفين جسراً يعين كلاً منهما على التفاعل، والأخذ والعطاء وتبادل الخبرات بين المعرفتين. وكان الوضع في جانب المعرفة الإنسانية يتمثل قبولها على عواهنها. كما تشكلت في ديار الغرب بمنطلقاتها، وفلسفتها، وأهدافها، ومعطياتها، وتأسيساتها، ونتائجها، تقبلاً كاملاً لعلم الاجتماع الغربي، ولعلم النفس الغربي، ولعلوم الإدارة والاقتصاد الغربية، وللقانون والسياسة الغربيين، وللآداب والفنون الغربية، وللتاريخ وفلسفته والدراسات الحضارية، وفق أنموذجها الغربي! وتنزيل المعرفة الجاهزة وباستسلام تام لمعطياتها، ليس فقط في معاهدنا وجامعاتنا، بل في مدارسنا الابتدائية والمتوسطة والإعدادية. (١)

يقول العلامة الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله - : «إن الأولاد في مدارسنا يتعلمون السيرة على أن الغرض من بعثة الرسول ﷺ هو هدم الأصنام ونشر التوحيد. ثم ماذا بعد ذلك؟ لا شيء!! أما المبادئ التي اشترعها الإسلام للمجتمع والدولة، وصاغ في نطاقها الأمة العربية الأولى، ثم الأمة الإسلامية فقلما نذكر، لماذا؟ وتدرس دولة الخلافة، فتذكر الفتوح الأولى وكأنها هجمات أمة فتية على دول شاخت فانهمزت وهذا باطل. فإن العرب - من غير الإسلام - ما كانوا أكفاء ليقفوا في حرب أمام الفرس أو الروم فضلاً عن مقاتلة الدولتين معاً في جبهات متصلة في وقت واحد. وهكذا تمضي دراسة التاريخ - تاريخ أمتنا - وكأنها كتبه خصومها» (٢) إذاً لا بد من أن يحسن الطلاب استخلاص

(١) عماد الدين خليل: نفسه، ص ٧١٥.

(٢) عماد علي: مرجع سابق، ص ٧٧.

الدروس والعبر، وربطها بواقعهم المعاصر.

إنَّ إحدى مشكلات المناهج الجامعية بصدد علوم الشريعة، أنها تعطي طلابها الفقه الشرعي وتمضي معهم في الفقه الدعوي إلى منتصف الطريق، ولكنها لا تكاد تعطيهم شيئاً عن الفقه الحضاري. فهذه هي الحلقة الضعيفة في «عقل» خريجي المعاهد الشرعية، وهي تساعد بدورها على حفر الخنادق وتعميق الهوة بين الشريعة والحياة، وتعين على تأكيد تلك الثنائية المقيتة التي عزلت - ولا تزال - حشود الخريجين عن الدخول في نسيج الحياة، وإعادة صياغتها، فضلاً عن تسبّب مراكز القيادة فيها، والشهادة عليها. إنَّ الفقه الحضاري يستدعي دراسة علمية منهجية لتاريخنا الحضاري، من أجل استمداد مؤشرات العمل في الحاضر والمستقبل، وهي مسألة حيوية ترتبط أشد الارتباط بالاشتغال التربوي؛ لأنَّ حلقة كهذه معنية باستخلاص البدائل التي يمكن أن تتقدم بها إلى ذوات أنفسنا كأمة، وإلى العالم على امتداده في سياق مشروع حضاري يشارك في صياغة المستقبل. فضلاً عن أنَّ فقهاً كهذا يمنحنا صورة عن صدق تحوّل الشريعة بمقاصدها وتأسيساتها التصورية والاعتقادية، إلى واقع تاريخي متحقق في الزمن والمكان؛ أي في التاريخ، كما أنه سيعرّفنا عوامل الانهيار الحضاري التي ساقتنا إلى المواقع المتخلفة في خرائط العالم.<sup>(١)</sup>

أهم الأسباب التي لم تسمح للمبدعين والعباقرة والناهين بإنجاز شيء ذي بال على أرضنا الإسلامية على النحو الآتي<sup>(٢)</sup>:

١ - عدم وجود أنظمة جيدة لاكتشاف الناهين ورعايتهم؛ فالفصول الدراسية تعج بالطلاب من مختلفي الاستعدادات والمهارات، وتوحد المستوى المعلوماتي الذي يقدم إليهم.

(١) عماد الدين خليل: مرجع سابق، ص ٧٣٩، ٧٤٠.

(٢) يُنظَر: عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١٧-١٢١.

- ٢- الظروف الأسرية ذات أثر بالغ في اكتشاف الناهين والمبدعين ورعايتهم.
- ٣- بتراكم التخلف الحضاري لدى الأمة على مدار الحقب الماضية صار المسلم بطيء الحركة فاطر الهمة، نتيجة الإحباطات والانكسارات وغيرها.
- ٤- طريقة التعليم: إنّ التعليم (الصفوي) المنهجي قد ساعد على قتل الإبداع بدل أن ينميه حيث يلزم الطالب بدراسة مواد لا يميل إليها، وليست عنده الاستعدادات للنبوغ فيها. وفي تجربتنا الإسلامية التاريخية نجد أن التعليم غير الرسمي المنظم هو الذي أخرج العلماء والمبدعين والعباقرة، حيث كان طالب العلم يختار التخصص الذي يدرسه والمدرس الذي يدرس عليه، وغيرها. وصحيح أنّ الدول الصناعية تلتزم طريقة التعليم الرسمي، لكنها قامت بإيجاد نظام للمتفوقين وامتحانات الذكاء ونوادي الهوايات العلمية؛ مما يوفر للطالب الرعاية الكافية لاكتشاف موهبته وتنميتها. إنّ تغيير طريقة التلقين إلى المشاركة والتفاعل وطرح المشكلات والتفكير في حلولها وجعل التعليم أكثر عملية - لا ينبغي أن ينسينا ما لثقافتنا الإسلامية من خصوصية، فهناك من التخصصات ما لا يمكن تطبيق هذه الطريقة عليه؛ كعلم القراءات - مثلاً - حيث إنّ إتقان الرواية في هذا العلم لا بد أن يُسبق بحفظ القرآن الكريم.
- ٥- القدوة والأنموذج: إنّ النشأة أو التربية في أزمنة الحيوية العقلية قد تفضي بذاتها إلى التطور الإبداعي. إذا كان واقع الأمة فقيراً بالعلماء والمخترعين فإن علينا أن نبحث عن الوسائل التي يمكن أن نعالج بها هذا الوضع من إيجاد الأطر المساعدة على اكتشاف الإبداع وتعليم الناس إدارة الوقت وحسن استغلاله وتكثيف المطالعة في سير العظماء عامة وسير العظماء المسلمين خاصة؛ فإنّ التأثير وحصول الاقتداء لا يستلزمان الاتصال المباشر دائماً، ولنا في سير السلف الصالح معين لا ينضب من الدفع والحفز نحو العطاء المتدفق.

:

١- الرفق في التجديد: والرفق ما دخل في شيء إلا زانه، فالتجديد المتدرج لا يدفع الناس إلى النفور منه، فمن شأن التربية والتعليم المطلوب، البحث الدائم عن طرق مشروعة بلا عنف لدفع التعارض بين مصالح الفرد ومصالح الآخرين، ودفع التعارض الظاهري بين نصوص التشريع ومتطلبات الحياة المعاصرة وفتوحات العقل الجديدة. وعندما التقى نبي الله موسى الْعَلَيْهِ السَّلَامُ العبد الصالح الخضر في دورته التدريسية الشاقة، وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ سورة الكهف/ الآية ٦٥ فقدم الله تعالى (الرحمة) على (العلم) مرتين؛ مرة بتقديم جملة (الرحمة) على جملة العلم، وبتقديمها على الظرف (من عندنا) مرة ثانية، بخلاف (العلم) الذي أخره عن ظرفه (من لَدُنَّا)، فقال تعالى (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا - آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا - وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا).

٢- تضافر الجهود: لا يكفي أن تنهض المؤسسة التعليمية لوحدها بالعبء الثقيل الذي ينهض بالأمة في توعية الأجيال، إذ لا بد من تعاون جهود المؤسسات الإعلامية والسياسية والثقافية الأخرى، من حيث الدعم المالي من الدولة والدعم الإعلامي من المؤسسات الإعلامية، ومساندة التنظيمات الاجتماعية وفي مقدمتها البيت.

٣- التكيف المتوازن: لا بدافع الغريزة ولا المصلحة الفردية والحزبية والطائفية، التكيف الذي يحتاج إلى البصيرة والوعي لإحداثه كي يُبقي على الذات الثقافية حية متماسكة، ويفتح أمامها في ذات الوقت سبل استيعاب المتغيرات الجديدة، لا تكيف

الاستسلام والهزيمة على حساب الموروث الثقافي، ولا تكيف محاباة قوى الشر بتأويل النصوص تأويلاً يخدم هذه القوى، فنكون من ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ سورة الكهف/ من الآية ١٠٤.

٤- وأنَّ باب التجديد في الفكر الإسلامي ليس هو بمعنى تغيير مقرراته أو تأويلها بتكلف وتعسف. بل بواسطة حسن فهمها على حقيقتها. كما أن التقدم العلمي سيكون هو نفسه منطلقاً من هذا الفهم الصحيح للإسلام عقيدة وشريعة وفكرة شاملة عن الكون والإنسان والحياة. وأول ما ينقص المسلمين فهم أن سنن الكون ثابتة، وأنها لا تحابي أحداً، مسلماً أو غير مسلم. ومحو أمية المسلمين الدينية. وتقرير وجوب الأخذ بأسباب البحث. وحسن فهم الآيات ذات الطابع العلمي. وإبعاد الإسرائيليات عن تفسير الآيات الكونية. وإبعاد التقويم المادي للعلم. والحرص على أداء الواجبات وعدم تضييع أنفس شيء وهو الوقت. والتنبه للحرب النفسية وأساليب التخذيل.<sup>(١)</sup>

٥- استثمار الكفاءات والسعي لصنعها، فإنَّ التجديد في صناعة القيادات أكبر أثراً من التجديد في كفايات الأفراد محدودي التأثير، وفي كل خير.

٦- إحياء القيم الربانية وتعزيزها، عبر بنائها لدى المعلم وتأكيدها في محتوى المناهج الدراسية. وترميم شخصية المعلم المربي وإعادته إلى الجادة.

٧- وإذا كانت الحرية بمثل هذه الضرورة بالنسبة للمجتمع عامة، فإنها أكثر ضرورة بالنسبة لمجتمع العلماء، فالعلم الذي يتم بحثه والتفكير في مسائله في ظل إرهاب السلطة وتدخل الدولة، ثمراته فقيرة، بطيء النمو، فالحرية بالنسبة للباحثين والمعلمين والمتعلمين تكاد أن تكون شرط حياة.

(١) يُنظَر: نور الدين عتر: فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة، ط١، دار الرؤية، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٤، ٣٥٦.

واستخلاصاً فإنَّ النشئ الذي لا نعدّه الإعداد المناسب، ليعيش بكفاءة في عصر معقد يكون حظه - غالباً - العيش على هامش المجتمع منفعلاً غير فاعل، وآخذاً غير معطي؛ بل ربما جعلنا منه مخلوقاً قابلاً لأن يستغله الآخرون أسوأ استغلال!. وسنسلط الضوء على بعض المفاهيم والأشكال والصيغ التي نحتاجها في بنائنا التربوي ما دمنا نسعى إلى وضع حضاري جديد وفريد. ويمكن أن نذكر ما نريده من ذلك: كالفردية والامثالية: فإننا بحاجة إلى إنسان يضيف تنوعاً إلى مجتمعه دون تنافر، ويتمتع بشخصية مستقلة؛ لكن منضبطة بالمبادئ والقيم المشتركة. وتلبية الحاجات شرط لنجاح التربية، ونمو الشخصية بشكل متكامل وصحيح: كالشعور بالكرامة والتقدير، والتوجيه، والانتماء والاحساس بالهوية، والشعور بالأمن، وتوفير الألعاب والمواقف التي تمثل نوعاً من التحدي لقدراته العقلية والجسمية؛ كيما ندفع به نحو النضج والنمو بصورة جيدة. وغيرها من الحاجات الضرورية المادية المتنوعة. والنمطية في التربية: مما يلزمنا باستمرار أن نبدع من الطرق والوسائل التربوية ما يساعدنا على إيصال ما نريده إلى أطفالنا بشكل يناسب روح العصر ومنطقه ولغته، على نحو يحقق عبوديته لله - تعالى - ويسعفه في الحصول على مستوى من العيش الكريم. وكذا التربية الذاتية: فالشخص الذي لا يملك تغيير عاداته في التفكير والتعامل وقبول النقد والتكيف مع الجديد والأوبة كلما حاد عن الجادة، هو شخص دخل في مرحلة (التخشب) التي تجعل منه شخصاً يعيش حياة نباتية؛ فهو يأكل وينام ويتنفس ويتكاثر ثم يموت ليس أكثر!<sup>(١)</sup>

نرى أن جيلنا المتعلم الناشئ هو بأمس الحاجة إلى دراسة الفكر الإسلامي، وما تناوله الفكر المسلم من العلوم والفنون، وما قدم فيها من خدمات، ونهضة، وذلك للأسباب

(١) يُنظَر: عبدالكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، مرجع سابق، ص ١٣٧-١٤٤.

الآتية: أنه يتوصل به إلى تكوين فكرة جامعة وسريعة عن الإسلام، يصعب التوصل إليها بواسطة التعليم التقليدي إلا بعد دراسات طويلة. وأنه يطالع على سعة الفكر المسلم، وأنه لم يتقيد بحدود ضيقة من البحوث الدينية، بل إنه انطلق على علوم الدنيا كافة. وصلة علوم الكون والطبيعة والإنسان... بالإسلام، بل بمصدره الأساسيين: القرآن، والحديث، وأنها صلة علمية موضوعية، قامت على دعم الإسلام للتقدم العلمي. وهو واضح أسس النهضة العلمية والحضارية، ومن ثمَّ فإن تقدم العلم والحضارة يأتي بمزيد من القوة لحجج القرآن العقلية، ولإعجازه العلمي الذي لا ينضب مَعِينُهُ، بينما جاء تقدم العلم والحضارة قاضياً على فكر الأديان الأخرى بالبطلان. وتوسيع آفاق الدارس، بتحصيل جملة وافرة وواسعة من العلوم الكثيرة المتنوعة، بدراسة واحدة ميسرة، وغير مطولة، والتمهيد لدراسة أقوى وأعلى لعلوم الإسلام. وتمكين ثقة المسلم بدينه. وإثارة روح التقدم العلمي والحضاري، وحوافز السبق في هذا التقدم عند المسلم. وختاماً إزاحة الستار الذي يحرض الفكر الأجنبي بكل إتجاهاته أن يبقى مسدلاً يُخفي مراحل من التاريخ ساد فيها المسلمون بفضل الإسلام على مراكز التوجيه في الفكر والتاريخ والثقافة والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، وغيرها.<sup>(١)</sup>



(١) يُنظَر: نور الدين عتر: مرجع سابق، ص ١١، ١٢.

إنَّ الارتقاء بالتعليم في عصر التحديات الذي نعيشها، لا يتحقق بالأمانى ولا بالكلمات ولا بالبحوث ولا الخطب التي سرعان ما تُنسى وتبقى أمانى وكلماتٍ وحبراً على ورق، لأن ليس وراءها معقب ومتابع يُنزلها إلى أرض الواقع، ولتحقيق هذا الارتقاء لا بد من:

:

إذ المعلم محور العملية التعليمية وعمودها والإرتقاء به إرتقاءً بها فهو صانع الأجيال، ومنفذ المناهج، والمؤتمن على القيم التي فيها، ومن بين يديه يخرج العظماء والقادة والعلماء والمشاهير، والارتقاء بالمعلم لا بد وأن يمر بمراحل ثلاث:

١ - مرحلة الاختيار أو الانتقاء: فليس كل متقدم لصناعة التعليم أهلٌ لها، فهي تحتاج إلى كفايات جمة، ومهارات عدّة، وصبر جميل. فاختيار المعلم ينبغي أن يُنظر إلى قدراته بعد تفوقه في دروس التخصص، ولعل مواصفات معينة ذكرها العلماء ينبغي توافرها فيمن يرغب بالعمل في مجال التعليم، منها:

- سلامة التفكير وصحة الاعتقاد.

- دماثة الخلق وحسن السلوك.

- سلامة النطق وثقافة العقل.

## - حب التعليم والعمل التربوي.

٢- مرحلة الإعداد والتدريب: وهي المرحلة الأهم إذ هي بمثابة واسطة العقد، ففيها يُعدُّ المعلم إعداداً مهنيًا وعلمياً وروحياً، لتكتمل ثلاثية التربية بمجالاتها الثلاثة: (المعرفي والوجداني والمهاري أو النفسحركي)، في هذه المرحلة يُزوّد المعلم بالمعرفة التخصصية، وما يرافقها من مواد علمية تسندها، ويُزوّد بمهارات التخطيط والتدريس والتقييم التربوي. والتدريب غير التعليم فالتدريب يعتمد الجانب المهاري (النفسحركي) والتعليم يعتمد الجانب المعرفي (العلمي)، ذلك بأن المعلم يحتاج إلى مهارات التعامل ومهارات طرائق التدريس وأساليب التعليم المناسبة.

٣- مرحلة التطوير الوظيفي: إذ إنّه كائن حي يعيش في مجتمع متحرك متطور وعالم متغير ومتقلب أحياناً، فعليه أن لا يبقى علمه محصوراً بين دفتي الكتاب المقرر، وما حصله من معارف، فلا بد من مواجهة التحديات والمستحدثات بعقل مرن مثقف، وقدرات لمواجهة المواقف التعليمية المختلفة.

وتميزت العقود الماضية من تاريخ التعليم بمحاولات جادة لجعل التعليم مهنة لها قواعدها وأسسها كغيرها من المهن، ولإدراك الدور المهم لهذه المهنة يتطلب من المدرسين الاستمرار في تنمية مهاراتهم المهنية التي عن طريقها يقومون بتوجيه نمو وتطور الطلبة، ولمواجهة التحديات التي يواجهونها بسبب النمو والانتشار السريع للمعرفة والأفكار المستحدثة في محتوى وطرق مجالات تخصصهم<sup>(١)</sup>.

«ولذلك نجد أن الفلسفة الإسلامية توجه التربية نحو واجبها المتصل بتربية الإنسان بجميع أبعاده الشخصية الروحية والعقلية والجسمية»، والاسلام لا يفرق بين علوم

(١) يُنظر: هادي مشعان ربيع: علم النفس التربوي، ٢٠٠٨م، ص ١١.

طبيعية وشرعية كمعرفة وطريقة بحث وتفكير فينظر إليها كوحدة متكاملة هدفها معرفة الله والانقياد إلى أمره وسعادة وخير الإنسانية<sup>(١)</sup>.

«يجب أن توجه السياسة التربوية مستويات التعليم في الدولة، فالدول التي أهملت التعليم في الماضي عليها أن تنطلق من القاعدة التي أرستها، ولكن عليها أن تدرك أنها لن تشهد تطورات ملحوظة إلى أن يتم تحقيق الحد الأدنى الضروري. أما بالنسبة إلى الدول الأكثر تقدماً، فإنها سوف تشهد - إن آجلاً أو عاجلاً - عوائد هامشية متناقصة ما لم يشكل التعليم فيها حافزاً يتوج بالإبداع»<sup>(٢)</sup>.

إننا بحاجة إلى تعليم يتيح للصغار والكبار على حد سواء مهارات ومعرفة أكاديمية متينة، وتجربة ومهارات مرتبطة بالعمل. غير أن المعرفة والمهارات التقنية غير كافية بحد ذاتها؛ إذ يتعين على التربويين أن يدركوا أن الإنجازات الأكاديمية لا يمكن فصلها عن التطورات الاجتماعية والعاطفية والأخلاقية والبدنية. فالصغار والكبار يحتاجون إلى تنشئة ودعم على الصعيدين الشخصي والعاطفي، علاوة على المعرفة والانضباط. كما يمكن أن تمارس المؤسسات التربوية على المستويات كافة تأثيراً إيجابياً في التطور الأخلاقي والمعنوي وفي تعزيز القيم الروحية وتعزيز الاهتمامات الرياضية غيرها. كما لا بد أن يكون تطوير البرامج التدريبية للمعلمين أثناء الخدمة وقبلها جزءاً مهماً من استراتيجية الإصلاحات التربوية لأي دولة في العالم. وإن قضية الأهمية المستمرة والمتزايدة للمعلمين تنطبق على المستويات التعليمية المختلفة، غير أن المجتمعات عامة لا توفر مكانة متكافئة أو تعويضاً متكافئاً في المستويات المختلفة، فنجد المعلمين في المرحلة الابتدائية والثانوية

(١) يُنظر: عبدالسلام جامل: أساسيات المناهج التعليمية وأساليب تطويرها، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، ط ١، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص ٨.

يكونون في درجة دنيا مقارنة بالتعليم العالي، بل وبدخل الموظفين المدنيين الآخرين في المجتمع، ويعيشون في أدنى طبقة اجتماعية تقريباً ورواتبهم هي الأقل<sup>(١)</sup>. لذا يجب أن يحظى التعليم عموماً والسنوات المبكرة خصوصاً باهتمام خاص وتكون له الأولوية. «إنَّ النظام التعليمي بحاجة إلى تغيير إتجاهاته ليأخذ مساراً مختلفاً خلال وقت قصير وهو بحاجة إلى الابتعاد عن التوجهات التقليدية، لكي يتحول إلى نظام أكثر مرونة وتجاوباً؛ نظام يشجع التفكير النقدي والتحليلي لدى الطالب، وينمي فيه حس المواطنة والمشاركة المسؤولة والابتكار والإبداع، ويخرج قوة عاملة متعددة المهارات ومؤهلة تأهيلاً جيداً يمكنها من التعامل بكفاءة وفاعلية مع تحديات العصر الحديث». <sup>(٢)</sup> ومن الضروري أن تركز مناهج النظام التعليمي الجديد على تنمية القدرات والمهارات الأساسية وتشجيع روح المبادرة والحوار وتعزيز منهج التفكير، ويجب وضع المناهج التي تدعم التوجه نحو الإبداع والتجديد والتوسع في ميادين التعلم المستمر لتحقيق الأهداف المنشودة، ومنها تلبية احتياجات سوق العمل في عصر التقنيات الحديثة.<sup>(٣)</sup>

.(٥)

## التطوير الوظيفي للمعلمين (Professional Development of inservice Teachers)

هو عملية منظمة مدروسة موجهة لبناء مهارات مهنية: تربوية وإدارية

(١) دون ديفيز: أصوات الأمل: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص ١٧، ٢٠.

(٢) عبدالله مغربي: التنمية البشرية في دولة الإمارات العربية المتحدة مؤشرات وتحديات، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

(٣) جمال السويدي: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مرجع سابق، ص ٤٠٠.

(٤) محمد زياد حمدان: تطوير المعلمين وظيفياً أثناء الخدمة، مفهومه واقتراح لتخطيط وتنفيذ برامج، ١٩٩٣م، موقع دار التربية الحديث.

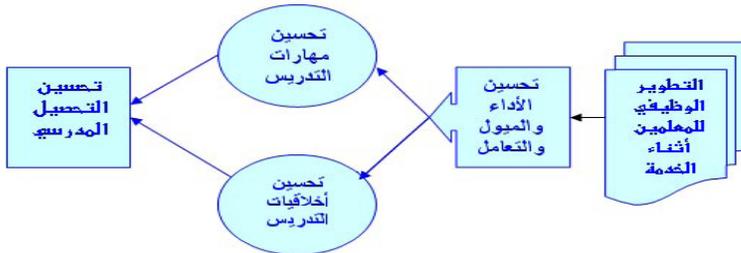
## تجديد التعليم ضرورة حياتية

وشخصية جديدة، ضرورة لقيامهم الفعال بالمسؤوليات المدرسية اليومية، أو ترميم ما يتوفر لديهم منها بتجديدها أو إغنائها، أو سد العجز الملاحظ فيها... لتحقيق غرض أسمى هو تحسين تدريس المعلمين ثم التحصيل النوعي والكمي للمتعلمين.

فمهارات تطوير المجموعات التعليمية، وتشغيل وبرمجة الكمبيوتر الشخصي وبعض الأجهزة الإلكترونية الأخرى الموازية، والإبحار والبحث على الانترنت، والتعليم الإلكتروني بالانترنت، وطرائق التدريس المبرمج، والوصفات الفردية، والبحث العلمي، والمجموعات المتعاونة، والتدريس العيادي، والمفتوح، والتدريس لتعلم البراعة، هي أمثلة للمهارات الجديدة التي يحسن بمعلمينا المبادرة بتطويرها لديهم من العدم.

أما الأسئلة والمناقشات الصفية، وتحضير الدروس اليومية، وصياغة الأهداف التربوية والسلوكية واستخدامها، وإدارة الصف، وتوجيه سلوك التلاميذ، وغيرها مما هو متداول في التربية المدرسية... فهي أمثلة لما يتوفر نسبياً لدى المعلمين ويحتاجون غالباً إلى تحديثها وتركيزها أكثر لديهم. وفي كلتا الحالتين: البناء الوظيفي لمهارات المعلمين من العدم أو ترميمها عندهم، فإن الغاية القصوى من جراء ذلك هي تحسين أدائهم والحصول على المزيد من التعلم لمصلحة نمو التلاميذ وتقديم المجتمع للأفضل.

وكيف يؤدي التطوير الوظيفي للمعلمين إلى تنمية تعلم التلاميذ؟ أي كيف يؤدي التطوير الوظيفي الذي نعالجه في هذه الدراسة، الدور المتوقع منه في تحسين تحصيل المتعلمين؟ إن الرسم الآتي يوضح بإيجاز هذا الدور:



شكل (2) دور التطوير الوظيفي للمعلمين أثناء الخدمة في تنمية تحصيل المتعلمين

## شكل (١) دور التطوير الوظيفي للمعلمين

### اثناء الخدمة في تنمية تحصيل المتعلمين

ومن أهم سبل تطوير أداء المعلم:

أ- القراءات الحرة: إذ إنَّ القراءات الحرة هي الوسيلة التي تمكن المعلم من متابعة التدفق المعرفي ومواكبة الثورة المعلوماتية الهائلة.

ب- التدريب أثناء الخدمة: يرتبط مفهوم التدريب أثناء الخدمة بمفهوم التربية المستمرة أو التعليم المستمر مدى الحياة.

ج- الحلقات البحثية واجتماعية هيئة التدريس: تفيد الحلقات البحثية المعلمين في تبادل المعلومات ووجهات النظر وتثري الجوانب المعرفية لدى المعلمين بشكل مستمر وعلى نحو ايجابي ويمكن لمعلمي أي مادة تخصيص ميعاد دوري لعقد تلك الحلقات البحثية لتدارك ما قد يواجهونه من مشكلات.

د- الدراسات التكميلية التجديدية: تسعى الدراسات التكميلية والتجديدية إلى استكمال دراسات المعلم أو الحصول على المزيد منها بعد تخرجه من مؤسسات إعداده.

هـ- المؤتمرات والندوات: الاشتراك في المؤتمرات والندوات يساعد المعلم على النمو المستمر مما تعرض له من موضوعات تتناول قضايا تعليمية مختلفة.

ز- التعليم بالمراسلة: الذي يعتمد المكاتبات البريدية ويتضمن عناصر من أهمها المواد التعليمية والخبرات التربوية التي يراد إكسابها إلى الأفراد الذين يستفيدون من هذا الأسلوب ويتم إعداد تلك المواد إعداداً خاصاً.

ح- وسائل الاتصال الجماهيرية: تقوم وسائل الاتصال الجماهيرية بدور مهم في النمو المهني للمعلم حيث تسهم في نشر المعارف والأفكار بين أفراد المجتمع وكذلك توضيح

كثير من الأمور كما أنها تبصر قطاعات عريضة من جماهير المجتمع في مختلف أعمارهم ومنها بأهداف مجتمعهم ويدخل المعلمون بين هؤلاء بالطبع هذا بالإضافة إلى ما تقدمه وسائل الاتصال.

خ- البحث التربوي: ومن جملة ما يعمل على تطوير المعلم، إتقانه مهارة (البحث التربوي)، لتنميته مهنيًا ومعرفيًا، فقد كشفت دراسة ميدانية في (مصر)<sup>(١)</sup> عن أن معظم المعلمين لديهم قناعة تامة بأهمية البحث التربوي في التنمية المهنية ويدفعهم إلى التجديد، إذ أثبتت الدراسة أن البحث التربوي يعد أحد أهم أساليب التنمية المهنية للمعلمين، إذ إنه:

أ- يُزوّد المعلمين برؤية شاملة للقضايا والمشكلات والتحديات المطروحة في الساحة التربوية، وتكوين نظرة مستقبلية عند التخطيط لمشكلة ما، ووضع الحلول والبرامج المختلفة لها.

ب- يقدم دعماً للقرار التربوي من توفير مبررات لاتخاذ القرار أو تطويره.

يُزوّد المعلمين بالمعلومات التي تعينهم على ما يصادفهم من مشكلات، إضافة إلى أنه يُعد جزءاً من النشاط المؤدي إلى التنمية المهنية للمعلمين، ما يؤدي في النهاية إلى تحسين مهاراته التدريسية المطلوبة.

يُساعد المعلمين في تحديد فعالية طرق التدريس التي يستعملونها، وفي مدى مناسبة المواد والبرامج التعليمية في سد الاحتياجات الثقافية والاجتماعية للمتعلمين

وكشفت الدراسة المذكورة عن المعوقات التي تحول دون استفادة المعلمين من البحث التربوي في التنمية المهنية تعود وفق ترتيبها إلى:

أ- قلة مصادر المعلومات التربوية المتوفرة لمعلمين

(١) شعبان أحمد هلال: «البحث التربوي بوصفه أحد أساليب التنمية المهنية للمعلمين- دراسة تحليلية»، الإسكندرية، كلية التربية بدمنهور رسالة الماجستير ٢٠٠٦م غير منشورة.

ب- نقص التعاون بين الباحثين و المعلمين .

ت- طبيعة البحث التربوي .

ث- المعلمون أنفسهم .

وأوصت الدراسة بضرورة إطلاع المعلمين على البحوث التربوية والاستفادة منها بالعمل على الارتقاء بمستوى مهارات البحث التربوي لدى المعلمين.

ثانياً/ الارتقاء بالمناهج:

لقد تطور مفهوم المناهج تطوراً كبيراً مثلما تطورت المفاهيم التربوية الأخرى، ويعد من العلوم الحديثة الناشئة وتدعمت صلاته بكثير من الميادين المتنوعة. فاصبح لدينا موضوعات جديدة منطلقة من واقعنا المعاصر لها أهمية كبيرة فعلى المناهج أن تحتويها وتركز عليها في جميع مكونات المنهج بمفهومه الواسع، فهذا الأمر يضيف المزيد من المهام للمناهج الدراسية؛ من أجل إعداد وتخريج أجيال من المتعلمين ذوي كفاءة عالية، وأن تعدهم لما هو متوقع منها تماشياً مع التغيرات الحادثة والتنبؤ بالتغيرات المتوقعة حدوثها. ومن المبادئ المتضمنة في المفهوم الحديث للمناهج: إن المناهج ليس مجرد مقررات دراسية فقط، وإن التعليم الجيد يقوم على مساعدة المتعلمين على التعلم وليس التلقين، ويساعدهم على بلوغ الأهداف التربوية المراد تحقيقها مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق الفردية بين المتعلمين، وإن القيمة الحقيقية للمعلومات والمهارات يتوقف على مدى استعمال المتعلمين لها وإفادتهم منها في المواقف الحياتية، وأن يكون متكيفاً مع حاضرهم ومستقبلهم، وأن يكون مرناً بالنسبة للمعلمين، وأن يساعد المتعلمين على النمو الشامل، وإحداث تغيرات مرغوب بها في سلوكهم.<sup>(١)</sup>

(١) يُنظَر: توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة: المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،

تعدُّ المناهج التعليمية الوسيلة الرئيسة والأداة الفعلية لتحقيق الأهداف التربوية، وعن طريق تخطيط المناهج وبنائها بطريقة علمية إنما يتم رسم الطريق الصحيح للأجيال القادمة، ووضع أسس المجتمع المرغوب فيه، فإن أردت أن تعرف ثقافة مجتمع من المجتمعات فانظر إلى المدارس فيه، وتتطلب دراسة المناهج التربوية وسبل تخطيطها وبنائها: فهم الفلسفة الاجتماعية واحتياجاتها، وتحديد الأهداف التربوية، وتحليل عملية التعليم والتعلم والكشف عن قوانينها، ودراسة خصائص نمو المتعلمين ومعرفة حاجاتهم وطرق تفكيرهم وأساليب تعلمهم، والإلمام بطرق استيعاب المعارف وتكوين المفاهيم والقدرات، والوقوف على أساليب واستراتيجيات بناء الاتجاهات والقيم<sup>(١)</sup> وأصبح المنهج يتطلب إعادة تأهيل المؤسسة التربوية ككل، وما يحيط بعملية التعليم والتعلم، والتي يتضمنها المنهج بمفهومه الشامل ومنها: الأهداف والمحتوى أو المقررات الدراسية والكتب والمراجع وطرائق التدريس والأساليب والوسائل التعليمية والأنشطة والتقييم، ويشمل المتعلم والمعلم والمدرسة بمبانيها ومرافقها ومعداتها والبيئة المحلية وثقافة المجتمع وينتج المنهج من تكامل وتفاعل هذه العوامل بشكل كلي، فتصبح التربية متكاملة تجمع ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، لتصبح المدرسة للمتعلم كواقعه الذي يعيش فيه فهي جزء لا يتجزأ من البيئة والمجتمع.

مخاطبة الناس بلغة عصرهم ومصطلحاتهم التي يفهمونها، وترك النقل عن الكتب القديمة بما لا يُعرف في عصرنا الحاضر، وربما كان هذا من أسباب انصراف الشباب عن

ص ٣٨، ٣٩.

(١) يُنظر: محمد هاشم فالوفي: بناء المناهج التربوية سياسة التخطيط واستراتيجية التنفيذ، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط.د، ١٩٩٧م، ص ١٥-١٧.

بعض العلماء وعدم فهمهم لهم في هذه الأيام.<sup>(١)</sup>

وينبغي أن تُدرّس مادة خاصة في فقه اختلاف وأدب الحوار في المدارس والجامعات، حتى تتسع آفاقهم في حسن التعامل مع الآخرين، وحسن الإصغاء الجيد لهم بطريقة مهذبة. وحتى يعلموا أنه لا تلازم بين وحدة الصف ووحدة الرأي، وبين اختلاف الآراء واختلاف القلوب.<sup>(٢)</sup>

وباختصار، أننا نرفع شعارات الوطنية، والقومية، والإسلامية، ولكننا في الحقيقة، لا نترجم هذه الشعارات لكي تصبح لنا مناهج وسياسات تربوية واضحة ومحددة، بل يلاحظ أن قضايا التربية والتعليم في أكثر البلدان العربية والإسلامية تتأثر، بل تخضع للمناهج الغربية في أهدافها، ومناهجها، ومفرداتها، وربما بسبب هذه التناقضات وغيرها، وبسبب اتباعنا لمناهج تتعارض مع قيمنا، بل مع الفطرة السوية أيضاً، بقينا نعاني من الجمود والتأخر والتبعية، وعدم تحقيق الأهداف التعليمية أو العلمية التي صيغت ضمن شعاراتنا المعلنة، ولم تستطع النظم التربوية المطبقة الوصول إلى الغايات المعلنة، ليس في مجال التنوع والتخصص، والتقنيات المتقدمة فقط، بل في مجال التوسع العددي في التعليم والتخلص من الأمية التي لا تزال بنسب عالية في كثير من بلداننا<sup>(٣)</sup>.

ولأن المتابع لتفصيلات ما تنص عليه أهداف التعليم ومنطلقاته في كل بلد على حدة يلاحظ كثيراً من التعارض، بين هذه الأهداف الكبيرة والخطوات التفصيلية التي تحتويها كل مرحلة من مراحل التعليم، وكل منهج من مناهج المواد الدراسية، لأن قضية التربية بمعناها الحقيقي، المنبثقة من عقيدة الأمة وقيمها وحضارتها، ورسالتها في الحياة غير

(١) اني فقيه: مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) اني فقيه: نفسه، ص ٧٣.

(٣) يُنظر: محمد بريغش: التربية ومستقبل الأمة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٦٠.

واضحة، وهي قضية أساسية غير قضية التعليم، وإن كان هناك صلة بينهما، بل هي مرفوضة في بعض البلدان لأن هذه المناهج خاضعة لمفاهيم التربية الحديثة الوافدة من الغرب، والارتباط بالحياة الدنيا كمنهج عملي ومصيري، دون الالتفاف إلى ربط أي مفهوم تربوي بالآخرة، والرجوع إلى منهج الله - عزّ وجلّ - فيما يخص مسؤولية المسلم في الحياة. وبالتالي يحرم الناشئ من تلقي تربية واضحة منسجمة ومستمرة.<sup>(١)</sup>

:

«نحن نعيش اليوم في عصر أصبحت آلة التحدي فيه ليست الكلمة، ولا الشعر ولا الفصاحة، وإنما آلة التحدي فيه هي العمل وتكنولوجيا العلم ومعطياته ومنتجاته، والأمر يحتاج منا إلى مجابهة من نفس النوع».<sup>(٢)</sup>

وإنّ التعليم بمساعدة شبكة المعلومات العالمية يسهم في: ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي، ويني المهارات لدى الطلاب، وتنمية روح المبادرة، واتساع أفق التفكير لدى الطلاب، وزيادة مستوى التعاون بين المعلم والمتعلم.<sup>(٣)</sup> إنّ التحدي الأساسي الماثل أمام المدارس هو التكيف مع البيئة والتقنيات الجديدة، مع الإبقاء في الوقت ذاته على قيمها التقليدية وأهدافها التعليمية.<sup>(٤)</sup>

ومن مبادئ النظام التعليمي للمجتمع المعرفي في عهد ما بعد الحداثة: إن مواقف التعلم مدى الحياة ومهاراته هي عناصر أساسية في الإعداد للحياة والعمل. لا يعكس

(١) يُنظَرُ: محمد بريغش: مرجع سابق، ص ٥٧-٥٩.

(٢) عماد علي: مرجع سابق، ص ٧٣.

(٣) مختار عبدالحق: تدريس القراءة في عصر العولمة استراتيجيات وأساليب جديدة، ط ١، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، إسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ١١٠.

(٤) دون ديفيز: أصوات الأمل: مرجع سابق، ص ٢٨.

هيكّل برامج التعليم تنظيمياً صارماً للمواد فحسب، وإنما يعكس أيضاً أساليب أخرى، وخاصة التعلم القائم على المشكلات والنتائج الرئيسة الشاملة للمناهج؛ كمهارات التفكير، ومختلف أنواع محو الأمية، والإطلاع على قيمة التقنيات وحدودها. وتتم تقوية الأواصر والروابط بين التعلم الأكاديمي والتحضير للمهنة. ويتم التركيز على النتائج أكثر من التركيز على وسائل بلوغها، لتحقيق الغايات. وتشكل تقنيات المعلومات والاتصالات عنصراً أساسياً من عناصر التعليم بوصفها موضوعاً للتعلم، ونظاماً لتوسعة مدى إمكانية الوصول إلى موارد التعلم والخبرات والخدمات، وتسهيل التعليم عن بعد، من خلال برامج مدارس متنوعة في أجزاء مختلفة من العالم. والتكامل بين التعلم والعمل واللعب والعيش في المجتمع، ويوفر مجتمع المعرفة فرصاً متساوية لكل من النساء والرجال، وكذلك للصغار والكبار. وتدعو الحاجة إلى أنواع جديدة من المعلمين، ليكون بعضهم نماذج للمهارة أو النضج الفني. وتتم بعثرة التمويل التعليمي أكثر مما كان عليه، حيث يجري توزيعه بين التعليم المدرسي، ووسائل الإعلام، ومؤسسات التعلم الإبداعية، كلما قل الاعتماد على نظام التعلم، أصبحت التكاليف أكثر معقولة والإنجازات أكثر فاعلية.<sup>(١)</sup>

ثمّة علاقة وثيقة بين علم التربية وعلم الاقتصاد تكمن في أنه إذا كان الاقتصاد يعتمد ويقوم على استثمار رأس المال في المجتمع، فإنّ التربية كنظام اجتماعي تقوم أيضاً على إعداد القوى البشريّة اللازمة لنموّ وتطوير حركة الحياة في المجتمع، والتخطيط لمختلف ألوان النشاط التعليمي عن طريق ما يُسمّى بعلم التخطيط التربويّ. كما أنّها -أي التربية- استثمار لرأس المال البشري المتمثّل في العناية بتنمية إمكانات وطاقات

(١) نورمان هنشي: مستقبل التعليم والعمل: رؤية كندية، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص ٣١٩-٣٢١.

ومهارات الإنسان في مختلف المجالات .

وبذلك يُمكن القول: إنَّ التربية لا تخرج عن كونها عملية اقتصادية «استثمارية»؛ لأنَّها تُنمِّي قدرات وإمكانات واستعدادات ومهارات الأفراد في المجتمع، وتُكسبهم الخبرات اللازمة للقيام بأدوارهم المختلفة في المجتمع. ولعلَّ ممَّا يؤكِّد العلاقة بين علمي التربية والاقتصاد أنَّ هناك فرعاً يُسمَّى «اقتصاديات التعليم»، يُعنى بدراسة مقدار التكلفة والعائد المتوقع من رأس المال المستثمر في العملية التربوية والتعليمية بمختلف عناصرها. لذلك نجد تطور التعليم الأهلي في البلاد، بعد تراجع مخرجات التعليم الحكومي.

«وباستعراض نتائج دراسات عدد من كبار الاقتصاديين أمثال (دينسون) و(شولتز) عن الاستثمار في التعليم اتضح أن ما ينفق من أموال على التعليم يتم تعويضه خلال ٩ أو ١٠ سنوات في حين أن تعويض القروض الطبيعية التي تؤخذ من أجل التنمية تحتاج إلى فترة تتراوح بين ١٢-١٨ سنة، وفي حين أن برنامج استصلاح أراضي جديدة لا يسد نفقاته قبل ١٢-١٥ سنة».<sup>(١)</sup>

«يقول (ثورو)<sup>(٢)</sup> الاقتصادي الأمريكي المرموق: «إنَّ ثراء الأفراد والبلدان لم يعد يعتمد على نفس العناصر التي كانت سائدة في السابق، إذ كان توفر المواد (الموارد) الاقتصادية أهم عنصر في المعادلة الاقتصادية، وفي القرن الحادي والعشرين ستصبح قوة العمل والتعليم هما السلاح التنافسي الأول، ولن تعتمد الميزة التنافسية على ثروات

(١) عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٣، ٧٢.

(٢) هنري ديفد ثورو، مؤلف أمريكي ومثالي وطبيعي واقتصادي وداع لإنهاء العبودية وداع للعصيان المدني ومقاوم للضرائب وناقد للتقدم ومدافع عن العيش البسيط ومؤرخ وفيلسوف. ولد في ١٨١٧م، كونكورد، الولايات المتحدة، توفي في ١٨٦٢م.

الموارد الطبيعية»<sup>(١)</sup>.

أما الخبير الاقتصادي ألفريد مارشال (Alfred Marshall)<sup>(٢)</sup> فقد أكد طبيعة العلاقة بين التربية والتنمية الاقتصادية بقوله: إنَّ فئَةً متعلمة من الناس لا يمكن أن تعيش فقيرة، ذلك لأن الإنسان، بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والإنتاج والإبداع، يستطيع أن يُسخر مصادر الطبيعة وما في باطن الأرض وما فوقها، لمصلحته والارتفاع بمستوى معيشته، وتوفير الحياة الكريمة له.

«إن عدد الأميين في العالم العربي - اليوم وبحسب الإحصائيات الرسمية - يقترب من سبعين مليوناً من أصل ثلاثمائة مليون، وعشرة ملايين طفل منهم خارج منظومة التعليم الأساسي»<sup>(٣)</sup>، بعض الإحصاءات التي تبين حجم المأساة التي يعاني منها العالم الإسلامي، من حيث:

١- الأمية: أن أعلى نسبة للأمية بين البالغين في العالم هي في العالم الإسلامي المعاصر ما يقارب ٥٨٪.

٢- الإنفاق على البحث العلمي: إن مجموع إنفاق الدول النامية لا يمثل أكثر من ١،٦٪ من إجمال الدول الصناعية على عمليات البحث العلمي وتوظيفه في تطوير التقنية.

٣- قلة أعداد العلماء والتقنيين في العالم الإسلامي: الوضع في عالمنا الإسلامي أشبه بهرم مقلوب؛ إذ ما زالت أعداد الخريجين من الجامعات أكثر من أعداد الفنيين والتقنيين

(١) عبدالكريم بكار: تجديد الوعي، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) ألفرد مارشال Alfred Marshall اقتصادي إنجليزي، ولد في ٢٦ يوليو ١٨٤٢ في لندن، وأحد أهم مؤسسي المدرسة الاتباعية الجديدة Neoclassical، درس في مدرسة «تايلور»، ثم في كلية القديس جورج في جامعة كمبرج، اتجه في بداية دراسته إلى دراسة الرياضيات والفلسفة، لكنه سرعان ما تحول عنها إلى دراسة الاقتصاد.

(٣) هاني فقيه: مرجع سابق، ص ٩٥.

## تجديد التعليم ضرورة حياتية

أما العمال المهرة فعددهم قليل جداً. وتشير بعض تقارير (اليونسكو) إلى أن عدد الطلبة المسجلين في التعليم التقني في كافة الأقطار العربية لا يتجاوز ٢٨ طالباً لكل ١٠٠ ألف نسمة من السكان مقارنة بـ ١٨٠ في بريطانيا و ٥١٥ في سنغافورة.

٤- هجرة الأدمغة من العالم الإسلامي: إضافة إلى خسارة تلك الأعداد الضخمة من صفوة أبنائه فحسب، «بل خسر أيضاً كل ما أنفقه على تعليمهم في المراحل المختلفة؛ ويقدر تقرير لإحدى منظمات الأمم المتحدة أن أمريكا وكندا وبريطانيا هي أكثر الدول استفادة من هجرة العقول، وأنه هاجر من بلدان العالم النامي إلى هذه الدول عامي ١٣٩٠-١٣٩١ هـ أعداد ضخمة سببت خسائر للدول النامية تقدر بنحو ٤٢ مليار من الدولارات، كما أنها تمثل وفراً للولايات المتحدة من الإنفاق على التعليم يقدر بنحو ١,٨ مليار دولار»<sup>(١)</sup>

الاقتصاد شريان الحياة الحضارية والمال دمه الذي يمدّه بالطاقة، وإذا كانت الدول تحترم شعوبها فما عليها إلا أن تزيد تخصيصاتها المالية من الميزانية لقطاع التربية، لتلحق بركب التقدم العلمي السائد، كما هو الحال في الدول المتقدمة (أمريكا واليابان وانجلترا وماليزيا وكوريا وكندا وغيرها). وهكذا فلا اقتصاد بلا تربية ولا تربية بلا اقتصاد ساندها.



(١) يُنظَرُ: عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٠-٧٩.

ولا بد من الوقوف على أسس التربية والتعليم التي يمكن منها الخروج من هذه المآزق من وحدة الهدف في المؤسسات التعليمية، والإعلامية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية وغيرها، ودور كل منها في تحقيق هذا الهدف.

ولكن من الواضح أن الانتقال نحو المناهج الجديدة للتعليم سوف يتطلب تغييرات جدية في كيفية مساهمة الأسرة والمجتمع والمدرسة في تعلم الأطفال وتطورهم.

ومن غير المحتمل أن تطبق هذه التغييرات بنجاح دون أن تكون المشاركة محورياً رئيساً.<sup>(١)</sup> ويضيف بيكر قائلاً إن أعظم المكاسب الاجتماعية والخاصة من التعليم إنما يتم تحقيقها في المستويات الابتدائية من التعليم، بصرف النظر عن الدولة غير أن المهارات الأساسية التي يتم تحقيقها في التعليم الابتدائي ليست كافية لتعزيز قدرة دولة ما على

---

(١) دون ديفيز: التعليم والمجتمع نظرة مستقبلية نحو القرن الحادي والعشرين: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سابق، ص ١٠٣.

الإبداع أو حتى على تقليد غيرها.

ويضيف بيكر قائلاً: «إنَّ المستويات العليا من التعليم العام مطلوبة، ربما بالتنسيق مع التعليم المهني إذا ما أرادت الدول النامية أن تكون قادرة على تطبيق تقنيات دول متدى النمو»<sup>(١)</sup>.

ويعين في استمرار التربية داخل الأسرة وفي المسجد والنادي والمدرسة والجامعة وفي المجتمع كله. كما يتحقق بالتلقين، والأسوة الحسنة والتدريب المستمر، والسلوك العملي، والتزود بالعلم، والممارسات الفعلية، والتوعية الدائمة... فالتربية حياة كاملة، يتدرب فيها الإنسان على ممارسة الحياة كما يريد لها الله - عزَّ وجلَّ - ليصبح إنساناً مستخلفاً مسؤولاً، ينتج ويعمل ويصلح ويتكرر لكي تنمو الحياة وتستفيد الإنسانية<sup>(٢)</sup>.

وأهم وثيقة جامعة وشاملة عن سياسة التعليم، لأنها وضعت أساسات التربية والتعليم منذ المراحل المبكرة وإلى انتهاء المرحلة الجامعية، وبيّنت هذه الوثيقة ((أن السياسة التعليمية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدةً وعبادةً وخلقاً وشريعةً وحكماً ونظاماً متكاملًا للحياة))<sup>(٣)</sup>.

إنَّ شكل النظام التعليمي الشامل الذي تحتاجه مجتمعات القرن الحادي والعشرين سوف يظهر العديد من الصفات الآتية: سوف يتاح التعليم للجميع، بصرف النظر عن ثروتهم أو وضعهم الاجتماعي. وتصبح الشركات الكبيرة والصغيرة مشاركة مع المدارس ومع المناطق التعليمية.

وتقوم المؤسسات التربوية على الوجه الأكمل، وتقدم برامج تعليم المجتمع، وتقديم الخدمات المجتمعية والصحية للأطفال وعائلاتهم، وتقدم المدارس برامج تطوعية توفر

(١) دون ديفيز: أصوات الأمل: مرجع سابق، ص ٩؛ ويُنظر: وليم بيكر: دور التعليم والتدريب في التنمية الاقتصادية، ص ٦٠.

(٢) يُنظر: محمد بريغش: مرجع سابق، ص ٣٧.

(٣) يُنظر: محمد بريغش: نفسه، ص ٤٥؛ وموقع: أحمد سعد الدين: [www.scfep.gov.sa/Edu](http://www.scfep.gov.sa/Edu)

من خلالها التدريب والدعم للأفراد، وغيرها.<sup>(١)</sup>

وعلى الصعيد الثقافي والاجتماعي والتعليمي والسياسي... لم يخرج المستعمر حتى ترك وراءه ما لا يُحصى من المشكلات حيث كان يرى أن السيف وحده أعجز من أن يحقق السيطرة؛ لأن من العسير أن يستمر نظام معين ما لم ينتج قيماً وأفكاراً مهيمنة؛ من أجل ذلك انصبت جهود المستعمرين على إقناع شعوب العالم الإسلامي بتبني عاداتهم وتقليدهم على جميع الصعيد. «وقامت المدارس التي أقاموها بدور أساسي في إقناع سكان البلاد بأنهم أقرب إلى البداوة والتوحش، وأن الحل الوحيد أمامهم هو الاندماج في القيم والعادات التي نقلها المستعمر إليهم. وكانت النتيجة هي تدمير الشخصية والبنيات الوطنية المحلية دون أن يؤدي تبني فئة من أبناء العالم الإسلامي لقيم الغرب إلى أي تقدم ذي شأن».<sup>(٢)</sup>

ويذكر ابن باديس إحياء رسالة المسجد التعليمية : واعتبر تعليم الجماهير في المسجد هو صنو الصلاة، من حيث أثره وانعكاساته على الواقع الاجتماعي والتربوي، ذلك أن الثقافة الجماهيرية والتشكيل الثقافي، يبقى محلها المسجد إلى جانب التعليم المنهجي الذي مكانه المعاهد والمدارس والجامعات، حيث يتأكد دور المسجد في التعليم والتربية والتثقيف. وإدراك دور الصحافة في التغيير: لتشكيل الرأي العام المناصر للقيم الإسلامية، واليقظة الفكرية والوعي الوطني، والإصلاح الديني، وإحياء اللغة العربية. والتنمية لدور المرأة : خطورة دورها في النهوض والتربية والبناء، حيث لا بد من الاعتراف أن المرأة كانت أحد معابر الغزو الثقافي أو احد الثغور المفتوحة في الجسم الإسلامي، لذا وجب تعليمها أسوة بالعمالات والكاتبات الكثيرات في تاريخ الأمة المسلمة. والعربية مرتكز فهم الدين وحماية الثقافة : ومن مقومات إعادة بناء الأمة، وسبيل إدراكها لعقيدها وشريعتها ودينها.<sup>(٣)</sup>

(١) دون ديفيز: التعليم والمجتمع، مرجع سابق، ص ٨٢، ٨٣.

(٢) يُنظر: عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٠.

(٣) يُنظر: عمر حسنه: الإجهاد للتجديد، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٨٥-٨٩.

ولا بد للمجتمع من أن يساعد الأسرة والمدرسة ومحاضن التربية الفردية الأخرى على تنمية الوازع الأخلاقي الداخلي لدى الفرد كما أنه لا بد للمجتمع أن يضمن تجددته وتلافي أخطائه من أن يشجع روح المبادأة لدى أفرادها، ويفسح صدره لكثير من الاعتراضات والمناقشات حول أوضاعه العامة. (١)

«إن التغيير الاجتماعي شيء محتوم، وإن علينا أن نرشده بدل أن نقاومه. وترشيده يكون من خلال المراقبة الدقيقة؛ فنضع الخطوط الحمراء في وجه كل تغيير يمسّ الأصول، والأهداف الكبرى، والمبادئ العليا للأمة، ونرحب؛ بل نبدع الوسائل والطرق والآليات التي تساعدنا على تنشيط وظائف نظمنا الاجتماعية وتوظيف كل طاقاتنا وإمكاناتنا على طريق تحقيق آمالنا وأهدافنا السامية في هذه الحياة». «إن الإسلام بإغفاله الكثير من الطرق والأطر والأدوات التي تنظم شئون حياتنا - أتاح لنا إمكانات واسعة من التجديد والتغيير واجتراح المجهول. وإن واجبنا أن نمتلك الفاعلية اللازمة للاستفادة من تلك الإمكانيات وتجسيدها في ترقية وإصلاح شأننا الاجتماعي العام». (٢)

لقد ذكرت الدراسات كثيراً من السلبيات التي تركها التلفاز على الناشئ، ولا يعني ذلك إنعدام الآثار الإيجابية، ومن أهم الآثار السلبية التي ذكرت هي: أن الجلوس أمام التلفاز لهذه الساعات الطويلة يهدد صحتهم البدنية والعقلية، ويؤثر على حواسهم البصرية والسمعية... أما من الناحية الاجتماعية، يؤدي إلى إبعاد الأطفال عن القراءة واللعب، والاتصال بالأهل والأصدقاء، والكسل واللامبالاة بعامل الوقت، والشروذ الذهني. وترسيخ الأفكار السيئة والتحلل من القيم... وفي الجانب النفسي: قد تؤدي إلى الفزع، والقلق، والانحراف والعنف والجريمة والجنس... وفي الجانب التربوي محل

(١) يُنظَرُ: عبدالكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٢) يُنظَرُ: عبدالكريم بكار: نفسه، ص ١٨٤.

الأسرة والمدرسة والمجتمع، ويقدم أنموذجاً من التربية يتعارض ويخالف قيم المجتمع وثوابته وتربيته... وهناك جانب أكثر أهمية، وهو الجانب العقدي، حيث يركز ببرامجه الكثيرة عقائد مغايرة لعقيدتنا، وتبعد الطفل عن الإحساس بالإله وقدرته ونعمه، والآخرة والحساب، وتحل محلها أحاسيس نفعية: مادية وجنسية ودينية بعيدة عن أبسط حقائق الإيمان. عدا أنهم صاروا ينامون متأخرين، ويذهبون إلى المدرسة متعبين وغير مهينين لتلقي الدروس، ولا يؤدون الواجبات المنزلية بالصورة المطلوبة... وتصبح شخصيته، وسلوكه سلبي كون الطفل يجلس ويستسلم دون أن يقوم بعمل إيجابي...<sup>(١)</sup>.  
ومن المداخل الأساسية لمعالجة مشكلات المسلمين لابد من فهم العقلية السائدة في المجتمعات الإسلامية، ومن مفردات هذه العقلية ما يلي<sup>(٢)</sup>:

ضعف مثاقفة التساؤل: إن التخلف سبب رئيس من أسباب ضعف التساؤل؛ حيث إن الانطلاق الحضاري يأتي بطبعه بمزيد من التساؤل، كما يأتي بمزيد من الأجوبة. ومن خلال العلاقة الجدلية بينهما تولد حركة التقدم والكشف المعرفي.

اضطراب منهجية التفكير: ولدينا نقص في الصبر على الاستقراء والملاحظة إلى جانب الإسراع في إصدار الأحكام مهما تكن كبيرة؛ وهذا عكس المطلوب؛ حيث يتطلب تعقيد المعرفة والحياة المعاصرة عامة المزيد من الحذر في إصدار الأحكام ومزيداً من الصبر في الملاحظة والاستقراء.

قصور التفكير الجدلي: الذي يميل - في الغالب - تفسير الظواهر الكبرى بسبب أو عامل واحد، دون أن يؤخذ بعين الاعتبار الجوانب المتعددة بأكملها.

ضعف الحاسة النقدية: يتعاقب على حياة البشر طوران من العمل أحدهما بنائي

(١) يُنظر: محمد بريغش: مرجع سابق، ص ١١١، ١١٢.

(٢) يُنظر: عبدالكريم بكّار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٥٤-٥٩.

والآخر نقدي، ويلاحظ أن النقد لدينا يوجه إلى الأشخاص، أو إلى المواقف، مع أن النقد ينبغي أن يوجه إلى الثقافة السلبية التي تمثل الدوافع والحوافز للموقف المتقَدِّم. والباعث لذلك هو طلب السهولة في عملية النقد والتقييم، حيث إن نقد الثقافة من أشق الأعمال؛ التي لا تدرك سلبياتها إلا من إفرازاتها. فنعتقد أن نقد الفكرة هو نقد لصاحبها، فنحجم عن نقدها؛ حتى لا نخسر العلاقة الحميمة مع صاحبها، وهذا على الرغم من أن الفكرة حين تشيع تصبح ملكاً للثقافة وأهلها.

وينبغي الاستفادة من تجربة عدد من المعاهد والجامعات الإسلامية التي بدأت منذ عدة عقود، في هذا البلد أو ذاك، في تنفيذ مناهج أكثر حداثة في التعامل مع علوم الشريعة وتدريسها، فكسرت طوق العزلة، والتحمت أكثر بمطالب العصر، وقدرت على توظيف معارفه وتقنياته لتقريب أهدافها، وحققت الوفاق الضائع بين المعرفتين الإسلامية والإنسانية، وسعت - ولا تزال - لإقامة الجسور المقطوعة بين الفقيه والمفكر، من أجل أن تضع الفقيه في قلب الحياة، وتمنح المفكر خبرة بالمعرفة الإسلامية، تعينه على التأصيل وتحميه من غوائل الارتجال والجنوح.<sup>(١)</sup> وهناك العديد من الدراسات التي أُجريت في دول العالم منها: التربية في اليابان المعاصرة (١٤٠٦هـ). وتعليم المواطن الأمريكي من أجل المستقبل (١٤٠٧هـ). وتطور التربية في الصين (١٤٠٨هـ). والتعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية (١٤٠٨هـ). والتربية في ألمانيا الغربية (١٤٠٨هـ). والإصلاح التربوي في الولايات المتحدة (١٤٠٨هـ). وفي المملكة العربية السعودية، أقيمت مشروعات ودراسات كثيرة في مجال تطوير التعليم، كإنشاء مؤسسة الملك عبد العزيز لرعاية الموهوبين. والمشروع الشامل لتطوير مناهج التعليم العام في وزارة المعارف. وإنشاء المركز الوطني للقياس والتقييم. والتعليم العالي الأهلي، وصياغة ضوابطه

(١) عماد الدين خليل: مرجع سابق، ص ٧٤٥، ٧٤٦.

## تجديد التعليم ضرورة حياتية

ولوائحه وآليات الإشراف عليه. وتطوير خطة التعليم الثانوي. ولائحة تقويم الطالب في التعليم العام. وغير ذلك من سبل التجديد والإصلاح التعليمي. كل ذلك من أجل الحفاظ على الموقع المتقدم في سباق التنافس العالمي بين الدول.<sup>(١)</sup>

- الإنسان ثروة الأمم الحقيقية، ولا بد من استثماره، ولا يتم ذلك إلا بالتربية والتعليم.
- المناهج التعليمية لا يمكن أن تستورد بل تخضع للثقافة والبيئة الخاصة، وهنا لا بد من تطويرها وصناعة المنهج وتوطين التأليف.
- المعلم محور العملية التعليمية، ولا بد من الاهتمام به (اختياراً وإعداداً وتطويراً). وعليه فإن الحاجة إلى التقويم المستمر للأداء التعليمي قائمة.
- أهمية إعادة النظر في أساليب التقويم الحالية، التي تقوم على تقويم الجانب المعرفي فقط، وأهمية تضمينها أساليب تنمية التفكير وتطوير القدرات، واستخدام الملاحظة والتقويم المستمر، وإعطائها نسبة كبيرة في التقويم الختامي.
- أهمية إدخال مفهوم التكامل في تقويم المواد ذات المجال الواحد، لتحويل التعليم المعرفي إلى أسلوب توظيفي سلوكي.
- خصص للمدارس أراض ومرافق ولكن ما يزال العمل قائماً على الاستئجار، والمقترح وضع خطة للمباني بالتعاون مع القطاع الخاص.
- قيام الوزارة لوضع خطط لاحتياجاتها التعليمية من الكليات التربوية.
- إعداد الخطة لمواجهة التحديات.

(١) يُنظر: عبد الحميد عبدالمجيد: مرجع سابق، ص ٢٣.

- إعداد المتعلم بما يتوافق مع متطلبات العصر على أساس الإبداع والمهارات المتنوعة.  
- الحرص على توفير الاستقرار التنظيمي، فالتغيير المستمر للكوادر الإدارية هدر في مجال الخبرة!!!.

- من مهام الإدارة الجيدة البحث عن المبدعين لإعدادهم للقيادات الإدارية.  
- الإدارة الجيدة تدرك أن التطوير أمر ضروري ومهم.  
- العناية بالحاجات النفسية والاجتماعية والعلمية وغيرها للمعلمين والمعلمات.  
- ومهما كان مستوى التعليم وأسس التربية قوية ومتميزة وواضحة وقيمة، لا يمكن أن تفعل شيئاً، ما لم يحمله أناس مخلصون جادون واعون، وما لم تصبح حياة عملية، تتخلل كل منعطف في المجتمع، وفعالاً نشيطاً في النفوس والعقول، وثقافة شائعة عند الأمة، وأخلاقاً تطبع الأفراد والجماعات، وسلوكاً يشمل الجميع، وعقيدة لا يتنازل عنها أحد. والاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية على ضوء الإسلام، للنهوض بالأمة، ورفع مستوى حياتها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها.<sup>(١)</sup>

- إنَّ عملية الإصلاحات وإعادة هيكلة التعليم والتدريب، يجب أن تعطي الأولوية للجوانب المتعلقة بخصخصة المدارس، وملاءمة المنهج وربط التعليم والتدريب بحاجات سوق العمل.<sup>(٢)</sup>

إنَّ أفضل مشروع حضاري للصورة الصحيحة للإسلام، هو صياغة مجتمع إسلامي في نظمه وفي علاقاته (الداخلية والخارجية) وفي شكله ومضمونه، وليس صياغة مشروع حضاري عن الإسلام على أوراق الأبحاث، التي سرعان ما يطويها النسيان ويعلوها

(١) يُنظَرُ: محمد حسن بريغش: مرجع سابق، ص ٥٣، ٢٠٢.

(٢) حمد السليطي: التعليم والتدريب في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص ٣٢٩.

تراب الخزائن. (١)

وختاماً الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإنا قد بذلنا هذا الجهد المتواضع؛ فما كان منه صواباً فهو محض توفيق الله تعالى، وما كان خطأً فمن أنفسنا ومن الشيطان. ونزجي الشكر أوفره لجميع القائمين على هذا المؤتمر. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

- بعد القرآن الكريم.

١- توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة: المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢- حمد السليطي: التعليم والتدريب في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط ١، أبو ظبي، (ص ٣٢٥-٣٣٤)، ٢٠٠٠م.

٣- دون ديفيز: أصوات الأمل التعليم والتدريب في القرن الحادي والعشرين: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط ١، أبو ظبي - الإمارات، (ص ٧-٢٩)، ٢٠٠٠م.

٤- دون ديفيز: التعليم والمجتمع نظرة مستقبلية نحو القرن الحادي والعشرين: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط ١، أبو ظبي - الإمارات، (ص ٦٣-١٠٩)، ٢٠٠٠م.

٥- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو

(١) يُنظَر: عماد علي: مرجع سابق، ص ١٠٦.

## تجديد التعليم ضرورة حياتية

الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٦- شعبان أحمد هلال: «البحث التربوي بوصفه أحد أساليب التنمية المهنية للمعلمين - دراسة تحليلية»، الإسكندرية، كلية التربية بدمنهور رسالة الماجستير ٢٠٠٦م غير منشورة.

٧- عبدالرحمن بن معلا اللويحي: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية)، أصله رسالة ماجستير، مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨- عبدالسلام عبدالرحمن جامل: أساسيات المناهج التعليمية وأساليب تطويرها، دار المناهج، ط٢، عمان - الأردن ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٩- عبدالكريم بكار: المسلمون بين التحدي والمواجهة: حول التربية والتعليم، ج٥، دار القلم، ط٢، دمشق - سوريا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٠- عبدالكريم بكار: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ط٣، دار القلم - دمشق، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١١- عبدالكريم بكار: تجديد الوعي، دار القلم، بيروت ط٣، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٢- عبدالكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ط٤، دار القلم - دمشق، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٣- عبدالله مغربي: التنمية البشرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط١، أبو ظبي - الإمارات، (ص ٣٣٥-٣٧٠)، ٢٠٠٠م.

١٤- عماد الدين خليل: «ازدواجية التعليم الجامعي مرئيات للخروج من الأزمة»، بحث

## تجديد التعليم ضرورة حياتية

- مقدم للمؤتمر العلمي الدولي: التكامل المعرفي، (ص ص ٧١٥-٧٤٨)، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- ١٥- عماد علي: تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع روح العصر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ١٦- عمر عبيد حسن: الإجتهد للتجديد سبيلُ الوراثة الحضارية، المكتب الإسلامي، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ١٧- فايز عزيز محمد اسماعيل: الإسلام وتجديد دين الأمة في عصر العولمة، ط ١، دار الإيمان - الاسكندرية، ٢٠٠٨م.
- ١٨- محمد حسن بريغش: التربية ومستقبل الأمة، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- ١٩- محمد هاشم فالوفي: بناء المناهج التربوية سياسة التخطيط واستراتيجية التنفيذ، الأسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط . د، ١٩٩٧م.
- ٢٠- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢١- مختار عبد الخالق: تدريس القراءة في عصر العولمة استراتيجيات وأساليب جديدة، ط ١، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، إسكندرية، ٢٠٠٨م.
- ٢٢- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية: التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، ط ١، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.
- ٢٣- ناصر أحمد الخوالده: «ثنائية التعليم الجامعي وآثاره في البلاد الإسلامية»، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي: التكامل المعرفي، (ص ص ٧٤٩-٧٧٠)، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- ٢٤- نور الدين عتر: فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة، ط ١، دار الرؤية، دمشق،

## تجديد التعليم ضرورة حياتية

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٥- نورمان هنشي: مستقبل التعليم والعمل: رؤية كندية، التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط١، أبو ظبي- الإمارات، (ص ص ٢٩١-٣٢٢)، ٢٠٠٠م.

٢٦- هادي مشعان ربيع: علم النفس التربوي، مكتبة المجتمع العربي، ط١، عمان - الأردن، ٢٠٠٨م.

٢٧- هاني فقيه: خطوات في فقه التعايش والتجديد، ط١، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان-الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٨- هناء حسين الفلّلي: علم النفس التربوي، مركز التربية، صنعاء - اليمن، ٢٠١٠م.

٢٩- وليم بيكر: دور التعليم والتدريب في التنمية الاقتصادية، : التعليم والعالم العربي تحديات الألفية الثالثة، مركز الإمارات للدراسات، ط١، أبو ظبي- الإمارات، (ص ص ٣٣-٦١)، ٢٠٠٠م.

٣٠- وهبة الزحيلي: العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الكبيرة، دار الفكر، ط١، دمشق-سوريا، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

مراجع الإنترنت:

\* أحمد سعد الدين : ٢٣-٦-٢٠٠٤م :

[http://www.scfep.gov.sa/Edu\\_Policy.htm](http://www.scfep.gov.sa/Edu_Policy.htm)

\* حنان درويش: الوساطة سلاح التصدي للغلو والتطرف في المجتمع الإسلامي (دراسة نظرية من منظور تربوي)، عرضت ضمن فعاليات الاحتفال بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، حائل، ١٤٢٦هـ.

\* محمد زياد حمدان: تطوير المعلمين وظيفياً أثناء الخدمة، مفهومه واقتراح لتخطيط وتنفيذ



-10-

( )

إعداد

أ. م . د . محمد ضياء الدين خليل إبراهيم

كلية الإمام الأعظم رَحْمَةُ اللَّهِ الْجَامِعَةِ

قسم اللغة العربية





يتناول هذا البحث الضوابط والأسس التي يجب مراعاتها في التجديد، بصورة تأصيلية شرعية، باعتبار أنه قضية بالغة الأهمية تستحق النظر والدراسة، والانتهاء إلى موقف واضح يعبر في حقيقته عن مفهومه الصحيح ويبين أسسه وضوابطه، ويتلاءم في جوهره مع رسالة الإسلام الخالدة، ويكون للفكر الإسلامي موقف محدد إزاءها، يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، يجلي الحقائق، ويفند المغالطات ويبطلها، ويوضح أسسها وضوابطها الشرعية. ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

١. المبحث الأول: وقد جاء بعنوان: ((التجديد في الفكر الإسلامي)) مفاهيم ودلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح، وأهميته، وأدلته في الكتاب والسنة.

٢. المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان: ((ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي)) وقد تناولنا في هذا المبحث الضوابط التي يجب أن تراعى في مسألة التجديد، وفضلاً عن شروط المجدد وصفاته.

٣. المبحث الثالث: وقد جاء بعنوان: ((ركائز التجديد في الفكر الإسلامي)) وقد تناولنا في هذا المبحث الركائز التي يجب اعتمادها في التجديد.





الحمد لله رب العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

أمَّا بعد: فالتجديد موضوع كبير أفرزته الثقافة الإسلامية المعاصرة ودخل فيه أناس لا يتقنون فنّه فضلاً عن التكلم فيه، وقد اتخذ في الآونة الأخيرة -بحسن نية أو بسوء نية- مطية لتحريف أصول الدين وقواعده، ودفع أعداء الإسلام لذلك مجموعة من المرتزقة للحديث عنه واتخاذها مطعناً يُطعنُ به الإسلام.

ومسألة التجديد في هذا الدين مسألة شرعية؛ لأنَّ الله تعالى قد ختم بنبيه الرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا يوجد بعده نبي ليجدد للناس دينهم كما كانت الأنبياء تبعث في بني إسرائيل لتجدد لها أمر دينها حيثما يحصل فيها انحراف، ولكن النبي ﷺ خاتم الأنبياء وشريعته صالحة لكل زمان ومكان إذاً فلا بُدَّ من وسائل لتظل الشريعة صافية نقية، ومن هذه الوسائل الوقائية: تولى الله الرسالة بحفظ الكتاب الكريم حفظاً للدين، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (الحجر: ٩)، ومنها: ما منَّ الله سبحانه به على هذه الأمة من خصيصة الإسناد وحماية الشريعة من الوضاعين والكذابين على صاحبها (أفضل الصلاة والسلام)، ومنها: وجود العلماء الذين ينافحون عن هذا الدين ويبينون الحق من الزائف فيه من دون أن ينقطع تسلسلهم عبر العصور، ومنها: مسألة التجديد في هذا الدين لتكون أيضاً وسيلة لتنقية وتصفية ما يحدث في الدين من انحراف أو بدع أو خرافات ليرجع إلى ما كان عليه نقياً صافياً.

والتجديد له مفهومان: مفهوم شرعي دعا إليه الإسلام وطلب من المسلمين أن

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

يباشروه وأن يسعوا إلى تحقيقه بضوابطه وشروطه، ومفهوم آخر اتخذه بعض المغرضين وسيلة للنيل من الإسلام.

وإذا كان الفكر الإسلامي يقبل التجديد، إلا أن هذا القبول ليس مطلقاً، فمنه ما يقبل التجديد ومنه ما لا يقبله، والقسم الذي يقبل التجديد له شروط وضوابط وبيان ذلك فيما سيأتي في هذا البحث.

وترتبط قضية تجديد الفكر الإسلامي، بقضية أخرى زمنياً وموضوعاً تقترب منها، وهي المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه حركة التجدد الفكري: في المنشأ والمسير والنتيجة. فالذين يفكرون بلا منهج، لم يخرجوا من دائرة الفوضى الفكرية، والذين يفكرون وفق منهج خاطئ عجزوا عن أن يكونوا مجددين حقيقيين؛ ذلك أن للتجديد الحق أصولاً وشروطاً لا يظفر بالنجاح في التجديد من تجاوزها، أو تجاهلها، أو أخل بها.

فلذا جاء بحثنا هذا ليتناول الضوابط والأسس التي يجب مراعاتها في التجديد، بصورة تأصيلية شرعية، باعتبار أنه قضية بالغة الأهمية تستحق النظر والدراسة، والانتهاج إلى موقف واضح يعبر في حقيقته عن مفهومه الصحيح ويبين أسسه وضوابطه، ويتلاءم في جوهره مع رسالة الإسلام الخالدة، ويكون للفكر الإسلامي موقف محدد إزاءها، يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، يجلي الحقائق، ويفند المغالطات ويبطلها، ويوضح أسسها وضوابطها الشرعية.

فالبحث يهدف إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مفهوم التجديد في الإسلام؟ وما أدلته وأهميته؟ وما وضوابطه التي يجب أن تراعى؟ وما أهم الركائز التي يجب الارتكاز عليها عند التجديد؟ ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان: ((التجديد في الفكر الإسلامي)) مفاهيم ودلالات،

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

وقد تناولنا في هذا المبحث مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح، وأهميته، وأدلته في الكتاب والسنة.

والمبحث الثاني: وقد جاء بعنوان: ((ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي)) وقد تناولنا في هذا المبحث الضوابط التي يجب أن تراعى في مسألة التجديد، وفضلاً عن شروط المجدد وصفاته.

والمبحث الثالث: وقد جاء بعنوان: ((ركائز التجديد في الفكر الإسلامي)) وقد تناولنا في هذا المبحث الركائز التي يجب اعتمادها في التجديد.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي والاستنباطي أساساً في معالجة موضوع الدراسة، فاعتمد المنهج الوصفي في بيان مفهوم التجديد في اللغة واصطلاح، كما اعتمد المنهج الاستنباطي التحليلي لمعرفة ضوابط التجديد وركائزه التي أشارت إليها النصوص القرآنية والحديثية.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.



أولاً: مفهوم التجديد في اللغة والاصلاح:

أ- التجديد في اللغة:

مصدر جدد يَجِدُّ تجديداً، والجديد ضد القديم، وتجدد الشيء: صار جديداً، وجدده، أي: استحدثه، وصيره جديداً، وجدده واستجده: صيره جديداً، يقال: جدد ثوبه، أي: لبسه جديداً، وثَوَّبَ جَدِيداً كما جدّه الحائِكُ<sup>(١)</sup>، و(تَجَدَّد) الشيء صار جديداً<sup>(٢)</sup>، وهو ضد البلي<sup>(٣)</sup>. و((الجددُ ما استوى من الأرض وأصْحَرَ، وقال: والصحراء جَدَّدُ، والفضاء جَدَّدُ لا وِعْثَ فيه ولا جبلَ ولا أكمةَ، ويكون واسعاً وقليل السعة...))<sup>(٤)</sup>، ((والعرب تقول: هذا طريق جَدَّد إذا كان مستويًا لا حَدَبَ فيه ولا وُعُوثَةً، وهذا الطريق أَجَدُّ الطريقين، أي: أوطؤهما وأشدهما استواءً وأقلّيهما عُدْوَاءً))<sup>(٥)</sup>، وفي ضوء ما تقدم يتبين أنّ التجديد في اللغة يدور حول المعاني الآتية:

أولهما: تجدد الشيء بنفسه، ونموه وزيادته بدون فعل.

ثانيهما: استحداث التجديد يعني: إدخال التحسين عليه حتى يصير جديداً.

ثالثهما: بمعنى الجديد، وضد البلي.

رابعهما: ما استوى من الأرض، ولا وِعْثَ فيه، ولا جبل، ولا أكمة.

(١) ينظر: القاموس المحيط (مادة: جدد): ٨٢٥.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (مادة: جدد): ١/٢٤٤.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (مادة: جدد): ٨٢٥.

(٤) لسان العرب (مادة: جدد): ٣/١٣١.

(٥) تهذيب اللغة (مادة: جدد): ٦/١٦٥.

ب- التجديد اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء للتجديد ولكن مدارها جميعاً على هذا المفهوم، وهو: ((إعادة الدين على النحو الذي كان عليه زمن النبي ﷺ وإعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة؛ فينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وغلو المنتطعين وتفلت الفاسقين، ويعود الناس إليه بالقبول والتلقي، والانقياد والتسليم، والتصديق والإتباع، والتوقير والتقديم والفهم والالتزام والتطبيق))<sup>(١)</sup>، وهذا موافق لما نصت عليه مجلة البيان بقولها: ((فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعلمه ونشره بين الناس، ويكون التجديد بإحياء الفرائض المعطلة، وإزالة ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتفهم بالبساطة التي فهمها سلف هذه الأمة، وإحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية))<sup>(٢)</sup>.

وعرّف الدكتور عبد العزيز الأمين مفهوم تجديد الدين باعتبار ما أُضيف إليه:

فتجديد العقيدة يعني العودة بالأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة، وفهمهما على منهج السلف الصالح<sup>(٣)</sup>.

وتجديد الشريعة والفقهاء يعني إحياء الحركة العلمية المبنية على الاستدلال والاستنباط من الكتاب والسنة، وفق قواعد الاستدلال عند الأئمة الأربعة وغيرهم ممن جاء بعدهم من أئمة الهدى، والسير على منهجهم وطريقتهم، دون التعصب لمذهب من المذاهب

(١) تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف: ١٣.

(٢) المدرسة الإصلاحية والتجديد: ٩.

(٣) ينظر: مجالات التجديد في الدين عرض وتقويم: ١٤.

المتبعة، وغيرها<sup>(١)</sup>.

والتجديد عند بعض المحدثين هو إخضاع الشرع لمتطلبات الواقع المعاصر، ففهم التجديد عندهم هو محاولة أخذ الطابع والأسلوب في تفكير الغربيين، سواء في تعبيرهم عن الدين، أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعيشونها، أو في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والإنسانية<sup>(٢)</sup>.

وقد عقب الدكتور وهبه الزحيلي على هذا الفهم للتجديد قائلاً: ((أما إن كان القصد من التجديد هو تخطي أحكام الشريعة جملةً وتفصيلاً، أو جزئياً، بحجة التطور والارتقاء إلى مستوى الدول المتحضرة صناعياً مادياً فقط، لا فكرياً وروحانياً وأخلاقياً، فهو عمل عدواني مشبوه، لا يراد به خير الأمة الإسلامية، وإنما يراد به تصفية الشريعة تحت ستار التجديد المزعوم، ولا سيماً أنه اتجه يقوم به أناس غير مختصين، ويغلب عليهم التأثير بالثقافة الغربية، وبأفكار المستشرقين، فهم غرباء في الواقع عن شريعة الله تعالى))<sup>(٣)</sup>.

بينما تعريف حسن الترابي للتجديد هو: ((أن ينفذ النظر عائداً إلى أصول الدين الأولى التي احتوتها النصوص الشرعية لعهد التنزيل، وأن يمعن في تراث الفقه والتجريب الذي أضافته الخالفة،

وأن يتبصر في ثنايا الواقع الحاضر ووجوه الابتلاء المتجددة التي يطرحها، من أجل استيحاء الشرع والاستئناس بالتراث وتعرف الواقع لانجلاء صور التطبيق الإسلامي الواجبة في سياق الأوضاع المعاصرة))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: مجالات التجديد في الدين عرض وتقويم: ٣٣.

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ١٥٧.

(٣) تجديد الفقه الإسلامي: ٢٣٢.

(٤) تجديد الفكر الإسلامي: ١٠٥.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

فمن تعريف التراي للتجديد يتبين أنه يهدف إلى وضع حلول لأوضاع معاصرة جديدة وفق خطوات تمر على<sup>(١)</sup>:

١. التأصيل والنظر إلى النصوص.

٢. مراجعة الحلول السابقة والمسائل التي قد تضمنته كتب التراث.

٣. التعرف على الواقع فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ثانياً: أهميته ودواعيه:

أ- أهميته:

((إنَّ التجديد في مآثر الأمم ومفاخرها العلمية والحضارية سبيل نهضتها وبعث الحيوية في وجودها، وتجديد الدماء في شرايين حياتها، وهو في فكرنا وتراثنا الإسلامي أوكد وأهم))<sup>(٢)</sup>، وتنبُّع أهمية تجديد الدين في أحد أهم خصائصه وهي أنه دين كامل تام، قد شرف الله عزَّ وجلَّ به هذه الأمة حين قال تعالى: ((اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً)) (المائدة: ٣).

وقد ((كانت شرائع الأنبياء السابقين على سيدنا محمد ﷺ ينسخ المتقدم منها المتأخر، وكان النبي اللاحق يجدد ما انطمس من معالم الدين السابق، وكان تصويب تصرفات البشر وتقويم ما اعوج في حياتهم يتم عبر وحي السماء، فلما بعث النبي محمد ﷺ شاء الله أن يختم به الأنبياء، ويختم بشريعته الشرائع، قال تعالى: ((ما كانَ محمدُ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتم النبیین، وكانَ اللهُ بكلِّ شَيْءٍ عليماً)) (الأحزاب: ٤٠))<sup>(٣)</sup>.

وقد تعهد الله عزَّ وجلَّ بحفظ هذا الدين بنقائه وصفائه إلى قيام الساعة، بأن ييسر من

(١) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٢٤.

(٢) تجديد الفكر الإسلامي: ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢١.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

ورثة أنبيائه وحمله شريعته من يقوم بهذا الواجب، من نفي التحريف ونبد البدع عن دين الإسلام.

وقد جعل الله عزَّ وجلَّ من خصائص هذا الدين أنَّه صالحٌ لكل زمان ومكان، فإن كانت آياته وأحكامه نزلت في جزيرة العرب فإنَّ نفعه يمتد ليستغرق هذا العالم مهما ترامت أطرافه، وإن كان نزل في زمن من الأزمان إلاَّ أنَّه لا يخلو منه إجابة عمَّا يستجد في حياة الناس فـ((لا يكون هناك أمرٌ يحدُّ في حياة الناس، أو نازلة تنزل بهم إلاَّ والقدرة على استنباط الحكم الملائم لها قوية متوافرة، وعلى هذا النحو تمضي المخترعات والمكتشفات العلمية والدراسات الإنسانية، وهي محاطة بالشرع، فلا تنزل ولا تفضل، ولا يتوزع الناس إلى فئام بينهما؛ إذ العلم الدنيوي في هذه الحالة يكون سائراً في ركاب الدين تابعاً له، لا خارجاً عليه، ولا متقدماً بين يديه، ومن ذلك تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة العلمية والحضارية التي تتيح لها العودة إلى سابق ما كانت عليه من العزِّ والسؤدد والهداية للعالمين))<sup>(١)</sup>.

((فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقهِ والخطاب الإسلامي، لمواكبة مقتضيات ومتطلبات ومستجدات الواقع، المتطور دائماً وأبداً، ولبقائه حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين))<sup>(٢)</sup>.

ب: دواعيه:

أ- ضعف الوازع الديني:

إنَّ وجود كثير من المسلمين غير الملتزمين، الذين اتجهوا عكس تيار الإسلام

(١) تجديد الخطاب الديني: ٣٣-٣٤.

(٢) الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي: ٥-٦.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

الصحيح، إذ إنَّ طبائع الناس وعاداتهم التي تتجاوز أحكام الشريعة في العصور كافة، فضلاً عن سلطان العرف القديم الجديد الذي يعتذر به كثير من الناس عن الالتزام بشريعة الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ((وإذ قيل لهم اتبعوا ما أنزلَ اللهُ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)) (البقرة: ١٧٠)، فكان على الأمة أن تُخرج من أبنائها من يجدد في نفوس الناس ((التمرد على كل تلك الموروثات التي كانوا يركنون إليها ويأمنون بها ويتعصبون لها))<sup>(١)</sup>. ((فإنَّ نزع الناس عن عاداتهم وأعرافهم ومسلماهم أمر صعب ليس بالهين، وفيه حرج عظيم، وعُسر شديد، والولع بالجديد في نطاق الشريعة الإلهية غير وارد من حيث المبدأ، لكن إذا كان العرف فاسداً أو مصادماً لأحكام الشريعة والدين، فلا بُدَّ من استئصاله والعمل على تخليص الناس منه، وحملهم على الحكم الشرعي الأصلي))<sup>(٢)</sup> بأن يعودوا إلى ما كان عليه السلف الأول في تلقيهم للوحي المنزل بدون معارضة هوى التبعية للآباء والأجداد، فالمسلمون في مختلف العصور لا يزال الاختلاف بينهم جلياً، ((فيهم قلة من المسلمين الذين تتجلى فيهم سيرة أصحاب رسول الله ﷺ، إيماناً وعاطفةً وسلوكاً... وفيهم كثرة تنتمي إلى الإسلام تراثاً، وتعتر به أمجاداً وتاريخاً، ثم هي مستسلمة لتيار الرغائب والأهواء وكل طراز جديد... وفيهم كثرة أخرى تعيش دون أن تكتشف أي خيار لها في قبوله أو رفضه، قد شغلته ظروف الحياة وتراكم المشكلات وتلمس أسباب المعيش عن النظر في هذا الأمر الذي التصق بها دون أن يعينها... وفيهم كثرة أخرى نشأوا في ظروف نفسية وربما فكرية وفلسفية، شكلت لديهم عُقداً سلبية تجاه الإسلام من حيث

(١) الإسلام والعصر تحديات وآفاق: ٣٨.

(٢) تجديد الفقه الإسلامي: ١٦٧.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

هو، فانطلقوا يبحثون عن البديل اعتقادياً وثقافياً وحضارياً<sup>(١)</sup>. وهذا يستدعي الحاجة إلى التجديد الذي يُخرج الناس من هذه الأفهام والمعتقدات والأوهام إلى نور الإسلام بصفائه ونقائه كما يريد الله عزَّ وجلَّ ويرضاه.

### ب- الجهل بالإسلام وباللغة العربية:

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للبشر عامةً شاملةً، لم تخص بنور هدايتها أمة من دون أخرى، ولا دعت شعباً من دون آخر، ولا كانت لإقليم من دون غيره، فليست مقيدة في موطن، ولا محصورة في بلد، وإنما وطنها الكرة الأرضية بأسرها، وهذا ما يفيدته قوله الله تعالى لنبيه: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) (الأنبياء: ١٠٧).

والواقع أنَّ هذا العالم الواسع مشتمل على أمم كثيرة، ولغات مختلفة، وقبائل متعددة، وأقاليم متباينة، وبلدان متسعة، وأرجاء شاسعة، لأبَدَّ هؤلاء من لغة تجمع هذا المتفرق، وتقرب هذا المتباعد، وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد، ويؤمنون بعقيدة واحدة، ويصدقون بكتاب واحد، ويتبعون رسولاً واحداً؛ لأنَّ معرفة لغات المسلمين كافة على شخص واحد ليست بالأمر الهين أو الشيء السهل، بل تكاد تكون غير مقدور عليها، نظراً لعمر الإنسان القصير، إذ إنه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم إتقان، وإحاطة، وإجادة.

فاختار الشارع لهم لغة واحدة يتعارفون بها ويتفاهمون، هي لغة عاصمة الأمة الإسلامية وهي اللغة العربية، اختارها لما تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة اللتين لا توجدان في غيرها من اللغات<sup>(٢)</sup>.

واللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحية في العصر الحاضر، كما

(١) الإسلام وتحديات العصر: ٣٩-٤٠.

(٢) اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية: ٢٥٧-٢٥٨.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

كانت قديماً تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة، ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصة بشيء من التقديس والاحترام، وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الإعجاب والإكبار<sup>(١)</sup>.

إنَّ ((جهل أكثر الناس بلغة العرب الفصيحة وبأساليبها في البيان - وإن كانوا يتكلمون العربية - ممَّا أوجد حاجزاً بين الناس وبين الفهم الصحيح لكثير من الأمور الواردة في النصوص))<sup>(٢)</sup>، و((ظهور كثير من المعاملات والتصرفات التي لم تكن موجودة زمن نزول الوحي أو زمن الأئمة الأعلام؛ ممَّا تحتاج معه إلى بيان الوجه الشرعي الصحيح بإزائها، غير أنَّ بعض هذه المستجدات قد تكون جديدة من حيث الصورة الظاهرة فقط التي تظهر عند النظرة غير المتفحصة، بينما حقيقتها أنَّها ليست بجديدة، فيحتاج الناس إلى من يبين لهم ذلك ويدهم عليه))<sup>(٣)</sup>، فقد أدى هذا الجهل، أعني: الجهل بالإسلام فضلاً عن اللغة العربية إلى ((تحريف معاني كثير من النصوص الشرعية، وخاصة التي تحدد علاقة المسلمين بالكفار المسلمين أو المحاربين؛ ممَّا يترتب عليه تزيف أحكام الجهاد في الإسلام، والولاء والبراء؛ ممَّا يجعل المسلمين عرضة لجميع أنواع الغزو الثقافي والأخلاقي))<sup>(٤)</sup>.

### ج - الغزو الثقافي:

ف((منذ أن أحكم الغرب قبضته على مقاليد العالم ومنه العالم الإسلامي في أواخر القرن الماضي لم يرَ الناس غير ثقافته، فاعتبرت المحور والمقياس لكل فكر ومعرفة.

(١) ينظر: المدخل إلى اللغة العربية: ١٧.

(٢) تجديد الخطاب الديني: ١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٤.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

ومع الغلبة التي حققها الغرب، بدأ الاجتياح والغزو الثقافي، وبدأت الحصون الفكرية والثقافية للأمم الأخرى تتهاوى أمامه... وعلى الرغم من أن الأمة الإسلامية - بمجموعها- لم تستسلم للثقافة الغازية، والتجأت إلى تاريخها الثقافي والحضاري تحتمي به من الاقتلاع، إلا أن هذا الالتجاء إلى الموارث مع العجز عن التعامل المنهجي معها وإن حال دون ذوبان الأمة إلا أنه لم يمكنها من عملية النهوض والبناء الحضاري. وطبعاً لم يخل الأمر من سقوط فئات من الأمة في الاستلاب الثقافي والشغف بقوة الغالب، وتشرب ثقافته ومحاولة تقليده في كل شيء، على أمل أن ذلك يُمكن من اجتياز حاجز التخلف واللحاق بركب الحضارة، ويعوض عن مركب النقص، إلا أن هذا التوجه لم يجن أصحابه إلا الحصاد المر الذي تمثل بفقدان الهوية، واضطراب الرؤية، وتفكك الشخصية الإسلامية...<sup>(١)</sup>.

#### د- الغزو العسكري لبلاد المسلمين:

فقد أدى ذلك إلى الضعف السياسي الذي نتج عنه اهتزاز الثقة بالنفس لدى فئة من أبناء المسلمين، فالتجسروا نحو مخلفات الغزو الفكري، وكل ما يخالف الإسلام، من نظرات وأفكار مستحدثة، بل أدى إلى محاولة بعضهم إعادة تفصيل الثوب الإسلامي ليتناسب مع الأقيسة الغربية في فهم الشريعة والواقع<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أدلته في الكتاب والسنة:

أولاً: أدلته من الكتاب:

على الرغم من أهمية التأصيل لمسألة التجديد، وتعدد المصنفات التي ألفت في هذا الميدان إلا أن الباحث وفي حدود اطلاعه لا يكاد يقف على من تحدث عن أدلة القرآن

(١) إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات: ١٣-١٤.

(٢) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٣٣.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

الكريم على التجديد، ولكن يمكن إجمال دلالات التجديد في القرآن الكريم على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:

أ- دلالات القرآن الكريم على المعنى اللغوي للتجديد:

الناظر في كتاب الله يجد أن لفظة التجديد لم تُذكر في القرآن الكريم ولكن ورد من مشتقاتها لفظ الجديد في مثل قوله تعالى: ((أفعمينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلقٍ جديدٍ)) (ق: ١٥)، وقد جاء موافقاً في معناه لمعنى التجديد وهو البعث والإحياء والإعادة<sup>(٢)</sup>.

ب- دلالات القرآن على المعنى الاصطلاحي للتجديد:

عني القرآن الكريم بأهم معلم من معالم التجديد فيبين أن خيرية هذه الأمة متعلقة بحفاظها على الشريعة من أي تهاون كان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه، فقال تعالى: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) (آل عمران: ١١٠). ولقد حثَّ سبحانه في كتابه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، فقال عزَّ وجلَّ: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (آل عمران: ١٠٤).

وقد أقسم سبحانه بالعصر على أن الناس في خسر، ولم يستثن من ذلك سوى مَنْ قام بأمر هذا الدين في نفسه ثم مجدداً له بين الناس صابراً على ذلك كله، فقال سبحانه: ((والعصر، إنَّ الإنسانَ لفي خسرٍ إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبْرِ)) (العصر: ١-٣).

وقد أوضح القرآن الكريم وظيفة المجدد بوصفه مصلحاً فقال تعالى: ((والذين

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥٣/٧.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

يَمَسُّكَونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)) (الأعراف: ١٧٠)، فمدلول الآية أنَّ المصلح متمسك بالكتاب عاملاً بشعائره، فإذا كان هذا حال أمة من الأمم تتواصى بالإصلاح بتجديد الدين والحفاظ على الشريعة، والنهي عن الفساد والتحريف في دين الله فهي محفوظة من الهلاك كما قال تعالى: ((فلولا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)) (هود: ١١٦-١١٧)<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أدلته من السنة النبوية:

لقد تعددت الأحاديث التي ذكرت موضوع التجديد أو جوانب منه بما يدل على سنيته في هذه الأمة، نذكر منها ما يأتي، مع بيان أهم ما فيها من دلالات تتعلق بموضوع التجديد، وهي:

أولاً: الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا))<sup>(٢)</sup>، هذا الحديث هو العمدة في موضوع التجديد، فلا يكاد يتحدث باحث عن التجديد إلا ويكون هذا الحديث أساس موضوعه، إذ إن لفظة التجديد لم ترد في السنة النبوية الصحيحة إلا في هذا الحديث<sup>(٣)</sup>، وفي هذا الحديث الكثير من الدلالات ومنها:

(١) ينظر: الإصلاح في القرآن: ٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب مَا يُذَكَّرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ، رقم الحديث (٤٢٩٣): ٤/١٧٨.

(٣) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي: ٥١.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

### ١. إرسال المجددين سنة ربانية:

فإنَّه عزَّ وجلَّ بعد أن ختم الرسالات برسالة النبي محمد ﷺ، سنَّ في هذه الأمة سنَّة إرسال المجددين بين الحين والآخر، يقول الدكتور محمد عمارة: التجديد في الفكر الإسلامي، ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول، وإنما هو سنة وضرورة وقانون<sup>(١)</sup>.

### ٢. التجديد على رأس كل مائة سنة:

وهذا واضح في لفظ الحديث، فإنَّه ((لأبَدُّ عند رأس كل مائة سنة من محنة شديدة، فيقرنها الله عزَّ وجلَّ بمنحة عظيمة، وهو الذي يبعثه لتجديد الدين وإحيائه رحمة منه بعباده، وجبراً لما حصل من الوهن بتلك المحنة))<sup>(٢)</sup>، يقول سفيان بن عيينة: ((بلغني أنَّه يخرج في كل مائة سنة بعد موت النبي ﷺ رجل من العلماء يقوي الله به الدين))<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ((إنَّ الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب))<sup>(٤)</sup>.

### ٣. المجدد مُرسلٌ لأمة الإجابة:

فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يبعث المجددين لأمة محمد ﷺ، فضلاً منه ومنَّةً، إحياءاً لما درسته السنن، وإماتة لما انتشر من البدع، وهذا ما رجحه المناوي<sup>(٥)</sup>، ((فكلمة (لهذه الأمة) إشارة إلى أمة الإسلام، أمة الإجابة، على امتداد قرونها وأجيالها، كان النبي ﷺ يستحضرها أمامه، ويشير إليها بقوله: (لهذه الأمة))<sup>(٦)</sup>، فأثر المجدد وإن تعدى إلى أمة الدعوة، ولكن

(١) ينظر: الخطاب الديني: ٥.

(٢) التنبئة: ١١٤.

(٣) المصدر نفسه: ٩٢.

(٤) المصدر نفسه: ٩٣.

(٥) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٩/١.

(٦) من أجل صحوة راشدة: ٢٧.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

الأثر الأجل هو على أمة الإجابة.

ثانياً: الحديث الثاني:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ))<sup>(١)</sup>  
يشير النبي ﷺ في هذا الحديث ((بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقله وأنه تعالى يوفق له في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف))<sup>(٢)</sup>، وفي هذا الحديث بيان لعددٍ من شروط ووظائف المجدد، وأعماله في الأمة، وهي<sup>(٣)</sup>:

١. عدالة المجدد: فتجديد علم الشريعة وإحيائه بين الناس يحمله من كل خلفٍ عدوله ((وهذا تصريح بعدالة حامله في كل عصر، وهذا من أعلام نبوته، ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم بأن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئاً))<sup>(٤)</sup>.

٢. أكدَّ الحديث على ثلاثة واجبات يحملها المجدد؛ فهو ينفي عن الأمة<sup>(٥)</sup>:

أ. تأويل الجاهلين.

ب. انتحال المبطلين.

ج. تحريف الغالين.

(١) أخرجه البيهقي، في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا، (٢١٤٣٩)، ١٠/٢٠٩.

(٢) فيض القدير: ٦/٣٩٦.

(٣) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٣٩.

(٤) فيض القدير: ٦/٣٩٦.

(٥) ينظر: قواعد التحديث: ٤٧.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

٣. في هذا بيان بأن حركة البعث والإحياء مقرونة بتنقية ما علق في القلوب والعقول من الشوائب التي تحول من دون الفهم الصحيح للإسلام، والعودة بعقائد الناس ودين الأمة صافياً نقياً كما كان على العهد الأول<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الحديث الثالث:

عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))<sup>(٢)</sup>، في الحديث بشارة لهذه الأمة بظهور طائفة من أهل الحق يحملون على كاهلهم الذود عن دين الله، ((قال النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة من أنواع المؤمنين، فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، ومنهم آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى من أهل الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض))<sup>(٣)</sup>.



(١) التجديد في الفكر الإسلامي: ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، رقم الحديث (٧٣١١)، ٩/١٠١.

(٣) عمدة القاري: ١٦/١٦٤.

((والمراد بهذه الضوابط الحدود التي يقف عندها المجدد ولا يتجاوزها))<sup>(١)</sup>، فيجب عند دراسة التجديد من تحديد الضوابط والأسس التي تحمي هذا الدين من عبث العابثين، وهو اللاهين، وتآمر المتآمرين<sup>(٢)</sup>، فعلى أساسها ينطلق المجدد، ويرقى في مراتب التجديد ملتزماً منضبطاً فيحفظ الله به الدين، وهذه الضوابط هي:

أولاً: أن يكون القائم بواجب التجديد متحلياً بشروط وصفات المجدد:

فإنه إن قام بالأمر من كان من غير أهله أفسد وإن كان مريداً للإصلاح، ولذلك لزم أولاً أن لا يقوم بالتجديد من لم يكن متحلياً بشروط المجدد، ((فإن من العبث أن يقوم بالتجديد أو يدعيه من لا تربطه بالدين إلا علاقة التضاد أو النقد له أو التهجم عليه، كما إنه من العبث وإضاعة الوقت والجهد أن يقوم بالتجديد من لا يتجاوز علمه بالدين بعض الواجبات أو بعض المحرمات على سبيل التقليد))<sup>(٣)</sup>.

(١) نظرية التجديد في الفكر الإسلامي: ٢٩.

(٢) ينظر: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره: ٧٩.

(٣) تجديد الخطاب الديني: ١.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

ثانياً: أن يكون التجديد مستنداً إلى الكتاب والسنة غير معارض لها أو مصادم

لصريحهما:

((فالتجديد الذي يصادم النصوص الشرعية ويصادرها، ليس تجديداً، وإنما تغيير وتحريف وتبديد، فأئى فكر يتعارض مع النصوص الشرعية: كالفكر الذي يرفض حجاب المرأة الشرعي، وإقامة الحدود الشرعية، أو الدعوة إلى تولية رئاسة الدولة الإسلامية لغير المسلمين ليس من التجديد في شيء))<sup>(١)</sup>.

إنَّ الوحي المنزل المتمثل بالكتاب والسنة هو الضابط الأساس الذي نزن به اجتهادات العلماء، وبدون ذلك ((تصير المرجعية الثقافية والفكرية للأمة في حالة من الفوضى التامة؛ وهذا مالا يمكن القبول به))<sup>(٢)</sup>، ومن الناس ناسٌ يفتون بما يعارض الكتاب استناداً لمصلحة موهومة مُلغاة، أو قولٍ شاذ، وهذا كله لا ينبغي أن يسلك طريقه فضلاً عن أن يتخذه مَنْ يسعى ليرد الناس إلى العهد الأول والدين القيم منهجاً.

ثالثاً: الإلتزام باللغة العربية وقواعدها في فهم النصوص:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية فلا يصح الاستنباط والاستدلال بالكتاب أو السنة إلا من متمكنٍ باللغة العربية، ذلك أن ((منهج الاستدلال من نصوص الوحي إنما يخضع لمعهد اللغة التي نزل بها النص، والآلية التي تنتج الدلالات الصحيحة من النصوص لأبداً أن تخضع للمعايير والضوابط التي تحددها لغة النص))<sup>(٣)</sup>، ((فباللغة تعرف مقاصد الشريعة، وبها يتمكن المجتهد من معرفة الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والعموم والخصوص،

(١) التجديد بين الإسلاميين والعصرانيين: ٤٨.

(٢) تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين: ١٢٧.

(٣) ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر: ٦.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

والاشترك اللفظي، والإطلاق والتقييد، والمنطوق والمفهوم، وهذه كلها من مباحث اللغة<sup>(١)</sup>، (ومن ثم فإنه يمتنع تفسير ما ورد في هذه الشريعة بما لا عهد للعرب به في لغتهم)<sup>(٢)</sup>، وجاء ذكر هذا الضابط ((لأنَّ في الباحثين اليوم من لا يهتم بذلك، ومن ثمَّ فإنَّهم خرجوا بتفسيرات جديدة للقرآن الكريم، أقل ما يقال فيها إنَّها مضحكة!))<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: الأهلية والتخصص في الفنون والميادين محل التجديد والاجتهاد:

الأهلية والتخصص أمران ضروريان في عمل المجدد، فإنَّ علوم الشريعة هي ميدان عظيم من ميادين العلم، ينبغي على من دخله وخاض فيه أن يكون متخصصاً دارساً لأصول العلوم، فكما أنَّه إذا أجرى عملية جراحية غير طبيب جراح آذى المريض من حيث يريد علاجه ورُبَّما أرداه، كذلك علم الدين إذا خاض فيه غير متقن للأصول وضوابط الاستدلال أفسد من حيث يريد الإصلاح<sup>(٤)</sup>.

((ومن ثمَّ يجب ألاَّ يتصدى لتجديد الدين إلاَّ المؤهلون لذلك: شرعياً، ولغويّاً، واجتماعياً، ونفسياً))<sup>(٥)</sup>.

ومن دواعي التنبه إلى أمر التخصص والأهلية أنَّ ((الخلفية الثقافية، تدفع بالمصلح دفعاً نحو الاهتمام ببعض الأمور على حساب بعضها الآخر، كما تجعل إدراكه لمخاطر بعض الأزمات ذات العلاقة بتخصصه وخبرته أكثر عمقاً وأشدَّ حساسية))<sup>(٦)</sup>.

ولأجل هذا أيضاً ينبغي على المجدد أن يرجع إلى أهل الاختصاص في كل علم يخوض

(١) تجديد الفقه الإسلامي: ١.

(٢) تجديد الخطاب الديني: ٢٥.

(٣) تجديد الخطاب الإسلامي: ١.

(٤) ينظر: التجديد بين الإسلاميين والعصرانيين: ٤٩.

(٥) تجديد الخطاب الإسلامي: ٨٣.

(٦) تجديد الخطاب الإسلامي: ٩٥-٩٦.

فيه، فهذا مهم في نجاح وظيفة المجدد.

خامساً: الإلتزام بالمصطلح الإسلامي:

تكمن أهمية المصطلح كونه المعيار الضابط لفهم المستمعين لمقاصد الكلام ودلالاته<sup>(١)</sup>، ف((المصطلح هو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو تخصص معين ليدل على معنى معين يتبادر إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ، والمصطلح في حقيقته يمثل الوعاء الذي يحوي بين طياته المضمون العقدي والحضاري، والمحتوى الفكري والثقافي، والبعد التاريخي المرتبط بالمشأ والهدف، ومن هنا تأتي أهمية التعرض لعالم المصطلحات))<sup>(٢)</sup>، فمثلاً لا يمكن أن نفهم الديمقراطية معزولةً عن سياقها التاريخي ووحدة نظامها العقائدي العام، إنَّها حصيلة تفاعل تاريخي سياسي يؤطرها ويحدد محتواها<sup>(٣)</sup>، فلا ينبغي أن يطلق هذا المصطلح كبديل عن الشورى التي تخالف في مضمونها العقائدي دلالات مصطلح الديمقراطية، ف((لا يمكن إذاً أن نرادف ونماثل الديمقراطية بالشورى، ولا الشورى بالديمقراطية، ذلك أننا عندما نرادفهما نفقرهما معاً، ونمارس بواسطة مماثلتهما تليفاً لا يتيح لنا التقدم في فهم مقاصدنا السياسية، ولا يتيح لنا بناء الفلسفة السياسية القادرة على تمكيننا من حصر ما نريد التفكير فيه في المستوى السياسي من أجل تشييده وبنائه))<sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام ينطبق على الألفاظ والمصطلحات جميعاً التي تصطدم بدلالات المصطلحات والمفاهيم الشرعية، ((حيث يتم السكوت عن أوليات المفاهيم لخدمة

(١) ينظر: المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية: ١٧.

(٢) تجديد الخطاب الإسلامي: ٨.

(٣) ينظر: مفاهيم ملتبسة: ٥١.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣.

أغراض سياسية ظرفية، دون الانتباه إلى النتائج النظرية والتاريخية التي تترتب على هذا (السكوت والتناسي)<sup>(١)</sup>.

((فلا شكَّ أنَّ تحديد معاني الألفاظ التي نستخدمها من الأهمية بمكان. ذلك أن الاجتزاء بجزء من المعنى الخاص بأحد الألفاظ وإهمال باقي الأجزاء، أو إضافة معانٍ إلى اللفظ غريبة عنه أو استخدام اللفظ في غير ما جعل له، لا يسمح بإلقاء الضوء على ما يمكن أن يتفرع منه من موضوعات أو دراسات))<sup>(٢)</sup>.

#### سادساً: أصالة المنهج التجديدي:

التجديد في الدين ينبغي أن يكون إسلامياً صرفاً لا تشوبه الشوائب الدخيلة على الإسلام، فالمقصود بأصالة المنهج التجديدي: استبعاد التطبيق الآلي للمناهج والنظريات والمفاهيم الغربية، في تقويم التراث... أو محاولة تجديد مضمونه؛ لأنَّ إعمالها سيؤدي بلا شكَّ إلى إفراغ الدعوة التجديدية من مضمونها الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

وقد أصبح إبراز هذا الضابط مهماً جداً في عصرنا الحاضر فقد بلغ المتأثرين بالمناهج الغربية الأمر إلى إنكار بعض ثوابت الإسلام حتى ((صار النهي عن المنكر اليوم شيئاً مستنكراً لدى كثير من الناس بسبب توسعهم غير المشروع وغير الصحيح لدوائر الخصوصية والحرية الشخصية، والذي انتقل إلينا من أمم قدّمت الحرية على كل شيء، فما ازدادت رشداً، ولا شعرت أنّها صارت في حال أفضل))<sup>(٤)</sup>.

ولذلك ((فلا يجوز أن نستعير منهجاً من خارج الإسلام؛ لنعتمده في التجديد؛ لأنَّ

(١) ينظر: مفاهيم ملتبسة: ٥٣.

(٢) سيكولوجية الاعتقاد والفكر: ٣.

(٣) ينظر: التجديد في أصول الفقه: ٩٩.

(٤) تجديد الخطاب الإسلامي: ١٠٣.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

لكل منهج روحاً خاصة، تنعكس على مضمونه ومحتوياته، وتبلور في معالمه وسماته الظاهرة<sup>(١)</sup>، ويبرز دور المجدد في دفاعه عن منهجه النبوي الأصيل، لا أن ينساق خلف أي منهج دخيل.

سابعاً: التحرر من ضغط الواقع:

إنَّ مهمة الدين أن يقود الحياة بمثله الأعلى، لا أن تقوده الحياة بواقعها الهابط، مهمته أن تسير الحياة في اتجاهه، لا أن يسير هو حيثما سار ركب الحياة. وليس معنى مجارة التطور الذي يتغنى به الكثيرون، أن يتنازل الدين عن رسالته في القيادة والتوجيه، ويصبح هو مقوداً وموجَّهاً، فإنَّ معنى هذا: أن تصبح الحياة بلا ضابط تنضبط به، ولا مقياس تحتكم إليه... إنَّ واجب المجددين أن يرتفعوا بالواقع إلى أفق الشرع، لا أن يهبطوا بالشرع إلى حضيض الواقع، واجبههم أن يخضعوا واقع الناس لشرية الله، وأن يكيفَ الناس سلوكهم وأعمالهم تبعاً لها؛ لأنَّ الشريعة كلمة الله، وكلمة الله هي العليا<sup>(٢)</sup>. وهذا لا يعني إهمال الواقع عند إنزال الأحكام، بل لا بُدَّ من مراعاة الظروف والأحوال التي تنزل عليها الفتاوى، بما لا يتعارض مع نصٍّ صريحٍ أو أصلٍ صحيحٍ.



(١) تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره: ٩١.  
(٢) شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان: ١٣٩.

من يُطالع حديث المصنفين عن شروط المجدد أو صفاته يجد في كثير من الأحيان خلطاً بين الشروط والصفات أو جمعاً بينها، ومن هنا نجد أنه لا بد من التفريق بين ((الشروط التي يجب أن تتحقق في صاحب الدعوة التجديدية))<sup>(١)</sup>، وما يجب أن يتصف به من صفات ومواهب رفيعة، تؤهله للقيام بهذه المهمة<sup>(٢)</sup>.

أولاً : شروط المجدد:

وهي تلك المميزات التي لا يمكن أن ننسب أحداً لفئة المجددين من دون أن يتحلى بها، وهي على النحو الآتي:

#### ١. الإسلام:

ونعني بالإسلام ((أن يكون من أهل هذا الدين المؤمنين به))<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن العمل به والإنقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه، والعلم بأحكامه وشرائعه، إذ إنَّ وظيفة المجدد هي أن ((يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم))<sup>(٤)</sup>. قال المناوي: ((يُجدد لها دينها))، أي: يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم))<sup>(٥)</sup>.

(١) التجديد في أصول الفقه: ٩.

(٢) ينظر: تجديد الدين لدى الاتجاه العقلائي المعاصر: ٥٤.

(٣) تجديد الخطاب الديني: ١٨.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١١ / ٢٦٠.

(٥) فيض القدير: ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

ولا يمكن أن يتصور أن يقوم بذلك أحدٌ من غير أهل العلم، قال بدر الدين الأهدل: ((ولا يكون المجدد إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة، ناصرًا للسنّة، قامعًا للبدعة))<sup>(١)</sup>، ولذلك ((ليس للفرق التي تشايحت على الباطل، وتآلفت على الهوى، من التجديد نصيب، وكيف وهي تهدم الدين وتشوه حقيقته وتلبسه ثوباً غير ثوبه))<sup>(٢)</sup>.

## ٢. العدالة:

ومن الشروط الواجب توافرها في شخص المجدد، هو شرط العدالة، فلا بُدَّ للشخص المجدد أن يمتسك بهذا الشرط في تعامله مع نفسه ومع الآخرين، ويقتضي هذا الشرط كذلك أن يكون من المتمسكين بالدين اعتقاداً وقولاً وفعلاً، لا يظهر منه أي تهاونٍ بالشريعة، فضلاً عن الخروج عليها، أو التساهل والتفريط فيما دلت عليه<sup>(٣)</sup>.

## ٣. أن يكون نفعه عاماً، مشهوراً بين أعلام الأمة:

المجدد له من الأثر والتأثير بين الناس ما يجعله غير مغمور، بل مشهوراً بين الأعلام، يشعر بأثره عامة الخلق، فيعم نفعه في الآفاق، فلا يدخل في المجددين من انحصر أثره في طائفة أو قلة من أهل زمانه، لانخراط شرط الإمامة في الأمة<sup>(٤)</sup>، يقول الإمام السيوطي: ((أمّا الرجل القائم بتجديد الدين فلا بُدَّ أن يكون ظاهراً؛ حتى يتبين تجديده للناس، ليحصل به المقصود))<sup>(٥)</sup>، ويقول في موضع آخر: ((وكذلك لا بُدَّ أن يكون المبعوث على رأس المائة أن يكون نفعه عاماً مطلقاً في الأرض، أو فيه نوع عموم))<sup>(٦)</sup>.

(١) التنبيهة: ١١٠.

(٢) التجديد في الإسلام: ٥٢.

(٣) ينظر: تجديد الخطاب الديني: ١٨.

(٤) تجديد الفكر الإسلامي، الحسن العلمي: ١٩.

(٥) التنبيهة: ٩.

(٦) المصدر نفسه: ١١٤.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

غير أن نجاح المجدد في تعامله مع قضايا عصره، لا يعني نجاحه في التعامل مع قضايا العصور اللاحقة<sup>(١)</sup>.

٤. أن يكون خبيراً بواقع الأمة:

لا يتصور أن يكون من يريد أن يجدد لهذه الأمة أمر دينها أن يكون غائباً عن واقع أمته جاهلاً فيه، بل ينبغي ((أن يكون خبيراً بواقع الأمة عارفاً بعقلها، وأن يكون محيطاً بالأحوال العالمية من حوله والتي لها علاقة بأمتة فإنه لا يتحرك في فضاء))<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: صفات المجدد:

هي تلك الميزات التي يتمتع بها المجدد في شخصيته، وهبه الله إياها خلقاً، أو أكسبه إياها مع تجارب الحياة، وهي على النحو الآتي:

١. صاحب فهم وبصيرة:

من الميزات التي يتحل بها المجدد كي يستطيع أن يقوم بالمهمة التي أوكلت إليه ((أن يكون له نظر ثاقب وملكة و نفاذ بصيرة، وسعة في الفهم والاستنباط، وقدرة على تمييز الصحيح من السقيم))<sup>(٣)</sup>.

٢. الإرادة والعزيمة:

فلم يخلد إلى الأرض، ولا استسلم لواقعه الفاسد أو السيء، بل ينطلق من هذا الواقع المنحرف ليشق طريق الإصلاح والتغيير في الأمة، ليجعل من عصره خير العصور التي مرت بها الأمة، فيصح أن يقال فيه أمة في رجل<sup>(٤)</sup>.

(١) تجديد الفكر الإسلامي، مجموعة من العلماء: ١٩.

(٢) تجديد الخطاب الديني: ١٩.

(٣) العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد: ٢٠.

(٤) ينظر: التجديد في الإسلام: ٥.

مثلاً أنّ للتجديد ضوابطه، فإنّ له ركائز لا ينبغي للمجدد أن يتعداها؛ كي تؤتي جهوده ثمارها، فإذا لزمها المجدد مدركاً لها حقق مراد الله منه، وإن تعداها ولم يرعها حقّ الرعاية خرج عن المقصود، وقد يقع في المحذور، وهذه الركائز هي<sup>(١)</sup>:

أولاً: الجمع بين خاصتي الثبات والمرونة:

((إنّ الوحي لا تحدده الأبعاد الزمانية أو المكانية فهو وحي مطلق متعلق بالإنسان حيث وجد الإنسان، فكما أنّ هناك جانباً ثابتاً في الإنسان كنوازه ومشاعره فكذلك الوحي السماوي))<sup>(٢)</sup>.

إنّ في هذا الدين ما لا يحتمل الاجتهاد ولا التغير كما أنّ هناك من المجالات ما يتسع فيه باب المرونة والتغير، وللوقوف على ضابط ذلك لأبّد من التفصيل بحسب أقسام الدين عقيدةً وشرعيةً وسلوكاً:

#### ١. التجديد في مجال العقيدة:

((لا يعني تجديد العقيدة الإضافة إليها أمراً جديداً لم يكن فيها، ولم يألفه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم... فتجديد العقيدة يعني العودة بالأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة، وفهمها على منهج السلف الصالح))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي: ٢٦-٣٦.

(٢) ظاهرة التأويل الحديثية: ٥.

(٣) مجالات التجديد في الدين عرض ونقد: ١٤.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

وذلك لأنَّ العقيدة ثابتة بأركانها الست، لا يعترها التغيير في ذاتها، فمن نعم الله على المسلمين أن جعل سائر أركان الإيمان مكتملة في الآيات المحكمات من النصوص قطعية الثبوت والدلالة، في القرآن والسُّنَّة<sup>(١)</sup>، ولكن مع اختلاف الزمان والمكان يحصل الاختلاف في أفهام الناس، ودور المجددين حيال ذلك<sup>(٢)</sup>:

١- ردُّ الناس إلى ما كانت عليه الأمة قبل حصول الاختلاف.

٢- الانصراف عن الاهتمام الزائد ببعض الموضوعات التي امتلأت بها كتب السلف في عصر من العصور لانتشار فرقة من الفرق أو فتنة من الفتن إلى الموضوعات التي تلامس واقع الناس وتحتاجه عقائدهم بالتوضيح والبيان والتصحيح.

٣- تغيير الأساليب التي لربَّما نفرت كثير من الناس عن قراءة كتب العقيدة إلى أساليب تتناسب مع واقع الناس من غير تغيير للمضمون.

٢. التجديد في الشريعة، وهو قسمان:

الأول: ما يتصف بـ((الثبوت من غير زوال؛ فلذلك لا تجد فيها بعد كما لها نسخاً، ولا تخصيصاً لعمومها، ولا تقييداً لإطلاقها، ولا رفعاً لحكم من أحكامها، لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أثبت سبباً؛ فهو سبب أبداً لا يرتفع، وما كان شرطاً؛ فهو أبداً شرط، وما كان واجباً؛ فهو واجب أبداً، أو مندوباً فمندوب، وهكذا جميع الأحكام؛ فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية؛ لكانت أحكامها كذلك... وإذا حكم في قضية، ثم خالف حكمه الواقع في القضية في بعض المواضع أو بعض الأحوال؛ كان

(١) ينظر: الإسلام والتحديات المعاصرة: ٨٩.

(٢) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٥٣-٥٤.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

حكمه خطأ وباطلاً، من حيث أطلق الحكم فيما ليس بمطلق، أو عمّ فيما هو خاص))<sup>(١)</sup>. وكذلك العبادات ((لأنّها مرسومة على هيئات وصور خاصة، وهي عبادات محضة وأحكام غير معقولة المعنى، وما كان شأنه كذلك فلا يجري عليه مراعاة المصالح، ولا يؤثر عليه تغير الزمان والمكان))<sup>(٢)</sup>، ((وكل ما اشتملت عليه نصوص الكتاب والسنة من كليات وجزئيات ومقاصد عامة، فهي مستقرة ودائمة وغير قابلة للتبديل ولا للتغيير، فما أحلّ الله في كتابه وسُنَّه نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة))<sup>(٣)</sup>.

((والتجديد في هذه المسائل لا يكون في أصل إثباتها، وأنّما في إيجاد الوسائل التي تعزز التزام الأمة بماضيها، والوقوف عند حدودها))<sup>(٤)</sup>.

الثاني: ((نحن كل يوم في شأن جديد، يتيح فرصة جديدة، ويأتي بتكليف جديد، ويولد مشكلة جديدة، ويحتاج التعامل مع كل ذلك إلى بصيرة متجددة))<sup>(٥)</sup>، فما يستجد من المسائل والأحوال أو كان يستند إلى نصوص ظنية الدلالة وتحتل الاجتهاد فيكون التجديد فيها بـ((إحياء الحركة العلمية المبنية على الاستدلال والاستنباط من الكتاب والسُنَّة، وفق قواعد الاستدلال عند الأئمة الأربعة وغيرهم ممّن جاء بعدهم من أئمة الهدى، والسير على منهجهم وطريقتهم، دون التعصب لمذهب من المذاهب المتبعة وغيرها))<sup>(٦)</sup>.

(١) الموافقات في أصول الشريعة: ١٠٩ - ١١١.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي: ٢٧.

(٣) ظاهرة التأويل الحديثة: ١٩.

(٤) تجديد الوعي: ١٦٩.

(٥) المصدر نفسه: ١٦١ - ١٦٢.

(٦) مجالات التجديد: ٣٣.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

### ٣. التجديد في السلوك والأخلاق:

\* الأخلاق على قسمين<sup>(١)</sup>:

الأول: أخلاق لا يغيرها الزمان والمكان، فما كان فاضلاً ومحموداً منها في صدر الإسلام كالصبر والصدق والأمانة هو محمود اليوم وفي كل زمن، وما كان مذموماً منها مثل الكذب والخيانة والغدر فهو مذموم بالأمس واليوم وغداً وإلى قيام الساعة، ويكون التجديد فيها بنشرها بين الناس وإحيائها.

الثاني: أخلاق تتغير بتغير الزمان والمكان وتغير أعراف الناس كخوارم المروءة، وكذلك أخلاق الحروب، فإن كان قد شرع في ديننا قتل الأسير أو افتدائه أو سببه مثلاً إلا أن القوانين الدولية تحرم قتله أو سببه فيتغير الحكم بما يتناسب مع أخلاق الناس إذا كان فعلاً حميداً.

ثانياً: رعاية الضرورات والأعذار والحالات الاستثنائية:

((إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع؛ كقوله تعالى: ((ما جعل عليكم في الدين من حرج)) (الحج: ٧٨)، وسائر ما يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) (البقرة: ١٨٥)، وقوله تعالى: ((يريد الله أن يخفف عنكم)) (النساء: ٢٨))، وهذه الأدلة وغيرها كثير هي ركيزة من ركائز التجديد فلذلك ينبغي على المجدد رعايتها فإن ((من تمام التشريع أن يبين لهم الرخص عند الأعذار، ليأتي المكلفون من الطاعة بما يستطيعون، ويكون قدر ذلك مفوضاً إلى الشارع، ليراعي فيه التوسط، لا إليهم، فيفرضوا، أو يفرضوا. اعتنى رسول الله ﷺ بضبط الرخص والأعذار، ومن أصول الرخص أن ينظر إلى أصل الطاعة حسبها تأمر به حكمة

(١) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٥٥.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

البر، فيعض عليها بالنواجذ على كل حال، وينظر إلى حدود وضوابط شرعها الشارع، ليتيسر لهم الأخذ بالبر، فيصرف فيها إسقاطاً وابدالاً حسبما تؤدي إليه الضرورة))<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: تعليل الأحكام الشرعية:

قد تقرر أن أحكام الشريعة كلها معللة، وهذه العلة تنقسم إلى قسمين:

١. علة معقولة وهي الأصل في باب المعاملات وهي محل اجتهاد العلماء بإنزال

الحوادث مما ليس فيه نص منزلة الأحكام المنصوص عليها عند تساوي العلل.

٢. علة غير معقولة وهي الأصل في باب العبادات وهذا النوع لا قياس فيه<sup>(٢)</sup>.

((وهذا كله فتح ويفتح الباب واسعاً أمام المجتهدين والمجددين لمعالجة كل

ما جدَّ ويجدُّ من أحوال الناس في ضوء الشريعة الإسلامية، واستهداء بحكمها

ومقاصدها))<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: مراعاة الشريعة لمصالح العباد:

قال تعالى: ((وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين)) (الأنبياء: ١٠٧)، فهذه الرحمة تقتضي

أن تكون الشريعة فيها المصلحة الوافية للعباد في دنياهم وآخرتهم، وإلا لما تحقق مفهوم

الرحمة في إرسال الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>.

قال العز بن عبد السلام: ((الشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاصد أو تجلب مصالح،

فإذا سمعت الله يقول: ((يا أيها الذين آمنوا))، فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً

يحثك عليه أو شراً يزعرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض

(١) حجة الله البالغة: ٤٦٢.

(٢) ينظر: الفقيه والمتفقه: ٥٨٤ / ١.

(٣) التجديد في الفكر الإسلامي: ٣٣.

(٤) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية: ٨٧.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

الأحكام من المفسد حثًا على اجتناب المفسد وما في بعض الأحكام من المصلح حثًا على إتيان المصلح))<sup>(١)</sup>.

والمصلحة هي ((المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم))<sup>(٢)</sup>.

ومصالح الناس مختلفة ومتفاوتة و((مصالح الآخرة لا تتم إلا بمعظم مصالح الدنيا كالمآكل والمشارب والمناكح وكثير من المنافع، فلذلك انقسمت الشريعة إلى العبادات المحضة في طلب المصالح الأخروية، وإلى العبادات المتعلقة بمصالح الدنيا والآخرة، وإلى ما يغلب عليه مصالح الدنيا كالزكاة، وإلى ما يغلب عليه مصالح الأخرى كالصلاة، وكذلك انقسمت المعاملات إلى ما يغلب عليه مصالح الدنيا كالبیاعات والإجارات، وإلى ما يغلب عليه مصالح الآخرة كالإجارة بالطاعات على الطاعات، وإلى ما يجتمع فيه المصلحتان))<sup>(٣)</sup>.

\* وقد قسّم العلماء المصلحة إلى ثلاثة أقسام:

- أ. المصلحة المعتبرة وهي المصلحة التي دلت الأدلة الشرعية على اعتبارها وإقرارها.
- ب. المصلحة الملغاة وهي المصلحة التي دلت الأدلة الشرعية على إهدارها والغائها.
- ج. المصلحة المرسلة وهي المصلحة التي سكت عنها الشرع، فلم ينص الدليل على إقرارها أو إلغائها، وهي التي محل الاجتهاد ونظر العلماء وفق القواعد الأصولية<sup>(٤)</sup>.

خامسًا: مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم:

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٩ / ١.

(٢) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية: ٣.

(٣) المصدر نفسه: ٦٦.

(٤) ينظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: ٢٣٥.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

إنَّ جانبًا ليس بالقليل من الأحكام الشرعية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأعراف الناس، التي لا تتعارض مع نص صريح أو قاعدة عامة، وهذا من المرونة التي تحلت بها الشريعة، مثال ذلك، مراعاة العرف في مسألة مهور الزواج وتقسيمها، ونفقة الزوجة بحسب ما ينسجم مع عرف الناس<sup>(١)</sup>.

((وكلُّ ما تكرر من لفظ المعروف في القرآن نحو: ((وعاشروهنَّ بالمعروف)) (النساء: ١٩)، فالمراد ما: يتعارفه الناس من مثل ذلك الأمر. ومنها: قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مراتٍ من قبل صلاةِ الفجرِ، وحينَ تضعونَ ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عوراتٍ لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهنَّ، طوافونَ عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين اللهُ لكم الآياتِ واللهُ علِيمٌ حكِيمٌ)) (النور: ٥٨)، فالأمر بالاستئذان في الأوقات التي جرت العادة فيها بالابتدال ووضع الثياب، فابتنى الحكم الشرعي على ما كانوا يعتادونه))<sup>(٢)</sup>، والأمثلة على مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم كثيرة ولذلك لا بُدَّ من الإرتكاز على هذه الركيزة في أمر التجديد وكذلك بقية ما سبق ذكره من الركائز فيستقيم للمجدد أمره، ويتحقق مراده<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي: ٣.

(٢) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: ٨/ ٣٨٥٨.

(٣) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: ٥٨.

أما النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

١- أن الله عزَّ وجلَّ تعهد بحفظ هذا الدين بنقائه وصفائه إلى قيام الساعة، بأن ييسر من ورثة أنبيائه وحمله شريعته من يقوم بهذا الواجب، من نفي التحريف ونبذ البدع عن دين الإسلام.

٢- وقد جعل الله عزَّ وجلَّ من خصائص هذا الدين أنه صالح لكل زمان ومكان، فإن كانت آياته وأحكامه نزلت في جزيرة العرب فإنَّ نفعه يمتد ليستغرق هذا العالم مهما ترامت أطرافه، وإن كان نزل في زمن من الأزمان إلاَّ أنه لا يخلو منه إجابة عما يستجد في حياة الناس.

٣- ظهر لنا من البحث أنَّ من أبرز دواعي التجديد في الفكر الإسلامي هو: ضعف الوازع الديني، والجهل بالإسلام وباللغة العربية، والغزو الثقافي، والغزو العسكري لبلاد المسلمين.

٤- يجب عند دراسة التجديد من تحديد الضوابط والأسس التي تحمي هذا الدين من عبث العابثين، وهو اللاهين، وتآمر المتآمرين، فعلى أساسها ينطلق المجدد، ويرقى في مراتب التجديد ملتزماً منضبطاً فيحفظ الله به الدين.

٥- مثلما أنَّ للتجديد ضوابطه، فإنَّ له ركائز لا ينبغي للمجدد أن يتعدها؛ كي تؤتي جهوده ثمارها، فإذا لزمها المجدد مدرِّكاً لها حقق مراد الله منه، وإن تعدها ولم يرعها حق الرعاية خرج عن المقصود، وقد يقع في المحذور.

٦- حدد العلماء مجموعة من الشروط التي لا بد أن تتوافر في المجدد، هي: الإسلام، والعدالة، وأن يكون نفعه عاماً، ومشهوراً بين أعلام الأمة، وأن يكون خبيراً بواقع الأمة، أما صفاته، فهي: أن يكون صاحب فهم وبصيرة، وإرادة وعزيمة.

- بعد القرآن الكريم.

١- الإسلام والتحديات المعاصرة: الدكتور محمد عمارة، ط٤، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

٢- الإسلام والعصر تحديات وآفاق: محمد سعيد رمضان البوطي، وطيب تيزيني، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٩٩٨م.

٣- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات: طه جابر العلواني، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م.

٤- الإصلاح في القرآن: عبدالعزيز الشامي، مجلة البيان، العدد (٢٩٧)، ٢٠١٢م، السعودية.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.

٦- التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد: أنس بن محمد جمال بن حسن أبو الهنود، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة - دولة فلسطين، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٧- تجديد الخطاب الإسلامي الرؤى والمضامين: عبدالكريم بكار، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١١م.

٨- تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف: محمد بن شاعر الشريف، ط١، طبعة مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٤م.

٩- تجديد الدين لدى الاتجاه العقلائي المعاصر: أحمد بن محمد اللهيبي، ط١، مكتب

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٢هـ.

١٠- تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره: محمد حسنين حسن حسنين، ط ١، دار السلام، القاهرة - مصر.

١١- تجديد الفكر الإسلامي: الحسن العلمي، ط ١، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

١٢- تجديد الفكر الإسلامي: مجموعة من العلماء، ط ١، مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود (المركز الثقافي العربي)، السعودية، ١٩٨٩م.

١٣- التجديد في الإسلام: ط ٢، المتدى الإسلامي، لندن، ١٩٩٠م.

١٤- التجديد في أصول الفقه: جميلة بو خاتم، ط ١، دار الفاروق للاستشارات الثقافية، مصر، ٢٠١٠م.

١٥- تجديد الفقه الإسلامي: جمال عطية ووهبة الزحيلي، ط ١، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٢م.

١٦- التجديد في الفكر الإسلامي: عدنان محمد أمامة، ط ١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٧- تجديد الوعي: عبد الكريم بكار، ط ١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.

١٨- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الحنبلي، تحقيق: عبدالرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٠م.

١٩- التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة عام، الإمام جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالرحيم الكردي، (مجلة تراثيات، العدد الثالث)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م.

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

- ٢٠- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، د.ت.
- ٢١- حجة الله البالغة: أحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، تحقيق: سيد سابق، دار الكتب الحديثة - مكتبة المثنى، القاهرة - بغداد.
- ٢٢- الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي: محمد عمارة، ط ١، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠١١م.
- ٢٣- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٤- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٥- سيكولوجية الاعتقاد والفكر: يوسف ميخائيل أسعد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ١٩٩٠م.
- ٢٦- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان: يوسف القرضاوي، ط ٥، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٢٧- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض - السعودية، د.ت.
- ٢٨- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية: محمد سعيد رمضان البوطي، ط ٤، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ.
- ٢٩- ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر: خالد بن عبدالعزيز السيف، ط ٢، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ٢٠١١م.
- ٣٠- العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد: عبدالعزيز مختار إبراهيم الأمين،

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٩م.

٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٣٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- الفقيه والمتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.

٣٤- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، مكتبة وهبة، مصر.

٣٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة — مصر، ١٣٥٦هـ.

٣٦- القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٧- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف، بيروت - لبنان.

٣٨- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جلال الدين القاسمي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ.

٣٩- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-

لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٠- اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية: محمد بن سعيد العرفي، مقال مقدم ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية (٢٧) المنشورة في كتاب (اللغة العربية: آراء ومناقشات)، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة (٢٠٠٤م).

٤١- المدخل إلى اللغة العربية: بدر الدين أبو صالح، ط ٢، دار الشرق العربي، سوريا - لبنان.

٤٢- المدرسة الإصلاحية والتجديد: مجلة البيان، العدد (١٠)، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٤٣- مجالات التجديد في الدين عرض ونقد: عبدالعزيز مختار إبراهيم الأمين، ط ٤، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١١م.

٤٤- المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية: الهيثم زعفان، ط ١، مركز الرسالة للبحوث والدراسات الإنسانية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٩م.

٤٥- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، ط ٥، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ.

٤٦- المعجم الوسيط: مجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

٤٧- مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر: كمال عبداللطيف، ط ١، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.

٤٨- من أجل صحوة راشدة: يوسف القرضاوي، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٩- الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي

ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي وركائزه

الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، ط ١، دار ابن عفان، المملكة الأردنية،  
١٩٩٧م.

٥٠- نظرية التجديد في الفكر الإسلامي: الدكتور عبد الكريم زيدان، طبعة  
إلكترونية، من دون اسم المطبعة أو مكان الطبع، وتاريخ الطبعة.





-11-

( )

إعداد

أ.م.د. محمد رياض فخري  
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد





إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره، وأصلي على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين.

أما بعد: فهذا بحث عن ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي، حاولت فيه أن أدل على معالم هذا الموضوع؛ كون التجديد من الموضوعات المعاصرة التي تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين في الفقه الإسلامي في وقتنا الحاضر.

إن حركة التجديد في الفقه الإسلامي لم تتوقف والله الحمد في أي عصر من العصور، منذ بداية عهد الصحابة بعد انتهاء مدة النبوة، وإلى يومنا الحاضر، وإن تفاوت حصاها كثرة وقلة، صعوداً وهبوطاً، ونمياً وركوداً أحياناً؛ لأن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات على أهل كل عصر، وواجب أن يقوم به فئة في كل زمن.

:

أولاً: كثرة الدعوات المتكررة لتجديد الفقه، وتجديد الخطاب الفقهي ممن يعرف معنى التجديد، ومن لا يعرفه.

ثانياً: إن تجديد الفقه وإن كان ضرورة شرعية واجتماعية، لكن يجب ألا يكون مطلقاً، حتى لا يؤدي إلى نتائج سلبية.

ثالثاً: دعوات التجديد الفقهي قد يصاحبها صيحات مغرضة من أولئك الذين يحاولون عزل الأمة عن مصادرها الشرعية؛ لإضفاء الشرعية على ما في الواقع من مخالفات للشرع.

ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي

رابعاً: إن ضوابط تجديد الفقه ليست بأقل أهمية من التجديد نفسه؛ حتى لا يكون التجديد على حساب النصوص.

:

الحاجة إلى التمييز وعدم الخلط، بين التجديد الذي يعدُّ جزءاً حيوياً من ديننا، وبين التجديد بمفهومه الغربي الذي يغلب عليه مجاوزته للماضي وانسلاخه منه؛ وذلك بوضع ضوابط تشمل: مجالات التجديد، والمجدد، والتجديد.

:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أردفتها بثبت للمصادر والمراجع، وثبت للمحتويات، وخلاصة باللغة الإنجليزية. وفي ختام هذه المقدمة، أدعو الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وأن يجعله زاداً لي يوم الحساب.

الباحث



: :

أولاً: لغة: الضوابط جمع ضابط ، وهو في اللغة بمعان عدة<sup>(١)</sup>، مأخوذ من ضَبَطَ الشيء يضبطه ضَبْطاً: أي حفظه حفظاً بليغاً أو حازماً. ومنه قيل: ضببت البلاد، إذا قمت بأمرها قياماً حازماً محافظاً عليها.

والضبط: لزوم الشيء، وحبسه، وحصره. والضبط: الإتيان، والإحكام. والضابط: ما يلزم الشيء ويحبسه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: اصطلاحاً: والضابط في الاصطلاح: «حكم كلي ينطبق على جزئيات»<sup>(٣)</sup>. «ومعنى الضبط: الحفظ بالحزم، والضابطة: القاعدة. والجمع ضوابط، والانضباط في الاصطلاح: الاندراج والانتظام تحت ضابط، أي حكم كلي، وبه يكون الشيء معلوماً»<sup>(٤)</sup>. \* وقد استعمل الفقهاء الضابط بمعان عدة منها:

القضية الشرعية العملية الكلية المتخصصة بباب من أبواب الفقه، والمشملة بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها. ومثالها: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب إلا أربعة: أم مرضعة ولدك، وبتتها، ومرضعة أخيك، ومرضعة حفيدك»<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: اللسان لابن منظور فصل الضاد من باب الطاء .

(٢) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (ضبط) ٨٧٢ ، والمصباح المنير للفيومي مادة (ضبط) ٣٥٧ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢ / ٨٨٦ .

(٤) الموسوعة الفقهية ١٠ / ٧ .

(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ٤٧٦ .

تعريف الشيء: ومثاله: «ضابط العصبه: كل ذكر ليس بينه وبين الميت أنثى»<sup>(١)</sup>.  
المعيار الذي يكون علامة على تحقق معنى من المعاني في الشيء: ومثاله ما ذكر القرافي (رحمه الله) في الجواب عن السؤال: ما ضابط المشقة المؤثرة في التخفيف؟ قال: «يجب على الفقيه أن يفحص عن أدنى مشاق تلك العبادة المعينة فيحققه بنص، أو إجماع، أو استدلال. ثم ما ورد عليه بعد ذلك من المشاق مثل تلك المشقة أو أعلى منها جعله مسقطاً، وإن كان أدنى منها لم يجعله مسقطاً. مثاله: التأذي بالقمل في الحج مبيح للحلق بالحديث....؛ فأى مرض آذى مثله أو أعلى منه أباح وإلا فلا. والسفر مبيح للفطر بالنص، فيعتبر به غيره من المشاق»<sup>(٢)</sup>.

ويطلق الضابط على أقسام الشيء أو تقاسيمه: ومثاله ما ذكره ابن السبكي (رحمه الله): «ضابط مسائل الخلع: فإن منها ما يقع بالطلاق فيه بالمس، ومنها ما يقع بمهر المثل، ومنها ما يقع رجعيًا، ومنها ما لا يقع أصلاً»<sup>(٣)</sup>.

وتطلق الضوابط الفقهية على الشروط والأسباب المتعلقة بأمر من الأمور: ومثاله: أن الشافعية اشترطوا لانعقاد الجمعة أربعين<sup>(٤)</sup>.

بهذا يتبين أن الضوابط لها معنى واسع وشامل لكل ما يحصر ويجبس، سواء أكان بالقضية الكلية، أم بالتعريف، أم بذكر علامة الشيء، أم بالتقسيم، أم بالشروط والأسباب.

(١) الأشباه والنظائر لابن السبكي ٢ / ٣٠٤ .

(٢) الفروق للقرافي ١ / ٢١٨ وما بعدها .

(٣) الأشباه والنظائر لابن السبكي ١ / ٣٨٢ .

(٤) ينظر: الأصول والضوابط للنووي ٣٤ .

أولاً: الفقه لغة: مطلق الفهم<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾<sup>(٣)</sup>

يَفْقَهُوا قَوْلِي<sup>(٤)</sup> ﴿ ٢٨ ﴾<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: الفقه اصطلاحاً: «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»<sup>(٦)</sup>.

ثالثاً: التجديد لغةً: من الجدة والقوة؛ أي: جعل الشيء جديداً.

والتجديد: إعادة الجدة، ومنه: جدد وضوءه، وجدد عهده؛ يعني أعاده وكرره،

والجديد ضد القديم<sup>(٧)</sup>.

\* فالتجديد يعني أمرين:

أولهما: تجدد الشيء بنفسه، ونموه وزيادته من دون فعل.

ثانيهما: استحداث التجديد فيه حتى يصير جديداً.

رابعاً: تجديد الفقه اصطلاحاً: يقصد به إعادة نضارته وبهائه، وإحياء ما اندرس من

معالمه، والعمل على نشره بين الناس، والتصدي للمستجدات التي تظهر في كل عصر؛

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (فقه) ٢ / ٤٧٠ .

(٢) سورة هود / آية ٩١ .

(٣) سورة طه / آية ٢٧ - ٢٨ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١ / ٢٢ .

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري مادة (جدد) ٢ / ٤٥٤ ، والقاموس المحيط مادة (جدد) ١ / ٢٨١ .

ليبان الحكم الصحيح لهذه المستجدات<sup>(١)</sup>.

أو أنه: تجديد فهم للكتاب والسنة فهماً يبعث الناس على حسن التدبُّن بالكتاب والسنة وليس غيرهما<sup>(٢)</sup>.

أو أنه: العودة إلى أصل الشيء عند بدايته وظهوره لأول مرة، وإصلاح ما أصابه من خلل أو ناله من ضعف.

أو أنه: جودة الفهم، والاستنباط، والابتكار في تنزيل النص الواقع طوعاً للقواعد المنهجية المعروفة في أصول الفقه<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على ذلك فتجديد الفقه بهذه المعاني لا يكون إلا بالدين وللدين، لا بالدنيا، ولا للدنيا، ولا يكون إلا من داخل الدين، وبمفاهيم الدين، لا من خارج الدين، وبمفاهيم مستوردة وأفكار دخيلة. فاجتهاد العالم في فهم الكتاب والسنة وفق أصول الفهم الصحيح لهما هو من الكتاب والسنة.



(١) ينظر: التجديد في الإسلام كتاب المتدى الإسلامي ص ٣٩ ، والفقه الإسلامي آفاقه وتطوره لعباس حسني مجلة دعوة الحق عدد (١٠) ص ٨٣ .

(٢) ينظر: الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله لمحمود توفيق محمد.

(٣) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد للقرضاوي ص ٢٢ ، والتجديد في الفقه الإسلامي للدكتور محمد الدسوقي ص ٤٧ .

:

روى البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ((لما نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾<sup>(١)</sup> شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة؛ فجاء التخفيف، فقال: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.... (الحديث))<sup>(٣)</sup>.

معنى الحديث أن الآية الأولى تشرع لحالة معينة (حال القوة)، غير الحالة التي جاءت لها الآية الثانية (حال الضعف)، وهذا أصل لتغير الفتوى بتغير الأحوال، وهو من التجديد في الفقه. ومثل ذلك آيات الصبر، والصفح، والعفو، والإعراض عن المشركين، ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

:

التجديد سنة إلهية شرعية ماضية في هذا الدين، وتتلائم مع ما هو معلوم من أن الله قد ختم الأنبياء بمحمد ﷺ، فالعلماء الذين يجددون لهذه الأمة دينها هم نواب له ووراث لهدية ﷺ، وهذا يفسر لنا قول الرسول ﷺ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))<sup>(٥)</sup> وفي الحديث بشارة وعد بها الرسول ﷺ الأمة أنها لا تخلو من

(١) سورة الأنفال / آية ٦٥ .

(٢) سورة الأنفال / آية ٦٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٧٠٧ برقم ٤٣٧٦ كتاب التفسير باب الآن خفف الله عنكم.

(٤) ينظر: عوامل السعة والمرونة في الفقه الإسلامي للقرضاوي ٨٠ - ٨١ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ١٠٩ برقم ٤٢٩١ كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة .

والحديث صحيح ؛ صححه جمع من أهل العلم قديماً وحديثاً .

ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي

المجددين؛ فهو وعد إلهي لا يتخلف.

وفيه أن هؤلاء المجددين لا يتكرون ديناً أو يبدلونه، إنما يحيون ويصلحون أمور المسلمين وعلاقتهم بدينهم، مقومين ما انحرف، ومظهرين ما اندرس.

وفيه أن عملية التجديد مستمرة، وليست متوقفة عند أشخاص معينين نظن أن الزمان لن يوجد بمثلهم. كما أن في الحديث الدعوة إلى التجديد عبر اجتهاد المسلمين؛ لأن السماء لا تمطر مجددين.

وأشهر من ذلك أن النبي ﷺ كان يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة مختلفة، وذلك لاختلاف أحوال السائلين، فهو يجيب كل واحد بما يناسب حاله، ويعالج قصوره أو تقصيره، والأمثلة في ذلك كثيرة يبحث عنها في مضانها.

:

أثر عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: «لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة لكي لا تبطل حجج الله، وبيناته، أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً»<sup>(١)</sup>. وهناك الكثير من أقوال الصحابة وأفعالهم التي تدل على ضرورة التجديد في الفقه لا يسع المجال في هذا البحث لذكرها.

:

اتفقت كلمة العلماء على ضرورة مراعاة البيئة، من عرف البلد، والزمان، وما يحقق مصالح الناس في معاملاتهم وتصرفاتهم.

قال مالك بن أنس (رحمه الله): ((يحدث للناس أفضية على نحو ما أحدثوا من

---

ينظر: الجامع الصغير مع فيض القدير للمناوي ٢/ ٢٨٢، والمقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٢١،

وصحيح الجامع للألباني ١/ ٣٨٢.

(١) فيض القدير للمناوي ٣/ ٣٦٦.

الفجور))<sup>(١)</sup>.

وقال القرافي (رحمه الله): ((على هذا القانون (وهو إتباع الأعراف المحلية) تراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك، لا تجره على عرف بلدك، وسله عن عرف بلده وأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح. والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين، وجهل مقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين، وعلى هذه القاعدة تتخرج أيان الطلاق والعتاق، وصيغ الصرائح والكنيات، فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية، وقد يصير الكناية صريحاً، مستغنية عن النية))<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم (رحمه الله) في فصل تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد: ((هذا فصل عظيم النفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل))<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عابدين (رحمه الله): ((المفتي ليس له الجمود على المنقول في كتب ظاهر الرواية، من غير مراعاة الزمان وأهله، وإلا يضيع حقوقاً كثيرة، ويكون ضرره أكثر من نفعه))<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣ / ١٤٤ .

(٢) الفروق للقرافي ١ / ١٧١ - ١٧٧ .

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١٤ - ١٥ .

(٤) رسائل ابن عابدين ٢ / ١٣١ .

وقال: ((كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان؛ لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو فساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً، للزم منه المشقة والضرر بالناس، وخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد؛ لبقاء العالم على أتم نظام، وأحسن أحكام؛ ولهذا ترى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة، بناها على ما كان في زمنه؛ لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم، لقال بما قالوا به، أخذاً من قواعد مذهبه))<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد (رحمه الله) يوصي أصحابه: ((لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الثوري، وتعلموا كما تعلمنا))<sup>(٢)</sup>.

وقال العز بن عبد السلام (رحمه الله): ((أمر الله عباده بتحصيل مصالح إجابته وطاعته، ودرء مفاسد معصيته ومخالفته؛ إحساناً إليهم وإنعاماً عليهم))<sup>(٣)</sup>.

هذه الأقوال وأمثالها تقرر أصالة ضرورة مراعاة ظروف الواقعة، وأعراف الناس، وتطورات الزمان، وترك الجمود على العبارات الفقهية المنقولة التي راعت ظروفاً معينة في عصر أصحابها، مما يدل على تجديد حيوية الفقه الإسلامي، ومرونته، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ومن المعقول:

إن الحاجة ماسة إلى تجديد الفقه في كل عصر؛ لمواجهة المسائل التي تستجد، ومن أجل تجديد الدين في النفوس، وهداية الناس، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم<sup>(٤)</sup>.

(١) رسائل ابن عابدين ٢/ ١٢٥ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٢١١ - ٢١٢ .

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ص ٢ .

(٤) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي عدد (٧٥) تقديم د. حمدي زقروق ص ٤ - ٥ .

من المهم الإشارة إلى أن الدين به الثابت والمتغير؛ فلا بد من التفرقة بين القطعيات والظنيات، والأصول والفروع، والأهداف والوسائل؛ لأن القطعيات والأصول والأهداف ثابتة، لا مجال للتجديد فيها، أما الظنيات والفروع والوسائل فهذه تحظى بمساحة كبيرة من المرونة وقابلية الاجتهاد البشري، وهذا الذي أكسب ديننا صلاحيته لكل زمان ومكان، فالنصوص متناهية، والأحداث والوقائع والقضايا غير متناهية، لاسيما في عصرنا، فلا بد من الاجتهاد والتجديد الذي يستدعي الأحكام والحلول الشرعية المناسبة لخضم أحداث عصرنا.

ويجدر التنويه هنا إلى ضرورة التفرقة بين كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وبين كلام بقية البشر؛ لأن البعض يجعل اجتهادات بعض العلماء السابقين كالوحي المنزل من السماء أو كالمسلّمات؛ فيتوهم بعضهم الآخر أن تجاوزها هو تجاوز للدين نفسه؛ فتقع العداوات والخصومات فيها، بينما اجتهادات الأئمة الأعلام هي في حقيقتها استنباطات تحتل الصواب والخطأ، وليست حكم الله، بل الأقرب إليه ظناً، لهم أجران إن أصابوا، وأجراً إن أخطأوا، كما هو الحال تماماً مع العلماء الجدد.

قال ابن القيم (رحمه الله): ((هذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة التي لا تتغير، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجوداً وعدمًا))<sup>(١)</sup>.

ومن الواجب توجيه التجديد في الفقه الإسلامي الوجهة العملية؛ ليكون طريقاً

(١) إغائة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/ ٣٤٦ وما بعدها.

للاجتهاد الصحيح على طريقة الأئمة السالفين السهلة الميسرة، بعيداً عن التعقيدات الشكلية التي سدت باب مسالك الاستنباط الصحيح، وذلك يكون بإتباع خطوات منهجية، مبنية على مبادئ علمية تضبطه، من أهمها:

تنزيل الحكم الشرعي الصحيح على الواقع المعاش، وهو العملية الواجبة من أجل أن يبقى الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان.

مراجعة التراث الفقهي مراجعة استفادة؛ لأنه ثروة فقهية عظيمة لا يمكن الاستغناء عنها، وفيها من السعة والدقة ما لا يخفى، وربما احتاج بعض هذا التراث إلى مراجعة تمحيص لما يحتاج إلى تمحيص ومراجعة. وأمثلة ذلك:

مراجعة الأحاديث التي استدلت بها الفقهاء وبنوا عليها كثيراً من أحكامهم.

التثبت من مسائل الإجماع التي حكاها بعض الفقهاء متساهلين في نقلها.

المعلومات العلمية في مختلف العلوم في هذا العصر، والتي لها دور في تمحيص كلام الفقهاء، إذا كانت هذه المعلومات قد وصلت إلى درجة الحقائق لا النظريات، ومثالها أقصى مدة الحمل<sup>(١)</sup>.

إيجاد الحلول الشرعية المناسبة للمستجدات والنوازل، وهو كل ما لم يرد فيه نص بخصوصه، وهذا محل للتجديد بحثاً عن معرفة حكمها قياساً بنظائرها، وأشباهاها مما نص عليه سواء بطريق القياس، أو المصالح، أو الاستحسان، أو فتح الذرائع وسدها، أو غيرها من الأدلة العامة المختلف في تحديدها، ومن أبرز المجالات التي تبرز فيها النوازل مجال السياسة الشرعية، والمعاملات، والاقتصاد، كقضايا الشركات، والأسهم، والتأمين، والبنوك. كذلك فالمجال الطبي تكثر فيه النوازل التي تدخل في تفصيلات

(١) ينظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للقضاوي ص ٣٠.

حياة الإنسان، كقضايا زرع الأعضاء، والاستنساخ، والتجميل، وأبحاث العقم، والوفاة الدماغية وغير ذلك.

تقريب الفقه للناس، وتيسيره، وكتابته بأسلوب يناسب العصر، مع استخدام الوسائل المتاحة في ذلك، ويتم ذلك عبر الآتي:

استعمال اللغة الميسرة البسيطة التي يفهمها غير المتخصص.  
التخفيف من المسائل التي لا وجود لها في عصرنا، كمسائل العبيد والإماء، والبعد عن التفصيلات، وتفريعات المسائل التي لا طائل من ورائها.

استعمال معارف العصر في الترجيح، فالسفينه التي يتكلم الفقهاء السابقون عن ضمانها غير السفينه الحالية، فتلك تحركها الرياح وهذه يحركها المحرك الآلي.  
تحويل المقادير الشرعية إلى مقادير معاصرة، كالفرسخ، والقلة، والوسق.  
الحرص على بيان الحكمة من التشريع، كمضار ولوغ الكلب في الإناء، وأكل لحم الخنزير.

ربط جزئيات الفقه بمقاصد الشريعة الكلية، كربط نظام العاقلة في الديات بنظام النفقات والموارث حتى يتضح جانب المغنم والمغرم.

الاستفادة مما كتبه المعاصرون من العلماء الثقات في جميع جوانب الفقه.  
إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية التي نزلت بها كل تلك النصوص الشرعية؛ وذلك بمحاولة وضع خطة سليمة لدراسة اللغة العربية فيما بعد عصور الاحتجاج، وهذا من شأنه أن يوفر للمسلمين من العرب وغير العرب الشرط المباشر لاستقبال خطاب الشارع، المنزل بلسان عربي مبين. فتجديد اللغة ركن من أركان تجديد الإسلام نفسه.

أدلة الأحكام؛ وهي المصادر والأصول التي تؤخذ عنها الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين بنوعيتها المتفق عليها (كالكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس) والمختلف

فيها ( كالمصالح المرسله، والاستحسان، والاستصحاب، وفتوى الصحابي، وعمل أهل المدينة وغيرها) بعيدة كل البعد عن مسرح تجديد الفقه.

الأحكام الفقهية القديمة والحديثة أنواع هي:

ما كان دليله قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

ما كان دليله ظني الثبوت والدلالة معاً.

ما كان دليله قطعي الثبوت ظني الدلالة.

ما كان دليله ظني الثبوت قطعي الدلالة.

فالنوع الأول يجب عدم المساس به؛ لأنه أقوى الأحكام، والنوع الرابع لا تخضع دلالاته للتجديد كذلك، وكذلك الأحكام التي أجمع عليها علماء الأمة، لا تخضع لإعادة النظر؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة أبداً. كذلك الأحكام العملية التي لا تحتمل تأويلاً، والثابتة بالسنة الفعلية للرسول ﷺ مثل شروط الصلاة، وأركانها، ومواقيتها، لا مجال للتجديد فيها. كذلك ما علم من الدين بالضرورة، كأركان الإيمان، وأركان الإسلام، وتحريم الربا، والسرقه، والقتل ونحوها، كل ذلك ليس محلاً للاجتهد والتجديد. وإنما يمكن إعادة النظر والتجديد في الثاني، والثالث؛ أي أن التجديد ممكن في كل ما كان احتمالياً ظنياً، وهذا مجال الاجتهاد فيه واسع.

:

امتناع النبي ﷺ عن التسعير بقوله: ((إن الله هو القابض الباسط الرزاق المسعّر))<sup>(١)</sup> لأن مسوغ التسعير لم يوجد، وهو مغالاة التجار بالأسعار، ثم تغير العرف، فأفتى فقهاء المدينة السبعة والإمام مالك<sup>(٢)</sup> - فيما عدا قوت الأدمي والبهيمة - بجواز

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٦٠٥/٣ برقم ١٣١٤ كتاب البيوع باب ما جاء في التسعير، وصححه.

(٢) ينظر: المنتقى على الموطأ ١٧/٥ - ١٩، والقوانين الفقهية ص ٢٥٥.

التسعير؛ لأن غلاء الأسعار في عهد التابعين ومن بعدهم صار بسبب من التجار أنفسهم لطمعهم، أما في عهد النبوة فكان الغلاء بسبب قلة العرض للسلعة وزيادة الطلب، فجاز التسعير بالعرف الجديد.

قول النبي ﷺ: (المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة) <sup>(١)</sup>، ثم تغير، فأصبح أسلوب التبادل بالوزن؛ لذا أفتى الإمام أبو يوسف (رحمه الله) بأن مقياس تبادل الأموال الربوية لتحقيق المساواة وعدمها هو المقياس العرفي، وأنه يتبدل بتبدل العرف، أي ما آل إليه الأمر، وهو أيضاً رأي المالكية.

الأحكام التي روعي فيها تنظيم بيت المال، مثل عدم إعطاء الزكاة لبني هاشم وبني المطلب، وهذا كان سائغاً في العهد النبوي؛ حيث كان لهم سهم من الفياء والغنائم، فلما فسد نظام بيت المال، وحجب عنهم هذا السهم أفتى فقهاء الحنفية والمالكية بإعطائهم من الزكاة؛ حفاظاً عليهم، وإبقاءً على كرامتهم.

تبدل وسائل حماية الحقوق، كالأخذ في نظام المحاكم بأسلوب القضاء الجماعي، وتعدد درجات المحاكم؛ رعاية للمصالح ودرءاً للمفاسد.

أفتى المتأخرون من العلماء بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم، وعلى وظائف الإمامة، والخطابة، والأذان، وسائر الطاعات، وهو حكم خولف فيه ما كان مقرراً سابقاً بين العلماء؛ نظراً لتغير الزمان، وانقطاع عطاءات المعلمين والقائمين بالشعائر الدينية من بيت المال <sup>(٢)</sup>.

تضمين الأجير المشترك كالخياط والصباغ والكواء، فإن الأصل أنه أمين، لا يضمن إلا بالتعدي أو التقصير، ثم قرر بعض الصحابة مثل عمر وعلي (رضي الله عنهما) ومن تبعهم من الفقهاء ضمانه؛ نظراً لكثرة الادعاء بهلاك ما في يده، ومحافضة على أموال الناس <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٢/٢٩ برقم ٢٢٩٩ كتاب الزكاة باب كم الصاع .

(٢) ينظر: تنقيح الفتاوى الحامدية ٢/١٣٧ .

(٣) ينظر: المعيار المعرب ٨/٣٤٣ .

تحقق الإكراه من غير السلطان؛ وكان أبو حنيفة (رحمه الله) يفتي بأنه لا يتحقق الإكراه إلا من السلطان؛ نظراً لما شاهده في عصره، من أن المنعة والقدرة لم تكن لغير السلطان. ونظراً لفساد الزمان، وتغير الحال، وظهور الظلمة؛ فإن الصاحبين أفتيا بتحقيق الإكراه من غير السلطان؛ بناءً على ما شهداه في زمانها<sup>(١)</sup>.

تدوين السنة النبوية في مطلع القرن الثاني الهجري، بأمر لخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ خوفاً من ضياعها بموت روايتها وحفظتها، علماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم في بدء أمره ودعوته نهى عن كتابة أحاديثه؛ حتى لا تختلط بالقرآن، فقال: ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه... الحديث))<sup>(٢)</sup>.

التسجيل العقاري: كان من المقرر في الفقه ضرورة وصف المبيع بحدوده الأربع، ووجود التسليم؛ أي التخلية، فلما ظهر نظام السجل العقاري، استقر الاجتهاد القضائي على حصول التسليم بمجرد تسجيل العقد في السجل العقاري؛ أخذاً بتطور أساليب التنظيم والضبط المحققة للمراد، بل إن الدولة لا تعترف بانتقال ملكية العقارات إلا بهذا التسجيل، وليس بمجرد التعاقد.

مما سبق يتبين أن الثبات يكون في الأصول، والأهداف، والقطعيات، والتجديد يكون في الفروع، والوسائل والظنيات. ومساحة المرونة مساحة واسعة، وهي منطقة مفتوحة للاجتهاد البشري في مجال التشريع الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: الفتاوى الهندية ٣٧/٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ٤/٢٢٩٨ برقم ٣٠٠٤ كتاب الزهد والرقائق باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم .

(٣) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد للدكتور يوسف القرضاوي ص ٦ - ٢٠ .

إنَّ الذي يقوم بمهمة التجديد الفقهي يقع على عاتقه مهمة كبيرة، وخطيرة، فليس كل من لبس لبوس العلماء، وحمل ألقابهم يعد منهم فضلاً عن أن يصلح للقيام بهذه المهمة، إنَّ المجتهد المستقل كأئمة المذاهب، والمجتهد المطلق كتلامذة الأئمة مباشرة، كلاهما مفقود، ولم يتهياً وجوده بعد عصر نشوء المذاهب الفقهية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وبقي على الساحة في كل عصر المجتهد المتجزئ، وهو العالم الذي يتمكن من استنباط الحكم في مسألة من المسائل من دون غيرها، أو في باب فقهي من دون غيره. والمجتهدون المتجزئون؛ هم الذين يسدّون الحاجة إلى الاجتهاد في كل عصر<sup>(١)</sup>. وهؤلاء لا بد من توفر صفات فيهم تضبط عملهم أهمها:

:

فالمجدد في الفقه لا بد أن يكون مالكاً لأدوات الاجتهاد فيما يجتهد فيه، كما هو مقرر في علم أصول الفقه وأهم هذه الأدوات:  
العلم بالقرآن: فيعرف آيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ منه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وأسباب النزول، وغير ذلك من دلالات الألفاظ.  
العلم بالسنة: فيعرف أحاديث الأحكام، والصحاح، والكتب الستة، ويعرف

(١) ينظر: تجديد الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص ١٩٦ .

الصحيح والضعيف، وعلم الرجال، وأسباب الجرح والتعديل، والعلل، وغير ذلك مما يتطلبه علم مصطلح الحديث.

معرفة مسائل الإجماع: وأن يجتهد ما أمكن في أن لا يترك الأمر المجمع عليه إلى المختلف فيه.

معرفة أصول الفقه: لأنه العلم الذي فيه القواعد التي تبنى عليها الأحكام.  
معرفة اللغة العربية.

أن يكون ملماً بمقاصد التشريع، وفقه المصالح والمفاسد، وفقه الخلاف، وفقه المآلات.  
أن يكون فقيه النفس: فيكون الفقه ملكة وسجية له، يستطيع بها استنباط الأحكام<sup>(١)</sup>.

أن يكون عدلاً في دينه، ورعاً؛ فإنه إنما يوقع عن الله. والمجدد لا بد أن يكون من أصحاب المنطلقات الشرعية الصحيحة، فلا يخضع الإسلام للعقل والواقع، ولا يلوي أعناق النصوص ليصل إلى المقصود.

الاعتدال؛ بعيداً عن التفريط والإفراط؛ فإن من الناس من يقدم الأحوط دائماً، ويسد الذرائع وإن لم يكن لها مساغ، والأخذ بهما له ضوابط في الشرع. وكذلك يجب البعد عن التفريط والتساهل بحجة مجارة العصر، وكذا البحث عن المخارج بكل وسيلة ممكنة، فكلا التفريط والإفراط ذميم.

أن يكون المجدد عارفاً بأحوال الناس، وأعرافهم، وتقاليدهم، ومتابعاً ما يطرأ على هذه الأحوال من تغير، محيطاً بقدر ما بمتطلبات عصره، وما يحيط به من أحداث، وأن يكون له مستشارون مأمونون في تخصصات زمانه الدقيقة.

(١) ينظر: الوجيز في أصول التشريع الإسلامي لمحمد حسن هيتو ص ٥٢٦ - ٥٣١ .

أن يتبع الحق ولا يتبع الهوى، بل يتبع المصلحة المعتبرة، والدليل الصحيح للوصول إلى الحق فيما اختلف فيه.

أن يكون المجدد قدوة لغيره، في سلوكه وحياته، حتى يستحق الشرف العظيم الذي يناط به.

أن يستقضي آراء العلماء السابقين في المسائل التي تعرض عليه؛ لأن الفقه الذي تركه لنا السلف غني بمبادئه، ودراسة موروث السلف يمكننا من معرفة قواعد الاستنباط عن الأئمة، والتعرف على كيفية معالجتهم لواقع عصرهم ومشكلاته، ومعرفة كيفية ربط الأئمة الفروع بالقواعد الكلية؛ المشتملة على أسرار الشريعة، وحكمها، ومصالحها.

لما كان الهدف من تجديد الفقه هو مساندة التطور الاجتماعي والحضاري، فإن ذلك التجديد ليس على إطلاقه، ولكن له حدود وضوابط، لا يجوز العدول عنها؛ حتى لا ينقلب إلى ضده ويكون تغييراً، أو تبديلاً، أو تحريفاً، أو إتباعاً للهوى، وكل ذلك منهي عنه، وحتى يكون التجديد مؤدياً للغرض منه يجب أن يكون مضبوطاً بضوابط أذكر هنا بعضها الذي يمكن الاعتماد عليه كثيراً في تجديد الفقه، وأحيل على علم أصول الفقه؛ لمعرفة حكم ضوابط بقية المصادر.

**الضابط الأول:** مراعاة المجتهد ما تقضي به الضرورة والحاجة:

أما الضرورة فهي: ما يترتب على عدم مراعاتها خطر، أو ضرر شديد محقق، كالموت

جوعاً<sup>(١)</sup>. وقاعدتها المقررة هي: «الضرورات تبيح المحظورات»<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلتها:

كشف العورات أمام الطبيب للمداواة.

تناول بعض المآكل أو المشارب المحظورة لإنقاذ النفس من الهلاك، أو الموت جوعاً.

اقتحام المنزل لإطفاء حريق أو تفادي هدم جدار وسقوطه.

وأما الحاجة فهي: ما يترتب على تركها مشقة وحرَج، أو عسر وصعوبة<sup>(٣)</sup>.

وقاعدتها المقررة هي: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة خاصة كانت أو عامة»<sup>(٤)</sup>.

:

مشروعية طائفة من العقود لحاجة الناس إليها، استثناءً من القواعد القياسية العامة،

كالوصية، والجماعة، والحوالة، والكفالة، والصلح، والقراض.

إباحة ضمان الدرك: وهو أن يضمن البائع للمشتري إن خرج المبيع مستحقاً لغير

البائع، أو معيياً، أو ناقصاً<sup>(٥)</sup>.

إباحة الحنفية بيع الوفاء وصحته؛ للحاجة بسبب كثرة الديون على الناس<sup>(٦)</sup>.

التزام المذهب غير ملزم: قال الإمام النووي (رحمه الله): الذي يقتضيه الدليل أنه لا

يلزم المقلد التمدُّب، بل يستفتي من شاء أو من اتفق.

(١) ينظر: المنشور في القواعد للزركشي ص ٣٥، والمغني لابن قدامة ٨/ ٥٩٥، والشرح الكبير للدردير

١١٥/٢.

(٢) المجلة م ٢١.

(٣) ينظر: أصول الفقه لأبي زهرة ص ٦٢.

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٧٢.

(٥) ينظر: مغني المحتاج ١/٢ - ٢.

(٦) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٩٢، ٧٩.

وقال ابن حجر (رحمه الله): وظاهره جواز الانتقال من مذهب لآخر. وأفتى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام (رحمه الله) بجواز تقليد إمام مذهب في مسألة، وآخر في أخرى، وهكذا من غير التزام مذهب معين<sup>(١)</sup>.

أجاز الحنفية والمالكية نقل الزكاة من بلد المزكي إلى بلد آخر؛ لقراءة محاييج؛ ليسد حاجتهم، أو إلى قوم هم أحوج إليها، أو أصلح، أو أروع، أو أنفع للمسلمين، أو من دار الحرب إلى دار الإسلام، أو إلى طالب علم، أو إلى الزهاد<sup>(٢)</sup>.

**الضابط الثاني:** ضرورة فهم النصوص الشرعية الجزئية في ضوء مقاصد الشرع الكلية: بحيث تدور الجزئيات حول محور الكليات، وترتبط الأحكام بمقاصدها الحقيقية ولا تنفصل عنها، والمقصود هنا رعاية المصلحة؛ إذ المصلحة في اللغة: جلب المنفعة، أو دفع المضرة، وفي كل مصلحة.

وفي الشرع: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع في الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالههم. فكل ما راعى هذه الخمسة فهو مصلحة، وكل ما ضيعها فهو مفسدة، ودفعها مصلحة<sup>(٣)</sup>.

والمصالح أنواع ثلاثة متفاوتة الدرجة بحسب أهميتها، وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات<sup>(٤)</sup>.

والعمل بالمصلحة المرسله؛ التي اشتهر بالأخذ بها فقهاء المالكية، والحنابلة وضعوا له

(١) ينظر: الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي ٣٠٥/٤.

(٢) ينظر: الفتاوى الهندية ١/١٧٨، والدر المختار ١/٩٣-٩٥، وأحكام القرآن لابن العربي ١٥٨/١.

(٣) ينظر: المستصفي ١/١٣٩ - ١٤٠، والموافقات للشاطبي ١/٣٩.

(٤) ينظر: الموافقات للشاطبي ٢/٨ - ١٢، وروضة الناظر وجنة المناظر ١/٤١٤ أو فواتح الرحموت ٢/٢٦٢.

ضوابط تجعله مقبولاً شرعاً، وهذه الضوابط هي:

أن تكون المصلحة ملائمة لمقاصد الشارع، بحيث لا تنافي أصلاً من أصوله، ولا تعارض نصاً أو دليلاً من أدلته القطعية، وإن لم يشهد لها دليل خاص بها. أن تكون المصلحة في ذاتها جرت على الأوصاف المناسبة المعقولة التي يتقبلها العاقل، بحيث يكون مقطوعاً ترتب المصلحة على الحكم، أو غالباً على الظن، وليس مظنوناً ولا متوهماً، كالتسعير، وتسجيل العقود في دائرة السجلات العقارية. أن تكون المصلحة التي يوضع الحكم بسببها عامة للناس، وليس لمصلحة فردية، أو لطائفة معينة.

:

وجوب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وجوب دفع أشد الضررين.

جواز التصرف في مال غيرك، أو حقه، عند الحاجة، وتعذر استئذانه.

من وجب عليه بذل شيء فامتنع منه، فإن إذنه يسقط، أو يجبره الحاكم على هذا الإذن.

مشروعية دفع القيمة في الزكاة، وفي اليمين، والنذر، والكفارة<sup>(١)</sup>.

قياس جميع المسكرات المشروبة، أو المأكولة على الخمر في التحريم<sup>(٢)</sup>.

جواز فسخ الإجارة بالأعذار، من جانب المؤجر، أو المستأجر، أو العين المؤجرة؛

نزولاً تحت وطأة المصلحة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: مقاصد الشريعة للدكتور حسين حامد ٢/٦٠٤ .

(٢) ينظر: المستصفي ١/١٣٩ وما بعدها .

(٣) ينظر: الفتاوى الهندية ٤/١٩٨، ٤٥٨، ٤٣٦، وتكملة فتح القدير ٧/٢٢ وما بعدها.

ليس المراد به هنا الاستحسان بالرأي المحض الذي يتعارض مع الشرع، وإنما الاستحسان الأصولي الذي قال به الحنفية، والمالكية، والحنابلة؛ وهو أحد احتمالين: ترجيح قياس خفي على قياس جلي، بناءً على الدليل.

استثناء مسألة جزئية من أصل كلي أو قاعدة عامة، بناءً على دليل خاص يقتضي ذلك. والاستحسان يعتمد على أصول مسلم بها، وله أنواع بحسب تلك الأصول، وهي إما النص، أو الإجماع، أو الضرورة، أو القياس الحنفي، أو العرف، أو المصلحة، أو غيرها. ومن أمثله:

إباحة الوصية، على الرغم من أنها تصرف مضاف لما بعد الموت، وتمليك في حال زوال ملكية الموصي.

إجماع العلماء على جواز عقد الاستصناع، على الرغم من أن المعقود عليه وقت العقد معدوم؛ مراعاة لحاجة الناس إليه، ودفع الحرج عنهم<sup>(١)</sup>.

إجارة الحمام بأجرة معينة دون تحديد مقدار الماء المستعمل، ومدة المكث، ففي ذلك جهالة اغتفرت عملاً بالعرف؛ رعاية لحاجة الناس إليه.

تطهير الآبار العميقة التي يتعذر تطهيرها، والتي تقع فيها نجاسة، بنزح مقادير معينة من الدلاء مقررة عند الفقهاء.

---

(١) ينظر: أصول السرخسي ٢ / ٣٠٢.

الحكم بطهارة سؤر سباع الطيور الجوارح؛ لأن المنقار عظم طاهر؛ قياساً على سؤر  
الآدمي.

الحكم بتضمين الصناعات؛ منعاً لتهاونهم، ومحافظة على أموال الناس، على الرغم من  
أنهم بحكم القاعدة العامة أمناء لا يضمنون ما يتلف بأيديهم إلا بالتعدي أو بالتقصير.



العرف حجة في الشريعة، فتفهم النصوص الشرعية من القرآن والسنة بدلالة العرف القائم حين ورود النص، ولا يلتفت لتبدل الأعراف. والمقصود هنا ما تعارفه الناس من دون أن يحرم حلالاً، أو يحل حراماً. فالثابت بالعرف الصحيح غير الفاسد - شرعاً - ثابت بدليل شرعي<sup>(١)</sup>.

وعقد الإمام عز الدين بن عبد السلام فصلاً بعنوان: (فصل في تنزيل دلالة العادات وقرائن الأحوال منزلة صريح الأقوال في تخصيص العموم، وتقييد المطلق وغيرهما)<sup>(٢)</sup>. فيخصص النص بالعرف العام العملي عند الحنفية والمالكية؛ فلا تلزم المرأة الشريفة القدر بإرضاع ولدها.

كما يخص القياس، ويترك النص المذهبي بالعرف الخاص المعارض له، فيحكم بطهارة خراء الحمام في المسجد، ويباح استقراض الخبز عدداً للتعامل به بين الجيران<sup>(٣)</sup>. وتترك القاعدة الفقهية الكلية، أو الاستحسان، أو الاستصلاح بالعرف العام؛ لعموم الحاجة، ورعاية المصلحة العامة؛ لأن (العادة محكمة)<sup>(٤)</sup>، و(استعمال الناس حجة يجب العمل بها)<sup>(٥)</sup>، و(المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة)<sup>(٦)</sup>، و(العرف بمنزلة

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي ١٤/٢، والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٦٨، وأصول الفقه للشيخ محمد أبي زهرة ص ٢٧٣.

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١٠٧/٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: رسائل ابن عابدين ١١٦/٢، والعرف والعادة للشيخ أبي سنة ص ١٠١ - ١٠٢.

(٤) المجلة م ٣٦.

(٥) المجلة م ٣٧.

(٦) فتح القدير ٥٧/٦.

الإجماع شرعاً عند عدم النص<sup>(١)</sup>.

والعرف منه العملي كما أسلفنا، ومنه القولي. وهو إما عرف عام، وإما عرف خاص؛ فالعرف العام: ما شاع في أغلب البلاد، أو كلها بين الناس، على اختلاف أزمانهم، وبيئاتهم. كبيع المعاطاة، وتقديم الإكرامية للخدم في المطاعم، وقسمة المهر إلى معجل ومؤجل، وتقديم هدايا الخطوبة.

والعرف الخاص: هو الذي يختص ببلدة معينة أو فئة من الناس، وهو لا يقف أمام النص، ولكنه يقف أمام القياس الذي لا تكون علته ثابتة بطريق قطعي من نص أو ما يشبه النص في وضوحه وجلاءه<sup>(٢)</sup>، وهذا يتجدد بتجدد الأزمنة، واختلاف الأمكنة، كتقسيط ثمن البضاعة أقساطاً معلومة، ودفع الأجرة شهرياً أو كل ثلاثة أو ستة أشهر، وكاصطلاحات الفقهاء، وعبارات الواقفين، والتجار، والصناع.

وقد اشترط الفقهاء والأصوليون شرائط يكون فيها العرف معتبراً؛ صيانة لأحكام الشريعة من التبديل والاضطراب وهي:

أن يكون العرف مطرداً أو غالباً.

أن يكون العرف المراد تحكيمه في التصرفات قائماً عند إنشائها.

أن لا يعارض العرف تصريحاً بخلافه.

أن لا يعارض العرف نص شرعي بحيث يكون العمل بالعرف تعطيلاً له.

ويلاحظ أن أكثر المسائل المستجدة تكون بسبب التأثير بالأعراف العامة، أو الخاصة، في بلد أو إقليم.

(١) فتح القدير ٦ / ٥٧.

(٢) ينظر: أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٧٤.

وهو ما كان دليلاً ظنياً من الأحكام الظنية سواء الظني الثبوت، أو الدلالة، أو هما معاً. فلا مجال للتجديد في الأمور القطعية قطعاً، ونحو ذلك من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً عليها، أو من الأحكام العملية التي لا تتحمل تأويلاً<sup>(١)</sup>. وقد فصلت ذلك في مبحث مجالات التجديد بين الثبات والتغير.



---

(١) ينظر: من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي أ. د. حسن السيد حامد ص ٢٠ وما بعدها.

يجب في التجديد الالتزام بالحكم بما تدل عليه النصوص الشرعية بحسب دلالتها مباشرة، أو بحسب ظواهرها العامة، أي بنصها أو ظاهرها، فإن أول ما يجب البحث فيه عن حكم المسألة هو في نصوص الكتاب والسنة، كما كان يفعل الصحابة الكرام في اجتهاداتهم بعد النبي ﷺ.



وعلى ضوء النصوص التشريعية، محافظاً على ثوابت الأمة، وعقيدتها، وأصولها، من دون مساس بها وخروج عنها؛ أي أنه ينبغي الحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع القائم في المجتمعات اليوم، فهو واقع لم يصنعه الإسلام بعقيدته، وأخلاقه، وشريعته، ولم يصنعه المسلمون بأرائهم، وعقولهم، وأيديهم، وإنما هو واقع صنع لهم، وفرض عليهم في زمن غفلة، وضعف، وتفرق، وورثة الأبناء عن الآباء، فليس معنى التجديد أن نحاول تبرير هذا الواقع الذي فرضه أعداء الإسلام والمسلمين، ونفتعل الفتاوى لإضفاء الشرعية على هذا الواقع<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): ((لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً. والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر))<sup>(٢)</sup>.

لذا يجب أن نفرق بين ما يحسن اقتباسه، وما يجب مقاومته، فمرحب بكل جديد نافع، كما نحتفظ بكل قديم صالح، ومن ثم يجوز أن نأخذ من أنظمة الشرق والغرب ما لا يخالف عقيدتنا مما يحقق مصلحة لمجتمعنا، وبالتالي يلزم للتجديد المعاصر، حتى يكون

(١) ينظر: الفقه الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة للدكتور يوسف القرضاوي ص ٤٦ .

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٣٤ .

---

ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي

وثيق الصلة بالواقع في ضوء النص أن يكون مراعيًا للآتي:

تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان؛ وفساد الأخلاق، بما لا يتصادم مع أصول الشرع، ومبادئه، وأحكامه. وقد سبق التمثيل لهذه القاعدة.

الجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ بالأخذ بالجديد النافع، والتمسك بالقديم الصالح. أن نأخذ من أنظمة الآخر ما يتفق مع شريعتنا، ويحقق المصلحة، وتطويره ليوافق قيم المجتمع المسلم؛ أي تجديد الأوضاع التنظيمية التي تحقق المقصود من الحكم الشرعي الذي قرره الفقهاء في الماضي، كأنظمة السجل العقاري وغير ذلك.

وفي ذلك كله لا بد للتجديد أن يكون مراعيًا فيه الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط؛ حتى يكون جامعاً بين محكمات الشرع، وبين مقتضيات العصر<sup>(١)</sup>.



---

(١) ينظر: الاجتهاد المعاصر للقرضاوي ص ٩١ .

التجديد ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لمواكبة الفقه للواقع، فإذا لم يجد الاجتهاد مجالاً للتطبيق، فلا جدوى منه؛ فالتطبيق العملي للتجديد هو الذي يثبت صلاحيته للحياة، ويكشف عما به من سلبيات يمكن معالجتها؛ لتصبح أكثر ملائمة للعمل بها، وأكثر تأثيراً في الواقع. وهذا نفسه هو وجه صلاحية الشريعة الدائمة؛ لأن الشريعة إنما جاءت من أجل العمل بها وليست نصوصاً يتبرك بها، من دون أن يأخذ الناس أنفسهم بالسير على منهجها في مناحي الحياة كافة<sup>(١)</sup>.



---

(١) ينظر: الاجتهاد المعاصر للقرضاوي ص ٩٤ - ٩٥ .

وهذا الضابط لا يحتاج مني إلى تعليق، ولكن يحتاج إلى التوبة والاستغفار والأوبة إلى الله تعالى، واللجوء إليه؛ ليبصرنا بالحق فيما اختلف فيه.



وفي خاتمة هذا البحث أجد أن أهم النتائج التي توصل إليها الآتي:  
أنَّ الضوابط لها معنى واسع وشامل لكل ما يحصر ويحبس، سواء أكان بالقضية الكلية، أم بالتعريف، أم بذكر علامة الشيء، أم بالتقسيم، أم بالشروط والأسباب.  
التجديد هو إعادة الشيء الذي بلي وقدم وتشوهت سماته الأصلية، إلى حالته الأولى، وهذا يعني أنه يرادف الأصالة لا أن يعارضها.  
تجديد الفقه لا يكون إلا من داخل الدين، وبمفاهيم الدين، لا من خارج الدين، وبمفاهيم مستوردة وأفكار دخيلة.

عملية التجديد مستمرة وليست متوقفة عند أشخاص معينين أو زمن معين.  
نحن بحاجة إلى التمييز بين التجديد الذي يعد جزءاً حيويًا من ديننا، وبين التجديد بمفهومه الغربي الذي يغلب عليه مجاوزته للماضي وانسلاخه منه.

الدين به الثابت والمتغير؛ فلا بد من التفرقة بين القطعيات والظنيات، والأصول والفروع، والأهداف والوسائل؛ لأن القطعيات والأصول والأهداف ثابتة، لا مجال للتجديد فيها، أما الظنيات والفروع والوسائل فهذه تحظى بمساحة كبيرة من المرونة وقابلية الاجتهاد البشري، وهذا أكسب ديننا صلاحية لكل زمان ومكان؛ فالنصوص متناهية، والأحداث والوقائع غير متناهية.

اجتهادات الأئمة الأعلام السابقين هي في حقيقتها استنباطات تحتمل الصواب والخطأ.

نحن بحاجة إلى اجتهادات فردية وجماعية (الاجتهاد الجمعي)، عبر مؤسسات

ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي

ومجامع فقهية، يقوم عليها علماء أجلاء من مختلف البلدان الإسلامية، مشهود لهم بالعلم، والفقه وسلامة الرأي، والمنهج، يمتلكون أدوات التجديد وضبطه، تتصدى إلى المسائل المعاصرة وتستنبط لها الأحكام.

إن الذي يقوم بمهمة التجديد الفقهي يقع على عاتقه مهمة كبيرة، وخطيرة، والمجتهدون المتجزئون؛ هم الذين يسدّون الحاجة إلى الاجتهاد في كل عصر، وهؤلاء لا بد من توفر صفات فيهم تضبط عملهم.

التجديد الموافق للأصول والقواعد الشرعية لا بد أن ينضبط بضوابط؛ تمنعه من الإفراط أو التفريط، وكلاهما ذميم.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين...



- بعد القرآن الكريم.

الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط، د. يوسف القرضاوي دار التوزيع والنشر الإسلامية بيروت ١٤١٤ هـ.

أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الفكر لبنان د.ت.

الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي تحقيق: د. سيد الجميلي دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٤ هـ.

الأشباه والنظائر، زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م.

الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٤٠٣.

الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٩٩١.

أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل دار المعرفة بيروت د.ت.

أصول الفقه، محمد أبو زهرة دار الفكر بيروت د.ت.

الأصول والضوابط، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو ط ١ دار

البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٦ هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن القيم، دار الكتب العلمية

بيروت د.ت .

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد حامد  
الفقي دار المعرفة ط ٢ بيروت ١٩٧٥ .

الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، محمود توفيق محمد جامعة  
الأزهر ط ١ مصر ١٤٢٤ هـ .

أنوار البروق في أنواع الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: خليل المنصور دار  
الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٤١٨ هـ .

تجديد الفقه الإسلامي للدكتور جمال عطية والدكتور وهبة الزحيلي دار الفكر ط ١  
بيروت ٢٠٠٠ م .

التجديد في الإسلام كتاب المنتدى سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي ط ٣ لندن  
١٤١٩ هـ .

التجديد في الفقه الإسلامي، د. محمد الدسوقي القسم الثاني العدد (١٠) المجلس  
الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٤٢٢ هـ .

التجديد في الفكر الإسلامي عدد (٧٥) تقديم: د. حمدي زقزوق ط ١ المجلس الأعلى  
للشؤون الإسلامية مصر ١٤٢٢ هـ .

تكملة فتح القدير، قاضي زاده أفندي دار الفكر بيروت د.ت .

تنقيح الفتاوى الحامدية، محمد أمين ابن عابدين دار العلم بيروت د.ت .

الجامع الصغير، محمد بن عبد الرحمن السيوطي مع شرحه فيض القدير تأليف عبد  
الرؤوف المناوي دار الفكر بيروت د.ت .

الدر المختار، محمد علاء الدين الحصكفي دار الفكر ط ٢ بيروت ١٣٨٦ هـ .

رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عمر موقع المكتبة الوقفية .

روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن جامعة الإمام محمد بن سعود ط ٢ الرياض ١٣٩٩ هـ .

سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت د.ت .

سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث بيروت د.ت .

السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان وسيد كسروي، دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٩٩١ .

الشرح الكبير، أحمد الدردير، تحقيق: محمد عlish، دار الفكر بيروت د.ت .  
الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ط ٣ بيروت .

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ط ٣ بيروت ١٩٨٧ .

صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ط ٢ بيروت ١٤٠٦ هـ .

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث بيروت د.ت .

العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة، دار البصائر ٢٠٠٤ .  
عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة ط ٢ القاهرة ١٩٩٢ .

الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي، دار الفكر بيروت د.ت .

- الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار الفكر بيروت ١٤١١ هـ.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- فتح القدير، محمد بن عبد الواحد بن الهمام، دار الفكر، ط٢، بيروت، د.ت.
- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، د. عباس حسني محمد مجلة دعوة الحق العدد (١٠) السنة الثانية محرم ١٤٠٢ هـ.
- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ط١ القاهرة ١٩٩٩.
- الفقه الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ط٢ ١٤١٩ هـ.
- فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، عبد العلي محمد بن نظام الدين، دار القلم بيروت، د.ت.
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار الحديث القاهرة، د.ت.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، مؤسسة الريان، بيروت ١٩٩٠ م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي بن محمد التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٣.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط٢ بيروت، د.ت.
- المبسوط للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، دار المعرفة، بيروت د.ت.
- مجلة الأحكام العدلية، جمعية المجلة تحقيق نجيب هواويني، كارخانه تجارت كتب، د.ت.
- مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي مكتبة ابن تيمية، ط٢ القاهرة د.ت.

ضوابط التجديد في الفقه الإسلامي

المستصفي، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت ١٤١٣ هـ .

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد المقرئ، المكتبة العلمية، بيروت د.ت .

المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، دار الغرب الإسلامي، المغرب ١٩٨١ .  
المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار الفكر، ط ١، بيروت ١٤٠٥ هـ .  
المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت .  
مقاصد الشريعة، د. حسين حامد، دار القلم، بيروت د.ت .  
من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي دراسة تطبيقية، د. حسن السيد حامد، مجلة كلية الآداب، العدد ٦١ المنوفية أكتوبر ٢٠٠٧ م .

المنتقى شرح موطأ مالك، سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت ١٩٩٩ .

المثور في القواعد، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ط ٢ الكويت ١٤٠٥ هـ .

الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز دار المعرفة بيروت، د.ت .

الموسوعة الفقهية، مجموعة من العلماء وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١ الكويت ١٩٨٦ .

الوجيز في أصول التشريع الإسلامي، محمد حسن هيتو مؤسسة الرسالة بيروت د.ت .





-12-

أ.م.د. رعد حميد توفيق صالح البياتي

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية

رئيس قسم مقارنة الأديان





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد... فما لا شك فيه أن الإعلام أصبح الفاعل الرئيس في كثير من متغيرات مجتمعاتنا المعاصرة واصبح المشكل لكثير من عقولنا ومواقفنا تجاه الذات والآخر، حيث صار المثبت للآراء والمغير للقناعات؛ بسبب ما يمتلكه من أدوات إقناعيه. بناءً على تلك الامكانية اللامتناهية والمحورية التي يتمتع بها الإعلام، أخذ المسلمون يتوسلون بأدواته من أجل تجلية حقائق ديننا الإسلامي الحنيف وطرح الغشاء المغلف لكثير من شرائعه السمحة، من استثمار اساليبه ووسائله المتنوعة.

لكننا في الجهة المقابلة نشاهد حملة مستعرة دؤوبة لتشويه الصورة المشرقة للإسلام مما بات يعرف بالإسلام وفوبيا، أو إيجاد مارد عملاق خطابه القتل ومنهجه العنصرية العرقية والدينية والقبلية، وكل ذلك بأجندات تنصيرية او استشراقية - وسائل إعلام تحمل بعد ديني عنصري، وهذه العدوى لم يسلم منها حتى الإعلام العربي الذي اصبح يكرر ما يجده في الاعلام الدولي بلا وعي او تفكير ما تكرر تقرر لهذا ستكون دراستنا بعون الله تعالى في هذا البحث دراسة تحليلية للتجديد الإسلامي للخطاب الديني وتأثير الاعلام العربي عليه إن كان تشويها لهذا الخطاب والصاق تهم الإرهاب والعنصرية به، أو مما يقوم به من توظيفه للخطاب الإسلامي لتلميع صور بعض الجهات السياسية والمذاهب الفكرية الباطلة والشخصيات المنتفذة، وجميع ذلك مما يتعارض مع ضوابط تجديد الخطاب الإسلامي، حيث الاصاله منهجه وخدمة الدين والدعوة إلى الله غايته.

وهنا انطلقت مشكلة البحث من التساؤلات الآتية:

هل دعوات تجديد الخطاب الإسلامي التي نراها تصدر من وسائل اعلامية عربية هي

هل كل تجديد هو تجلية لمزايا هذا الدين وشريعته الغراء؟

هل هنالك توظيف سياسي ايدلوجي للخطاب الإسلامي المراد تجديده؟

هل هنالك تحريف رأينا لبعض مفاهيم التجديد في العقود الماضية؟

أما أهمية البحث فتكمن في خطورة الخطاب الديني وما يمكن أن يفعله في المجتمعات المسلمة، ومدى إمكانية ان يوظف لخدمة غايات غير نبيلة (سياسية، حزبية، جهوية، مذهبية متطرفة، مناطقية متعصبة)، بعيدا عن الاستقلالية المتوخاة لكل تجديد إسلامي لخطاب ديني معتدل.

\* أهداف البحث، إنَّ مما يهدف إليه البحث هو:

١. بيان ان التجديد هو انزال الاحكام الشرعية على الواقع وليس نسفا للتراث الديني الإسلامي.

٢. الاحتراز من الدعوات المشبوهة للتجديد بحجة محاربة الإرهاب أو تطبيق الوسطية الحائرة (اسميها حائرة، لكثرة من التزمها وادعا تطبيقها) وأصبحت أدوات مرنة لكل جهة وسيف مسلط على الآخرين.

٣. التنبيه على أي خطاب إسلامي غير منضبط بضوابط التجديد المعتبرة، والتحرز من تلك الدعوات التي يقف وراءها منظمات علمانية أو ليبرالية أو تنصيرية ماسونية.

٤. هيكلية البحث، سيكون البحث بعونه تعالى مقسم على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

٥. المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

٦. المبحث الثاني: الغايات الغربية والإسلامية للتجديد والأسباب الموجبة له

٧. المبحث الثالث: دور الإعلام في تجديد الخطاب الديني، بين التحريف والتوظيف.

الخطاب الديني بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج... الخ، وإنما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان، وقبل أن نشرع بالتعريف الاصطلاحي لكلمة (الخطاب) سنبدأ بالتعريف اللغوي أولا، لأن مدلولات اللغة غالبا ما تؤثر في المصطلحات والمعاني التي يصطلح عليها الناس.

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب أنَّ (الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب)<sup>(١)</sup>.

وجاءت مادة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخُطَابَ﴾ (ص: ٢٠)، وقال جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه

(١) ابن منظور « لسان العرب - مادة «خطب».

(٢) الفرقان: ٦٣.

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي  
وتعالى: ﴿وَأَضَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً: وعرف بأنه (كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر  
محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين  
الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)<sup>(٢)</sup>.  
وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة  
الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار.  
وعندما ننسب الخطاب إلى الدين، ونحن هنا نقصد الدين الإسلامي قطعاً، وإن  
كان يسمى الخطاب الديني غير الإسلامي خطاباً دينياً، كالخطاب الديني النصراني،  
واليهودي... حتى إنه حينما أطلق الغرب هذا المصطلح، قصد به خطاب الإسلام.  
والخطاب الديني هو معنى الحكم الشرعي (خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد  
بالاقتضاء أو بالوضع أو التخيير)<sup>(٣)</sup>.



---

(١) هود: ٣٧

(٢) أحمد عبدالله الطيار ٢٠٠٥ «تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد»، حولية كلية ٤ -  
أصول الدين القاهرة، العدد ٢٢، المجلد الثالث، ص ١٢.

(٣) عطا أبو الرشته «دراسات في أصول الفقه - تيسير الوصول إلى الأصول»، ص ٧.

يعرف الإعلام لغة كما وجد في كتب اللغة على أنه مصدر للفعل (أعلم)، وهو رباعي مأخوذ من العلم الذي هو إدراك الشيء على حقيقته، وأعلمته وعلمته، في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بالإخبار السريع، والتعليم: هو ما اختص بما كان تكراراً وتكثيراً، حتى يحصل منه أثرٌ في نفس المتكلم<sup>(١)</sup>.

وقيل يأتي بمعنى الإذن بالشيء فالآذان هو الإعلام بأن وقت الصلاة قد حان قال تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إي: كونوا على علم، وقال تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: إعلام من الله ورسوله إلى الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ابو الحسن محمد الاصبهاني ت ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعارف، للطباعة (د.ت)، ص ٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٩.

(٤) سورة التوبة: من الآية ٣.

(٥) يُنظر: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٠ بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ ص ٦٧. وينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨ القاهرة، دار الشعب، بلا نص ٦٩.

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

وَمَا تقدم، نلاحظ أن اللفظ العربي للفظة الإعلام يتناول في مشتقاته معان عدة تودي وظيفه قريبة من معاني الاستعلام عن الحوادث والإخبار عنها والإبلاغ، ويحتمل أيضاً معنى الإيصال والتواصل .

: :

ليس بخاف في تخصص الإعلام أن اغلب الباحثين فيه لم يتفقوا على تعريف يعطي مفهوم يحسن السكوت عنده وكما هو معلوم أن تعريفات العلوم لا تستقر ولا تتبلور إلا بعد استيعاب أغلب جوانبها المختلفة واستكمال الاتفاق على أسسها ومبادئها

لذلك يصعب تحديد تعريف لفظة الإعلام تحديداً أكاديمياً جامعاً لاختلاف ميادين تداولته التقنية والثقافية والعلمية والشعبية دون التوصل إلى تحديد تعريف دقيق لها<sup>(١)</sup> . وقد عرفه إبراهيم إمام بأنه: (نشر الأخبار والمعلومات والآراء على الجماهير)، وقال أيضاً: (بأنه بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية)<sup>(٢)</sup> .

والمعنى الذي يرتضيه الواقع المعتدل هو ما عرفه الباحث هادي نعمان الهيتي وغيره من المتخصصين في مجال الإعلام بأنه ( عملية تزويد الناس بالأخبار والمعلومات عن طريق وسائل خاصة أو هو اطلاع الرأي العام في الداخل والخارج على ما يدور من أحداث ووقائع وبث ثقافة الوعي بين صفوف المجتمع)<sup>(٣)</sup> .

(١) يُنظر: هادي نعمان الهيتي، اللغة في عملية الاتصال الجماهيري بغداد، دار السامر للطباعة، ١٩٩٧ م ص ٧.

(٢) إبراهيم إمام، العلاقات والمجتمع ط ٤، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨١ م ص ٢١٦

(٣) هادي نعمان الهيتي، الإعلام الغربي والدعاية الصهيونية، بغداد، دار الجمهورية، ١٩٦٩ م ص ٢١

المتمعن في أحوال البلاد الإسلامية على اختلاف أمكنتها وأقطارها، يلاحظ ويدرك ما تعانيه هذه البلاد من مشاكل سياسية وإقتصادية وثقافية وإجتماعية عديدة، وإذا ما تعمق في هذه المشاكل، فإنه يجد أنها على الرغم من تعددها وتنوعها ترجع إلى أسباب رئيسية وأساسية، يأتي في مقدمتها تخلى المسلمين عن التطبيق الكامل السليم لأحكام دينهم في شؤون حياتهم كافة، ثم ضعفهم الفكري والتربوي في حاضر حياتهم، فهم ما وقعوا فيها وقعوا فيه من مشاكل وتأخر إلا بعد أن انسلخوا عن أحكام دينهم وأهملوا ما فيه من معاني القوة والعزة، من دعوة إلى الإسلام والعلم النافع والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله، وبعد الضعف الفكري الذي طرأ على أذهان المسلمين في فهم الإسلام وإهمالهم طريقة الإسلام في التربية والتعليم، وأصبحوا مقلدين لغيرهم في كافة أنظمة حياتهم (السياسية، والاقتصادية، والتشريعية، والتعليمية... يطبقون نظاماً غريباً عن قيم مجتمعهم وثقافتهم الإسلامية الأصيلة، فأفقدتهم هذا التطبيق هويتهم وشخصيتهم المميزة التي كانت لهم إبان عظمة وازدهار الأمة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

(١) عمر محمد الشيباني ١٩٩٣ «من أسس التربية الإسلامية» الطبعة الثانية، من منشورات الجامعة

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

والبلاد الإسلامية مرت بجملة من الظروف التاريخية لا مجال لذكرها هنا، لكن يمكن تركيزها بأربع مراحل مرت بها البلاد الإسلامية في علاقتها بالغرب<sup>(١)</sup>.

١. مرحلة عزل البلاد الإسلامية وتدمير إمكانية التواصل بينها، لا سيما بعد انهيار الدولة العثمانية.

٢. مرحلة التفكك الشامل وفرض التبعية الشاملة.

٣. مرحلة الهيمنة العسكرية والإشراف على عمليات التفكيك، وإيجاد الأنظمة التابعة.

٤. مرحلة الإذابة التامة والدمج الشامل المحكوم بعلاقات التبعية الشاملة للنظام العالمي المنبثق عن اتفاقية «سايكس / بيكو».

وأدى ذلك إلى فصام واضح بين القيادة الفكرية للأمة والقيادة السياسية وتراجع الطاقة المسلمة، وتمزيق النسيج المسلم، وتدهور الفكر، مما أحاط العقل الإسلامي بمناخ غير نقي وتغذية غير سليمة فجاء خطابه مثقلاً بعدد من أوجه القصور والسلبية جعلته قاصراً عن القيام بدوره<sup>(٢)</sup>.

ومنذ التسعينات تصاعد المد الإسلامي بشكل واضح، وشعر الغرب وعلى رأسه أمريكا - بعد سقوط الشيوعية - بهذا المد، وأدركت أن التحدي الذي يواجهها، والذي هو مرشح لمنافستها والقضاء عليها هو الإسلام، فبدأ الغرب بقيادة أمريكا هجمته وجهوده المدروسة ضد الأمة الإسلامية، ومع أن هذه الجهود الغربية بدأت منذ فترة طويلة بأساليب وأدوات مختلفة. وهذا ما أكد عليه مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة

المفتوحة.

(١) طه العلواني ١٩٩٦ «التعددية أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع»، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) سعيد إسماعيل علي ٢٠٠٥ «التربية الإسلامية» الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

المعاصرة)، المنعقد في برنستون عام ١٩٥٣م، حيث جاء في كتاب أبحاثه: «.. هذه المشكلة لا تقوم إلا بتقارب القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهذه القيم لا تتقارب ما دامت الشعوب الإسلامية تعيش على قيم ثابتة تخالف قيم الغرب، وهي قيم الإسلام. فلا بد إذن من أحد حلين:»<sup>(١)</sup>

إما أن يمحو هذا الإسلام بتشكيك الناس فيه، وفي قيمه، وفي الأسس التي يستند إليها، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد، ويفقد سيطرته على سلوك الأفراد وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وذلك عن طريق إقناع الناس بأن الدين شيء ومشاكل الحياة شيء آخر.

وإما أن يخضع هذا الإسلام للتطوير بحيث يصبح أداة لتسوية القيم الغربية، ولتقريب ما بين الشعوب الإسلامية وبين الغرب، وهو بالضبط ما تقوم به القنوات الإعلامية العربية والتي تعد انعكاساً تاماً للتوجهات الغربية كونها تابعة لها.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت الهجمة الغربية أكثر وضوحاً وأشد شراسة، حيث تشكلت لجنة داخل وزارة الخارجية الأمريكية تعرف باسم «الجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية»، والمقصود هنا هو الخطاب الإسلامي فقط، لأن الأمريكيان يعتقدون أن الإسلام بقيمه ومبادئه يمثل خطراً عليهم، وقررت اللجنة أن تنفيذ هذه الخطط مرهون باستمرار المعونات الأميركية، وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وتمثل التوصيات الأميركية في ما يلي:

(١) بوابة الأهرام، «علماء الأزهر يحددون ملامح تجديد الخطاب الديني»، ١٣ من يناير ٢٠١٥، متاح على: <http://islam.ahram.org.eg/NewsQ/4786.asp>

(٢) الأنفال: ٣٦

## انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

١- تهميش الدين في الحياة الاجتماعية للناس، وذلك عبر إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية وحيازة التكنولوجيا الحديثة (التكنولوجيا ذات الطابع الترفيهي).

٢- التقريب بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام عن طريق تكوين لجنة عليا من المحمديين - أي المسلمين - والمسيحيين واليهود، لتبصير كل شعوب العالم بالتقارب بين الأديان الثلاثة (كما تتحدث الخطة)، وتقترح أن يمثل المسلمون في اللجنة الأزهر، وأن يمثل النصارى الفاتيكان، وأن يمثل اليهود رجال الدين اليهود في (إسرائيل) وأوروبا، وأن تجتمع اللجنة أربع مرات في السنة في الأماكن المقدسة بمكة والمدينة والقدس ومقر الفاتيكان، وأن تعمم هذه اللجنة توصيات ملزمة لكل الدعاة في العالم العربي والإسلامي بحيث لا يخرجون عن هذه التوصيات.

٣- خضوع خطبة الجمعة والخطباء لرقابة أجهزة الأمن في الدولة، أن يتم البعد عن تسييس الخطبة أو تعرضها للجانب الحياتي أو المجتمعي، أو الحديث عن الأمريكان أو اليهود، أو الحديث عن الجهاد وبني إسرائيل.

٤- تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تتضمن حدائق للأطفال والسيدات، وأن تشرف عليه شخصية ناجحة غير دينية.

٥- وأن يكفل للمرأة سبل الاختلاط مع الرجال والتدريب على الانتخابات لتعليم المرأة الديمقراطية.

٦- إلغاء مادة التربية الدينية الإسلامية، وأن يخصص يوم كامل للقيم الأخلاقية والمبادئ بدلاً من مقرر التربية الإسلامية، والعمل على إكساب الطلاب مهارات التسامح، وأن يتم تعليم الجميع أن العقائد والأديان هي نتاج التنشئة الاجتماعية والأفكار المسبقة، وأن الانتماء للإنسانية هو الجامع لهم، أما المعتقدات فهم أحرار فيها

يعتقدون ما يريدون، وعلى المسلمين التحرر من كونهم خير أمة أخرجت للناس<sup>(١)</sup>. وهذه حلقة غير منفصلة في جهود دؤوبة ومتواصلة أخبر عنها ربنا - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا التحرك الغربي الجارف لفرض ما سُمي بالإصلاح أو تطوير الخطاب الديني كوسيلة مزعومة لعلاج التطرف والإرهاب، الذي قيل إنه ينشأ نتيجة لمناهج التعليم الديني، وظهرت في هذا الصدد سياسات ملموسة تمثلت في إصدار التوجيهات التي لا ترد لأنظمة هنا وهناك في البلاد العربية والإسلامية بغلق المعاهد الدينية الإسلامية، أو ضمها إلى نظام التعليم غير الديني، أو فرض تبني مناهج التعليم اللاديني، أو تغيير مناهجها بالكامل لإدخال محتوى (دنيوي) عليها ليحل محل المحتوى الديني.

وكانت الهجمة على نظام التعليم الديني الإسلامي بأكمله، وعلى مناهجه ومحتواه وأهدافه ومفهومة وخطابه في إطار الهدف الأكبر، وهو تغيير عقول المسلمين، وتغيير بنية الإسلام نفسه، باعتبار أن مناهج التعليم من أهم الضمانات للحفاظ على ثقافة الأمة، وترسخ لهذا الدين في بنية المجتمعات الثقافية والفكرية والشعورية.

وهذا ما أكده وزير الحرب الأمريكي رامسفيلد، في معرض حديثه عن الإصلاح وتطوير الخطاب الديني، حيث قال إن المدارس الدينية في العالم الإسلامي تجند الشبان المتشددين، وأن هذا الواقع يعرقل التعايش والتعاون بين هذه الشعوب وأصدقاء أمريكا

(١) د. شريف درويش اللبان، الثورة الدينية: الإعلام وتجديد الخطاب الديني، موقع الأزهر الشريف، بتاريخ الأربعاء ١٤/يناير/٢٠١٥ - ١١:٢٢ ص  
(٢) البقرة: ١٠٩  
(٣) البقرة: ٢١٧

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

وحلفائها في المنطقة، وعلى رأسهم إسرائيل، وتحدث عن أهمية هزيمة الإرهاب، ليس فقط بالقوة العسكرية، ولكن أيضاً في حرب الأفكار<sup>(١)</sup>.

لقد تمثلت أبرز معالم الحملة الأمريكية لتبديد الدين داخل المجتمعات العربية والإسلامية، من خلال ما أطلقت عليه الإدارة الأمريكية «الإصلاح الثقافي» أو «التحديث الاجتماعي»، وهو الأمر الذي بدا واضحا للعيان في مشروع الشرق الأوسط الكبير (الذي قدّمته الإدارة الأمريكية لقمة دول الثمانية كورقة عمل لشراكة أطلسية تجاه العالم العربي والإسلامي)<sup>(٢)</sup>.

إن إعلان هذه المبادرة كان بمثابة إشارة البدء لانطلاق حملة كبرى اشتملت على نشاط إعلامي محموم للترويج لما أسموه (تطوير الخطاب الديني)، صاحبه برامج ومؤتمرات ودورات لتنفيذ المخطط المشار إليه، من بعض وزارات الأوقاف، ووسائل الإعلام التابعة للأنظمة في البلاد العربية والإسلامية، وبعض الكتاب المتغربين، فكانت العديد من الندوات والكتابات والدورات التي تنظمها وزارات الأوقاف وبعض من يسمون مثقفين، وفتحت لهم العديد من المنابر والفضائيات.

إن نجاح الخطة الأمريكية أو عدم نجاحها يتوقف على عوامل كثيرة خارجية وداخلية، ولكن المهم أن ما تخفي صدورهم أكبر، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُومًا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، كما أن في أذهانهم أهدافاً محددة تشير إليها مخططاتهم وأنشطتهم، ومن غير المبالغ فيه القول إن ما يتمناه

(١) جريدة الحياة اللندنية الصادرة في ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٣.

(٢) د. شريف درويش اللبان، الثورة الدينية: الإعلام وتجديد الخطاب الديني، موقع الازهر الشريف، بتاريخ الأربعاء ١٤/يناير/٢٠١٥ - ٢٢:١١ ص

(٣) آل عمران: ١١٨

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

أئمتهم هو محو القرآن من الوجود، ومع استحالة ذلك، فإنهم يعملون على تحقيق أهداف يظنون تحقيقها ممكنة، وعلى رأس هذه الأهداف تحريف المعاني القرآنية، وتفريغ القرآن من أهدافه ورسالته، وإبعاد المسلمين عن أن يتدبروا القرآن ويعملوا به، أي أنهم يريدون أن يتحول القرآن إلى حبر على ورق - كما يقولون -، والله من ورائهم محيط.

وحتى لا نخدع أنفسنا فإنه يجب التنبه إلى أن تحقيقهم لهذه الأهداف - أو بعضها - في عالم الواقع ليس مستحيلاً شرعاً أو عقلاً، فالله - عز وجل - تعهد بحفظ الذكر، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن سبحانه وتعالى لم يتعهد بحفظ معانيه في عقول المسلمين وقلوبهم، ومسيرة الانحراف في فهم الكتاب والسنة وتطبيقها مسيرة قديمة، حقق فيها أعداء الإسلام نجاحات لا يستهان بها، ومن هنا يمكن القول، إنَّ المعوّل عليه في الحفاظ على هذه المعاني من التحريف والتبديل وتطبيقها في واقع المسلمين في أي وقت وأي مكان، هو ما يقوم به أهل الحق أنفسهم بحسب جهدهم ووفق سنن التغيير التي تسير بها حركة المجتمعات، وليس وفق الأمانى والنيات<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عندما قال: «ولما كان النبي ﷺ قد أخبر: أن هذه الأمة تتبع سنن من قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه: وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به. وفيهم أميون لا يفقهون معاني الكتاب والسنة، بل ربما يظنون أن ما هم عليه من الأمانى - التي هي مجرد التلاوة، ومعرفة ظاهر من القول - هو غاية الدين، ثم قد يناظرون المحرفين وغيرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك (المحرفين) بما لم يعلمه الأميون، فإما أن تضل الطائفتان ويصير كلام هؤلاء

(١) الحجر: ٩

(٢) د. سلمان بن فهد العودة، «تجديد الخطاب الديني»، الإسلام اليوم، متاح على:

<http://www.islamtoday.net/salman/mobile/mobartshows8105-28-.htm>

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

(الأميين) فتنة على أولئك (المحرفين)؛ حيث يعتقدون أن ما يقوله الأميون هو غاية علم الدين ويصيرون في طرفي النقيض، وإما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم.

وهذا من بعض أسباب تغيير الملل، إلا أن هذا الدين محفوظ؛ كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق، فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً، لما يُنطقُ الله به القائمين بحجة الله وبيئاته الذين يحيون بكتاب الله الموتى، وَيُبَصِّرُونَ بنوره أهل العمى؛ فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة، لكيلا تبطل حجج الله وبيئاته»..... انتهى<sup>(٢)</sup>.

فالفيصل في المحافظة على المعاني والقيم والتصورات الإسلامية صحيحة في عقول المسلمين وقلوبهم وحياتهم هو مدى تحقيق أهل الحق لسنة التدافع مع الأطراف الأخرى، وهذا يتطلب يقظة وجهداً ونشاطاً وعملاً دؤوباً ومنظماً من جميع الأفراد، فالظرف التي تمر بها الأمة تتطلب فوق اليقظة والنشاط حلولاً غير تقليدية لاستنفار جموع الأمة واستخراج القوى الكامنة في قطاعاتها الشعبية، باتجاه القضية الأساسية والمصيرية، فمن أوجب الواجبات على المسلمين ليتغلبوا على مشاكلهم ويستعيدوا مجدهم وقوتهم وعزتهم أن يرجعوا إلى أحكام دينهم، ويعقدوا العزم على تطبيق أحكام ربهم، واستئناف حياتهم الإسلامية في شئونهم كافة، بإقامة الخلافة الإسلامية، التي عرفها الفقهاء بأنها حراسة الدين وسياسة الدنيا به، ويضعون نظمهم التربوية والتعليمية على أسس منهجية علمية مدروسة.

(١) الحجر: ٩

(٢) ابن تيمية «مجموع الفتاوى»، باب رسالة في الهلال، الجزء السادس، صفحة ٦٨.

إنَّ أهم الدوافع للتجديد تعتمد بصورة رئيسة على ما تجده في الواقع الاجتماعي لتلك المجتمعات التي يتطلب التجديد فيها وأهمها:

آليات تشكيل العقل المسلم بشكل عام، كما يُعدُّ مكوناً رئيسياً في صياغة العقل الجمعي لفئة الشباب المسلم على نحو خاص.

تزامن الدعوة لتجديد الخطاب الديني مع تغيرات تسارعت في الآونة الأخيرة، من ضغوط الأجندة الداخلية والخارجية للإصلاح وتحسين الخطاب الديني.

لذا فإنَّ أهم الأسباب الموجبة للتجديد في الخطاب الديني في الواقع المعاصر هي:  
الأول: عناية الدعاة وعلماء الدين بالقضايا التي يريد الناس بيان الأحكام الشرعية فيها، فيتم تناول هذه القضايا من الفهم الصحيح، وبالأسس التي يبني عليها التشريع الإسلامي.

الثاني: الإهتمام بالقضايا الجديدة في حياة الناس في الطب والاقتصاد والاجتماع وغيرها من القضايا، التي يريد الناس التعرف على أحكامها الشرعية، كتنظيم الأسرة، والتحكم في نوع الجنين، والإخصاب الطبي المساعد، وعمليات التجميل، والتبرع بالأعضاء، وغيرها من القضايا الجديدة، فيجب على علماء الدين البيان المبني على صحيح الفهم لمصادر التشريع الإسلامي من القرآن والسنة الثابتة، وغيرهما من مصادر التشريع، وكل ذلك يحوطه التيسير الذي لا يبعد عن قواعد الدين ومقاصده وأصوله.

الثالث: فيتمثل في اهتمام الدعاة والأسرة ووسائل الإعلام ووزارة التربية والتعليم

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي  
والثقافة، بتعميق معاني مكارم الأخلاق عند الناس، كالصدق في التعامل بينهم،  
والدعوة إلى إتقان العمل

الرابع: يتمثل في بيان الكراهية الشديدة في الشرع الإسلامي، بل وفي كل الشرائع  
الإلهية لجرائم قتل النفس والاستيلاء على أموال الناس، أو إتلافها أو الاعتداء على  
الأعراض.

الخامس: في تجديد الخطاب الديني تتمثل في أن يكون بيان الأحكام الشرعية باليسير  
من التعبير، الذي يسهل على غالب الناس فهمه، وهو غير التعبيرات الموجودة في  
المؤلفات التراثية لعلماء الإسلام، التي تحتاج لعناية خاصة في فهم المراد منها، فلكل عصر  
أدوات التخاطب فيه المناسبة له.

السادس: في قضية تجديد الخطاب الديني، يتمثل في البعد عن نشر الآراء الشاذة التي  
نقلتها كتب التراث في بعض الأحيان، والمتسمة بالغلو في فهم النصوص، والبعد عن  
مقاصد الشريعة، وهي على قلتها - بل وندرتها - يولع البعض بالتقاطها ويجعلونها هي  
الأساس في بيان الأحكام، وهو ما يؤدي لوجود جيل من الشباب يرى في هذه الآراء  
طريق السلوك السليم، مع أنها أبعد ما تكون عن هذا الطريق شرعاً وعقلاً، وهو ما  
يتطلب ذلك التجديد والتجلية.



إنَّ نجاح الخطاب الديني التجديدي مرهون بالنظر إلى قضايا الناس، والحديث عن التجديد لا يخرج أبدًا عن التراث، لا سيما أنَّ الإسلام يحارب الجمود ويظل يحافظ على الثوابت الأساسية من جهة، ومن جهة أخرى يحمل على عاتقه متطلبات العصر أو ما يحتاجه أبناء عصره وزمانه.

والتجديد رسالة تنبع من إرادة ورغبة عارمة في النهوض بالأمة.. وأقرب وسيلة للحوار وأكثرها فاعلية في إبراز الخطاب الديني هي الاعتماد على وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة.

وتعدُّ وسائل الإعلام، وخاصة المرئية منها، من أنجح الوسائل التي تكفل إنتشارًا أوسع لهذا الخطاب عبر مختلف شرائح المجتمع.. فالإعلام المرئي وسيلة من وسائل الاتصال تعتمد على الصوت والصورة في آن واحد، وبذلك تكون قد جمعت بين خواص الإذاعة المسموعة وخواص الوسائل المرئية.. فالتلفزيون يجمع بين الصوت والصورة والحركة وينقل الأحداث فورياً، ويسمح للذين يتعلمون باستعمال أكثر من وسيلة يتم نقلها، ويعرض على المشاهد الصور والأحداث الواقعية، وإخراج أساليب عرض لإثارة

المشاهد وجذبه للشاشة.

كما أنَّ هناك أهمية قصوى في الوسائل المرئية لتأثيرها في الحياة الاجتماعية، لا سيما أن الإنسان يحصل علي أكثر من ٩٠٪ من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر، والغالبية من هذه النسبة عن طريق الرؤية، وهذه الوسائل المرئية تستحوذ على إهتمام كامل من جانب الناس أكثر من أية وسيلة أخرى وتأتي في آخرها الصحف المقروءة. ونظرًا لقدرة وسائل الاتصال البالغة، فقد برز اعتقاد بأن وسائل الإعلام تمتلك قدرة عجيبة على تغيير رأيها في أية وجهة نظر يريد القائم بالاتصال نقلها. ولذلك فلها تأثير كبير على الآراء والاتجاهات والسلوك، بل تعدُّ سحرًا يصل فورًا إلى عقول المستقبلين. ولذلك يجب على الخطاب الديني أن يواكب التطورات العلمية والتكنولوجية المستجدة. والتطور الذي نعنيه لا يقتصر علي مهمة الوعظ والإرشاد، بل له مهمة أوسع وأشمل من ذلك بكثير، الأمر الذي يقتضى أن تتنوع أساليبه في المجتمع المتحضر تبعًا لتنوع مجالات الحياة حتى يشمل كافة شرائح المجتمع خاصة في تنمية الوعي الديني والقيم الأخلاقية ونبذ التعصب والإرهاب.. ولا بد لهذا التجديد في الخطاب من آليات تتحقق وتتجسد في الوسائل المرئية حتى تقتنع بها الجماهير وتحدث فيها استمالة إلى فحوى هذا الخطاب التجديدي.. والإنسان يميل بطبعه إلى تعريض نفسه للوسائل التي تتفق مع أفكاره ومعتقداته واتجاهاته، وكذلك تجنب الوسائل التي لا تتفق مع توجهاته المسبقة.



وإذا كان نجاح الخطاب الديني التجديدي مرهونا بالنظر إلى قضايا الناس على المحيط الداخلي أو المحلي داخل الدولة أو داخل الدول العربية أو الإسلامية، إلا أن عالمية الإسلام كدين والتي تمثلت في قوله تعالى لرسوله الكريم «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» تحتم علينا عولمة الخطاب الديني لكي يصل إلى العالم كله، لكي يعكس وسطية الإسلام وبعده عن التطرف والغلو، وأنه دين الرحمة وليس دين العنف والإرهاب كما يتم تصويره في الغرب، وهي الصورة التي طبعها الأمريكيون للإسلام وللمسلمين في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١، وسيحاول الفرنسيون والأوريون أن يقوموا بترسيخها عقب الهجوم على مجلة «شارلي إبدو» الفرنسية وما تلاه من هجمات إرهابية أخرى في فرنسا وألمانيا.

ومن هنا كان لا بد من الإشارة إلى كثير من المجريات التي تمر على عالمنا الإسلامي المعاصر، وأهمها تلك التوظيفات التي يقوم بها بعض علماء السلاطين وما يقدمونه للمجتمعات المسلمة من تفسيرات للعصر الحالي وما يطرا عليه من حوادث تصب جميعها في خدمة السياسات الحكومية، حيث أصبحت مختلفاتنا الدينية سلم الانقاذ لبعض المخادعين والفاشليين من الدعاة وعلماء السلاطين ومنها ادامة لوجودهم في مجتمعاتنا.

لهذا فإن التحريف في الخطاب التجديدي بدا يطفو على السطح لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا حيث أصبح بعض الدعاة يتزلفون إلى السلاطين

## انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

العملاء للغرب ومن خلفه أمريكا وما تمثله من بعد تنصيري معادي للإسلام ، حيث تعمل أدواتهم في الإعلام العربي على تحريف الثوابت الدينية وزحزحة ذلك الثبات للقيم الإسلامية والعربية، ومنها الجهاد وما يعنيه، والحجاب واسباب تشريعه، وحقوق الانسان وجوانبه وجميع ذلك يهدف الى إرضاء الغرب محاولة استعطاء العطايا والرضا عن العرب وحكامهم، كما عمل الإعلام العربي على تشويش الراي العام المسلم نحو قضاياها المصيرية وبناء العقائدية، فأصبح المواطن المسلم حائراً متخبطاً في تقلبات الاعلام وتوجيهه للناس.

كما أصبح الاعلام العربي غير الملتزم بالضوابط الإسلامية أداة طيعة لتثقيف الشعب المسلم بضرورة اللحاق بالثقافة الغربية وطرح التراث الإسلامي غلف الظهر كونه يسحب المسلم نحو الرجعية والتخلف الديني والتخلف الحضاري.

وفي هذا الإطار، فإننا نرى من رصدنا لواقع الخطاب الديني في عصر العولمة، أن ثمة إشكاليات تطرح نفسها بقوة، ولا بد أن نجد لها حلولاً فعالة، ومن بين هذه المشكلات: أولاً: لا توجد قناة فضائية دينية إسلامية تعكس قيم الإسلام الوسطى المعتدل، وتنطق بلغات عدة للوصول إلى شعوب الأرض الذين ينتمون لأجناس شتى ولغات عديدة، بل إن القنوات الدينية الإسلامية في المنطقة العربية تصطبغ بطابع المحلية الشديدة، بل وتخلط على الناس دينهم ، وكانت تلجأ في الغالب إلى تسييس الدين، وترسيخ التطرف والغلو في نفوس العرب.

ثانياً: أننا لم ندشن مواقع وبوابات دينية إسلامية على شبكة الإنترنت تروج لخطاب إسلامي مستنير يتفق مع طبيعة المجتمعات الغربية والمسلمين الذين يقطنون فيها ويحتكون بثقافات مغايرة عما هو موجود في المجتمعات العربية والإسلامية.

ثالثاً: أن المجتمعات الدينية والمؤسسات الفقهية وبرصراحة شديدة لم تقم بدورها في

\_\_\_\_\_ انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

الدعوة الإسلامية في العالم أجمع وفقاً لمفهوم عالمية الإسلام من وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، واكتفى بدوره في التعليم الديني لبعض الطلاب، فضلاً عن القيام ببعض اللقاءات التي تسلط الأضواء على معالجة حالات التطرف والعنف وهي في الحقيقة تقوم بتكريسه واثبات التهم على نفسها، بحيث ولحد هذه اللحظة كما لم تطلق تلك المؤسسات الدينية قناة دينية إسلامية فضائية بلغات عدة، غير متحيزة أو متملقة، بل يغلب على كثير من اللقاءات والمؤتمرات استرضاء الآخر ولو على حساب الثوابت الدينية والعقدية، كما أن بوابته على شبكة الإنترنت غاية في المحلية وباللغة العربية فقط، إذ إن بعض البوابات الإسلامية الممولة خليجياً تنطق بلغات عدة منها «بوابة الإسلام اليوم» السعودية التي تنطق باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والصينية، وبوابة «إسلام ويب» القطرية التي تنطق باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية.

رابعاً: أننا أغفلنا توظيف شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر ويوتيوب في بث خطاب إسلامي عالمي مستير يبرز تسامح الإسلام ووسطيته واعتداله، بل خجل أو تزلف، وتركنا هذه الشبكات للإرهابيين والمتطرفين، حيث أصبحت هذه الشبكات أدوات فاعلة في أيدي التنظيمات الإرهابية على أشكالها ومسمياتها ومعتقداتها المذهبية كافة، يستعملونها لتجنيد المتطوعين من شتى بقاع الأرض، ويروجون منها خطاباً دينياً متشدداً مؤسساً على أساطير «الدولة الإسلامية» و«الخلافة»، و«الجهاد». وحماية المقدسات . وغيرها.

خامساً: أننا لم ننع لدى الدول الأوروبية منذ الثمانينيات من القرن الماضي لإقناعها بالعدول عن موقفها حينما بدأت في توفير الملاذ الآمن ومنح جنسيتها أو حق اللجوء السياسي لبعض المتشددين والمتطرفين من الدعاة الذين لفظتهم دولهم العربية والإسلامية بحجة إيمانها بحرية الرأي والتعبير، وهو ما أدى إلى فتح منصات إعلامية ومنابر في

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي  
المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة بالدول الأوروبية لخطاب ديني متطرف يغذي مفهوم  
التغيير بالسلاح على أساس عقائدي، وهو ما جعل هذه البيئة صالحة لتجنيد من يقاتلون  
من الأوروبيين الآن.

سادساً: أننا لم نستطع أن نقنع الأوروبيين والأمريكيين من خطاب إعلامي عقلائي  
بعدم مساندة الإرهاب والجماعات الإرهابية ممثلة في الجماعات المتشددة التي تنتهك  
حقوق الانسان بحق الشعوب المسلمة في العراق وسوريا وأفغانستان وإيران.  
وعلى ما تقدم فالعلاج هو بمعالجة وتصحيح ما تم التطرق اليه ولو بخطوات بطيئة  
وهو أفضل من ألا نتحرك ومحاولة كشف المخادعين والمتملقين والمنافقين أيّاً كانوا  
يمثلون ومن أي جهة ياتون فقال الحسن رحمه الله (أترغبون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه  
بما فيه حتى يحذره الناس)، ومحاولة توحيد المرجعية الدينية ولا سيما لدى أهل السنة  
والجماعة كونهم السواد الاعظم في العالم الإسلامي.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..  
فبعد اكمال البحث بصورته النهائية لا بد لنا من شكر الله تعالى على توفيقه لنا، وممّا ذكرنا  
في هذا البحث توصل الباحث الى نتائج عدة نذكر أهمها:  
يعدُّ الإعلام العربي في مجمله تابع للإعلام الغربي بسبب من يتحكم برؤوس أمواله  
والاتفاقات الإنتاجية والإعلامية.

الإعلام العربي فاعل رئيس وموجه مهم في توجيه الخطاب الديني لما يمتلكه من  
تاثيرات ووسائل إقناع مختلفة.

هنالك كثيرا من التحريف يقع على الغايات الحقيقية لدعاة التجديد في الخطاب  
الإسلامي لا سيما بعد أحداث ١١ سبتمبر .

التجديد لا يعني التحديث أو التطوير، بل هو إعادة نفض الغبار من فوق الأسس  
الدينية التي غلب عليها تلك التحريفات والتمويهات.

التجديد يستدعي من الدعاة تهيئة متطلبات العصر بما يتوافق مع روح الاسلام دون  
التميع أو المداهنة لأي جهة سياسية أو فكرية أو مذهبية.

التحريف يقع في الخطاب الديني إذا كان الدعاة غير صادقين النية مع الله وكانوا تبع  
للسلاطين في أفكارهم وانتائاتهم.

هنالك أسباب موجبة لتجديد الخطاب الديني لا بد من توفرها حتى يكون التجديد  
ضروري ولا بد منه.

هنالك توظيف مهم للإعلام العربي للثقيف بما يتعلق بتجديد الخطاب الإسلامي  
وهو امر تجدر الإشارة فيه ولكن فيه هفوات تحتاج الى إعادة هيكلة وإعادة تنظيم.

- القران الكريم.

١- إبراهيم إمام، العلاقات والمجتمع ٤، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨١ م  
هادي نعمان الهيتي، الإعلام الغربي والدعاية الصهيونية، بغداد، دار الجمهورية،

١٩٦٩ م

٢- هادي نعمان الهيتي، اللغة في عملية الاتصال الجماهيري بغداد، دار السامر للطباعة،

١٩٩٧ م.

٣- ابن تيمية «مجموع الفتاوى»، باب رسالة في الهلال، الجزء السادس.

٤- ابن منظور «لسان العرب».

احمد عبدالله الطيار ٢٠٠٥ «تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد»، حولية

كلية ٤- أصول الدين القاهرة، العدد ٢٢، المجلد الثالث.

جريدة الحياة اللندنية الصادرة في ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٣.

٥- سلمان بن فهد العودة، «تجديد الخطاب الديني»، الإسلام اليوم، متاح على:

<http://www.islamtoday.net/salman/mobile/>

[mobartshows-28-8105.htm](http://www.islamtoday.net/mobartshows-28-8105.htm)

٦- شريف درويش اللبان، الثورة الدينية: الإعلام وتجديد الخطاب الديني، موقع

الازهر الشريف، بتاريخ الأربعاء ١٤/يناير/ ٢٠١٥ - ٢٢:١١.

٧- سعيد إسماعيل علي ٢٠٠٥ «التربية الإسلامية» الطبعة الأولى، دار السلام

للطباعة والنشر، القاهرة.

انعكاسات الإعلام العربي على تجديد الخطاب الإسلامي

٨- طه العلواني ١٩٩٦ «التعددية أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع»، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٩- عطا أبو الرشته «دراسات في أصول الفقه - تيسير الوصول إلى الأصول».

١٠- عمر محمد الشيباني ١٩٩٣ « من أسس التربية الإسلامية » الطبعة الثانية، من منشورات الجامعة المفتوحة.

١١- بوابة الأهرام، «علماء الأزهر يحددون ملامح تجديد الخطاب الديني»، ١٣ من يناير ٢٠١٥، متاح على:

<http://islam.ahram.org.eg/NewsQ/٤٧٨٦.asp>

١٢- ابو الحسن محمد الاصبهاني ت ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعارف، للطباعة، بلا.ت.

١٣- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨ القاهرة، دار الشعب، بلا.ت .

١٤- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٠ بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ



